

تشيد المراجعات

و

تفيد المكابرات

تأليف

آية الله السيد على الحسينى الميلانى

الجزء الأول

مركز الحقائق الاسلامية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

كلمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يخفى أنّ كتاب (المراجعات) للعلامة الأكبر والفقير الأجل آية الله السيد عبدالحسين شرف الدين - طاب ثراه - يعدُّ في قمة البحوث المقارنة في مباحث الإمامة والخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في القرن الحاضر، لجمعه بين القوة في الإحتجاج والرصانة في الاستدلال والنزاهة في التعبير والامتانة في الأسلوب، وقد هدى الله بسببه كثيراً من الباحثين، ودخل ببركته في مذهب أهل البيت الطاهرين أفواج من المسلمين ... حتى نبغ في السنوات الأخيرة شذمة من الناس يزعمون أن بإمكانهم نقض ما أبرمه وهدم ما أحكمه، فجعلوا يجادلون الحق بالباطل وقالوا ما ليس تحته من طائل.

فانبرى سماحة الفقيه المحقق آية الله السيد الميلاني دام ظلّه لتشييد مطالب المراجعات وتفنيد ما أثير حولها من شبهات، فانتشر الكتاب في أعداد مجلّة تراثنا في حلقات، ثم طبع منه آلاف النسخ في أربعة مجلّدات.

وهذه هي الطبعة الرابعة لكتاب (تشييد المراجعات وتفنيد المكابرات) يقدّمها المركز محقّقاً منقّحاً للباحثين والمحققين، سائلين الله عزّ وجلّ أن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه الكريم، وأن يتقبّلها بقبول حسن إنه أكرم الأكرمين.

مركز الحقائق الإسلامية

كلمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين ، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين ، من الأولين والآخرين .

وبعد :

فهذه بحوث وضعتها تشييداً للمراجعات ، بتوضيح أو تعليق أو تذييل ، وتفنيداً لما يكون حولها من مكابرات ، عن تعصّب أو جهل أو تضليل ، كتبها بدون إطناب مملاً أو إجمال مخلّ ، معتمداً على روايات أهل السنّة في أشهر كتبهم ومستشهداً بكلمات أكبر علمائهم ، فجاءت معنونةً بعنوان (تشييد المراجعات وتفنييد المكابرات) ، والله أسأل أن ينفع بها كما نفع بأصلها ، وأن يجعلها وسيلةً لهداية من كان أهلاً لها . إنّه مجيب الدعاء .

مقدّمة المراجعات

والكلام حولها

تمهيد :

لا ريب في أنّ البحث وتبادل الآراء خير طريق لتبيين الواقع ، وكشف الحقيقة ، وتنوير الفكر ، ونشر العقيدة... وقد كان السُّنة الجارية لدى الأنبياء والأولياء وسائر المصلحين والعقلاء... وله أصول وقواعد وآداب ، كانوا ولا يزالون يلتزمون بها ويمشون عليها في كافة مجالات المناظرة والجدل.

وإنّ من أولى تلك القواعد والأصول - بعد رعاية الأدب واجتناب الهوى والتعصب - هو التكلّم على ضوء الأدلّة المقبولة عند الطرفين ، واستدلال كلّ منهما بما ورد عند الطرف المقابل وما جاء عن طريقه وكان مقبولاً لديه... لأنّ هذا أقوى حجّة على الخصم ، وأمتن استدلالاً في العقل السليم والمنطق الصحيح. ولقد دأب علماؤنا الأعلام منذ قديم الأيّام على اتّباع هذا الاسلوب في مؤلّفاتهم ومناظراتهم ، كما لا يخفى على الباحث الخبير ، وكان ذلك من أهمّ عوامل تقدّم المذهب الحقّ وإقبال الأمم عليه ، كما كان من أهمّ أسباب عجز الآخرين عن الجواب والردّ ، فما كان منهم إلّا التسليم والإذعان ، أو الكذب والشتيم والبهتان.

لينظر المنصف إلى استدلالات مشايخ الطائفة وأساطين المذهب ، كالشيخ المفيد البغدادي ، والسيّد المرتضى الموسوي ، والشيخ الطوسي ، والعلامة الحليّ... ونظراتهم... ليجد صدق النيّة ، ونزاهة البحث ، ومثانة الاحتجاج القائم على الأسس القويمة من الكتاب العزيز ، والسُّنة الثابتة ، والعقل السليم...

وكانت هذه طريقة السيّد شرف الدين في آثاره الخالدة...

شخصيّة السيّد شرف الدين :

وهو - كما هو معروف - علم من أعلام الأُمَّة ، ومن كبار المجتهدين الأفاضل ، كما تشهد بذلك آثاره في الفقه والأصول وغيرهما.

وبطل من أبطال العلم ، المرجوع إليهم في المسائل المختلفة في شتى العلوم الإسلامية... من الفقه والأصول والتفسير والحديث والكلام...

وزعيم من زعماء الإصلاح في المجتمع الإسلامي ، كما تشهد بذلك مشاريعه الثقافية ومؤسّساته الاجتماعية ، من مدارس وجوامع...

وقائد من قوَاد النضال والكفاح ضدّ الاستعمار الأجنبي ، حتّى أنّه شرّد عن وطنه بأهله وذويه ، ثمّ تفرّقوا في البلدان ، ونزل هو دمشق وفلسطين فمصر ، وصودر ثقله ، وأحرقت مكتبته ، في قضايا مفصّلة سجّلها له التاريخ.

وأما آثاره فكثيرة... لها المكانة المرموقة بين آثار علمائنا الأعلام في العصرالحاضر ، جمعت الدقّة في البيان إلى المتانة في الأسلوب والإستيعاب الشامل ، فما تطرّق إلى مسألة إلاّ وأشبعها بحثاً وتحقيقاً ، وما تعرّض لمشكلة إلاّ وعالجها العلاج الناجع التامّ.

وتتجلّى عظمته وإحاطته في مؤلّفاته في المسائل الخلافية ، وفي تحقيقاته التاريخية والرجالية ، وفي ما كتبه في الدفاع عن الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام.

وقد قوبل هذا المحقّق العظيم بما قوبل به أسلافه ، فأكثر المسلمين يقدرّون جهوده ، ويقرّأون كتبه ، ويشكرون أياديه ، ويثمنون مساعيه ، حتّى طبعت كتبه عشرات المرّات ، وترجمت إلى شتّى اللغات... وأقبلت عليها الجماهير من جميع الجهات. ومن الناس من لا يتحمّل رواج تلك الكتب غير القابلة للردّ ، وتأثيرها في القلوب المستعدّة للهداية والرشاد ، فحاولوا إطفاء ذلك النور بالسبّ والشتم والكذب والزور...

أشهر مؤلّفاته :

ومن أشهر كتبه القيّمة الجامعة بين الموضوعية والدقّة ، والأناقة والرقّة ، والعمق والرفعة : كتاب أبو هريرة : وهو كتاب فريد في بابه ، تناول أبا هريرة الدوسي وأحاديثه الكثيرة المروية في كتابي البخاري ومسلم وغيرهما من أسفار أهل السنّة ، بالبحث والتحقيق الموضوعي. وقد أثار بعض كتّاب القوم ضجّةً شديدةً حوله ، لأنّه في الحقيقة ينسف أهمّ أسسهم في الأصول والفروع ، أعني الأمرين المشهورين اللذين لا أصل لهما - وكم من مشهور لا أصل له - وهما : مسألة عدالة الصحابة أجمعين ، ومسألة صحّة أحاديث كتابي البخاري ومسلم ، الموسومين بالصحيحين.

وكتاب النصّ والاجتهاد : وهو كتاب فقهي ، أصولي ، حديثي ، كلامي ، تاريخي... جمع فيه موارد كثيرة من مفارقات ومعارضات جماعة من الصحابة - الذين يقتدي بهم أهل السنّة في الأصول والفروع - للكتاب والسنّة الثابتة ، معتمداً على أوثق كتب القوم وأهمّ مصادرهم.

وكتاب **الفصول المهمة في تأليف الأمة** : وهو كتاب جليل من أحسن الكتب الكلامية ، استعرض فيه بعض المسائل الخلافية بين الشيعة والسنة ، موضحاً أن السنة هم الذين خالفوا في معتقداتهم ما تقتضيه الأدلة ويفرّره الكتاب والسنة ، وأنه إذا ما رجعوا إلى الله والرسول ، ونبذوا أتباع غير من أمروا باتباعه ، عادت الأمة إلى الوئام واتّفتت كلمة أهل الإسلام.

وكتاب **المراجعات** : فقد كانت للسيد - رحمه الله - في سنة ١٣٢٩ . رحلة علمية إلى مصر ، اجتمع خلالها برجالات العلم ، وأصحاب الفضيلة في تلك الديار ، وعقدت بينه وبين شيخ الأزهر يومذاك الشيخ سليم البشري المالكي اجتماعات متوالية ، تداولوا فيها جوانب الحديث في أمّهات المسائل الدينية ، وكان من نتائجها « المراجعات » وطبعت سنة ١٣٥٥ .

كلام السيد في مقدّمة المراجعات :

ويقول السيد في مقدّمة هذا الكتاب :

« هذه صحف لم تكتب اليوم ، وفكر لم تولد حديثاً ، وإمّا هي صحف انتظمت منذ زمن يربو على ربع قرن ، وكادت يومئذ أن تبرز بروزها اليوم ، لكنّ الحوادث والكوارث كانت حواجز قويّة عرقلت خطاها...

أمّا فكرة الكتاب فقد سبقت مراجعاته سبقاً بعيداً ، إذ كانت تلتهم في صدري منذ شرح الشباب ، التماع البرق في طيّات السحاب ، وتغلي في دمي غليان الغيرة ، تتطلّع إلى سبيل سويّ يوقف المسلمين على حدّ يقطع دابر الشغب بينهم...

ضقت ذرعاً بهذا ، وامتلأت بحمله همّاً ، فهبطت مصر أواخر سنة ١٣٢٩ مؤملاً في « نيله » نيل الأمنيّة التي أنشدها ، وكنت ألهمت أيّ موقّق لبعض ما أريد...

وهناك - على نعمى الحال ، ورخاء البال ، وابتهاج النفس - جمعني الحظّ السعيد بعلم من أعلامها المبرزين ، بعقل واسع ، وخلق وادع ، وفؤاد حيّ ، وعلم عيلم ، ومنزل رفيع ، يتبوّأ بزعامته الدينية ، بحقّ وأهليّة...

فكان ممّا اتّفقنا عليه... أنّ أعظم خلاف وقع بين الأمة : اختلافهم في الإمامة... ولو أنّ كلاً من الطائفتين نظرت في بينات الأخرى - نظر المتفاهم لا نظر الساخط المخاصم - لحصص الحقّ وظهر الصبح لذي عينين.

وقد فرضنا على أنفسنا أن نعالج هذه المسألة ، بالنظر في أدلّة الطائفتين ، فنفهمها فهماً صحيحاً ، من حيث لا نحسّ إحساسنا المجلوب من المحيط والعادة والتقليد ، بل نتعرّى من كلّ ما يحوطننا من

العواطف والعصبية ، ونقصد الحقيقة من طريقها المجمع على صحته ، فنلمسها لمساً ، فلعل ذلك يلفت أذهان المسلمين ، ويبعث الطمأنينة في نفوسهم بما يتحرر ويتقرر عندنا من الحق ، فيكون حدّاً ينتهى إليه إن شاء الله تعالى.

لذلك قررنا أن يتقدم هو بالسؤال خطأً عما يريد ، فأقدم له الجواب بخطي ، على الشروط الصحيحة ، مؤيداً بالعقل أو بالنقل الصحيح عند الفريقين.

وجرت بتوفيق الله عزّ وجلّ على هذا مراجعاتنا كلّها ، وكنا أردنا يومئذ طبعها لنتمتع بنتيجة عملنا الخالص لوجه الله عزّ وجلّ ، لكنّ الأيام الجائرة ، والأقدار الغالبة اجتاحت العزم على ذلك ، ولعلّ الذي أبطأ عني هو خير لي.

وأنا لا أدعي أنّ هذه الصحف تقتصر على النصوص التي تألفت يومئذ بيننا ، ولا أنّ شيئاً من ألفاظ هذه المراجعات خطّه غير قلبي ، فإنّ الحوادث التي أخرجت طبعها فرقت وضعها أيضاً كما قلنا. غير أنّ المحاكمات في المسائل التي جرت بيننا موجودة بين هاتين الدفتين بحذافيرها، مع زيادات اقتضتها الحال ، ودعا إليها النصح والإرشاد ، وربّما جرّ إليها السياق على نحو لا يخلّ بما كان بيننا من الاتفاق .

أقول :

والنقاط الأساسية في هذه المقدمة هي :

١ - إنّ هذه المراجعات وقعت بين السيّد والشيخ ، وأنّهما قررا أن يتقدم الشيخ بالسؤال خطأً عما يريد ، فيقدم له السيّد الجواب بخطّه ، على الشروط الصحيحة المقررة بينهما.

٢ - إنّ هذه المراجعات كانت معدّة للطبع يومذاك ، وكادت أن تبرز بروزها اليوم ، لكنّ الحوادث والكوارث هي التي حجزت عن ذلك.

٣ - إنّ الحوادث التي أخرجت طبع هذه المراجعات فرقت وضعها أيضاً ، فألفاظها كلّها بقلم السيّد ، حاكيةً للمحاكمات التي جرت بينه وبين الشيخ بحذافيرها.

وذكر قدس سرّه سفره إلى مصر بترجمته لنفسه حين شرح أسفاره :

« في مصر :

... كنت أحبّ - فيما أحبّ - أن ازور مصر وأقف على أعلامها لأخذ العلم عنهم ، ولأبْلوما يبلغني عن الجامع الأزهر ذلك المعهد الجليل. وظلّت هذه الأمنية كامنة في نفسي حتّى حفّزها خالي المرحوم السيّد محمّد حسين في أواخر سنة ١٣٢٩ ، حين زارنا في عاملة...

وقد بدأت هذه الجولة بالحضور في دورة الشيخ سليم البشري المالكي - شيخ الأزهر يومذاك - وكان يشرف على طلابه من منبره وهو منطلق في درسه انطلاقاً يلحظ فيه توقُّره وضلّاعته فيما هو فيه. وكان يلقي درساً في مسند الإمام الشافعي... حضرت درسه لأول مرة... وعرض لي أثناء الدرس ما يوجب المناقشة فناقشته ، ثمّ علمت بعدئذ أن المناقشة وقت المحاضرة ليس من الدراسة الأزهرية ، فكنت بعدها أفضي إليه بعد الدرس بما عندي من المسائل الجديدة بالبحث والمذاكرة.

وقد كانت مناقشتي الأولى - في كلّ حال - سبباً في اتّصال المودّة بيني وبينه ، وسبيلاً إلى الاحترام المتبادل ، ثمّ طالت الاجتماعات بيننا ، وتشاجنت الأحاديث وتشعّب البحث بما سجّلناه في كتابنا : المراجعات. ولو لم يكن من آثار هذه الزيارة إلّا هذا الكتاب لكانت جديرة بأن تكون خالدة الأثر في حياتي على الأقلّ.

ولعلّ الكتاب يصوّر بعض الأجواء العلمية التي تفيئانها يومئذ منطلقين في آفاقها ، منطلقين من القيود الكثيرة التي كانت توثق الأفكار آنذاك برجعيّات يضيق صدرها حتّى بالمناقشة البريئة والتفكير الصحيح.

ومهما يكن من أمر ، فقد نعمنا بمصر في خدمة هذا الشيخ ، واتّصلنا بغيره من أعلام مصر المبرزين ، إذ زارونا وزرناهم ، أخصّ منهم العلّامتين : الشيخ محمّد السملوطي والشيخ محمّد بخيت. وقد نجمت هذه الاجتماعات الكريمة عن فوائد جمّة...

وعلى كلّ حال ، فقد غادرت مصر وأنا أحنّ إليها ، وأتزيّد من اللبث فيها ، ولم أغادرها قبل أن يتحفني أعلامها الثلاثة - البشري وبخيت والسملوطي - بإجازات مفصّلة عامّة عن مشايخهم أجمع ، بطرقهم كلّها المتّصلة بجميع أرباب الكتب والمصنّفات من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم ، في جميع العلوم ، عقلية ونقلية ، ولا سيّما الصحاح السنّة وموطأ مالك ومسنّد أحمد ومستدرك الحاكم ، وسائر المسانيد ، وكتب التفسير والكلام والفقه ، وبقية العلوم الإسلامية مطلقاً.

وممّن نعمنا بخدمته في مصر ، وتبادلنا معه الزيارات ، وكانت بيننا وبينه محاضرات ومناظرات ، في مسائل فقهية وأصولية وكلامية ، دلّت على غزارة فضله ورسوخ قدمه في العلم والفضيلة : شيخنا الشيخ محمّد عبد الحيّ ابن الشيخ عبد الكريم الكتّاني الإدريسي الفاسي. وقد أجازني أيضاً إجازة عامّة وسّعت طريقي في الرواية والحديث.

واطّردت المراسلة بعد العودة إلى البلاد بيني وبين شيخنا البشري زمنّاً ، ثمّ طغت عليها الشواغل وكوارث الحرب العامّة الأولى^(١) .

(١) أعلنت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ، أي بعد رجوعه بسنتين فقط .

وكان رجوعنا من مصر في جمادى الاولى سنة ١٣٣٠»^(٢) .

وقال شارحاً قصّة « المراجعات » حين ذكر مؤلفاته :

« كتاب المراجعات ، أو : المناظرات الأزهرية والمباحثات المصرية. مجلّد واحد ، يثبّت رأي الإماميّة في الإمامة والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ألفناه في مصر ، إذ أتيناها سنة ١٣٢٩ ، فجمعنا الحظّ السعيد بإمامها الوحيد : الشيخ سليم البشري المالكي ، شيخ الجامع الأزهر في ذلك العهد ، حضرت درسه ، وأخذت عنه علماً جماً ، وكان عيلم علم ، وعلم حلم ، وكنت أختلف إلى منزله أخلو به في البحث عمّا لا يسعنا البحث عنه إلّا في

الخلوات ، وكان جلّ بحثنا هذا في الإمامة ، التي ما سلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينيّة مثل ما سلّ عليها ، وقد فرضنا على أنفسنا أن نمعن النظر في البحث عن أدلتها ، متجرّدين عن كلّ عاطفة سوى انتجاع الحقيقة والوصول إليها من طريقها المجمع على صحّته.

وعلى هذا جرت مناظراتنا ومراجعاتنا ، وكانت خطيّة تبادلنا بها المراسلة إبراماً ونقضاً ، فجنّته بالحجج الساطعة لا تترك خليجة ولا تدع وليجة ، فقابلها بالذود عن حياضه ، لا يألو في ذلك جهداً ولا يدخر وسعاً. لكنّ الله عزّ وجلّ بهدايته وتوفيقه يسّر لي - وله الحمد - درء كلّ شبهة ودحض كلّ إشكال ، حتّى ظهر الصبح لذي عينين...

وكنت أردت يومئذ طبع تلك المراجعات ، وهي ١١٢ مراجعة ، لكنّ الأقدار الغالبة أرجأت ذلك ، فلمّا نكبنا في حوادث سنة ١٣٣٨ - كما سنفضّله في محله - انتهيت مع سائر مؤلفاتي يوم صبح نهياً في دورنا.

وما أن فرّج الله تعالى عنّا - بفضلته وكرمه - حتّى استأنفت مضامينها بجميع مباحثاتها التي دارت بيننا ، فإذا هي بحذافيرها مدوّنة بين دفتي الكتاب ، مع زيادات لا تخلّ هما كان بيننا من المحاكمات ، على ما أوضحناه في مقدّمة الكتاب ، والحمد لله - باعث من في القبور - على بعث هذا السفر النافع ونشره «^(٣) ..

إهداء السيّد كتاب المراجعات :

ثمّ إنّ السيّد - رحمه الله - يهدي كتابه قائلاً :

« وإني لأهدي كتابي هذا إلى أولي الألباب ، من كلّ علامة محقق ، وبخاتة مدقق ، لابس الحياة العلمية فمحصّ حقائقها ، ومن كلّ حافظ محدّث جهبذ حجّة في السنن والآثار ، وكلّ فيلسوف متضلع

(٢) موسوعة الامام السيد عبد الحسين شرف الدين ٧ : ٣٤٢٧ .

(٣) موسوعة الامام السيد عبد الحسين شرف الدين ٧ : ٣٣١٦ - ٣٣١٧ .

في علم الكلام ، وكلّ شابٍ حيٍّ مثقّفٍ حرٍّ قد تحلّل من القيود وتملّص من الأغلال ، ممّن نوّم لهم للحياة الجديدة والحرّة.

فإن تقبّله كلّ هؤلاء واستشعروا منه فائدة في أنفسهم ، فأبني على خير وسعادة .»

رجاء السيّد من القراء :

وذكر السيّد كتاب « المراجعات » في المورد الأوّل من كتاب « النّص والاجتهاد » فقال :
« ومن أراد التفصيل فعليه بكتابتنا (المراجعات) إذ استقصينا البحث ثمة عن تلك النصوص ، وعن كلّ ما هو حولها ممّا يقوله الفريقان في هذا الموضوع ، تبادلنا ذلك مع شيخنا شيخ الإسلام ، ومرّي العلماء الأعلام ، الشيخ سليم البشري المالكي ، شيخ الجامع الأزهر يومئذ ، رحمه الله تعالى ، أيام كُنّا في خدمته ، وكان إذ ذاك شيخ الأزهر ، فعُني بي عنايته بحملة العلم عنه ، وجرت بيننا وبينه حول الخلافة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ونصوصها مناظرات ومراجعات خطيّة ، بذلنا الوسع فيها إيغالاً في البحث والتمحيص ، وإمعاناً فيما يوجب الإنصاف والاعتراف بالحقّ ، فكانت تلك المراجعات - بيمن نقيية الشيخ - سِفراً من أنفع أسفار الحقّ ، يتجلّى فيها الهدى بأجلى مظاهره ، والحمد لله على التوفيق .
وها هي تلك منتشرة في طول البلاد وعرضها ، تدعو إلى المناظرة بصدر شرحه الله للبحث ، وقلب واع لما يقوله الفريقان ، ورأي جميع ، ولبّ رصين ، فلا تفوتنكم أيّها الباحثون .

نعم ، لي رجاء أنيطه بكم فلا تخيّبوه ، أمعنوا في أهداف النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ومراميه في أقواله وأفعاله ، التي هي محلّ البحث بيننا وبين الجمهور ، ولا تغلبنكم العاطفة على أفهامكم وعقولكم ، كالذين عاملوها معاملة المجمل أو المتشابه من القول ، لا يابّهون بشي من صحتّها ، ولا من صراحتها ، والله تعالى يقول : (أنه لقول رسول كريم * ذي قوّة عند ذي العرش مكين * مطاع ثمّ أمين * وما صاحبكم بمجنون)
فأين تذهبون^(٤) أيّها المسلمون (إن هو إلّا وحي يوحى * علّمه شديد القوى)^(٥) .^(٦)

أقول :

لقد حقّق أبناء الأمتة الإسلامية رجاء السيّد رحمه الله ، وتقبّله الّذين أهدى إليهم المراجعات بقبول حسن ، وأقبلوا عليها خير إقبال ، واستضاء بنورها الكثير منهم ، ورجعوا ببركتها إلى الأصل الديني المفروض عليهم .

(٤) سورة التكوير ٨١ : ١٩ - ٢٦ .

(٥) سورة التكوير ٨١ : ١٩ - ٢٦ .

(٦) النّص والاجتهاد - الطبعة الثانية - : ٥٤ .

وها هي - ولا تزال - منتشرة في طول البلاد وعرضها ، تدعو إلى المناظرة بصدر رحب شرحه الله للبحث ، كل طالب للحق ، باحث عن الحقيقة ، يريد الخير والصلاح والفلاح لنفسه وللأمة.

لكن « السنة » التي رسمها ابن تيمية في « منهاجه » لها أتباع في كل زمان ، تعلموا منه منطق السب والشتم والبهتان - وإن خالفوها في بعض الجهات ، وفي بعض الأحيان -^(٧) ولم نجد في كلامهم - هنا - كلمة تستحق الإصغاء والذكر ، إلا كلمة واحدة ، وهي : ما هي الحوادث والكوارث التي حالت دون نشر المراجعات في حياة الشيخ ؟ لماذا لم يذكر السيد منها ولو واحدة ؟ وهذا سؤال وجيه ، ولكن ليتهم طرحوه بأدب ووقار...

قال قائل منهم :

يقول قائلهم مفتتحاً ما كتبه بعد البسملة والحمدلة :

« وبعد ، يعتبر كتاب المراجعات من أهم كتب الرفض التي عرض فيها مؤلفه : عبدالحسين الموسوي ، مذهبه مذهب الرفض ، بصورة توهم الكثير من أهل السنة بصدق ما جاء فيها ، لا سيما أولئك الذين لم يسبق لهم معرفة عقيدة الرفض وأصولهم ، وأساليبهم الخبيثة الماكرة ، والتي تركز على الأدلة الكاذبة الموضوعية ، والتلاعب بالأدلة الصحيحة ، سواء بالزيادة فيها أو الإنقاص منها ، أو بتحميلها من المعاني ما لا تحتمله ، كل هذا يفعلونه نصره لمذهبهم ، وتأييداً لباطلهم. وهذا ما درج عليه الموسوي في كتابه (المراجعات).

ولما كانت هذه المراجعات لا أصل لها من الصحة ، بل هي محض كذب وافتراء ، ولما مرّ على ظهور هذا الكتاب قرابة الثلاثين عاماً^(٨) ، ولم نجد أحداً من علماء السنة قد ردّ على هذه المراجعات المكذوبة جملةً وتفصيلاً.

ولما كان هذا الكتاب قد أثر في بسطاء المسلمين وعامتهم ، جهلاً منهم بعقيدة الرفض وأصولهم المخالفة لأصول الإسلام الثابتة في الكتاب والسنة الصحيحة ، وظناً منهم بصدق هذه المراجعات ، غير مدركين تدليس وكذب صاحبها ، حيث أظهر موافقة شيخ الأزهر على كل ما عرضه من أدلة مكذوبة ، وفي الوقت نفسه لم يجدوا من يكشف لهم كذب هذه المراجعات ، ويبين لهم ما اشتملت عليه من زيغ وضلال.

(٧) أعتقد أنه لو كان ابن تيمية في هذا العصر ، وانبرى للجواب عن « المراجعات » لأنكر قبل كل شيء سفر السيد إلى مصر ! والتفاهة بالشيخ هناك ! بل أنكر وجود السيد والشيخ في هذا العالم ! ووجود مصر على وجه الأرض !

(٨) المراجعات طبعت عام ١٣٥٥ ، فقد مرّ على ظهورها حتى تاريخ ما كتبه هذا الرجل - وهو سنة ١٤٠٦ - قرابة الخمسين عاماً.

ولمّا كان تحذير المسلمين من عدوّهم ، وفضح كلّ الطوائف والفرق الخارجة على الإسلام أمراً واجباً على كلّ داعية ، بل هو من أعظم القربات إلى الله حتّى يميّزوا الخبيث من الطيّب ، ويبيّنوا سبيل المجرمين.

لهذا كلّه نرى أنفسنا مضطّرين للردّ على كتاب المراجعات ، سائلين الله أن يجعل هذا خالصاً لوجهه ، ودفاعاً عن أوليائه ، ونصرةً لدينه ، وغيرهً على سنّة نبيّه .»

أقول :

أولاً : أننا عندما ننقل هذه العبارات نرجو المعذرة من كلّ مسلم غيور متأدّب بآداب الإسلام ، بل من كلّ إنسان متخلّق بالأخلاق الفاضلة ، وخاصةً من سيّدنا « شرف الدين » قدّس الله نفسه ، فإنّنا إنّما أوردناها :

١ - ليتّضح أنّ الذين يعادون الشيعة والتشيّع إنّما يعادون المسلمين والإسلام ، ولا يفرّقون في الطعن بين أهل السنّة والشيعة ، وذلك لأنّ هذا الأسلوب من الكلام يشوّه سمعة الدين والإسلام لدى أبناء الأديان الأخرى ، إذ يتوهّمون أنّ هذا هو الخلق الإسلامي المحمّدي ، وأنّ المسلمين - سواء الشيعة أو السنّة - معزل عن الآداب الإنسانيّة والأخلاق الفاضلة.

على أنّه - في نفس الوقت الذي يتّهم فيه على الشيعة - يطعن في علماء مذهبه ، وينسبهم إلى التهاون في أمر الدين والدفاع عن أولياء الله وسنّة الرسول ، إذ لم يردّوا على هذا الكتاب الذي أثار في بسطاء المسلمين وعامّتهم - على حدّ تعبيره - ولم يكشفوا لهم هذه المراجعات ! كما قال... فهؤلاء - في الواقع - أناس يريدون الوقعة بين المسلمين ، وإيجاد التباغض بينهم ، وضرب بعضهم ببعض ، حتّى يكون الأعداء في راحة ... فكونوا على حذر من هؤلاء ، وانتبهوا أيّها المسلمون !!

٢ - للاستشهاد على ما ذكرنا من قبل ، من أنّ في الناس من لا يروقه قول الحقّ وبيان الحقيقة ، وحين لا يمكنه الردّ المتين المستند إلى العقل والدين ، يتفوّه بهذه الكلمات ، اقتداءً بشيخ إسلامه ابن تيميّة المشحون منهاجه بالأباطيل والافتراءات.

٣ - للعلم بأنّ فيمن ينسب نفسه إلى السنّة المحمّدية ، ويزعم كونه « داعيةً » إليها «مدافعاً» عنها « غيوراً » عليها... أناساً غير متّصّفين بأدنى شيء من آدابها ، وليقارن بين كتابات هؤلاء وبين كتابات الشيعة.

٤ - للتنبية على أنّ من يفتتح ما كتبه بالتكفير والشتم والتضليل وغير ذلك لطائفة من المسلمين ... لا يستبعد منه الكذب والخيانة والتدليس في أثناء ما كتبه وخلال البحوث.

٥ - ولأننا سوف نعرض عن التعرّض بشيء لأمثال هذه العبارات - وما أكثرها - في الكتاب.

وثانياً : إنّ السيّد من كبار فقهاء الأمة الإسلامية ، ومن أعظم علماء الطائفة الشيعية ، وكتابه « المراجعات » من المصادر المعتمدة لدى المسلمين ، حتّى أنّ بعض علماء السنّة المحقّقين ينقلون عنه ويعتمدون عليه ، قال العلامة الشيخ محمود أبو ريّة - من كبار علماء الأزهر المشاهير المحقّقين - في كلام له حول بعض الروايات : « وإذا أردت الوقوف على هذه الروايات فارجع إلى كتاب المراجعات التي جرت بين العلامة شرف الدين الموسوي - رحمه الله - وبين الأستاذ الكبير الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر سابقاً »^(٩).

وقد وصف الأستاذ عمر رضا كحّالة السيّد ومؤلفه بقوله :

« عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي. عالم فقيه مجتهد. ولد بالمشهد الكاظمي مستهلّ جمادى الآخرة ، وأخذ عن طائفة من علماء العراق ، وقدم لبنان ، ورحل إلى الحجاز ومصر ودمشق وإيران ، وعاد إلى لبنان ، فكان مرجع الطائفة الشيعية ، وأسس الكليّة الجعفرية بصور ، وتوفّي ببيروت في ٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ ، ونقل جثمانه إلى العراق فدفن بالنجف.

من آثاره : المراجعات ، وهي اسئلة وجّهها سليم البشري إلى المترجم فأجاب عنها. أبوهريرة.

الشيعية والمنار. إلى المجمع العلمي العربي بدمشق. والفصول المهمة في تأليف الأمة^(١٠).

وثالثاً : قد اعترف هذا القائل في كلامه بأنّ أحداً من أهل السنّة لم يردّ على المراجعات ، فلماذا لم يردّوا؟! أمّا كانوا يرون وجوب « تحذير المسلمين من عدوّهم » على كلّ « داعية »؟! أو لم يكونوا دعاة كما كان هذا القائل؟!!

ورابعاً : قد اعترف هذا القائل في كلامه بأنّ هذا الكتاب قد أثر في المسلمين ، لكن قال : في بسطاء

المسلمين وعامّتهم !

وقال آخر :

« وفي عصرنا أيضاً نجد كتاباً يسعى جاداً للدخول إلى كلّ بيت^(١١) . رأيت طبعته العشرين في عام

١٤٠٢ ، ويوزّع على سبيل الهدية في الغالب الأعمّ ، واسم الكتاب المراجعات. ذكر مؤلفه شرف الدين هذا

(٩) أضواء على السنّة المحمّدية : ٤٠٥ . منشورات مؤسسة الأعلمي ، الطبعة الخامسة .

(١٠) معجم المؤلّفين ٥ : ٨٧ .

(١١) بل إنّ أبناء « البيوت » يقبلون عليه ويسعون وراء الحصول عليه وجلبه إلى البيوت. ولا يخفى ما تدلّ عليه كلمة أبناء « البيوت » من معنى ، منطوقاً ومفهوماً !

الحديث بالمتن الذي بيّننا ضعف أسانيد^(١٢) وقال : بأنه حديث متواتر. ثم نسب للشيخ سليم البشري رحمه الله ، شيخ الأزهر والمالكية أنه تلقى هذا القول بالقبول وأنه طلب المزيد...»^(١٣) .

وقال في كُتَيْب أسماه : « عقيدة الإمامة عند الشيعة الإمامية.. دراسة في ضوء الكتاب والسنة. هل كان شيخ الأزهر البشري شيعياً؟! »^(١٤) .

قال في مقدّمته : « وقبل أن أختم البحث رأيت أن أشير إلى الفرية الكبرى التي جاء بها الكاتب الشيعي شرف الدين الموسوي في كتابه « المراجعات » وأن أنبه إلى براءة الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر ممّا نسب إليه هذا المؤلّف .»

ثمّ قال في الصفحة ١٧٠ : « ممّا رزّنا به في عصرنا كتاب يسعى جاداً للدخول إلى كلّ بيت ، رأيت طبعته العشرين في عام ١٤٠٢... ».

وقال في الخاتمة : « ومن أكبر هذه المفتريات الكتاب المسمّى (المراجعات) الذي لم يكتف مؤلّفه بجعل الأحاديث الموضوعية المكذوبة أحاديث ثابتة متواترة ، بل نسب لشيخ الأزهر الشيخ سليم البشري رحمه الله أنه سلّم بهذا وأيده. بل سلّم بعقيدة الشيعة الجعفرية ، ورأى أنّ أتباع المذهب الشيعي الجعفري أولى بالاتباع من أيّ مذهب من المذاهب الأربعة .»

وقال ثالث :

« وأما كتاب المراجعات فقد استحوذ على اهتمام دعاة التشيع ، وجعلوه أكبر وسائلهم التي يخدعون بها الناس. أو بعبارة أدقّ : يخدعون به أتباعهم وشيعتهم ، لأنّ أهل السنة لا يعلمون عن هذا الكتاب ولا غيره من عشرات الكتب التي تخرجها مطابع الروافض ، اللهمّ إلا من له عناية واهتمام خاصّ بمذهب الشيعة. وقد طبع هذا الكتاب أكثر من مائة مرّة ، كما زعم ذلك بعض الروافض. والكتاب في زعم مؤلّفه واقعة من وقائع التقارب بين أهل السنة والشيعة ، وهو عبارة عن مراسلات بين شيخ الأزهر سليم

(١٢) يعني : حديث الثقلين.. وقد بيّننا في ردّه صحّة قول السيّد وغيره بتواتره ، فراجع كتابنا : « حديث الثقلين : تواتره.. فقهه » كما سنبين ذلك هنا باختصار حين يأتي التعرّض له إن شاء الله ، وقد بلغني وقوف الدكتور على الكتاب المذكور ، ولكن لم يصلني حتّى الآن أيّ اعتراض عليه ، لا منه ولا من غيره.

(١٣) حديث الثقلين وفقهه - للدكتور علي أحمد السالوس - : ٢٨ .

(١٤) إسم ضخّم ! ولكنّه في ١٨٠ صفحة من القطع الصغير ! وقد جعل عليه عنوان « هل كان شيخ الأزهر البشري شيعياً ؟ » ليوهّم أنّه سيحقّق عن هذا الموضوع ، ولكن عندما تراجع لا تجد إلاّ الاستبعاد ! إلا أنّ تشييع شيخ الأزهر دليل على تحقيقه وإنصافه ، وهكذا يكون حال كلّ مسلم إن حقّق وأنصف ! كما دعا إلى ذلك السيّد شرف الدين في كلّ ما حقّق وصنّف ! بخلاف حضرة الدكتور وأمثاله ، المدافعين عن بني أمية اقتداءً بابن تيمية ! ولسان حالهم (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) والذي يؤكّد ما ذكرنا في خصوص الدكتور السالوس أنّه يحاول إيجاد ضجّة على الشيعة وأهل السنة المحقّقين المنصفين - من علماء الأزهر وغيرهم - الدعاة إلى التقريب بين المسلمين ، وذلك بإصدار كراريس ، أحدها في آية التطهير ، والآخر في حديث الثقلين ، وثالث في عقيدة الإمامة عند الشيعة... والحال أنّ كلّاً منها فصل من فصول كتابه الكبير الذي أسماه بـ : « أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله » فلاحظ وتأمل !

البشري ، وبين عبد الحسين هذا ، انتهت بإقرار شيخ الأزهر بصحة مذهب الروافض وبطلان مذهب أهل السنة.

والكتاب - لا شك - موضوع مكذوب على شيخ الأزهر ، وبراهين الكذب والوضع له كثيرة نعرض لبعض منها ، وقبل ذلك نشير إلى أنّ الروافض من دأبهم وضع بعض المؤلفات ونسبتها لبعض مشاهير أهل السنة ، كما وضعوا كتاب « سرّ العالمين » ونسبوه إلى حجة الإسلام محمد الغزالي.

أما مظاهر وأمارات الكذب والوضع في هذا الكتاب فمناها :

أولاً : الكتاب عبارة عن مراسلات خطية بين شيخ الأزهر سليم البشري وبين هذا الرافضي، ومع ذلك جاء نشر الكتاب من جهة الرافضي وحده ، ولم يصدر عن البشري أي شيء يثبت ذلك.

وثانياً : أنّ هذا الكتاب لم ينشره واضعه إلا بعد عشرين سنة من وفاة البشري ، فالبشري توفي سنة ١٣٣٥ ، وأول طبعة لكتاب « المراجعات » هي سنة ١٣٥٥ في صيدا.

وثالثاً : أنّ أسلوب هذه الرسائل واحد هو أسلوب الرافضي ، ولا تحمل رسالة واحدة أسلوب البشري.

ورابعاً : أما نصوص الكتاب فتحمل في طياتها الكثير والكثير من أمارات الوضع والكذب.

والحقيقة المفجعة : أنّ هذا الافتراء يطبع عشرات المرات باسم التقريب ، ولا أحد من أهل السنة ينتبه بهذا الأمر الخطير^(١٥) .

أقول :

أولاً : إنّ كتاب « سرّ العالمين وكشف ما في الدارين » لأبي حامد محمد الغزالي ، صاحب إحياء العلوم. وقد نسبه - فيمن نسبه - إليه كبير الحفاظ والمؤرخين المعتمدين من أهل السنة ، ألا وهو شمس الدين الذهبي - المتوفى سنة ٧٤٨ - في كتابه المعروف « ميزان الاعتدال » واعتمد عليه ونقل منه ، فلاحظ الكتاب المذكور^(١٦) .

(١٥) مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ٢ : ٢١٣ - ٢١٧ للدكتور ناصر بن عبد الله القفاري ، وهو رسالة لنيل درجة الماجستير ، أجزيت بتقدير ممتاز ! نشر : دار طيبة في الرياض سنة ١٤١٣ هـ في جزئين كبيرين.

(١٦) ميزان الاعتدال ، ترجمة الحسن بن الصباح ١ : ٥٠٠ .

وممن نسب الكتاب إلى الغزالي : الحافظ الواعظ سبط ابن الجوزي الحنفي - المتوفى سنة ٥٨١ - صاحب التاريخ الشهير « مرآة الزمان » وغيره من المصنّفات ، وله : « تذكرة خواص الأمة » الذي أورد فيه بعض ما يتعلّق بأئمة أهل البيت عليهم السلام ، بأسانيد إلى النبي عليه وآله الصلاة والسلام ، ولأجله رموه بالترفض مع الثناء عليه ووصفه بالحفظ والفقّه كما لا يخفى على من لاحظ ترجمته في « الجواهر المضبية في طبقات الحنفية » و« الفوائد البهية في طبقات الحنفية » وغيرهما.

وعلى هذا الأساس نسبته الشيعة إليه ، فلماذا الافتراء؟! ولماذا الإنكار من هؤلاء الطلبة الأصغر المتأخرين لما يقرّ به أكابر أمّتهم المعتمدين؟!

وثانياً : إنّ هذا الذي يعترف به - متفجعاً - من أقوى أدلّة صحّة المراجعات ، واعتبار ما تحتويه من استدلالات ، وإلاً فعلماء قومه مقصرون أمام الله والرسول ومشايخ الصحابة المقتدى بهم في مذهبهم ! رغم طبعها عشرات المرّات كما ذكره ، ورغم أنّها تدعو إلى المناظرة بصدر رحب... كما ذكر السيّد رحمه الله .

وثالثاً : ما ذكره بعنوان « وبعبارة أدقّ... » يكذبّه قول زميله القائل : « قد أثر في بسطاء المسلمين وعامّتهم » وقول الآخر : « يسعى جاداً للدخول إلى كلّ بيت... » على حدّ تعبيرهما.

ورابعاً : المراجعات ليست موضوعةً ، كما مرّ وسيأتي.

وخامساً : إن الأمارات التي ذكرها ، تعود الثلاثة الأولى منها إلى مطلب واحد سنجيب عنه في الجواب عن السؤال عن الكوارث التي منعت طبع الكتاب وضيّعت نسخته. والرابعة يظهر بطلانها من خلال ما سنوضّحه حول نصوص الكتاب.

السبب في تأخير طبع الكتاب :

ثمّ إنّّه قد اعترض على كلام السيّد في المقدمة بأنّه :

« ماذا يعني الموسوي بالحوادث والكوارث التي أحرّت طبع هذه المراجعات أكثر من ربع قرن من الزمن ؟ إنّهُ سؤال لا جواب عليه ، لأنّ الموسوي لم يقدم لنا حادثهً أو كارثهً واحدة من هذه الحوادث والكوارث ، وإذا عدنا إلى كتب التاريخ التي أرخت لهذه الحقبة من الزمن التي تمّت فيها هذه المراجعات المزعومة نقلّب صفحاتها فلا نجد فيها ما يمنع من نشرها .»

أقول :

وهذا جهل أو تجاهل. لقد أشرنا من قبل إلى أنّ السيّد - رحمه الله - كان في طليعة الشخصيات الإسلامية التي قاومت الاحتلال الفرنسي للبنان ، فقد قاد شعبه في مواجهة الاحتلال ، واستخدم كافة الأساليب لها ، ووقف بصرامة يطالب خروج الفرنسيين من بلاده ، ويدعو إلى الوحدة السوريّة المستقلّة ، فأوعز المحتلون إلى عملائهم بالتخلّص من هذا القائد ، واستغلّوا عميلاً عربياً يدعى : (ابن الحلّاج جبران) من أهالي مدينة صور ، واقتحموا دار السيّد ، وشهر العميل مسدّسه في وجه السيّد ، فركله برجله فوق

على ظهره وسقط المسدّس من يده ، وتعالّت الأصوات وصيحات النساء ، ففرّ الفرنسيون من الدار ، وتوافدت الجموع إليها من كلّ جانب تشتاط غضباً فأمرهم السيّد القائد بالهدوء .

قال رحمه الله في كلام له :

« وكان من ذلك أن عزم الفرنسيون ، وعزمت ذبولهم ، أن يتخلّصوا منّي عن طريق الاغتيال ، لتنهار هذه الجبهة إذا خلوت من الميدان ، وفي ضحى يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧ هـ ، الموافق ١٤ كانون الثاني سنة ١٩١٩ م ، والدار خالية من الرجال ، أقبل فتى من رجال الأمن العام الذين أملى لهم الفرنسيون أن يشتطوا على المسلمين والأحرار من أهل الدين ، وأقبل معه رجلان من الجند الفرنسي ، وكانوا جميعاً مسلّحين ، فاقتحموا الباب ، ثمّ أحكموا أرتاجها ، ودنا الفتى العربي ابن الحلّاج شاهراً مسدّسه ، وهو يطلب أن أعطيه التفويض الذي كنّا أخذناه من وجوه البلاد وثائق تخوّل الملك فيصل أن يتكلّم باسمنا في عصبة الأمم .

وحين أصبح على خطوة منّي ركلته في صدره ركلةً ألقته على ظهره فسقط المسدّس من يده ، وأتبعْتُ الركلة بضربات عنيفة بالحذاء على رأسه ووجهه ، وعلت صيحة نساءنا في الدار ، فملّمت الطريق خلف الباب ، فإذا الرهبة تتولّى هزيمة الجنديين وصاحبهما مخفقين ، وقد كادت الأيدي والأرجل أن تقضي عليهم... »^(١٧) .

ثمّ إنّ السيّد دعا إلى مؤتمر للتجاوز مع رجالات السياسة والفكر ، لاتّخاذ القرارات المناسبة للاستمرار بالمواجهة والسيطرة على الموقف حتّى الوصول إلى الهدف ، فعقد المؤتمر في منطقة (الحجر) ومثّل المؤتمرين في وفد إلى سوريا للاجتماع مع الملك فيصل ، حتّى إذا رجع وثب الفرنسيون بجيش جرّار إلى جبل عامل توجّه نحو قرية (شحور) لإلقاء القبض على السيّد وقتله ، ...

قال رحمه الله :

« ومهما يكن فقد كان نصيبنا من هذه الجيوش حملة جرّارة قدّرت بألف فارس مجهّزين بالمدافع الثقيلة والدبابات والمدرّعات ، زحفت بقيادة الكولونيل (نجير) إلى (شحور) وما كاد الفجر يتضوّأ بأضوائه النديّة حتّى كانت المدافع الثقيلة منصوبة على جبلي (الطور) و (سلطان) المشرفين على القرية ، وهبط الجيش يتدفّق بين كروم التين، ويلتفّ حول القرية ، في رهبة أوحشت سكينة الفجر المستيقظ ، لذكر الله تعالى في مستهلّ شهر رمضان المبارك سنة ١٣٣٨ ، وكنت أهوم بعد صلاة الفجر بنعاس بعد تعب السفر وتعب السهر ، وكانت وصيفتنا « الصالحة » « السعيدة » تتهيأ لصلاتها ، فأشرفت على

(١٧) موسوعة الامام السيد عبد الحسين شرف الدين ٧ : ٣٣٦٨ .

مدخل القرية - وهي تتبين الصبح - فراعها أن ترى أن آذان الخيل تنتشر بين أشجار التين في مثل هذا البكور ، فأجفلت مذعورة ، ورجعت توقظني من نومي .

نهضت مسرعا إلى أرديتي ، وانسلت أتخطى الازقة والمضايق ، ثم خرجت من بين العسكر وهم لي منكرون ، وتركهم يتظنون ، وانسحبت أهبط الوادي إلى غار على شاطئ الليطاني، كان لجأ إليه جدنا السيد صالح في محنة الجزار.

أما الجند فطفق يسأل عني ، واستوقف الصغار من أفراخي مع عمهم السيد محمد وخالهم السيد حسن ، يستنطقهم والسيف مصلت فوق رؤوسهم ، ولكنهم أجمعوا على أني في دمشق ، ولما استياسوا من العثور عليّ تفرقوا في القرية يأكلون ويشربون ويحطمون ، ولم يغادروا (شحورا) قبل أن يحرقوا الدار... فحكم عليّ بالنفي المؤبد مع مصادرة ما أملك. وقد احتلوا دارنا في صور بعد أن صيح نهبا في حجراتها ، فعظمت المصيبة وجلت الرزية بنهب المكتبة الحافلة بكتبها القيمة ، وفيها من نفائس الكتب المخطوطة ما لا يكاد يوجد في غيرها. وكان لي فيها كتب استفرغت في تأليفها زهرة حياتي وأشرف أوقاتي ، فإننا لله وإننا إليه راجعون ^(١٨) .

ثم إنّه شرد به - طاب ثراه - مع أهله وذويه إلى دمشق ، فبقي بها مدة وانتقل منها إلى فلسطين ، ومنها إلى مصر ، وهو في جميع هذه الأحوال متنكر وراء كوفية وعقال على نسق المألوف من الملابس الصحراوية اليوم ، حتى إذا قصد الهجرة إلى العراق أرسل إليه بأمان وطلب منه العودة إلى وطنه ، وكانت العودة يوم الجمعة ١٨ شوال سنة ١٣٣٩ .

والخلاصة : إنّه لما يئست قوات الاحتلال من القبض عليه ، عادت فسلبت النار على داره في (شحور) فتركها هشيما تذرره الرياح ، ثم احتلت داره الكبرى الواقعة في (صور) بعد أن أبحاثها للأيدي الاثيمة تعيث فيها سلبا ونهبا ، حتى لم تترك فيها غالبا ولا رخيصا ، وكان أوجع ما في هذه النكبة تحريقهم مكتبته العامرة بكل ما فيها من نفائس الكتب وأعلاقتها ، ومنها مؤلفاته الكثيرة القيمة التي كانت خطية في ذلك الوقت ، والمكاتب والمراجعات.

فهذا موجز تلك الحوادث والكوارث ، كما في مقدمة « المراجعات » وغيرها من المؤلفات، وفي كتاب « الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين مصلحا ومفكرا وأديبا » وغيره مما كتب بترجمة السيد ، وإن شئت التفصيل فراجع (البغية) بقلمه الشريف ، فقد ذكر فيها جميع تلك الكوارث والحوادث بما لها من خصوصيات وجزئيات... وإليها أشار - رحمه الله - في مقدمة « المراجعات » ثم صرح بأن الصحف التي ينشرها الآن كلها بلفظه وخطه...

(١٨) موسوعة الامام السيد عبد الحسين شرف الدين ٧ : ٣٣٧٩ .

لكنَّ البعض لا يصدِّقون السيّد - الصادق المصدِّق - فيما يقول أو لا يرون ما لاقاه وقاساه - مع شعبه - كوارث ! أو يريدون إنكار تلك الجهود ، أو استنكار ذلك الجهاد ضدَّ الاستعمار ! فيذكرون للتأخير سبباً من عندهم ، بوحى من ظنونهم السيئة الفاسدة ، وأغراضهم الباطلة الكاسدة ، فيقول قائل منهم : « والذي دفع الموسوي إلى تأخير نشر وطباعة (المراجعات) إنّما هو حاجة في نفسه ، إذ أنّ الفترة التي كانت فيها المراجعات ، والتي اعتبرها فترة غير ملائمة لمثل هذا الأمر ، إنّما تعني أواخر الخلافة العثمانية التي مهما قيل فيها فإنّها تظلّ خلافةً تدين بالإسلام وتدفع عنه أعداءه وخصومه ، وتناهض كلّ الفرق الضالّة التي اتّخذت من الإسلام ستاراً لضرب الإسلام والكيّد للمسلمين كالرافضة وغيرهم ، والموسوي خشي على نفسه من نشر هذه المراجعات في ظلّ هذه الخلافة ، لما فيها من مخالفة للكتاب والسنة وعقيدة الأمة ، الأمر الذي قد لا تسمح الخلافة العثمانية بنشره ، لذا فإنّه كان ينتظر فرصةً مناسبةً ومؤاتية لنشر هذه الأباطيل...

والأمر الثاني الذي دفعه إلى تأخير نشر مراجعاته : أنّها مراجعات لا أصل لها ، فلا بدّ له من تأخيرها ، إذ لو نشرها في الوقت الذي تمّت فيه هذه المراجعات لتصدّى إلى تكذيبه العديد من العلماء ، لا سيّما شيخ الأزهر الذي كدّب عليه وقوله ما لم يقل ، فلمّا مات شيخ الأزهر ومات بعض أقرانه ، ونسي الأحياء منهم أمر هذه المراجعات ، وما كان فيها من وقائع وتفصيلات ، ولمّا اطمأنّ الموسوي لهذا كلّه سارع عندئذ لنشر أباطيله .»

أقول :

لقد ذكر أمرين هما السبب - بزعمه - في تأخير نشر « المراجعات » :
أما الأوّل : فلا يتفوّه به عاقل ، إذ الخلافة العثمانية كانت في تلك الأيام على وشك الانهيار والاضمحلال ، ولم تعد قادرة على حفظ كيائها ، على أنّه كان بالإمكان طبع الكتاب - لولا الحوادث والكوارث - في غير بلاد الخلافة العثمانية...
وعلى الجملة ، فهذا الأمر ممّا لا يصغى إليه ، وتضحك الثكلى به ، ولعلّه لذا لم نجده عند غير هذا المتقول.

وأما الأمر الثاني : فقد أشار إليه غيره أيضاً ، وهو مردود بما ذكرناه في بيان واقع الحال.
على أنّا نسأل هؤلاء عن السبب للحقيقة المفجعة ، وهي عدم ردّ أحد من علماء السنة على هذه المراجعات ، لا سيّما ممّن نشأ في ظلّ الخلافة العثمانية التي كانت تناهض كلّ الفرق الضالّة على حدّ زعمه !؟

وعن السبب لنشر مثل هذه التشكيكات والتكذيبات ، في مثل هذه الظروف وبعد نحو الخمسين عاماً على طبع المراجعات؟!

وعن السبب في تأخير طبع ردّ أحدهم على كتاب « أبو هريرة » مدّة ١٨ سنة ، أي بعد وفاة السيّد بسنين^(١٩)؟! ثمّ تبعه غيره ، يأخذ اللّاحق من السابق ، فيكرّرون المكرّر^(٢٠) .

السبيل لتوحيد المسلمين :

وهنا يقول القائل : « إنّ ما يسعى إليه الموسوي إمّا هو ضرب من المستحيل ، إذ أنّه لو افترضنا الصدق فيها ، فهي محاولة للتوفيق بين الحقّ والباطل وبين الإسلام والكفر ! إنّ السبيل الوحيد لتوحيد المسلمين ولمّ شتاتهم وإزالة الفرقة بينهم ، إمّا يكون بالعودة إلى الكتاب والسنة ، وفهم السلف الصالح لهما ، كما أوضح ذلك الحقّ سبحانه وتعالى حيث قال : (فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً)^(٢١) وكما أوضح النبيّ صلى الله عليه وآله حيث قال : تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا : كتاب الله وسنتي. (أخرج الإمام مالك والترمذي وأحمد). فهل يستجيب الراضة لله ورسوله ؟ هيهات هيهات .»

ويقول آخر : « مفهوم التقريب عند هذا الموسوي هو أخذ المسلمين بعقيدة الروافض ، وهو في سبيل ذلك يضع وقائع وهميّة وحوادث لا حقيقة لها ، ويزعم أنّها وقائع تقارب بين السنة والشيعة لتصفية الخلاف ، ولكن لم يكن لهذه المؤامرات من أثر إلاّ عند طائفته^(٢٢) .

أقول :

إنّ مفهوم التقريب لدى السيّد وطائفته هو التعريف بالشيعة ، وبيان عقيدتها في مسألة الإمامة - التي هي أعظم خلاف بين الأمة - وذكر شواهد وأدلتها في كتب السنة ، والبحث والتحقيق حولها عن طريق الجدل الحقّ ، ثمّ الأخذ بما اتّفق الكلّ على روايته ونقله في الكتب المشهورة بين المسلمين ، وعلى هذا الأساس استند السيّد في «المراجعات» وغيرها من كتبه إلى ما جاء في كتب السنة من الأحاديث من طرفهم ، ومن هذا المنطلق يمكن التوفيق بين الطائفتين ، ... ولا استحالة... وبذلك يكون قد تحقّق ما أمر

(١٩) كتاب : أبو هريرة راوية الإسلام ، لمحمّد عجاج الخطيب ، ألفه ردّاً على كتاب : «أبو هريرة» للسيّد شرف الدين ، فردّ عليه الشيخ عبد الله السببتي بكتاب : «أبو هريرة في التّيار» .

(٢٠) لاحظ : دفاع عن أبي هريرة ، لعبد المنعم صالح العلي ، ثمّ : أبو هريرة وأقلام الحاقدين ، لعبد الرحمن عبدالله الزرعي ، وهكذا...

(٢١) سورة النساء ٤ : ٥٩ .

(٢٢) مسألة التقريب ٢ : ٢١٧ .

سبحانه وتعالى بقوله : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول...) وإلا فإن كل طائفة ترى الحق فيما ترويه وتعتقده ، وتحكم ببطان ما تذهب إليه الطائفة الأخرى.

فالمراد من « الرد إلى الرسول » في الآية الكريمة ، ومن « السنّة » في الأحاديث الآمرة بالرجوع إليها هو : الأخذ بما ثبت صدوره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم ، وهو ما اتفق الكل على روايته بأسانيدهم.

وأما خصوص : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله وسنتي » فعزوه إلى أحمد والترمذي كذب ، إذ ليس هو من أحاديث مسند أحمد وصحيح الترمذي قطعاً.

موجز الكلام على حديث كتاب الله وسنتي :

بل لا يوجد في شيء من الصحاح والمسانيد أصلاً ، نعم يوجد في (الموطأ) و(المستدرک) وبعض كتب المتأخرين ، ونحن نكتفي بالبحث عن سنده في الكتابين المذكورين ، لأنهما عمدة الرواة له.
* أمّا (الموطأ) فقد جاء فيه ما نصّه : « وحديثي عن مالك أنّه بلغه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال : تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنة نبيه »^(٢٣) .

وهو - كما ترى - لا سند له ، فقال السيوطي بشرحه : « وصله ابن عبد البر من حديث كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف ، عن أبيه ، عن جدّه »^(٢٤) .

لكن يكفيننا النظر في حال « كثير بن عبدالله » المذكور. قال ابن حجر :

قال أبو طالب عن أحمد : منكر الحديث ، ليس بشيء.

وقال عبد الله بن أحمد : ضرب أبي على حديث كثير بن عبد الله في المسند ولم يحدثنا عنه.

وقال أبو خيثمة : قال لي أحمد : لا تحدث عنه شيئاً.

وقال الدوري عن ابن معين : لجدّه صحبة ، وهو ضعيف الحديث. وقال مرةً : ليس بشيء.

وكذا قال الدارمي عنه.

وقال الآجري : سئل أبو داود عنه فقال : أحد الكذابين.

وقال ابن أبي حاتم : سألت أبا زرعة عنه فقال : واهي الحديث.

وقال أبو حاتم : ليس بالمتين.

وقال النسائي : ليس بثقة.

(٢٣) الموطأ ٢ : ٣/١٩٩ .

(٢٤) تنوير الحوالك - شرح على موطأ مالك ٣ : ٩٣ .

وقال ابن عديّ : عامة ما يرويه لا يتابع عليه.

وقال أبو نعيم : ضَعَفَه عليّ بن المديني.

وقال ابن سعد : كان قليل الحديث ، يستضعف.

وقال ابن حجر : ضَعَفَه الساجي.

وقال ابن عبد البر : ضعيف ، بل ذكر أنّه مجمع على ضعفه.

هذا ، والحديث عن أبيه عن جدّه ، وقد قال ابن حبان :

روى عن أبيه عن جدّه نسخةً موضوعةً لا يحلّ ذكرها في الكتب ولا الرواية إلاّ على وجه التّعجب.

وقال ابن السكن : يروي عن أبيه عن جدّه أحاديث فيها نظر.

وقال الحاكم : حدّث عن أبيه عن جدّه نسخةً فيها مناكير^(٢٥).

* وأما (المستدرک) فقد أخرجه من طريق ابن أبي أويس عن عكرمة عن ابن عبّاس ، ثم قال : «
وقد وجدت له شاهداً من حديث أبي هريرة « فأخرجه عنه من طريق صالح بن موسى الطلحي^(٢٦) .
لكن يكفيننا النظر في حال « إسماعيل بن أبي أويس » و « صالح بن موسى الطلحي الكوفي » .
أما الأوّل ، فهذه كلماتهم فيه :

قال معاوية بن صالح عن ابن معين : هو وأبوه ضعيفان.

وعنه أيضاً : ابن أبي أويس وأبوه يسرقان الحديث.

وعنه : مخلّط ، يكذب ، ليس بشي.

وقال النسائي : ضعيف.

وقال في موضع آخر : غير ثقة.

وقال اللالكائي : بالغ النسائي في الكلام عليه إلى أن يؤدّي إلى تركه ، ولعلّه بان له ما لم يبين لغيره ،
لأنّ كلام هؤلاء كلّهم يؤوّل إلى أنّه ضعيف.

وقال ابن عديّ : روى عن خاله أحاديث غرائب لا يتابعه عليها أحد.

وقال الدولابي في الضعفاء : سمعت النضر بن سلمة المروزي يقول : ابن أبي أويس كذاب.

وقال العقيلي في الضعفاء : ثنا أسامة الزفاف - بصري - سمعت يحيى بن معين يقول : ابن أبي
أويس لا يسوى فلسين.

وقال الدارقطني : لا أختره في الصحيح.

(٢٥) تهذيب التهذيب ٨ : ٣٧٧ - ٣٧٨ .

(٢٦) المستدرک على الصحيحين ١ : ٩٣ .

وقال ابن حزم في المحلى قال أبو الفتح الأزدي : حدّثني سيف بن محمّد : أن ابن أبي أويس كان يضع الحديث.

قال سلمة بن شبيب : سمعت إسماعيل بن أبي أويس يقول : ربّما كنت أضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء فيما بينهم^(٢٧).

وأما الثاني ، فهذه كلماتهم فيه :

قال ابن معين : ليس بشي.

وقال أيضاً : صالح وإسحاق ابنا موسى ليسا بشي ولا يكتب حديثهما.

وقال هاشم بن مرثد عن ابن معين : ليس بثقة.

وقال الجوزجاني : ضعيف الحديث على حسنه.

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : ضعيف الحديث جداً ، كثير المناكير عن الثقات. قلت : يكتب حديثه

؟ قال : ليس يعجبني حديثه.

وقال البخاري : منكر الحديث عن سهل بن أبي صالح.

وقال النسائي : لا يكتب حديثه ، ضعيف.

وقال في موضع آخر : متروك الحديث.

وقال ابن عديّ : عامّة ما يرويه لا يتابعه عليه أحد ، وهو عندي ممّن لا يتعمّد الكذب ، وليس

يشبهه عليه ويخطئ ، وأكثر ما يرويه عن جدّه من الفضائل ما لا يتابعه عليه أحد.

وقال الترمذي : تكلم فيه بعض أهل العلم.

وقال عبد الله بن أحمد : سألت أبي عنه فقال : ما أدري ، كأنّه لم يرضه.

وقال العقيلي : لا يتابع على شيء من حديثه.

وقال ابن حبان : كان يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات ، حتّى يشهد المستمع لها أنّها

معمولة أو مقلوبة ، لا يجوز الاحتجاج به.

وقال أبو نعيم : متروك ، يروي المناكير^(٢٨).

أقول :

(٢٧) تهذيب التهذيب ١ : ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٢٨) تهذيب التهذيب ٤ : ٣٥٤ - ٣٥٥ .

هذه أسانيده في أهم الكتب المخرّجة له ، وقد عرفت حالها. فظهر أنّه ليس بحديث صادر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم... فلا يجوز الاحتجاج به فضلاً عن أن يقابل به مثل حديث الثقلين « الكتاب والعترة أهل البيت » وغيره من الأحاديث القطعية. هذا ، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى رسالتنا فيه ^(٢٩) .

والخلاصة : إنّ السيّد يدعو إلى الوثام بين المسلمين عن طريق البحث الصحيح والجدل الحقّ ، في الحديث والسيرة والتاريخ وغير ذلك ، لا عن طريق تناسي الماضي ، لأنّ هذا لو أفاد في برهنة من الزمن فلا يكاد يجدي على المدى البعيد ، ولا يعطي النتيجة المطلوبة ، بل إنّ معنى ذلك بقاء الانطباعات عن القضايا في النفوس والأذهان ، وهذا ما يؤدّي - بطبيعة الحال - إلى مضاعفات لا تكاد تقبل العلاج من أي طرف كان.

وقد عرفت السيّد إلى من أهدى كتابه ! وأيّ شيء ترجّى منه !
هذا تمام الكلام حول المكابرات ، المتعلّقة بمقدّمة المراجعات.

(٢٩) الرسائل العشر ، الرسالة العاشرة .

مقدّمات

قبل الورود في

تشبيد المراجعات وتفنيذ المكابرات

وكتاب المراجعات يحتوي على مبحثين :

الأول : في إمامة المذهب.

والثاني : في الإمامة ، وهي الخلافة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ويشتمل كلٌّ منهما على مراجعات...

ولا بدّ قبل الورد فيها من مقدمات :

* إنَّ « التشييع » مذهب كسائر المذاهب ، له أصوله وقواعده في الأصول والفروع ، والشريعة الإمامية الاثنا عشرية غير محتاجة - في إثبات حقيّة ما تذهب إليه - إلى روايات الآخرين وأخبارهم ، ولا إلى ما قاله علماء الفرق الأخرى في كتبهم وأسفارهم..

فلا يتوهّم أنّ أحد أنّهم - لاستدلالهم بشيء خارج عن نطاق أدلتهم وحججهم - يفقدون في ذلك المورد المستدلّ عليه ، الدليل المتقن على رأيهم ، فيلجأون إلى قول من غيرهم ، أو إلى خبر من غير طرقهم...

إلا أنّهم لما كانوا واقعيين في بحوثهم ، منصفين في مناظراتهم مع أتباع كلّ فرقة من الفرق ، يستندون إلى ما جاء في كتب تلك الفرقة وعلى لسان علمائها المعتمدين فيها ، وهذا ما تفرضه طبيعة المناظرة ، وتقتضيه آدابها وقواعدها المقرّرة.

فاستدلال الشيعة بخبر من كتاب .. أو استشهادهم بكلام عالم ... لفرقة من الفرق.. لا يعني القبول بكلّ ما جاء في ذلك الكتاب ، أو على لسان ذاك العالم.. وإمّا هو احتجاج على الطرف الآخر بما لا مناص له من الالتزام به ، بعد الإقرار بذلك الكتاب ، وبكون ذلك العالم من علماء مذهبه...

ويكفي للاحتجاج أن يكون ذلك الخبر المستدلّ به مقبولاً لدى رواته ، وفي نظر المحدث الذي أورده في كتابه ، ولا يشترط أن يكون معتبراً عند جميع علماء تلك الطائفة ، وذلك :

لأنّ الغرض إثبات أنّ الذي تذهب إليه الشيعة مروى من طرق الخصم وموجود في كتبه ، وأنّ الراوي له موثوق به عنده ولو على بعض الآراء ، فيكون الخبر متفقاً عليه ، والمتفق عليه بين الطرفين - في مقام المناظرة - لا ريب فيه.

ولأنّ الخبر أو الراوي المقبول المعتبر لدى كلّ علماء تلك الطائفة نادر جداً.

نعم ، إذا كان ضعيفاً عند أكثرهم لم يتمّ الاستدلال والاحتجاج به عليهم.

* وعلى الجملة ، فإنّه يكفي لصحة الاستدلال بكتاب أو بخبر أو بكلام عالم .. ألا يكون معرضاً عنه لدى أكثر أئمة الفرقة المقابلة ؛ وأما أن يردّ الاحتجاج - بما رواه الراوي الموثق من قبل بعضهم - بجرح البعض.. فهذا ممّا لا يسمع ، وإلا يلزم سقوط أخبار حتّى مثل « البخاري » و« مسلم » في كتابيهما المعروفين بـ « الصحيحين » لوجود الطعن فيهما وفي كتابيهما ، من غير واحد من كبار الأئمة الحفاظ^(٣٠) .
فقد ذكر كبار الحفاظ امتناع الإمامين الجليلين : أبي زرعة وأبي حاتم الرازيين عن الرواية عن « محمّد بن إسماعيل البخاري » لأجل انحرافه في العقيدة في نظرهما ، وقال الحفاظ عبد الرحمن بن أبي حاتم : كان أبو زرعة ترك الرواية عن البخاري من أجل ما كان منه في المحنة.

ولأجل هذا ، فقد أورد ابن أبي حاتم الرازي البخاريّ في كتابه في « الجرح والتعديل »^(٣١) .

ولأجل تكلم أبي زرعة وأبي حاتم ، وما صنعه ابن أبي حاتم.. فقد أورد الحفاظ الذهبيّ البخاريّ في كتابه « المغني في الضعفاء » فقال : « حجة إمام ، ولا عبرة بترك أبي زرعة وأبي حاتم له من أجل اللفظ »^(٣٢) .

وأضاف الحفاظ الذهبي بترجمة البخاري تكلم الإمام الكبير محمّد بن يحيى الذهلي فيه ، وأنه كان يقول : « من ذهب بعد هذا إلى محمّد بن إسماعيل البخاري فاتهموه ، فإنّه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مثل مذهبه »^(٣٣) .

بل ذكر الذهبي أنّ الإمام الذهلي أخرج البخاريّ ومسلماً من مدينة نيسابور^(٣٤) .

وقال بترجمة الذهلي : « كان الذهلي شديد التمسك بالسنة ، قام على محمّد بن إسماعيل ، لكونه أشار في مسألة خلق أفعال العباد إلى أنّ تلفظ القاري بالقرآن مخلوق... وسافر ابن إسماعيل مختفياً من نيسابور وتألّم من فعل محمّد ابن يحيى »^(٣٥) .

وقد تألّم غير واحد من أعلام القوم من موقف الذهبي من البخاري حين أورده في كتاب

« الضعفاء ».

(٣٠) هذا حال البخاري إمامهم في الحديث ، وسنشير إلى حال إمامهم في العقائد وهو : أبو الحسن الأشعري. ولعلنا نتعرّض لحال أئمتهم في الفقه وهم : الأئمة الأربعة ! وإمامهم في التفسير هو : الفخر الرازي... في المواضع المناسبة. إن شاء الله تعالى.

(٣١) وذكر ذلك الذهبي في : سير أعلام النبلاء ١٢ : ٤٦٢ .

(٣٢) المغني في الضعفاء ٢ : ٢٦٨ رقم ٥٣١٢ .

(٣٣) سير أعلام النبلاء ١٢ : ٤٥٦ .

(٣٤) سير أعلام النبلاء ١٢ : ٤٦٠ .

(٣٥) سير أعلام النبلاء ١٢ : ٢٨٤ - ٢٨٥ .

قال السُّبكي : « وممّا ينبغي أن يتفقّد عند الجرح : حال العقائد واختلافها بالنسبة إلى الجرح والمجروح ، فرمّا خالف الجرح المجروح في العقيدة فجرحه لذلك .

وإليه أشار الرافعي بقوله : وينبغي أن يكون المزكّون برآء من الشحنة والعصبية في المذهب ، خوفاً من أن يحملهم ذلك على جرح عدل أو تزكية فاسق ، وقد وقع هذا لكثير من الأئمة ، جرحوا بناءً على معتقدتهم ، وهم المخطئون والمجروح مصيب.

وقد أشار شيخ الإسلام سيّد المتأخّرين : تقي الدين ابن دقيق العيد في كتابه (الاقتراح) إلى هذا وقال : أعراض المسلمين حفرة من حفر النار ، وقف على شفيرها طائفتان من الناس : المحدّثون والحكّام . قلت : ومن أمثلة ما قدمنا قول بعضهم في البخاري : تركه أبو زرعة وأبو حاتم ، من أجل مسألة اللفظ.

فيا لله والمسلمين ! أيجوز لأحد أن يقول : البخاري متروك؟! وهو حامل لواء الصناعة، ومقدّم أهل السنّة والجماعة»^(٣٦) .

فهذه عبارة السبكي ، ولم يصرّح باسم القائل بذلك وهو الذهبي ، لكنّ المناوي صرّح باسمه ، واتّهمه بالغض والغرض من أهل السنّة ، وكأنّه ليس الذهبي من أهل السنّة !! فقال بترجمة البخاري : « زين الأئمة ، افتخار الأئمة ، صاحب أصحّ الكتب بعد القرآن ، صاحب ذيل الفضل على مرّ الزمان ، الذي قال فيه إمام الأئمة ابن خزيمة : ما تحت أديم السماء أعلم منه. وقال بعضهم : إنّه آية من آيات الله يمشي على وجه الأرض.

قال الذهبي : كان من أفراد العالم ، مع الدين والورع والمتانة. هذا كلامه في الكاشف. ومع ذلك غلب عليه الغضّ من أهل السنّة فقال في (كتاب الضعفاء والمتروكين) : ما سلم من الكلام لأجل مسألة اللفظ ، تركه لأجلها الرازيّان.

هذه عبارته ، وأستغفر الله تعالى. نسأل الله السلامة ، ونعوذ به الخذلان»^(٣٧) .

* ونستفيد من هذه القضية أموراً :

١ - ما ذكرناه سابقاً من أنّه لو اشترط - في صحّة استدلالنا بأخبار القوم وأقوالهم - كون الخبر معتبراً عند جميعهم ، أو كون راويه موثقاً عند كلّهم .. لانسدّ باب البحث ، لعدم وجود هكذا خبر أو راو فيما بينهم.

(٣٦) طبقات الشافعية ٢ : ١٢ .

(٣٧) فيض القدير ١ : ٢٤ .

٢ - إنّ البخاري ومسلماً مجروحان عند جماعة من الأئمة ، فتكون روايتهما في كتابيهما كسائر الكتب والروايات - خاضعة لموازين الجرح والتعديل.. إن لم نقل بأن مقتضى الطعن المذكور فيهما سقوط روايتهما عن الاعتبار رأساً .. وهناك أحاديث كثيرة في الكتابين قد نصّ العلماء المحققون الكبار على بطلانها ، يطول بنا المقام لو أردنا ذكرها ، فراجع بعض مؤلفاتنا^(٣٨) .

٣ - إنّ الذهبي - وهو من أكابر أئمة القوم في الجرح والتعديل - له مجازفات في تعديلاته وتجريحاته.. فليس كلّ ما يقوله الذهبي في حقّ الرجال حقاً ، وإلاّ كان ما قاله وفعله في حقّ « البخاري » صحيحاً مقبولاً ، وقد قال المتأوي بعد نقله : « نسأل الله السلامة ونعوذ به من الخذلان ».

٤ - إنّه ينبغي أن يتفكّد حال العقائد واختلافها بالنسبة إلى الجرح والمجروح ، وأن يكون المزكّون والجرحون برآء من الشحاء والعصبيّة في المذهب. وهذا ما أكّده الحافظ ابن حجر العسقلاني أيضاً ، حين قال :

« وممّن ينبغي أن يتوقّف في قبول قوله في الجرح : من كان بينه وبين من جرحه عداوة سببها الاختلاف في الاعتقاد ، فإنّ الحاذق إذا تأمّل ثلب أبي إسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب ، وذلك لشدة انحرافه في النصب وشهرة أهلها بالتشيع ، فتراه لا يتوقّف في جرح من ذكره منهم ، بلسان ذلقة وعبارة طليقة ، حتّى أنّه أخذ يلين مثل الأعمش وأبي نعيم وعبيدالله بن موسى وأساطين الحديث واران الرواية. فهذا إذا عارضه مثله أو أكبر منه فوثق رجلاً ضعّفه قبل التوثيق... »^(٣٩) .

* وقد تبع الجوزجاني بعض من كان على مسلكه من المتأخّرين ، فأخذوا يطعنون في الراوي بمجرد روايته ما يدلّ على فضيلة لعليّ وأهل البيت عليهم السلام ، أو ما يدلّ على قدح في واحد من مناوئهم ، ويقولون عنه « شيعي » « رافضي » ونحو ذلك ، والحال أنّ التشيع - كما يقول الحافظ ابن حجر - : « محبة عليّ وتقديمه على الصحابة »^(٤٠) .

والذين يقدّمون عليّاً عليه السلام على غيره من الصحابة كثيرون حتّى في الصحابة.. قال الحافظ ابن عبد البرّ : « وروي عن سلمان وأبي ذرّ والمقداد وخبّاب وجابر وأبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم : إنّ عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - أول من أسلم. وفضّله هؤلاء على غيره »^(٤١) .

فالتشيع لا يضرّ بالوثاقة عندهم ولا يمنع من الاعتماد. قال ابن حجر بترجمة « خالد بن مخلد القطواني الكوفي » وهو من رجال البخاري :

(٣٨) التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف : ٢٩٣ - ٣٣٦ .

(٣٩) لسان الميزان ١ : ١٦ .

(٤٠) مقدمة فتح الباري : ٤٦٠ .

(٤١) الاستيعاب ٣ : ١٠٩٠ .

« من كبار شيوخ البخاري ، روى عنه وروى عن واحد عنه. قال العجلي : ثقة وفيه تشييع. وقال ابن سعد : كان متشيعاً مفرطاً. وقال صالح جزرة : ثقة إلا أنه يتشيع. وقال أبو حاتم ، يكتب حديثه ولا يحتجّ.

قلت : أما التشييع فقد قدّمنا أنه إذا كان ثبت الأخذ والأداء لا يضره ، لا سيما ولم يكن داعيةً إلى رأيه «^(٤٢) .

وقال ابن حجر بترجمة « عبّاد بن يعقوب الرواجني » من رجال البخاري :
« رافضي مشهور ، إلا أنه كان صدوقاً ، وثقه أبو حاتم ، وقال الحاكم : كان ابن خزيمة إذا حدّث عنه يقول : حدّثنا الثقة في روايته المتهّم في رأيه : عبّاد بن يعقوب. وقال ابن حبان : كان رافضياً داعيةً. وقال صالح بن محمّد : كان يشتم عثمان رضي الله عنه.

قلت : روى عنه البخاري في كتاب التوحيد حديثاً واحداً مقروناً ، وهو حديث ابن مسعود : أيّ العمل أفضل ؟ وله عند البخاري طرق أخرى من رواية غيره «^(٤٣) .

وقال الذهبي بترجمة « أبان بن تغلب » :

« شيعي جلد ، لكنّه صدوق ، فلنا صدقه وعليه بدعته ، وقد وثقه أحمد بن حنبل وابن معين وأبو حاتم. وأورده ابن عديّ وقال : كان غالباً في التشييع. وقال السعدي : زانغ مجاهر. فلقاتل أن يقول : كيف ساغ توثيق مبتدع ، وحدّ الثقة العدالة والإتقان؟! فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعة؟! »

وجوابه : إنّ البدعة على ضربين ، فبدعة صغرى ، كخلو التشييع ، أو كالتشييع بلا غلو ولا تحرف ؛ فهذا كثير في التابعين وتابعيهم ، مع الدين والورع والصدق؛ فلو ردّ حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبويّة ، وهذه مفسدة بيّنة «^(٤٤) .

أقول :

وعلى هذا الأساس أيضاً تسقط مناقشات بعض الكتّاب في أسانيد الأحاديث التي يستدلّ بها الشيعة الاثنا عشرية من كتب أهل السنّة.. لكنّ بعض المتعصّبين يقدح في الرجل إذا كان شيعياً - أي يفصل عليه السلام على غيره من الصحابة - ويكره الرواية عنه ، حتّى وإن كان من الصحابة ، مع أنّ

(٤٢) مقدمة فتح الباري : ٣٩٨ .

(٤٣) مقدمة فتح الباري : ٤١٠ .

(٤٤) ميزان الاعتدال ١ : ٥ .

المشهور فيما بين أهل السنّة عدالة الصحابة أجمعين ! قال الحافظ ابن حجر بترجمة « عامر بن واثلة أبو الطفيل الليثي المكي » :

« قال ابن عديّ : كان الخوارج يرمونه باتّصاله بعليّ وقوله بفضله وفضل أهل بيته ، وليس بحديثه بأس. وقال ابن المديني : قلت لجرير : أكان مغيرة يكره الرواية عن أبي الطفيل ؟ قال : نعم. وقال صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه : مكي ثقة. وكذا قال ابن سعد وزاد : كان متشيّعاً. قلت : أساء أبو محمّد بن حزم فضّعّف أحاديث أبي الطفيل وقال : كان صاحب راية المختار الكذاب. وأبو الطفيل صحابي لا شكّ فيه ، لا يؤثّر فيه قول أحد ، ولا سيّما بالعصبية والهوى »^(٤٥) .

قلت :

فالحمد لله الذي أجرى على لسان مثل ابن حجر العسقلاني أنّ ابن حزم يتكلّم « بالعصبية والهوى » وقد حطّ على هذا الرجل أبو بكر ابن العربي.

وقال أبو العباس ابن العريف الصالح الزاهد : « لسان ابن حزم وسيف الحجّاج شقيقان ». وقال مؤرّخ الأندلس أبو مروان ابن حبان : « وممّا يزيد في بغض الناس له تعصّبه لبني أمية ، ماضيهم وباقيهم ، واعتقاده بصحة إمامتهم ، حتّى نسب إلى النصب ». وقال ابن خلّكان : « كان كثير الوقوع في العلماء المتقدّمين ، لا يكاد يسلم أحد من لسانه. قال ابن العريف : كان لسان ابن حزم وسيف الحجّاج شقيقين. قاله لكثرة وقوعه في الأئمة ، فنفرت عنه القلوب ، واستهدف لفقهاء وقته ، فتمالؤا على بغضه ، وردّوا قوله ، وأجمعوا على تضليله... ». ووصفه الآلوسي عند ذكره بـ « الضالّ المضلّ ».

انظر : لسان الميزان ٤ : ١٩٨ ، وفيات الأعيان ٣ : ٣٢٥ ، تفسير الآلوسي ٢١ : ٧٦ .

قلت :

وممّا يشهد بنصبه قوله في المحلّي ١٠ : ٤٨٤ : « ولا خلاف بين أحد من الأمة في أنّ عبدالرحمن بن ملجم لم يقتل عليّاً رضي الله عنه إلاّ متأوّلاً مجتهداً مقدراً أنّه على صواب ، وفي ذلك يقول عمران بن حطّان شاعر الصفرية... ».

وقد كان على شاكلة ابن حزم في القول بالعصبية والهوى :

(٤٥) مقدمة فتح الباري : ٤١٠ .

* أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، فقد أفرط هذا الرجل في كتبه لا سيّما في كتابيه « العلل المتناهية » و« الموضوعات » حتّى ردّ عليه كبار المحقّقين ، فنصّوا على بطلان كثير من أقواله وآرائه.

قال الحافظ النووي : « وقد أكثر جامع الموضوعات في نحو المجلّدين ، أعني أبا الفرج بن الجوزي ، فذكر كثيراً ممّا لا دليل على وضعه... ».

وقال الحافظ السيوطي : « فذكر في كتابه كثيراً ممّا لا دليل على وضعه ، بل هو ضعيف ، بل وفيه الحسن والصحيح ، وأغرب من ذلك : أنّ فيها حديثاً من صحيح مسلم كما سأبيّنه.

قال الذهبي : ربّما ذكر ابن الجوزي في الموضوعات أحاديث حسناً قويّة.

قال : ونقلت من خطّ السيّد أحمد بن أبي المجد قال : صنّف ابن الجوزي كتاب (الموضوعات) فأصاب في ذكره أحاديث شنيعة مخالفة للنقل والعقل . وما لم يصب فيه إطلاقه الوضع على أحاديث ، بكلام بعض الناس في أحد رواياتها ، كقوله : فلان ضعيف أو : ليس بالقوي أو : لئن ، وليس ذلك الحديث ممّا يشهد القلب ببطلانه ، ولا فيه مخالفة ولا معارضة لكتاب ولا سنّة ولا إجماع ، ولا حجة بأنّه موضوع سوى كلام ذلك الرجل في روايته. وهذا عدوان ومجازفة »^(٤٦) .

وقال ابن عرّاق : « وللإمام الحافظ أبي الفرج ابن الجوزي فيها كتاب جامع ، إلا أنّ عليه مؤاخذات ومناقشات... »^(٤٧) .

وقد أورد ابن الجوزي في كتابه « العلل المتناهية في الأحاديث الواهية » حديث : «إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي» فاعترضه بشدّة كبار المحدثين المتأخّرين عنه :

قال السخاوي : « وتعجّبت من إيراد ابن الجوزي له في (العلل المتناهية) بل أعجب من ذلك قوله : إنّه حديث لا يصحّ. مع ما سيأتي من طرقه التي بعضها في صحيح مسلم »^(٤٨) .

وقال السهمودي : « ومن العجيب ذكر ابن الجوزي له في (العلل المتناهية) فإيّاك أن تغتّر به. وكأنّه لم يستحضره حينئذ »^(٤٩) .

وقال المتناوي : « ووهم من زعم وضعه كابن الجوزي »^(٥٠) .

بل هناك كلمات كثيرة في الحطّ على ابن الجوزي نفسه :

(٤٦) تدريب الراوي ١ : ٣٢٩ .

(٤٧) تنزيه الشريعة المرفوعة ١ : ٣ .

(٤٨) استجلاب ارتقاء الغرف ١ : ٣٣٨ .

(٤٩) جواهر العقدين ١ : ٧٣ .

(٥٠) فيض القدير ٣ : ١٥ .

قال ابن الأثير : « وفي هذه السنة - في شهر رمضان - توفي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي ، الواعظ ببغداد ، وتصانيفه مشهورة ، وكان كثير الوقعة في الناس ، لا سيما في العلماء المخالفين لمذهبه »^(٥١) .

وقال أبو الفداء : « كان كثير الوقعة في العلماء »^(٥٢) .

وقال الذهبي : « له وهم كثير في توأليفه ، يدخل عليه الداخل من العجلة والتحوّل إلى مصنّف آخر ، ومن أنّ جلّ علمه من كتب وصحف ما مارس فيه أرباب العلم كما ينبغي »^(٥٣) .

وقال ابن حجر : «... دلّت هذه القصة على أنّ ابن الجوزي حاطب ليل لا ينقد ما يحدث به »^(٥٤) .

وقال السيوطي : « قال الذهبي في التاريخ الكبير : لا يوصف ابن الجوزي بالحفظ عندنا باعتبار الصنعة ، بل باعتبار كثرة اطلاعه وجمعه »^(٥٥) .

وقال اليافعي : « وفيها أخرج ابن الجوزي من سجن واسط وتلقاه الناس ، وبقي في المطمورة خمس سنين ، كذا ذكره الذهبي... »^(٥٦) .

* وأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرّاني ، فقد طعن في كثير من الرجال وفي كثير من الأحاديث والأخبار ، وفي كثير من مصنّفات أهل السنّة ، لروايتها ما يتمسك به الإماميّة.. ولقد تهادى هذا الرجل في غيّه حتّى انبرى كبار علماء أهل السنّة من أهل المذاهب الأربعة للفتوى ضده ، ثمّ أمر بأن ينادى بالحطّ عليه والمنع من اتّباعه ، ثمّ حبس ، حتّى مات في الحبس.

* وشمس الدين الذهبي ، صاحب المؤلّفات الكثيرة وتلميذ ابن تيمية الحرّاني والملازم له^(٥٧) فقد حكم على كثير من الأحاديث الصحيحة بالوضع ، وطعن في كثير من الرجال وأسقط رواياتهم عن درجة الاعتبار.. وقد فعل ذلك بالنسبة إلى كثير من أئمّة أهل السنّة ومحدّثيهم المشاهير في كتابيه « ميزان الاعتدال » و« المغني في الضعفاء » حتّى أدرج في الثاني « محمّد بن إسماعيل البخاري » كما تقدّم.

وقال السبكي بترجمته : « كان شديد الميل إلى آراء الحنابلة ، كثير الإزراء بأهل السنّة ، الذين إذا حضروا كان أبوالحسن الأشعري فيهم مقدّم القافلة ، فلذلك لا ينصفهم في التراجم ، ولا يصفهم بخير إلّا

(٥١) الكامل في التاريخ - حوادث سنة ٥٩٧ .

(٥٢) المختصر في أخبار البشر - حوادث سنة ٥٩٧ .

(٥٣) تذكرة الحفاظ ٤ : ١٣٤٧ .

(٥٤) لسان الميزان ٢ : ٨٤ ، ترجمة ثمامة بن أشرس .

(٥٥) طبقات الحفاظ : ٤٨٠ .

(٥٦) مرآة الجنان - حوادث سنة ٥٩٥ .

(٥٧) وكلم لقي الذهبي من الأذى والعنت لهذه العلاقة بابن تيمية. قاله محقق كتاب « العبر » في المقدمة .

وقد رغم منه أنف الراغم. صنّف (التاريخ الكبير) وما أحسنه لولا تعصب فيه ، وأكمله لولا نقص فيه وأيّ نقص يعتريه «^(٥٨) .

وقال : « وأما تاريخ شيخنا الذهبي غفر الله له ، فإنه - على حسنه وجمعه - مشحون بالتعصب المفرط ، لا واخذه الله. فلقد أكثر الوقعة في أهل الدين ، أعني الفقراء الذين هم صفوة الخلق ، واستطال بلسانه على كثير من أئمة الشافعيين والحنفيين ، ومال فأفرط على الأشاعرة ، ومدح فزاد في المجسّمة. هذا وهو الحافظ المدره ، والإمام المبجل ، فما ظنك بعوام المؤرخين «^(٥٩) .

وعن تلميذه صلاح الدين العلائي : « الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي ، لا أشك في دينه وورعه وتحرّيه فيما يقوله الناس ، ولكنّه غلب عليه مذهب الإثبات ، ومنافرة التأويل ، والغفلة عن التنزيه ، حتّى أثر ذلك في طبعه انحرافاً شديداً عن أهل التنزيه ، وميلاً قوياً إلى أهل الإثبات. فإذا ترجم واجداً منهم يطنب في وصفه بجميع ما قيل فيه من المحاسن ، ويبالغ في وصفه ، ويتغافل عن غلطاته ويتأول له ما أمكن ، وإذا ذكر أحداً من الطرف الآخر كإمام الحرمين والغزالي ونحوهما لا يبالغ في وصفه ، ويكثر من قول من طعن فيه ، ويعيد ذلك ويبيديه ، ويعتقده ديناً وهو لا يشعر ، ويعرض عن محاسنهم الطافحة فلا يستوعبها ، وإذا ظفر لأحد منهم بغلطة ذكرها... «^(٦٠) .

قال السبكي : « والذي أدركنا عليه المشايخ : النهي عن النظر في كلامه وعدم اعتبار قوله ، ولم يكن يستجري أن يظهر كتبه التاريخية إلا لمن يغلب على ظنّه أنّه لا ينقل عنه ما يعاب عليه «^(٦١) .

قال : « كان يغضب عند ترجمته لواحد من علماء الحنفيّة والمالكية والشافعية غضباً شديداً ، ثمّ يقرطم الكلام ويمزّقه ، ثمّ هو مع ذلك غير خبير بمدلولات الألفاظ كما ينبغي ، فرجماً ذكر لفظه من الدمّ لو عقل معناها لما نطق بها «^(٦٢) .

أقول :

عجيب ! ابن الجوزي سجن ، ابن تيميّة سجن حتّى مات في السجن ، ابن حزم مزقت كتبه وأحرقت ونفي حتّى مات في المنفى ، والذهبي ينهى عن النظر في كلامه ، ولا يعتمد قوله ، ويلاقي الأذى...

(٥٨) طبقات الشافعية ٩ : ١٠٣ .

(٥٩) طبقات الشافعية ٢ : ٢٢ .

(٦٠) طبقات الشافعية ٢ : ١٣ .

(٦١) طبقات الشافعية ٢ : ١٤ .

(٦٢) طبقات الشافعية ٢ : ١٤ .

هذا حال هؤلاء في أهل السُّنة... وقد أصبحوا أُمَّةً يقتدي بهم المتأخرون من الكتاب ويستندون

إلى أقوالهم !!

وأيضاً : إذا كان هؤلاء مشهورين بالتعصب وبالوقية في العلماء - إذا لم يكونوا على مذاهبهم - في

أقوالهم في السِّير والتواريخ وغيرها ، فكيف يرتجى منهم الإنصاف والإقرار بالحق مع الشيعة وأُمَّتهم

ورجالهم... !!؟

المبحث الأول

في إمامة المذهب

المراجعة (٤)

* قال السيّد رحمة الله تعالى عليه :

١ - إنّ تعبدنا في الأصول بغير المذهب الأشعري ، وفي الفروع بغير المذاهب الأربعة لم يكن لتحزب أو تعصّب ، ولا للريب في اجتهاد أُمَّة تلك المذاهب ، ولا لعدم عدالتهم وأمانتهم ونزاهتهم وجلالتهم علماً وعملاً. لكنّ الأدلّة الشرعيّة أخذت بأعناقنا إلى الأخذ بمذهب الأئمة من أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومهبط الوحي والتنزيل.

أقول :

* الأشعري هو : أبو الحسن عليّ بن إسماعيل.. من ذريّة أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري. قال الذهبي : « مات ببغداد سنة ٣٢٤. حطّ عليه جماعة من الحنابلة والعلماء ، وكلّ أحد فيؤخذ من قوله ويترك ، إلا من عصم الله تعالى. اللهم اهدنا وارحمنا »^(٦٣) .

قال : « وقد ألف الأهوازي جزءاً في مثالب ابن أبي بشر ، فيه أكاذيب ، وجمع أبوالقاسم في مناقبه فوائدها أيضاً غير صحيح »^(٦٤) .

قال : « فقيل : إنّ الأشعري لما قدم بغداد جاء إلى أبي محمّد البربهاري فجعل يقول : رددت على الجبائي ، رددت على المجوس ، وعلى النصارى. فقال أبو محمّد : لا أدري ما تقول ، ولا نعرف إلا ما قاله الإمام أحمد. فخرج وصنّف الإبانة ، فلم يقبل منه »^(٦٥) .

* والأدلّة الشرعيّة من الكتاب والسنة المذكورة في كتبنا المعدّة لهذا الشأن ، وسيأتي ذكر بعض ما هو المتفق عليه منها ، إن شاء الله تعالى. فإنّ مفادها وجوب اتّباع الأئمة من أهل البيت في جميع الشؤون ، والمنع عن اتّباع غيرهم مطلقاً.

كما أنّ وصف الأئمة عليهم السلام بالأوصاف التي وصفوا بها في عبارة السيّد موجود في كتبنا ، وفي كتب القوم. وسنذكر الحديث الوارد من طرقهم في ذلك.

(٦٣) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٨٦ .

(٦٤) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٨٩ .

(٦٥) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٩٠ .

قيل :

كلامه في هذه المراجعة يوحي بأن أئمة المذاهب الأربعة يناصبون أئمة أهل البيت العدا ،
ويسرون على غير مذهبهم ، ويشير إلى أن أهل السنة قد خالفوا الأئمة من آل محمد .

أقول :

أما أن كلام السيد يوحى بأن « أئمة المذاهب الأربعة » يناصبون العدا لأئمة أهل البيت . فإن كان المراد خصوص « الأئمة الأربعة » فكلام السيد لا يوحى بذلك ، وإن كان مالك بن أنس معدوداً في الخوارج - كما في بعض المصادر^(٦٦) - ، وهم أعداء أمير المؤمنين عليه السلام . وإن كان المراد سائر أئمة المذاهب الأربعة فقد كان بينهم من يناصب العدا لآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وأما أن كلامه يوحى بأن « الأئمة الأربعة » يسرون على غير مذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وأنه يشير إلى أن أهل السنة قد خالفوا الأئمة... فهذا واضح جداً ولا سبيل إلى إنكاره . لأن أئمة المذاهب يدعون لأنفسهم الاجتهاد في الدين ، فيفتون ويعملون بما يرتأون ، فهم يسرون على مذاهبهم ، وهي مغايرة لمذهب أهل البيت في كثير من المسائل ، ويتبعهم جمهور أهل السنة لكونهم - في الأغلب - مقلدين لهم...

قال ابن تيمية : « وأما الكتاب المنقول عن عليّ ففيه أشياء لم يأخذ بها أحد من العلماء »^(٦٧) .

قال : « وقد جمع الشافعي ومحمد بن نصر المروزي كتاباً كبيراً في ما لم يأخذ به المسلمون من قول عليّ ، لكون قول غيره من الصحابة أتبع للكتاب والسنة !! »^(٦٨) .

وقال السبكي بترجمة المروزي نقلاً عن أبي إسحاق الشيرازي : « وصنف كتاباً في ما خالف فيه أبو حنيفة عليّاً وعبد الله رضي الله عنهما »^(٦٩) .

فهذا بالنسبة إلى مخالفة الأئمة وأتباعهم لأهل البيت عليهم السلام .

لكن في القوم من بقايا بني أمية وأشياهم من يتفوه بأشياء واضحة الدلالة على النصب والعدا ،

(قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر)^(٧٠) .

(٦٦) الكامل - للمبرّد - ٣ : ١١٣٧ .

(٦٧) منهاج السنة ٨ : ٢٧٩ .

(٦٨) منهاج السنة ٨ : ٢٨١ .

(٦٩) طبقات الشافعية ٢ : ٢٤٧ .

* وإلا فما معنى قول أحدهم :

« إنَّ الغاية من الخلافة هي إصلاح الأُمَّة وهدايتها ، وخلافة المرتضى لم تحقّق هذه الغاية ، ولم يكن من واجب الأُمَّة أن تناضل تحت رايته كما كانت مأمورة بذلك في عصر من سبقه. ولقد وجدنا - كما دلّت الأحاديث - انقطاع العناية الربانيّة عن الأُمَّة في عصره بعد استمرارها في عصرهم... » !!
« وإنّ من أعظم أنواع الورع ترك المقاتلات بين المسلمين كما كان من الشيخين ، بخلاف المرتضى »

!!

« وإنّ النبيّ إمّا شرف المرتضى بشرف الأخوة ، لحزنه ، وبكائه ، لا لشيء آخر » !!^(٧١) .

* وما معنى قول الآخر في سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين السبط الشهيد عليه السلام :
« قتل بسيف جدّه » !!

قال العلامة المتناوي : « وقد غلب على ابن العربي الغصّ من أهل البيت حتّى قال : قتله بسيف جدّه »^(٧٢) .

وما معنى قول ثالث في الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام :

« في نفسي منه شيء » !!^(٧٣) .

* وما معنى قول رابع في الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام :

« يحتجّ بحديثه من غير رواية أولاده عنه »^(٧٤) .

* وما معنى قوله في الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام :

« يروي عن أبيه العجائب »^(٧٥) .

* وما معنى قول خامس في الإمام الحسن العسكري عليه السلام :

« ليس بشي »^(٧٦) .

ففي القوم من يقول - أو يرتضى أن يقال - مثل هذه الأشياء في أمّة أهل البيت عليهم السلام ، ومع ذلك يدّعي بعضهم أنّهم هم المقتدون بأهل البيت والمتمسكون بحبل ودادهم.

(٧٠) سورة آل عمران ٣ : ١١٨ .

(٧١) قرّة العينين - لشاه وليّ الله - : ١٥٠ - ١٥٢ .

(٧٢) فيض القدير ١ : ٢٠٥ .

(٧٣) الكاشف ١ : ١٣٠ رقم ٨٠٧ ، عن القطان .

(٧٤) تهذيب التهذيب ٢ : ٨٩ ، عن ابن حبان .

(٧٥) تهذيب التهذيب ٧ : ٣٣٩ ، عن ابن حبان .

(٧٦) اللآلي المصنوعة ١ : ٣٩٦ ، الموضوعات ١ : ٤١٥ .

لكنهم إذا ما نقل الشيعي عن تاريخ ابن خلكان وغيره : أن مالكا - أحد الأئمة الأربعة - بقي في بطن أمه ثلاث سنين... قالوا : لماذا نقل هذا؟! وماذا قصد؟! وإذا كان الناقلون لهذه القضية : قاضي القضاة ابن خلكان الشافعي ، وحافظ المغرب ابن عبد البر المالكي ، والمؤرخ الشهير ابن قتيبة.. وأمثالهم ، فما ذنب الشيعي إذا نقلها عنهم؟! بل لقد حكى الحافظ الذهبي ذلك ولم يتعقبه بشيء ، فقال :

« قال معن والواقدي ومحمد بن الضحّاك : حملت أم مالك بمالك ثلاث سنين. وعن الواقدي قال : حملت به سنتين »^(٧٧) .

وقال : « قال معن القرّاز وجماعة : حملت بمالك أمه ثلاث سنين »^(٧٨) .

وقال الحافظ المالكي القاضي عياض في كتابه المؤلّف في فضائل مالك وعلماء مذهبه : «باب في مولد مالك - رحمه الله تعالى - والحمل به ومدّة حياته ووقت وفاته » : « واختلف في حمل أمه به ، فقال ابن نافع الصائغ والواقدي ومعن ومحمد بن الضحّاك : حملت به أمه ثلاث سنين . وقال نحوه بكار بن عبد الله الزبيري وقال : أنضجته - والله - الرحم. وأنشد الطرمّاح :

تظن بحملنا الأرحام حتّى *** تنضجنا بطون الحاملات

قال ابن المنذر : وهو المعروف.

وروي عن الواقدي أيضاً : « إن حمل أمه به سنتان. قاله عطاء بن خالد »^(٧٩) .

هذه كلمات أئمة القوم ، وفيهم رؤساء أتباع مالك ، كالقاضي عياض وابن عبد البرّ.

والسيد رحمه الله لم يقل إلا : « ذكر ابن خلكان في أحوال مالك من وفيات الأعيان : إن مالكا بقي جنيناً في بطن أمه ثلاث سنوات. ونصّ على ذلك ابن قتيبة حيث ذكر مالكا في أصحاب الرأي من كتابه (المعارف) ص ٤٩٨ ، وحيث أورد جماعة زعم أنّهم قد حملت بهم أمهاتهم أكثر من وقت الحمل ، صفحة ٥٤٩ من (المعارف) أيضاً » .

فقيّل :

« ليس في وفيات الأعيان في ترجمة مالك ما ادّعى المؤلّف ، بل فيه : وقال ابن السمعاني في كتاب

الأنساب في ترجمة الأصبحي : إنّه ولد في سنة ثلاث أو أربعة وتسعين. والله أعلم بالصواب ».

(٧٧) سير أعلام النبلاء ٨ : ١٣٢ .

(٧٨) العبر في خبر من غير ١ : ٢١٠ .

(٧٩) ترتيب المدارك ١ : ١١١ .

أقول :

جاء في « وفيات الأعيان » بترجمة مالك : « وكانت ولادته في سنة خمس وتسعين للهجرة ، وحمل به ثلاث سنين .

وتوفي في شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة ، رضي الله عنه ، فعاش أربعاً وثمانين سنة . وقال الواقدي : مات وله تسعون سنة . وقال ابن الفرات في تاريخه المرتب على السنين : وتوفي مالك بن أنس الأصبحي لعشر مضين من شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة . وقيل : إنه توفي سنة ثمان وسبعين ومائة . وقيل : إن مولده سنة تسعين للهجرة . وقال السمعي في كتاب (الأنساب) في ترجمة الأصبحي : إنه ولد في سنة ثلاث أو أربع وتسعين .

والله أعلم بالصواب « (٨٠) .

فلماذا التكذيب والإنكار !؟

* قال السيّد رحمه الله :

٢ - على أنه لا دليل للجمهور على رجحان شيء من مذاهبهم فضلاً عن وجوبها... وما أظنّ أحداً يجرؤ على القول بتفضيلهم - في علم أو عمل - على أمّتنا ، وهم أمّة العترة الطاهرة...

أقول :

مضافاً إلى :

١ - أن الأئمة الأربعة تنتهي علومهم إلى أمّة العترة .

٢ - أنّ تفضيلهم على غيرهم من أمّة المذاهب السنيّة غير معلوم .

٣ - أنه قد وقع الكلام فيما بين أهل السنّة أنفسهم حول الأئمة الأربعة علماء وعملاً .

* قال السيّد :

٣ - على أنّ أهل القرون الثلاثة مطلقاً لم يدينوا بشي من تلك المذاهب أصلاً..

والشيعة يدينون بمذهب الأئمة من أهل البيت - وأهل البيت أدري بالذي فيه - وغير الشيعة

يعملون بمذاهب العلماء من الصحابة والتابعين...

(٨٠) وفيات الأعيان : ٤ : ١٣٧ .

قيل :

« قوله : وأهل البيت أدرى بالذي فيه حجر على عباد الله وتضييق عليهم أن يعلموا... » .

أقول :

أما أنّ أهل البيت أدرى بالذي فيه ، فلا يمتري فيه أحد ، لأنّه مقتضى كونهم « أهل البيت » . ومقتضى كونهم « أدرى » أن يكونوا الأولى بالاعتداء والاتباع لمن يريد الوصول إلى « الذي فيه » وإلاّ لزم ترجيح المفضول ، وهو قبيح عند ذوي الالباب والعقول.

وقد نصّ الأئمة الشارحون للحديث على هذا المعنى ، ونكتفي بعبارة القاري إذ قال في شرحه في « المرقاة في شرح المشكاة » : « الأظهر هو أنّ أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله... » وستأتي عبارته كاملةً.

وأما أنّ غير الشيعة يعملون بمذاهب العلماء من الصحابة والتابعين ، فهذا ما لا يخفى على من راجع سير الصحابة والتابعين وأخبارهم ، ولاحظ كتب غير الشيعة وأسفارهم.. وقد أورد السيّد - رحمه الله - موارد كثيرة من تلك المذاهب ، وبين كيفيّة مخالفتها للنصوص الشرعية الواجب العمل بها.. في كتابه « النص والاجتهاد » المطبوع غير مرّة ، المنتشر في سائر البلاد...

* قال السيّد :

٤ - وما الذي أرتج باب الاجتهاد في وجوه المسلمين بعد أن كان في القرون الثلاثة مفتوحاً على

مصراعيه..؟!!

قيل :

« نرى المؤلّف في هذه الفقرة قد خرج عن القضية الأساسيّة في النقاش ، وأثار قضايا فرعية مثل قضية فتح باب الاجتهاد ، وهي قضية خلافية ليس بين السنّة والشيعة ، بل بين أهل السنّة أنفسهم... ».

أقول :

لم يجب الرجل عن سؤال السيّد ! أمّا أن أهل السنّة عادوا في هذه العصور يدعون إلى فتح باب الإجتهد فذاك ردّ قطعي على أمّتهم السابقين الذين غلقوه ، وإن كان في القرون الماضية فيهم من يردّ

على سدّ باب الإجتهد بشدّة ، حتّى ألف الحافظ السيوطي رسالة : « الردّ على من أخلد إلى الأرض وجهل أنّ الإجتهد في كلّ عصر فرض » .

هذا ، وقد ثبت تاريخياً أنّ الحكم في القرن السابع بسدّ باب الاجتهد وانحصار المذاهب في الأربعة المعروفة إنّما كان استجابةً لأمر الحكّام الذين ارتأوا ذلك لأغراض سياسيّة ، وللتفصيل في هذه القضية مجال آخر.

* قال السيّد :

٥ - هلمّ بنا إلى المهمّة التي نبهتنا إليها من لمّ شعث المسلمين...

أقول :

ذكر السيّد في جواب الشيخ نقطتين مهمّتين للوصول إلى تلك المهمّة : الأولى : إنّ لمّ شعث المسلمين ليس موقوفاً على عدول الشيعة عن مذهبهم ، ولا على عدول السنّة عن مذهبهم.

وفي هذا ردّ على بعض الكُتاب المعاصرين من أهل السنّة ، وقول بعضهم بأنّ المهمّة لا تتحقّق إلاّ بعدول الشيعة عن مذهبهم ، وقول البعض الآخر : بأنّ الشيعة يريدون من أهل السنّة العدول عن مذهبهم بحجّة تحقيق لمّ شعث المسلمين.

والثانية : إنّ تكليف الشيخ وغيره الشيعة بالأخذ بمذاهب الجمهور ، وعدولهم عن مذهبهم - لو دار الأمر بين عدولهم وعدول الجمهور - في غير محلّه ، لأنّ توجيه التكليف بذلك - في الفرض المذكور - إلى أحدهما دون الآخر يحتاج إلى مرجّح ، وتكليف الشيعة دون غيرهم ترجيح بلا مرجح ، بل ترجيح للمرجوح ، بل تكليف بغير المقدور.

نعم ، لا ريب في أنّ أهل السنّة أكثر عدداً من الشيعة ، ولكنّ الأثرية العددية لا تكون دليلاً على الحقّية فضلاً عن الأحقيّة ، وإلاّ لزم أن يكون الحقّ مع غير المسلمين ، لأنهم أكثر عدداً منهم في العالم ، وهذا باطل ، مضافاً إلى الأدلّة والشواهد من الكتاب والسنّة.

قيل :

« ولم لا تكون المقابلة كاملةً ، فيكون تكليف أهل السنّة بذلك ترجيحاً^(٨١) بلا مرجّح ، بل ترجيح للمرجوح ».

(٨١) كذا .

أقول :

وهذا كلام في غير محلّه ، لأنّ الهدف هو لمّ شعث المسلمين ، وقد قال السيّد : « الذي أراه أنّ ذلك ليس موقوفاً على عدول الشيعة عن مذهبهم ، ولا على عدول أهل السنّة عن مذهبهم » فهو لا يكلفهم بالعدول لتحقق لمّ الشعث حتّى يكون ترجيحاً بلا مرجح أو مع المرجح. لكنّ الشيخ هو الذي كلف الشيعة بالعدول عن مذهبهم ، فأجاب السيّد بما أوضحناه.

على أنّ تكليف أهل السنّة بالعدول عن مذهبهم ترجيح مع المرجح ، وذلك للأدلة التي سيقمها السيّد بالتفصيل. وخلاصة الكلام في ذلك : أنّه لو دار الأمر بين أتباع أحد المذاهب الأربعة وأتباع مذهب أهل البيت فلا يشكّ المسلم ، بل العاقل الخبير ، في تقدّم مذهب أهل البيت على المذاهب الأربعة المشكوك في تقدّمها على سائر مذاهب السنّة.

* قال السيّد :

« نعم يلّمّ الشعث وينتظم عقد الاجتماع بتحريك مذهب أهل البيت ، واعتباركم إيّاه أحد مذاهبكم ، حتّى يكون نظر كلّ من الشافعيّة والحنفيّة والمالكيّة والحنبليّة ، إلى شيعة آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم كنظر بعضهم إلى بعض. وبهذا يجتمع شمل المسلمين فينتظم عقد اجتماعهم ».

قيل :

[بعد السبّ والشتّم] : « وإنّ من أبسط ما يردّ به عليه : إنّ الأئمة الذين يزري

بهم وبأتباعهم كلّ منهم يجلّ الآخر ، ويعترف بعلمه وفضله ، فالشافعي أخذ عن مالك ، وأخذ عن محمّد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة ، وأحمد أخذ عن الشافعي. ولم يزل المسلمون يأخذون بعضهم عن بعض ، المالكي عن الشافعي ، والحنفي عن المالكي ، والحنبلي عن الشافعي. وكلّ منهم عن آخر ، فهل نظرة هذا المفتري وأمثاله إلى هؤلاء وأتباعهم هي نظرة بعضهم إلى بعض ؟ » .

أقول :

كأنّ الرجل لا يفهم مراد السيّد ! أو لا يريد أن يفهمه ! إنّ السيّد يقول : لينظر كلّ من أصحاب المذاهب الأربعة إلى شيعة آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم كنظر بعضهم إلى بعض. أي : فكما يرى الشافعي أنّ مذهب الحنفيّة مذهب من مذاهب المسلمين ، ويرى الحنفيّة المالكيّة كذلك... وهكذا... فلينظروا إلى مذهب شيعة آل محمّد كذلك ، فإذا نظروا إليهم بهذه النظرة ، وكانت المذاهب كلّها من

دين الاسلام اجتمع شمل المسلمين وانتظم عقد اجماعهم ، لأنه حين يرى شيعة آل محمد أنّ أرباب المذاهب الأربعة ينظرون إليهم كنظر بعضهم إلى بعض ، فإنهم أيضاً سينظرون إليهم بتلك النظرة.

وقد اوضح السيّد - رحمه الله - مقصوده من « النظر » في عباراته اللاحقة فقال فيها : « فإذا جاز أن تكون المذاهب أربعة ، فلماذا لا يجوز أن تكون خمسة؟! » .

وتلخص : أنّ تحقّق « المهمة » ليس موقوفاً على عدول أحد الجانبين إلى الآخر ، بل يكفي لتحققها قبول أهل السنّة لأن تكون المذاهب خمسة.

وحينئذ ، فلو تباحت في هذا الظرف شيوعي وسني على أصل من الأصول ، أو فرع من الفروع ، فافتتح أحدهم بما يقوله الآخر وانتقل إلى مذهبه ، كان كانتقال الحنفي إلى الشافعية أو بالعكس ، وهكذا... وما أكثره في تراجم الرجال وكتب السير^(٨٢) .

وأما قوله : « إنّ الأئمة الذين يزري بهم وبأتباعهم كلّ يجلّ الآخر ويعترف بعلمه وفضله » ففيه :
أولاً : إنّنا لم نجد في كلمات السيّد إزاءً بأحد.

(٨٢) ومن أطرف ما رأيته في الباب ما ذكره الذهبي ، وأنقله بنصّه :

« محمد بن حمد بن خلف أبوبكر البندنجي حنفش ، الفقيه ، تحبل ثمّ تحنف ثمّ تشفّع. فلذا لقب حنفش. ولد سنة ٤٥٣ وسمع الصيرفييني وابن النقور وأبا عليّ بن البناء ، وتلا عليه.

وعنه : السمعاني ، وابن عساكر ، وابن سكيّنة.

قال أحمد بن صالح الختلي : كان يتهاون بالشرائع ، ويعطّل ، ويستخفّ بالحديث وأهله ويلعنهم.

وقال السمعاني : كان يخل بالصلوات.

توفي سنة ٥٣٨ « ميزان الاعتدال ٣ : ٥٢٨

أقول : كأنّ هذا الفقيه !! علم أنّه لن يفلح بالعمل بمذهب ابن حنبل فالتجأ إلى مذهب أبي حنيفة ، ثمّ إلى مذهب الشافعي ، فلم ير شيئاً من هذه المذاهب مبرئاً للذمة ، ولم يجد فيها ضالته ، وهو يحسب أنّ لا مذهب سواها ! فخرج عن الدين وضلّ !!

أما التهاون والإخلال بالصلوات... فهو موجود في أمّتهم في الفقه والحديث... نكتفي بذكر واحد منهم ، وهو : الشيخ زاهر بن طاهر النيسابوري الشحامي المستملي - المتوفّي سنة ٥٣٣ - الموصوف في كلمات القوم بالشيخ العالم ، المحدث ، المفيد ، المعمر ، مسند خراسان !!

الشاهد ! العمدة في مجلس الحكم !! والذي حدّث عنه - في خلق كثير - غير واحد من أمّتهم كأبي موسى المدني ، والسمعاني ، وابن عساكر... فقد ذكروا بترجمته أنّه كان يخلّ بالصلاة إخلالاً ظاهراً ، حتّى أن أخاه منعه من الخروج إلى أصبهان لئلا يفتضح ، لكنّه سافر إلى هناك وظهر الأمر كما قال أخوه ، وعرف أهل أصبهان ذلك ، فترك الرواية عنه غير واحد من الحفاظ تورّعاً ، وكابر وتجاسر آخرون كما قال الذهبي.

ومن هنا ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٢ : ٦٤ ، بل أدرجه في الضعفاء ١ : ٣٦٠ ، وابن حجر في لسان الميزان ٢ : ٤٧٠ ، وراجع ترجمته أيضاً في سير أعلام النبلاء ٢٠ : ٩ ، والعبير ٢ : ٤٤٥ .

وقال الذهبي بترجمة أخيه المشار إليه : « أبو بكر وجيه بن طاهر بن محمد الشحامي ، أخو زاهر... كان خيراً متواضعاً متعبداً لا كأخيه ».

وهل ينفعه - بعد شهادة السمعاني والذهبي وغيرهم - الاعتذار له بشي من المعاذير؟!

ولو شئت أن أذكر المزيد لذكرت !!

وثانياً : إنَّ ما في كتب تراجم علمائهم وسير رجالهم ممَّا يكذب دعوى « كلَّ يجلِّ الآخر... » كثير... ولو شئت أن أذكر لذكرت ، لكن يطول بنا المقام ، وكيفيك إن تعلم أن مالكاً كان يتكلَّم في أبي حنيفة كما ذكره الحافظ الخطيب في عداد من كان يتكلَّم فيه ويردِّ عليه (تاريخ بغداد ١٣ : ٤٠٠) وأنَّ مالكاً نفسه تكلم فيه أحمد بن حنبل (العلل ومعرفة الرجال ١ : ٥١١) وآخرون أيضاً (كما في تاريخ بغداد ١ : ٢٢٤ وجامع بيان العلم - للحافظ ابن عبد البر المالكي ٢ : ٣٩٥) وكان من الفقهاء من يتكلَّم في الحنابلة ، ويبالغ في ذمِّهم، فدسَّ الحنابلة عليه سمًّا ، فمات هو وزوجته وولد له صغير !! (العبر ٣ : ٥٢ ، شذرات الذهب ٤ : ٢٢٤ ، الوافي بالوفيات ١ : ٢٨٠ رقم ١٨٢) ومنهم من كان يقول : لو كان لي أمر لأخذت الجزية من الشافعيَّة (لسان الميزان ٥ : ٤٠٢) .

* قال السيِّد :

في آخر المراجعة مخاطباً الشيخ : « ما هكذا الظنُّ بكم ولا المعروف من موَدَّتكم في القربى » .

قيل :

« ثمَّ إنَّ قوله : ما هكذا الظنُّ بكم ولا المعروف من موَدَّتكم في القربى » تناقض منه ، فإذا كان أهل السنَّة يحفظون الموَدَّة في القربى ، فلماذا يجهد الشيعة في اتِّهام أهل السنَّة بأنَّهم لم يودِّوا ذوي القربى ، بل ظلّموهم وغصبوهم حقَّهم ؟ » .

أقول :

لقد لمس السيِّد من الشيخ - لدى اجتماعه به - كما نصَّ عليه في « بغية الراغبين » وكذا في مقدِّمة « المراجعات » الموَدَّة في القربى ، فهذا الخطاب للشيخ لا لكلَّ أهل السنَّة ، فأين التناقض؟! أمَّا أهل السنَّة فإنَّ كثيرين منهم لم يحفظوا الموَدَّة في القربى ، وقد أوردنا فيما تقدَّم كلمات بعضهم في حقِّ ذوي القربى ، تلك الكلمات التي أورثت جراحات لاتقلُّ ألماً وأثراً عن جراحات السيوف والأسنة لأسلافهم في ذوي القربى وأشياعهم ، على مدى القرون المتمادية...

* * *

المراجعة (٦)

* قال السيّد :

١ - ولذا قرنهم بمحكم الكتاب وجعلهم قدوة...

أقول :

هذا إشارة إلى عدّة من الأحاديث النبويّة الآمرة باتّباع العترة والتمسك بهم والأخذ عنهم ،
والناحية عن تعليمهم والتقدّم عليهم والتخلّف عنهم... وسيتعرّض لها بالتفصيل.

قال رحمه الله :

٢ - وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : « فأين تذهبون ! وأنى تؤفكون ! ... ».

وقال عليه السلام : « انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم... ».

وقال عليه السلام : « عترته خير العتر... ».

وقال عليه السلام : « نحن الشعار والأصحاب... ».

وقال عليه السلام : « واعلموا أنّكم لن تعرفوا الرشد... ».

وقال عليه السلام : « بنا اهتديتم في الظلماء... ».

أقول :

هذه نصوص روايات واردة عن أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام في كتاب « نهج البلاغة » فهنا

مطالب :

١ - إنّ هذه الأوصاف التي نقلها السيّد عن نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام لا يشكّ

مسلم في كونها حقّاً وحقيقة واقعة ، سواء كانت أسانيد هذه الكلمات معتبرةً أو لا ، وسواء كانت في

نهج البلاغة « أو غيره من الكتب ، وسواء كان « نهج البلاغة » للشريف الرضي أو لأخيه أو غيرهما...

وبالجملة ، فإنّ متونها تشهد بصدقها !

فهل تشكّون - أيها المسلمون - في أنّ أهل بيت النبوة « لن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى »؟! وأنّهم يصلحون لأن يكونوا قدوةً لكم « فإن لبدوا فالبدوا ، وإن نهضوا فانهضوا ، ولا تسبقوهم فتضلّوا ، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا »؟!

وهل يشكّ عاقل فاهم في جلاله النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم ، وأنّ « عترته خير العتر ، وأسرته خير الأسر ، وشجرته خير الشجر... »؟! فإن لم يكونوا كذلك ، فأيّ عترة خير العتر؟! وأيّ أسرة خير الأسر؟! وأيّ شجرة خير الشجر؟! آل فلان؟! أم فلان؟! أم بنو أمية؟!

أليس أهل بيته « شجرة النبوة ، ومحطّ الرسالة ، ومختلف الملائكة... »؟! ومن ينكر قوله « ناظرنا ومحبتنا ينتظر الرحمة ، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة » إلاّ العدو والمبغض؟!

ومن المخالف في أنّ المخالفين لأهل البيت « آثروا عاجلاً وأخروا آجلاً... »؟! وتلخّص : أنّ هذه حقائق ثابتة ، لا شكّ فيها كي تحتاج إلى سند أو برهان...
٢ - على أنّ السيّد - رحمه الله - إمّا استدللّ بما جاء في « نهج البلاغة » باعتبار أنّ هذا الكتاب من الكتب المتفق عليها ، لأنّ الكثيرين من العلماء المحقّقين من غير الشيعة الإمامية تلقّوه بالقبول ، وتناولوه بالشرح والتفسير والتعليق.

وعلى الجملة ، فإنّ أحداً لم يشكّ في أنّ ما في « نهج البلاغة » من كلام الإمام عليّ عليه السلام. نعم ، قال بعضهم : « أكثره » من كلامه... لوجود (الخطبة الشقشقية) فيه ، كما سنشير. ولولا صحّة إسناد الكتاب إلى الإمام عليّ عليه السلام لما تكلم بعضهم في جامعته ، كابن خلّكان حين شكّ في أنّه الرضي أو المرتضى ، وكالذهبي حين اختلف كلامه... كما سيأتي. ولولا صحّة إسناده لما شكّ آخرون استناداً إلى شبهات واهية كاشتمال الكتاب على « دقّة الوصف » و« التنميق اللفظي » ونحو ذلك... ممّا ستأتي الإشارة إليه. ومن هنا :

قيل :

« والعجب كلّ العجب من الشيخ محمّد محيي الدين عبد الحميد ، فإنّه لما ساق حجج المتشكّكين في نسبة نهج البلاغة إلى عليّ - رضي الله عنه - لم يتعرّض لقضيّة السند أبداً ، مع أنّه كان ينبغي أن يتعرّض لهذه القضيّة أولاً فإذا صحّ السند نظرنا في المتن ».

أقول :

كأن هذا القائل لم ير بعينه كلمة هذا الشيخ الصريحة في أن أحداً لم يشك في أن أكثر ما تضمنه نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام... وستأتي عبارته ، مع التنبيه على السبب في تعبيره بـ « الأكثر ».

وعلى كل حال ، فإن ذكر هذا الشيخ وغيره الأوهام المشككة في « نهج البلاغة » من تلك الجهات ، هو من خير الأدلة على ثبوت الكتاب وصحة نسبه ، لأنهم يعلمون أن التطرق إلى هذه الأمور إما يكون بعد الفراغ من البحث السندي.

٣ - وإن ما حواه كتاب « نهج البلاغة » قد ثبت وتحقق وجوده في كتب العلماء المتقدمين على مؤلفه ، من شيعة وسنة^(٨٣) .

٤ - نعم ، يصعب عليهم قبول (الخطبة الشفقيّة).. والظن الغالب أنه لولا وجودها في نهج البلاغة لما شكك المتشككون منهم في نسبة شيء من الخطب والكتب والكلمات المروية فيه إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

قيل :

« ومن قرأ خطبته المعروفة بالشفقيّة جزم أنه لا يمكن لمن هو في مثل مقام عليّ - رضي الله عنه - أن يقول ذلك ، فإن هذا ممّا يتعارض مع ما صحّ عنه من أكثر من طريق من تفضيل أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - والثناء عليهما. وهذه الخطبة المنسوبة زوراً وبهتاناً إليه - رضي الله عنه - تنطوي على أسوأ الإزراء بكبار الصحابة الكرام : أبي بكر وعمر وعثمان ، وباقي العشرة ، بل فيها سبّ صراح ، واتّهام بخيانة الأمة ، وسخرية لا تصدر إلا عن أمثال الرافضة الذين يجلّ عليّ ويسمو عن مثل ما يقولون .

ففي الصحيحين : عن ابن عباس ، قال : وضع عمر على سريره ، فتكنّفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع ، وأنا فيهم ، فلم يرعني إلا رجل قد أخذ بمنكبي من ورائي ، فالتفت فإذا هو عليّ ، وترحم علي عمر ، وقال : ما خلّفت أحداً أحبّ إليّ أن ألقى الله عزّ وجلّ بمثل عمله منك ، وأيم الله إن كنت لأظنّ أن يجعلك الله مع صاحبك ، وذلك أيّ كنت كثيراً أسمع النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم يقول : جئت أنا وأبو بكر وعمر.. ودخلت أنا وأبو بكر وعمر.. وخرجت أنا وأبو بكر وعمر.. فإن كنت لأرجو أو أظنّ أن يجعلك الله معهما.

البخاري ٢ : ٥٢٧ / ٣٦٨٥ ، ومسلم ٤ : ١٩٨ / ٢٣٨٩ .»

(٨٣) يراجع بهذا الصدد كتاب : « مصادر نهج البلاغة » .

أقول :

ولعل وجود هذه الخطبة في « نهج البلاغة » هو السبب في قول بعضهم بأن أكثره من كلام الإمام عليه السلام ، فهم من جهة لا يتمكّنون من إنكار أصل الكتاب ، ومن جهة أخرى لا يتمكّنون من تصديق الخطبة الشقشقيّة ، لأنّها - في الحقيقة - تهدم أساس المذهب الذي هم عليه :

يقول الشيخ محمّد محيي الدين عبد الحميد : « وليس من شكّ عند أحد من أدباء هذا العصر ، ولا عند أحد ممّن تقدّمهم ، في أنّ أكثر ما تضمّنه نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام . نعم ليس من شك عند أحد في ذلك... »^(٨٤) .

لكنّ الدليل على كونها من كلامه هو التعرّض لها أو ذكرها في كلمات العلماء السابقين على الشريف الرضي والمتأخّرين عنه ، من إماميّة ومعتزلة وسنّة ، وإن شئت التفصيل فراجع^(٨٥) .
وأما أنّها تتناقض وما رواه القوم عن الإمام عليه السلام في الثناء على الشيخين وغيرهما ، فالجواب عن ذلك :

أولاً : إنّ الخطبة مروية عند الشيعة وغيرهم ، فهي متّفق عليها ، وما رووه عن أمير المؤمنين عليه السلام من الثناء عليهم متفرّدون بروايته ، ولا تعارض بين المتفرّد به والمتّفق عليه .

وثانياً : إنّ شرط التعارض هو الحجّية في طرفي التعارض كليهما ، وحجّية الخطبة ثابتة دون أخبارهم المشار إليها ، كما لا يخفى على من نظر في أسانيدنا .

وثالثاً : إنّ عمدة أخبارهم في ثناء الإمام عليه السلام على القوم هو الخبر الذي أورده عن كتابي البخاري ومسلم المعروفين بالصحيحين . لكنك إذا لاحظت سنده - بغضّ النظر عن البخاري ومسلم ، المجروحين لدى كبار أمّة القوم من السابقين واللاحقين - رأيت أنه ينتهي في جميع طرقه إلى « ابن أبي مليكة » :

وهو رجل لا يجوز الاعتماد على روايته مطلقاً ، لا سيّما في مثل هذه الأمور ! لأنّه تيمى من عشيرة أبي بكر ، ولأنّه كان من مناوئي أمير المؤمنين عليه السلام ، ولأنّه كان قاضي عبد الله بن الزبير في مكّة ! ولأنّه كان مؤدّب عبد الله بن الزبير !

وله قوادح غير ما ذكر ، فراجع ترجمته^(٨٦) .

(٨٤) لاحظ مقدّمة شرحه على « نهج البلاغة » .

(٨٥) مصادر نهج البلاغة أسانيد .

(٨٦) تهذيب التهذيب ٥ : ٢٦٨ .

على أنّا نكدّب كلّ خبر جاء فيه أسماء الخلفاء الأربعة على ترتيب الخلافة ، وقد حققت ذلك في رسالة مفردة^(٨٧) .

شبهات حول نهج البلاغة :

٥ - وبقيت شبهات ذكرها المعترض ، وهي : إنّ في نهج البلاغة :

أ - التعريض بالصحابة.

ب - التنميق اللفظي.

ج - دقّة الوصف.

د - عبارات يستشّم منها ريح ادّعاء صاحبها علم الغيب.

أقول :

لكنّ الشبهات أكثر من هذه الأربعة... ولعلّ المعترض ملتفت إلى سقوط البقية فلم يتعرّض لها ، لكنّها مذكورة في كلمات غيره.

وقد أوردها كلّها مؤلّف كتاب « مصادر نهج البلاغة وأسانيده » تحت عنوان : « شبهات حول النهج » وأجاب عنها بالتفصيل ، فراجعه.

٦ - وأمّا أنّ « نهج البلاغة » هو للسيد شريف الرضي ، فهذا هو الثابت الواقع ، بالأدلة المتينة والشواهد القويمة ، وباعتراف السابقين واللاحقين من العلماء من مختلف فرق المسلمين.

وأوّل من شكّك في المقام هو : قاضي القضاة ابن خلّكان ، صاحب « وفيات الأعيان » وتبعه بعض المتأخّرين عنه كالذهبي والصفدي وأمثالهما.

قيل :

« وأمّا المتّهم - عند المحدثين - بوضع النهج فهو أخوه عليّ.

قال في الميزان : عليّ بن الحسين العلوي الشريف المرتضى المتكلّم الرافضي المعتزلي ، صاحب التصانيف ، حدّث عن سهل الديباجي والمرزباني وغيرهما. وولي نقابة العلوية. ومات سنة ٤٣٦ عن ٨١ سنة ، وهو المتّهم بوضع نهج البلاغة ، وله مشاركة قويّة في العلوم. ومن طالع كتابه نهج البلاغة جزم بأنّه مكذوب على أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه ، ففيه السبّ الصراح والخطّ على السيّدين : أبي بكر وعمر ،

(٨٧) الرسائل العشر ، الرسالة التاسعة .

رضي الله عنهما. وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين ، جزم بأن الكتاب أكثره باطل. رياض الجنة لمقبل الوداعي ١٦٢ - ١٦٣ .»

أقول :

أما مقبل الوداعي فلا أعرفه ، وما أدري لماذا نقل عبارة الميزان بواسطته.
(و الميزان) هو : « ميزان الاعتدال في نقد الرجال » للحافظ الذهبي ، والعبارة موجودة فيه ج ٤ : ٢٢٣ .

لكن في « العبر » للحافظ الذهبي ، أثنى على الشريف المرتضى ، ولم يتعرض لكتاب نهج البلاغة ، فقال فيمن توفي سنة ٤٣٦ : « والشريف المرتضى نقيب الطالبين وشيخ الشيعة ورئيسهم بالعراق ، أبو طالب : علي بن الحسين بن موسى الحسيني الموسوي ، وله ٨١ سنة ، وكان إماماً في التشيع والكلام والشعر والبلاغة ، كثير التصانيف متبحراً في فنون العلم. أخذ عن الشيخ المفيد ، وروى الحديث عن سهل الديباجي الكذاب ، وولي النقابة بعده ابن أخيه عدنان ابن الشريف الرضي »^(٨٨) .

وفي « سير أعلام النبلاء » للحافظ الذهبي أيضاً ، ترجم له فقال : « هو جامع كتاب نهج البلاغة » ثم قال : « وقيل : بل جمع أخيه الشريف الرضي »^(٨٩) فعلق عليه الناشرون له : « وهذا هو المشهور » . وهذه الاضطرابات في التشكيكات تكشف عن أن الغاية منها ليس إلا تضعيف الكتاب بكل وسيلة ، وليس إلا لأتهم منزجون من الخطبة الشقشقية.. ولذا تراه يقول في « الميزان » موضحاً علّة الجزم بكون الكتاب مكذوباً : « ففيه السبّ الصراح ... » ويقول في « سير أعلام النبلاء » : « المنسوبة ألفاظه إلى الإمام علي رضي الله عنه ، ولا أسانيد لذلك ، وبعضها باطل ، وفيه حق ، ولكن فيه موضوعات حاشا للإمام من النطق بها ».

ولا يخفى الفرق بين العبارتين في الكتابين حول الكتاب ، وهذا دليل آخر على الاضطراب.
وعلى كل حال ، فقد حقق هذه القضية غير واحد من المحققين ، وجزموا بكون الكتاب للشريف الرضي محمد بن الحسين.

(٨٨) العبر في خبر من غير ٢ : ٢٧٢ .

(٨٩) سير أعلام النبلاء ١٧ : ٥٨٩ .

وقال الشيخ محمد عبده : « ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيّد الشريف الرضيّ - رحمه الله - من كلام سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، جمع متفرّقه وسماه هذا الاسم : نهج البلاغة... »^(٩٠) .

وقال الأستاذ محمد كرد عليّ ، في مقال نشرته مجلّة المجمع العلمي السوري : « ونهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي من كلامه... »^(٩١) .

وقال الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد : « نهج البلاغة هو ما اختاره الشريف الرضي... »^(٩٢)

وإن شئت الوقوف على حقيقة كتاب « نهج البلاغة » ومصادره ، وما قيل فيه ، ونصوص العلماء والمحققين على أنه خطب وكتب وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام ، وأنه من تأليف الشريف الرضي ، فراجع كتاب « مصادر نهج البلاغة وأسانيده ».

* قال السيّد :

وقوله عليه السلام : « نحن شجرة النبوة ، ومحطّ الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومعادن العلم ، وينابيع الحكم... »^(٩٣) .

وأضاف في الهامش : « وقال ابن عباس : نحن أهل البيت ، شجرة النبوة ، ومختلف الملائكة ، وأهل البيت الرسالة ، وأهل بيت الرحمة ، ومعادن العلم » (قال) : نقل هذه الكلمة عنه جماعة من أثبات السنّة ، وهي موجودة في آخر باب خصوصياتهم صفحة ١٤٢ من الصواعق المحرقة لابن حجر .

أقول :

وأخرج الحافظ أبو القاسم الطبراني بإسناده عن جابر بن عبد الله وعبد الله ابن عباس في خبر هبوط ملك الموت لقبض روح النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، أنه وقف بالباب فقال : « السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعادن الرسالة ومختلف الملائكة... »^(٩٥) .

(٩٠) شرح نهج البلاغة - المقدّمة .

(٩١) تراثنا ، العدد ٣٤ ، ص ١٠٠ - ١٠١ ، محرّم - ربيع الأول ١٤١٤ هـ .

(٩٢) شرح نهج البلاغة - المقدّمة .

(٩٣) نهج البلاغة : ١٦٢ / الخطبة ١٠٩ .

(٩٤) المراجعات : ١١ .

(٩٥) المعجم الكبير ٣ : ٥٨ / ٢٦٧٦ .

وروى الحموي عن طريق الحافظ أبي نعيم ، عن الحافظ الطبراني ، بإسناده عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « نحن أهل البيت مفاتيح الرحمة ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومعدن العلم... »^(٩٦) .

وقد ذكرنا من قبل : أن مضمون هذا الكلام حقيقة لا تحتاج إلى إثبات ، وهو بالإضافة إلى كونه مروياً عن ملك الموت مخاطباً النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته ، كما في رواية الطبراني وغيره ، وعن أمير المؤمنين عليه السلام ، كما في (النهج) مروياً عن ابن عباس كما ذكر السيد في الهامش .

قيل :

« لم يبين لنا المؤلف من هم الأثبات الذين نقلوا هذه العبارة ؟ ومع أنه نقلها عن الصواعق لكن أمانته دفعته إلى أن يتغاضى عن قول ابن حجر الهيتمي عندما نقلها فقال : وجاء عن ابن عباس بسند ضعيف أنه قال : نحن... »

وقول ابن عباس - على فرض صحته - يدل على خلاف ما تذهب إليه الرافضة من أن أهل البيت هم : علي وفاطمة وأبناؤهما فقط. لكن أهل السنة عمدتهم في تحديد من هم أهل البيت على الكتاب والسنة الصحيحة ، لا على أقوال ضعيفة أو موضوعة .»

أقول :

يقول السيد : « نقل هذه الكلمة عنه جماعة من أثبات السنة » وهذا هو محل الاستدلال ، إذ المقصود - كما قلنا سابقاً - رواية أثبات أهل السنة في كتبهم المعروفة ، لما يدل على ما تذهب عليه الشيعة ، فيكون المطلوب متفقاً عليه ، أما أن أولئك الأثبات يروون الأخبار الضعيفة والموضوعات مع علمهم بكونها كذلك فيكونون من الكاذبين ، فما ذنب الشيعة !؟

ومن رواته : ابن الأثير ، حيث رواه بسند له يشتمل على بعض الحفاظ المشاهير ، قائلاً : « أخبرنا أبو ياسر بن أبي حبة وغير واحد - إجازة - قالوا : أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد ، أخبرنا أبو الحسين بن النقر ، أخبرنا المخلص ، حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا يوسف بن محمد بن سابق ، حدثنا أبو مالك الجنبي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : نحن أهل البيت شجرة النبوة ، ومختلف الملائكة ، وأهل بيت الرسالة ، وأهل بيت الرحمة ، ومعدن العلم »^(٩٧) .

(٩٦) فرائد السمطين ١ : ٤٤ .

(٩٧) أسد الغابة ٣ : ١٨٧ .

وأما الاستدلال بخصوص « الصواعق المحرقة » فلأن هذا الكتاب إنما أُلّف للردّ على الشيعة والصدّ عن انتشار التشيع ، يقول ابن حجر في خطبته :

« سئلت قديماً في تأليف كتاب يبيّن حقيقة خلافة الصديق وإمارة ابن الخطّاب ، فأجبت إلى ذلك مسارعاً في خدمة هذا الجنب... ثمّ سئلت في إقرائه في رمضان سنة ٩٥٠ بالمسجد الحرام ، لكثرة الشيعة والرافضة ونحوهما الآن بمكّة المكرّمة ، أشرف بلاد الإسلام ، فأجبت إلى ذلك ، رجاءً لهداية بعض من زلّ به قدمه عن أوضح المسالك »^(٩٨).

وبما ذكرنا يظهر الوجه في عدم الاعتناء بتضعيفه.

على أنّه إذا كان ابن حجر ممّن يعتمد على آرائه ، كان تصحيحه أيضاً معتبراً ، لكنّ هذا القائل لا يعتني به متى صحّ حديثاً من أحاديث الفضائل ويقول بأنّ ابن حجر ليس من علماء الحديث. والحال أنّه من كبار أئمة الفقه والحديث.

بل السبب في توهين ابن حجر ، هو كونه ممّن أفتى بصراحة بضلالة ابن تيميّة الذي هو شيخ إسلام نواصب هذا العصر...!!

وأما أنّ « أهل البيت » في « آية التطهير » و« أحاديث الثقلين » ونحوها هم « عليّ وفاطمة والحسنان » فسيأتي توضيحه على أساس الكتاب والسنة الصحيحة ، فانتظر.

قال السيّد :

« وقوله عليه السلام : نحن النجباء ، وأفراطنا أفراط الأنبياء ، وحزبنا حزب الله عزّوجلّ ، والفئة الباغية حزب الشيطان ، ومن سوى بيننا وبين عدونا فليس منّا »^(٩٩).

قال في الهامش : « نقل هذه الكلمة عنه جماعة كثيرون ، أحدهم ابن حجر ، في آخر باب خصوصياتهم من آخر الصواعق ، صفحة ٣٥٤ وقد أرجف فأجحف ».

أقول :

جاء هذا في كتاب « فضائل الصحابة » وهذا نصّه :

« فيما كتب إلينا محمّد بن عبيدالله بن سليمان يذكر أن موسى بن زياد حدّثهم ، قال :

(٩٨) الصواعق المحرقة : ٩ .

(٩٩) المراجعات : ١٢ .

ثنا يحيى بن يعلى ، عن بسّام الصيرفي ، عن الحسن بن عمرو الفقيمي ، عن رشيد بن أبي راشد ،
عن حبة - وهو العرني - ، عن عليّ ، قال :

نحن النجباء ، وأفراطنا أفراط الأنبياء ، وحزبنا حزب الله ، وحزب الفئة الباغية حزب الشيطان ،
ومن سوّى بيننا وبين عدونا فليس منا»^(١٠٠) .

وأخرجه الحافظ ابن عساكر بترجمة أمير المؤمنين عليه السلام ، قال :

« أخبرنا أبو القاسم السمرقندي ، أنبأنا أبو الحسين ابن النقور ، أنبأنا أبو طاهر المخلص ، أنبأنا
أحمد بن عبد الله بن يوسف ، أنبأنا عمر بن شبة ، أنبأنا أبو أحمد الزبيري ، أنبأنا الحسن بن صالح ، عن
الحسن بن عمرو ، عن رشيد ، عن حبة ، قال :

سمعت عليّاً يقول : نحن النجباء ، وأفراطنا أفراط الأنبياء ، وحزبنا حزب الله ، والفئة الباغية حزب
الشيطان ، ومن سوّى بيننا وبين عدونا فليس منا»^(١٠١) .

وأخرجه الحافظ السخاوي في « استجلاب ارتقاء الغرف »^(١٠٢) .

وابن حجر المكيّ في « الصواعق المحرقة » في باب « خصوصياتهم الدالة على أعظم كراماتهم »^(١٠٣) .

هذا ، ولا يخفى اعتبار سند هذا الحديث ، وصحة الاحتجاج به ، لأنّ رواه أئمة في الحديث ،

وفطاحل ثقات ، لا يظنّ بهم أن يعتمدوا رواية خبر مكذوب وهم يعلمون !

أنظر إلى سنده في « تاريخ دمشق »^(١٠٤) :

* فابن عساكر حافظ ثقة جليل ، غنيّ عن التعريف .

* وأبو القاسم السمرقندي ، قال الذهبي : « الشيخ الإمام المحدث ، المفيد المسند ، أبو القاسم

إسماعيل بن أحمد... » ثمّ نقل ثقته عن غير واحد ، وأرّخ وفاته بسنة ٥٣٦^(١٠٥) .

* وأبو الحسين ابن النقور ، قال الذهبي : « الشيخ الجليل الصدوق ، مسند العراق ، أبو الحسين

أحمد بن محمّد بن أحمد... » ثمّ نقل ثقته عن جماعة ، وأرّخ وفاته بسنة ٤٧٠^(١٠٦) .

* وأبو طاهر المخلص ، قال الذهبي : « الشيخ المحدث المعمر الصدوق ، أبو طاهر محمّد بن عبد

الرحمن... » ثمّ نقل ثقته عن جماعة ، وأرّخ وفاته بسنة ٣٩٣^(١٠٧) .

(١٠٠) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢ : ٦٧٩ / ١١٦٠ .

(١٠١) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٤٥٩ .

(١٠٢) استجلاب ارتقاء الغرف ٢ : ٢٩٨/٥٦١ .

(١٠٣) الصواعق المحرقة : ٣٥٤ .

(١٠٤) نكتفي في الترجمة بقدر الضرورة اختصاراً .

(١٠٥) سير أعلام النبلاء ٢٠ : ٢٨ .

(١٠٦) سير أعلام النبلاء ١٨ : ٣٧٢ .

* وأحمد بن عبد الله بن سيف السجستاني ، ترجم له الذهبي في تاريخ الإسلام ، حوادث سنة ٣١٦ ، والخطيب في تاريخه ٤ : ٢٢٥ ، والأسنوي في طبقات الشافعية ١ : ٣١٧ ، وابن قاضي شعبة ١ : ٨٩ ، وقد أثنى عليه جميعهم.

* وعمر بن شبة ، قال الذهبي : « عمر بن شبة بن عبدة بن زيد بن رائطة العلّامة الأخباري ، الحافظ الحجّة ، صاحب التصانيف... » ونقل ثقته عن جماعة ، وأرخ وفاته بسنة ٢٦٢ ، عن ٨٩ سنة إلاّ أياماً^(١٠٨) .

* وابو أحمد الزيري ، قال الذهبي : « أبو أحمد الزيري ، محمّد بن عبد الله ابن الزبير بن عمر بن درهم ، الحافظ الكبير المجوّد... » ثمّ نقل ثقته والثناء عليه ، وأرخ وفاته بسنة ٢٠٣^(١٠٩) .

* والحسن بن صالح ، قال الذهبي : « الإمام الكبير ، أحد الأعلام ، أبو عبد الله الهمداني الثوري الكوفي ، الفقيه العابد... » ثمّ أطب في ترجمته ، ونقل الكلمات في حقّه ، وأرخ وفاته بسنة ١٦٩^(١١٠) . وقال ابن حجر : « ثقة ، فقيه عابد ، رمي بالتشيع »^(١١١) .

* والحسن بن عمرو الفقيمي ، قال ابن حجر : « ثقة ثبت ، من السادسة ، مات سنة ١٤٢ » وجعل عليه علامة رواية : البخاري وأبي داود والنسائي وابن ماجه ، عنه^(١١٢) .

* ورشيد ، وهو الهجري ، من أصحاب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يكفي لوثاقته رواية هؤلاء الأئمّة لهذا الحديث عنه ، إلاّ أنّهم نقموا عليه تشييعه للإمام عليه السلام ، وروايته لفضائله ومناقبه كما لا يخفى على من نظر في ترجمته في « لسان الميزان » وغيره ، فهم لا ينفون وثاقته ولا يرمونه بالكذب ، إلاّ أنّهم يقولون - كما في « الأنساب » - : « كان يؤمن بالرجعة » وينقلون عن يحيى ابن معين - مثلاً - أنّه قال في جواب من سأله عنه : « ليس برشيد ولا أبوه ».

* وحبّة العرني ، قال ابن حجر : « صدوق ، له أغلاط ، وكان غالباً في التشيع ، من الثانية ، وأخطأ من زعم أنّ له صحبة »^(١١٣) .

أقول :

وقد قصدنا بيان اعتبار سند هذا الحديث الشريف - على أساس كتب القوم - أموراً :

(١٠٧) سير أعلام النبلاء ١٦ : ٤٧٨ .

(١٠٨) سير أعلام النبلاء ١٢ : ٣٦٩ .

(١٠٩) سير أعلام النبلاء ٩ : ٥٢٩ .

(١١٠) سير أعلام النبلاء ٧ : ٣٦١ .

(١١١) تقريب التهذيب ١ : ١٦٧ .

(١١٢) تقريب التهذيب ١ : ١٦٩ .

(١١٣) تقريب التهذيب ١ : ١٤٨ .

الأول : إنَّ هذا الحديث معتبر سنداً على ضوء كتبهم وآراء علمائهم ، وحينئذ يكون هذا الكلام القول الفصل ، وإنَّ على الذين يدعون التمسك بالسنة الكريمة ، والسير على هدي الإسلام ، والاتباع للأحاديث الصحيحة... الالتزام بهذا الحديث وبلوازمه...

والثاني : إنَّ السيّد - رحمه الله - يذكر بعض المصادر ويشير إلى سائرهما بقوله : «رواه جماعة » اختصاراً ، فلو كان أراد التفصيل لأورد أسماء رواته ودلّل على اعتبار سنده وصحة الاحتجاج به ، لكنَّ الشيخ البشري - وهو المخاطب له أولاً وبالذات - مطّلع على ما يقوله السيّد ، فتكفي الإشارة.

والثالث : إن الحقّ مع السيّد في قوله عن ابن حجر المكيّ : « وقد أرجف فأجحف » لأنّه قال : « وجاء عن ابن عباس بسند ضعيف... » إذ قد عرفت اعتبار السند وصحة الاحتجاج لنا به.

قيل :

« قوله : (ونقل هذه الكلمة عنه جماعة كثيرون ، أحدهم ابن حجر...) لا يغني عنه شيئاً ، فهل يتحوّل الكذب إلى صدق إذا كثر ناقلوه ؟ ».

أقول :

هذا كلام باطل ، لأنّ الكذب لا يتحوّل إلى صدق إذا كثر ناقلوه ، لكنّ هذا الحديث حقّ وصدق لا « كذب ». على أنّه لو كان كذباً لم يخل حال ناقله عن أحد حالين :

إمّا أن يكونوا جاهلين بكونه كذباً ... وهذا لا يلتزم به هذا القائل ولا غيره ، وكيف يلتزم بجهل نقلة هذا الحديث بحاله ، وهم أمّة الحديث المرجوع إليهم في روايته ومعرفته؟! إذ فيهم :

محمّد بن سليمان المطيّن.

وعبد الله بن أحمد بن حنبل.

والحسن بن عمر الفقيمي.

والحسن بن صالح بن حي.

وأبو أحمد الزبيري الحبال.

وعمر بن شبة.

وأبو طاهر المخلص.

وابن السمرقندي.

وابن عساكر.

والسخاوي...

وإِذَا أَنْ يَكُونُوا عَامِلِينَ بِكُونِهِ كَذِبًا.. وَهَذَا أَيْضًا لَا يَلْتَزِمُ بِهِ الْقَائِلُ وَلَا غَيْرُهُ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ أَنْ يَتَعَمَّدَ هَؤُلَاءِ الْأُمَّةَ الثَّقَاتِ الْفَطَاحِلِ نَقْلَ حَدِيثِ كَذْبِ عَلِيِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَيَسْقُطُونَ عَنِ الْعَدَالَةِ وَالْوَثَاقَةِ ، وَيَعْدُونَ فِي جَمَلَةٍ مِنْ تَعَمَّدَ الْكُذْبَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلِيَّ الرَّسُولِ الْأَمِينِ فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ !

* قَالَ السَّيِّدُ :

« وَخَطَبَ الْإِمَامُ الْمُجْتَبَى أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ السَّبِطُ سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقَالَ : إِتَّقُوا اللَّهَ فِينَا فَإِنَّا أَمْرَاؤُكُمْ »^(١١٤).

قال في الهامش : « فراجعها في أواخر باب وصية النبي بهم ، من الصواعق المحرقة لابن حجر ، صفحة ٣٤٣ ».

قيل :

« راجعناها في الصواعق ٢٢٩ ، فوجدنا المؤلف الموسوي قد سلخها من كلام الحسن لأمر ما. يقول ابن حجر : وقد صرح الحسن رضي الله عنه بذلك ، فإنه حين استخلف وثب عليه رجل من بني أسد فطعنه وهو ساجد بخنجر لم يبلغ منه مبلغاً ، ولذا عاش بعده عشر سنين فقال : يا أهل العراق ، اتقوا الله فينا ، فإننا أمرؤكم وضيغانكم ، ونحن أهل البيت الذين قال الله عز وجل فيهم : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً)^(١١٥)^(١١٦) . قالوا : ولأنتم هم ؟ قال : نعم^(١١٧) .

ويكفي هذا الكلام ضعفاً أن رواه الثعلبي في تفسيره كما صرح بذلك في الصواعق ».

أقول :

أولاً : راجعناها في الصواعق ، فوجدنا هذا المفترى قد أضاف إلى رواياتها جملة « قالوا ... » وهذا

المورد من جملة تحريفاته للروايات والعبارات !

(١١٤) المراجعات : ١٢ .

(١١٥) سورة الاحزاب ٣٣ : ٣٣ .

(١١٦) الصواعق المحرقة : ٢١٤ .

(١١٧) ما بعد الآية الشريفة لم يرد في الصواعق وإنما هي رواية اخرى عن علي بن الحسين (ع) في الشام . راجع : جامع البيان للطبري ٢٢ :

٧ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦ : ٤١٦ .

وثانياً: يكفي وروده في كتب أهل السنة ، إذ يكون بذلك مورد اتفاق المسلمين ، ولا ريب في وجوب الأخذ بكل أمر حق وقع الاتفاق عليه.

وثالثاً : هذا الكلام رواه الحافظ الطبراني ، ونص الحافظ نور الدين الهيثمي - في كتابه الذي اعتمد عليه المعترض في مواضع ! - على أن « رجاله ثقات ». وهذا نص الرواية في باب فضل أهل البيت رضي الله عنهم :

« وعن أبي جميلة : إن الحسن بن عليّ حين قتل عليّ استخلف ، فبينما هو يصلي بالناس إذ وثب إليه رجل قطعنه بخنجر في وركه ، فتمرّض منها أشهراً. ثم قام فخطب على المنبر فقال : يا أهل العراق ، اتقوا الله فينا فإننا أمراؤكم وضيّفانكم ، ونحن أهل البيت الذين قال الله عزّ وجلّ : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). فما زال يومئذ يتكلّم حتّى ما ترى في المسجد إلّا باكياً.

رواه الطبراني. ورجاله ثقات « (١١٨) .

وفيه فوائد :

١ - قوله عليه السلام : « اتقوا الله فينا ». ثم علّل أمره بتقوى الله فيهم بقوله « فإننا أمراؤكم ».
٢ - قوله عليه السلام : « ونحن أهل البيت الذين... » يفيد بكلّ وضوح حصر الآية الكريمة فيه وفي والديه وأخيه.

٣ - ليس في هذه الرواية الصحيحة - باعتراف الحافظ الهيثمي - جملة : « لأنتم هم ؟ قال : نعم ». وعدمها في هذه الرواية الصحيحة دليل على :

١ - إذعان المسلمين بكون « أهل البيت » في الآية ونحوها هم : الحسنان ووالدهما ، دون غيرهم ، وكون هذا المعنى مسلماً مفروغاً عنه بينهم .

٢ - إنّ بعض النواصب لمّا رأوا دلالة هذا الحديث على ما ذكرنا زادوا فيه تلك الجملة ، لتفيد جهل المسلمين أو شكهم فيما قاله الإمام عليه السلام واستدلّ به.

وثالثاً : قوله : « يكفي هذا الكلام ضعفاً أن رواه الثعلبي في تفسيره كما صرح بذلك في الصواعق »

مردود بوجوه :

١ - قد ظهر أنّ الكلام صحيح لا ضعيف.

٢ - قد ظهر أنّ روايته غير منحصرة بالثعلبي في تفسيره.

(١١٨) مجمع الزوائد ٩ : ١٧٢ .

٣ - إنَّ رواية الثعلبي لفضيلة من فضائل أهل البيت عليهم السلام كافية لشيعتهم في مقام الاستدلال ، وذلك :

أ - لأنَّ مجرد وجودها في كتب القوم كافٍ.

ب - لأنَّ الرواية إذا صحَّ سندها يجب الأخذ بها في أيِّ كتاب من كتبهم كانت ، وهذا ما نصَّ عليه المعترض.

ج - ولأنَّ الثعلبي موصوف عندهم بصفات جليظة ، وتفسيره « الكشف والبيان » من التفاسير المعتمدة عندهم ، كما لا يخفى على من راجع ترجمته في المصادر التالية :

وفيات الأعيان ١ : ٧٩ ، الوافي بالوفيات ٧ : ٣٠٧ ، العبر ٢ : ٢٥٥ ، مرآة الجنان ٣ : ٣٦ ، تتممة المختصر ١ : ٣٣٢ ، بغية الوعاة ١ : ٣٥٦ ، طبقات المفسرين ١ : ٦٦ ، طبقات الشافعية - للسبكي - ٤ : ٥٨ ، طبقات الشافعية - للأسنوي - ١ : ١٥٩ ، وغيرها.

قال السبكي : « وكان أوحده زمانه في علم القرآن... »

وقال الأسنوي : « ذكره ابن الصلاح والنووي من الفقهاء الشافعية ، وكان إماماً في اللغة والنحو... »

«.

وقال الداودي : « كان أوحده أهل زمانه في علم القرآن ، حافظاً للغة ، بارعاً في العربية ، واعظاً ، موثقاً ».

«.

لكنَّ الثعلبي لما أكثر من نقل روايات فضائل العترة وأخبار نزول الآيات فيهم... رماه ابن تيمية وأتباعه بالتساهل في النقل ، وحاولوا إسقاط رواياته المسندة عن الإعتبار.

بقي : قوله : « قد سلخها من كلام الحسن لأمر ما ».

ولا يخفى : أنه كلام جاهل أو متجاهل ، إذ المهم هو الإستشهاد بكلام الإمام عليه السلام الثابت

بالسند الصحيح.. أما أنه في أيِّ مناسبة قاله ؟ وما كان المورد له ؟ فهذا لا علاقة له بالبحث ، ولا يخص مدلول الكلام البتة.

* قال السيد :

« وكان الإمام أبو محمد علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين إذا تلا قوله تعالى : (يا

أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)^(١١٩) يدعو الله

عزَّ وجلَّ دعاءً طويلاً... »^(١٢٠).

(١١٩) سورة التوبة ٩ : ١١٩ .

قال في الهامش : « فراجعه في صفحة ٢٣٣ من الصواعق المحرقة لابن حجر ، في تفسير الآية الخامسة : (واعتصموا بحبل الله جميعاً) من الآيات التي أوردتها في الفصل الأول من الباب ١١ . »

أقول :

لم يتفوّل المعترض بشي حول هذا الكلام المنقول عن الإمام زين العابدين عليه السلام.

وفي هذه الرواية فوائد :

١ - إشارة إلى نزول قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)^(١٢١) فيهم عليهم السلام.

٢ - إشارة إلى نزول قوله تعالى : (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)^(١٢٢) فيهم

عليهم السلام.

٣ - إشارة إلى نزول قوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى)^(١٢٣) فيهم عليهم السلام.

٤ - إشارة إلى قوله النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي

أهل بيتي... » .

٥ - تصريح بانحصار « الموثوق به على إبلاغ الحجّة وتأويل الحكم » فيهم.

٦ - تصريح بأنهم « الذين احتجّ الله بهم على عباده ولم يدع الخلق سديّ من غير حجّة » .

وسكوت الرجل عن هذه الرواية - وهو في مقام الردّ - دليل على إقراره بصحّة سندها ، ولا مناص

له من قبولها والالتزام بمضامينها.

ولا يخفى أنّ ذكر ابن حجر المكيّ هذه الرواية بتفسير قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً)^(١٢٤)

شاهد على أنّ المراد من « حبل الله » فيها هم الأئمّة من العترة النبويّة ، وهو مروّي عن أبي عبد الله

الصادق عليه السلام^(١٢٥) ، وبه قال بعض المفسّرين^(١٢٦) .

(١٢٠) المراجعات : ١٢ .

(١٢١) سورة التوبة ٩ : ١١٩ .

(١٢٢) سورة الاحزاب ٣٣ : ٣٣ .

(١٢٣) سورة الشورى ٤٢ : ٢٣ .

(١٢٤) سورة آل عمران ٣ : ١٠٣ .

(١٢٥) الكشف والبيان ٣ : ١٦٣ .

(١٢٦) منهم : الثعلبي الذي أشرنا إلى ترجمته قريباً ، نقل ذلك عنه جماعة منهم ابن حجر في « الصواعق » .

المراجعة (٨)

* قال السيّد رحمه الله :

« حيث قلنا إنّ الله صلى الله عليه وآله وسلّم قرّنههم بمحكم الكتاب ، وجعلهم قدوة لأولي الألباب ، وسفن النجاة ، وأمان الأمة ، وباب حطة : إشارة إلى المأثور في هذه المضامين من السنن الصحيحة والنصوص الصريحة... »^(١٢٧) .

قيل :

« نحن مع تسليمنا بصحة بعض الأخبار الواردة في مناقب عليّ - رضي الله عنه - وفي بنيه ، لكننا لا نقرّ أنّ هذه الأخبار فيها حصر وجوب الاتّباع لهم. ولذلك ، فإنّ تضييق مدلولات هذه الأخبار وقصرها على فئة من الصحابة دون فئة ممّا يباه منطوق هذه النصوص ، فضلا عن أنّ صريح الكتاب والسنة وعمل الصحابة على غير ذلك. ومعلوم أنّ كثيراً من احتجاجات الرافضة لا تخلو من أحد خطّين : إمّا خطأ في الدليل ، وإمّا خطأ من المدلول ، وقد يجتمع فيها الخطان معاً. أمّا خطوهم في الدليل فمن مثل احتجاجهم على أهل السنة بأحاديث ضعيفة وهالكة ، من أجل إقامة الحجّة عليهم. وأمّا خطوهم في المدلول فكاحتجاجهم بآيات قرآنيّة وأحاديث صحيحة ليس فيها دليل على ما يثرونه من قضايا. وقد يحتجّون بأحاديث ضعيفة أو موضوعة على قضايا غير صحيحة » .

أقول :

هذا كلامه ! ثمّ استشهد بكلام لشيخ إسلامه ابن تيميّة يفيد نفس الذي قاله ، فلم يأت بشي جديد.

ومن المراد بكلمة « نحن » في أوّل هذا الكلام !؟

إن كان المراد : علماء أهل السنة المحقّقين الشارحين للأحاديث النبويّة ، والمبينيّن لما تدلّ عليه السنة المحمّديّة ، والذين عليهم الاعتماد وإليهم الاستناد في هذا الباب ، فسننقل أقرارهم في دلالة تلك الأخبار المعتمدة على حصر وجوب الاتّباع بأمر المؤمنين والأمة من ولده عليهم السلام.

(١٢٧) المراجعات : ١٤ .

وإن كان المراد - من « نحن » - : هو المتكلم نفسه... فقد وجدنا سكوته في قبال بعض الأدلة - ومنها الرواية المتقدمة قريباً عن الإمام السجّاد عليه السلام - وسكوته في هكذا مواضع إقرار. على أنه إذا لم يقرّ في موضع فهو محجوج بإقرار أئمة مذهبه ، ولا أظنّ أن يدعي هذا الرجل كونه أعلم وأفهم للأخبار من كبار علماء طائفته !

* قال السيّد :

« ٣ - وإليك بيان ما أشرنا إليه من كلام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم ، إذ أهاب في الجاهلين ، وصرخ في الغافلين ، فنادى :

* يا أيّها الناس ، إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي .
قال في الهامش : « أخرجه الترمذي والنسائي عن جابر ، ونقله عنهما المتقي الهندي في أوّل باب الاعتصام بالكتاب والسنة من كنز العمال ، ص ١٧٢ من جزئه الأوّل .
* « وقال صلى الله عليه وآله وسلّم :

إنّي تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما »^(١٢٨).
قال في الهامش : « أخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم ، وهو الحديث ٨٧٣ من أحاديث كنز العمال ، في ص ١٧٣ من جزئه الأوّل .

* « وقال صلى الله عليه وآله وسلّم :

إنّي تارك فيكم خليفتين : كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض - أو : ما بين السماء إلى الأرض - وعترتي أهل بيتي ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض .

قال في الهامش : « أخرجه الإمام أحمد من حديث زيد بن ثابت ، بطريقتين صحيحين ، أحدهما في أوّل صفحة ٢٣٢ ح ٢١٠٦٨ ، والثاني في آخر صفحة ٢٤٤ ح ٢١١٤٥ من الجزء السادس . أيضاً : ابن أبي شيبة وأبو يعلى وابن سعد عن أبي سعيد . وهو الحديث ٩٤٧ من أحاديث الكنز ، في ص ١٨٦ من جزئه الأوّل .
* « وقال صلى الله عليه وآله وسلّم :

إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله ، وأهل بيتي ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض .

قال في الهامش : « أخرجه الحاكم في ص ١٤٨ من الجزء الثالث من المستدرک ، ثمّ قال :

(١٢٨) المراجعات : ١٤ .

هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأخرجه الذهبي في تلخيص المستدرک معترفاً بصحته على شرط الشيخين .»

* « وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

إني أوشك أن أدعى فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله عزوجل ، وعترتي ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما .»

قال في الهامش : « أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري من طريقين ، أحدهما في آخر ص ٣٩٣ ح ١٠٧٤٧ والثاني في آخر ص ٤٠٨ ح ١٠٨٢٧ من الجزء الثالث من مسنده. وأخرجه أيضاً : ابن أبي شيبة وأبو يعلى وابن سعد عن أبي سعيد ٩٤٤ . وهو الحديث ٩٤٤ من أحاديث الكنز فيص ١٨٥ من جزئه الأول .»

* « ولما رجع صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع ونزل غدیر خم ، أمر بدوحات فقممن ،

فقال :

كأني دعيت فأجبت ، إني قد تركت فيكم الثقلين ، أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله تعالى ، وعترتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض.

ثم قال : إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن.

ثم أخذ بيد علي فقال : من كنت مولاه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .»

الحديث بطوله.

قال في الهامش : « أخرجه الحاكم عن زيد بن أرقم مرفوعاً في صفحة ١٠٩ من الجزء الثالث من المستدرک ، ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله. وأخرجه من طريق آخر عن زيد بن أرقم في ص ٥٣٣ من الجزء الثالث من المستدرک ، ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قلت : وأورده الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته .»

* « وعن عبد الله بن حنطب ، قال : خطبنا رسول الله بالجحفة فقال :

ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله. قال : فإني سائلكم عن اثنين : القرآن وعترتي

«.

قال في الهامش : « أخرجه الطبراني كما في الأربعين للنبهاني. وفي إحياء الميت للسيوطي.

وأنت تعلم أنّ خطبته صلى الله عليه وآله وسلّم يومئذ لم تكن مقصورةً على هذه الكلمة ، فإنّه لا يقال عمّن اقتصر عليها : إنّه خطبنا. لكنّ السياسة كم اعتقلت ألسن المحدثين ، وحبست أقلام الكاتين ! ومع ذلك فإنّ هذه القطرة من ذلك البحر والشذرة من ذلك البذر ، كافية وافية. والحمد لله «^(١٢٩).

أقول :

أولاً : إنّ طرق وألفاظ حديث الثقلين كثيرة ومختلفة ، ممّا يشهد بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم قال هذا الكلام في مناسبات ومواضع متعدّدة. وذلك لأنّه كان ينتهز كلّ فرصة للوصيّة بثقلية الأمر باتّباعهما والأخذ منهما. ويؤيّد ذلك كلام ابن حجر المكيّ الذي أورده السيد.

وثانياً : إنّ الذين نقل عنهم السيّد حديث الثقلين هم أعظم وأكبر حفاظ وأئمّة أهل السنّة في الحديث ، بحيث لو يكون الحديث - الذي اتّفق على إخراجه هؤلاء - كذباً ، لم تجد عندهم حديثاً صحيحاً أبداً ! إنّ الذين نقل عنهم حديث الثقلين هم :

١ - أبوبكر بن أبي شيبة ، وهو شيخ البخاري.

٢ - أحمد بن حنبل ، وهو أحد الأئمّة الأربعة ، وكتاب « المسند » من أوثق كتبهم الحديثية.

٣ - محمّد بن سعد ، صاحب كتاب « الطبقات الكبرى » وأحد أئمّة الحديث ورجال الجرح

والتعديل.

٤ - محمّد بن عيسى الترمذي ، صاحب « الجامع الصحيح » أحد الصحاح الستّة عندهم.

٥ - أحمد بن شعيب النسائي ، صاحب « السنن » أحد الصحاح الستّة عندهم.

٦ - أبو يعلى الموصلي ، صاحب « المسند » وهو من أعظم حفاظهم.

٧ - الحاكم النيسابوري ، صاحب « المستدرک » إمام المحدثين عندهم.

٨ - شمس الدين الذهبي ، صاحب « تلخيص المستدرک » وغيره من الكتب الكثيرة والمصنّفات

الشهيرة ، في الحديث والرجال والسيرة ، والمعتمد عند المتأخّرين ، في هذه الفنون ، وهو الذي طالما استند إليه أتباع ابن تيميّة في المكابرة مع الشيعة.

وثالثاً : إنّ رواة هذا الحديث من نظراء أولئك الأئمّة فمنّ دونهم أكثر وأكثر ، بحيث لو أردنا ذكر

أسماء من وقفنا على روايتهم له لضاق بنا المجال ، وقد ألّفت لجمع طرقه وألفاظه كتب مفردة من علماء الشيعة والسنّة ، ومن أشهر علماء القوم المؤلّفين فيه :

الحافظ محمّد بن طاهر المقدسي - المتوفّي سنة ٥٠٧ - صاحب كتاب « الجمع بين رجال الصحيحين

«.

(١٢٩) المراجعات : ١٤ - ١٥ .

ورابعاً : إنّ الذين نصّوا على صحّة حديث الثقلين من القدماء والمتأخّرين ، أو أخرجوه في كتبهم التي التزموا فيها بالصحة من مشاهير أهل السنّة كثيرون كذلك. ونحن نكتفي بذكر بعضهم :

- ١ - إمام الأئمّة ابن خزيمة ، صاحب « الصحيح ».
- ٢ - الإمام الحافظ أبو عوانة الاسفرائني ، صاحب « الصحيح ».
- ٣ - الحافظ المحاملي ، صاحب « الأمالي ».
- ٤ - الحافظ البغوي الملقّب بـ « محيي السنّة » ، صاحب « مصابيح السنّة ».
- ٥ - الحافظ ضياء الدين المقدسي في « المختارة » الملتزم فيها بالصحة.
- ٦ - الحافظ سراج الدين الفرغاني في « نصاب الأخبار » الملتزم فيه بالصحة.
- ٧ - الحافظ المزّي ، صاحب « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ».
- ٨ - الحافظ ابن كثير الدمشقي ، صاحب « التفسير » المعروف.
- ٩ - الحافظ الهيثمي ، صاحب « مجمع الزوائد ».
- ١٠ - الحافظ السيوطي ، صاحب « الجامع الصغير » وغيره.
- ١١ - الحافظ السخاوي ، صاحب « استجلاب ارتقاء الغرف ».
- ١٢ - الحافظ السمهودي ، صاحب « جواهر العقدين ».

وخامساً : إنّه يكفي للاحتجاج سند واحد من أسانيد واحد من ألفاظه ، لكنّ هذا الحديث من الأحاديث المتواترة قطعاً ، إذ رواه عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم أكثر من ثلاثين من صحابته ، ورواته من الأئمّة والحفّاظ والمحدّثين عبر القرون كثيرون جدّاً^(١٣٠) .

وسادساً : إنّ دلالة حديث الثقلين على ما تذهب إليه الشيعة - وهو حصر وجوب الاتّباع في الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام - واضحة جدّاً على من له أدنى معرفة بألفاظ اللغة العربيّة وأساليبها... لأنّه صلى الله عليه وآله وسلّم قرّتهم بمحكم الكتاب العزيز ، فكما يجب الأخذ والاتّباع لما في الكتاب ولا يجوز تقديم غيره عليه ، كذلك الأئمّة.

ولا بأس بإيراد نصوص عبارات بعض المحقّقين من أهل السنّة في الاعتراف بما قلناه :

قال الزرقاني : قال الحكيم الترمذي : « حصّ على التمسك بهم ، لأنّ الأمر لهم معاينة ، فهم أبعد

عن المحنة »^(١٣١) .

(١٣٠) انظر : الأجزاء الثلاثة من كتابنا الكبير « نفحات الأزهار » المختصّة بحديث الثقلين .

(١٣١) شرح المواهب اللدنيّة ٧ : ٥ .

وقال النووي : « قوله صلى الله عليه [وآله] وسلّم : وأنا تارك فيكم ثقلين ، فذكر كتاب الله وأهل بيته . قال العلماء : سَمِيَا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما ، وقيل لثقل العمل بهما » (١٣٢) .

وقال ابن الأثير : « فيه (١٣٣) : إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي ; سَمَاهُما ثقلين لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل . ويقال لكلّ خطير نفيس : ثقل ، فسَمَاهُما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما » (١٣٤) .

وقال القاري : « والمراد بالأخذ بهم : التمسك بمحبّتهم ، ومحافظة حرمتهم ، والعمل بروايتهم ، والاعتماد على مقالتهن » (١٣٥) .

وقال شهاب الدين الخفاجي : « أي : تمسّكنم وعملتم واتبعتموه » (١٣٦) .

وقال المناوي : « إني تارك فيكم بعد وفاتي خليفتين . زاد في رواية : أحدهما أكبر من الآخر . وفي رواية بدل خليفتين : ثقلين ، سَمَاهُما به لعظم شأنهما : كتاب الله القرآن ، جبل ، اي : هو جبل ممدود ما بين السماء والأرض . قيل : اراد به عهده ، وقيل : السبب الموصل إلى رضاه . وعترتي - بمثابة فوقية - : أهل بيتي . تفصيل بعد إجمال ، بدلاً أو بياناً ، وهم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » (١٣٧) .

وبعد ، فلننظر إلى ما قيل في قبال الاستدلال بحديث الثقلين :

قيل :

تعليقاً على الحديث الأوّل عن الترمذي والنسائي عن جابر :

« هذا الحديث تفرد به زيد بن الحسن الأماطي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر .

والأماطي قال فيه أبو حاتم : منكر الحديث .

واعلم أنّ المؤلّف - لأمر يريده - تجاهل عمداً رواية مسلم التي فيها التصريح بأنّ أهل بيته ليسوا

مقصورين على : عليّ وفاطمة والحسن والحسين . وإمّا يدخل فيهم جميع آل عليّ وآل عقيل وآل جعفر

وآل عباس .

(١٣٢) المنهاج في شرح صحيح مسلم ١٥ : ١٨٠ .

(١٣٣) أي : في الحديث .

(١٣٤) النهاية ١ : ٢١٦ .

(١٣٥) مرآة المفاتيح ٥ : ٦٠٠ .

(١٣٦) نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض ٣ : ٤١٠ .

(١٣٧) فيض القدير - شرح الجامع الصغير ٣ : ١٤ .

ثمَّ إنَّه قد كرّر سياق هذا الحديث الوارد في عدد من كتب الحديث ليوهم القارئ أنَّها أحاديث متعدّدة ، لإثبات موضوع واحد. مع أنَّه حديث واحد روي بروايات متعدّدة. وأصحَّ رواياته رواية مسلم التي لا تخدم وجهة نظره فتجاهلها.

هذا ، ولكنَّ حديث المؤاخاة قد رواه الترمذي وأحمد في مسنده عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وآله] وسلّم أنَّه قال : من كنت مولاه فعليّ مولاه. وأمّا الزيادة وهي : اللهمَّ وال من والاه ، وعاد من عاداه. فلا ريب أنَّه كذب .»

أقول :

هذا كلامه ، فنقول :

١ - كلمة : « التي فيها التصريح » هذا التصريح ليس من النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلّم ، ليكون حجّةً ، بل هو من « زيد بن أرقم » لكنَّ الرجل أبهم لكي يوهم القارئ^(١٣٨) !

٢ - كلمة : « الوارد في عدد من كتب الحديث » وحقَّ الكلمة : « الوارد في أكثر كتب الحديث بما فيها الصحاح والمسانيد .»

٣ - قوله : « لكنَّ حديث المؤاخاة » تبع في تسمية حديث : « من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه » بـ « حديث المؤاخاة » بعض أسلافه ، فقد وجدت في كلام الذهبي : « وعملت الرافضة عيد الغدير ، يعني يوم المؤاخاة... »^(١٣٩) ولعلَّهم يريدون أنَّ هذا الحديث لا يفيد إلاَّ « المؤاخاة » !!

٤ - جملة : « اللهمَّ وال من والاه... » سيظهر أنَّها ليست بكذب ، وأنَّ رميها بذلك هو الكذب.

٥ - لم يكرّر السيّد سياق هذا الحديث ، وإمّا تكرّر صدوره عن الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلّم ، وقد أذعن بذلك جماعة ممَّن تقدّم منهم وتأخّر ، كصاحب « الصواعق » ابن حجر...

فالإشكال الذي يستحقُّ النظر فيه - لكونه في الظاهر علمياً - هو الإشكال السندي بالنسبة إلى

الحديث الأوّل... فنقول :

أولاً : يكفينا الأحاديث الأخرى التي سلّم بصحّتها.

وثانياً : إنَّ الحديث الذي ناقش في سنده من أحاديث « الجامع الصحيح » للترمذي ، و« السنن »

للنسائي.. وهذان الكتابان من الصحاح الستّة عندهم.

(١٣٨) وأيضاً : لكيلا يراجع القارئ نصَّ الكلام في مصادره المعتمدة ، ففي (صحيح مسلم ٤ : ٢٤٠٨/٢١٧) وغيره أنه سئل : نساؤه من أهل بيته ؟ قال : « لا ، وأيم الله ، إنَّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثمَّ يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها » فزوجات النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلّم لسن من « أهل البيت » عند « زيد بن أرقم » !!

(١٣٩) سير أعلام النبلاء ١٥ : ١٢٩ .

وثالثاً : إنّه لم يناقش في سنده إلاّ من جهة (زيد بن الحسن الأحمطي) واستناداً إلى كلمة أبي حاتم. لكنّ هذه المناقشة مردودة :

قال ابن حجر : « ت - الترمذي. زيد بن الحسن القرشي أبو الحسين الكوفي ، صاحب الأهماط . روى عن : جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين ومعروف بن خربوذ ، وعليّ بن المبارك الهنائي. وعنه : إسحاق بن راهويه ، وسعيد بن سليمان الواسطي ، وعليّ بن المديني ونصر بن عبد الرحمن الوشاء ، ونصر بن مزاحم.

قال أبو حاتم : كوفي قدم بغداد ، منكر الحديث. وذكره ابن حبان في الثقات. روى له الترمذي حديثاً واحداً في الحجّ^(١٤٠) .

فقد ذكر ابن حجر أسماء جماعة من الأئمّة رووا عن زيد بن الحسن ، وأنّ ابن حبان ذكره في الثقات.

ويبقى قول أبي حاتم « منكر الحديث » وهو غير مسموع :

أما أوّلاً : فلأنّه لو كان منكر الحديث لما أخرج عنه هؤلاء كابن راهويه وابن المدينيوسعيد بن سليمان والترمذي.

وأما ثانياً : فلأنّ « أبا حاتم » متعنّت في الرجال ، ولا يُبنى على تجريحه ، كما نصّ عليه الحافظ الذهبي بترجمته إذ قال :

« إذا وثق أبو حاتم رجلاً فتمسك بقوله ، فإنّه لا يوثق إلاّ رجلاً صحيح الحديث. وإذا لين رجلاً أو قال فيه : لا يحتجّ به ، فلا ، توقّف حتّى ترى ما قال غيره فيه ، فإن وثقه أحد فلا تبني على تجريح أبي حاتم ، فإنّه متعنّت في الرجال ، قد قال في طائفة من رجال الصحاح : ليس بحجّة ، ليس بقوي ، أو نحو ذلك^(١٤١) .

تنبيه :

قد توهم هذا الرجل أنّ حديث الثقلين في (صحيح مسلم) لا يدلّ على ما تذهب إليه الشيعة الإماميّة من وجوب اتّباع أهل البيت والتمسك بهم والأخذ عنهم...

(١٤٠) تهذيب التهذيب ٣ : ٣٥٠ .

(١٤١) سير أعلام النبلاء ١٣ : ٢٦٠ .

وقد سبقه في هذا التوهم غيره ، قال الدكتور على أحمد السالوس : « فرق كبير بين التذكير بأهل البيت والتمسك بهم. فالعطف على الصغير ، ورعاية اليتيم ، والأخذ بيد الجاهل ، غير الأخذ من العالم العابد العامل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ».

وقد دفعنا هذا الوهم في ردنا على الدكتور المذكور ، وبيّنا عدم الفرق بين رواية مسلم ورواية أحمد والترمذي وغيرهما ، فالحديث هو الحديث ، والمدلول واحد ، والنتيجة واحدة... فراجعه بالتفصيل^(١٤٢) .

* قال السيّد :

في هامش الحديث الأخير من أحاديث الثقلين التي استدلّ بها : « وأنت تعلم... » وقد تقدّمت عبارته.

فقبل :

« إنّ المؤلّف لا يكفيه أن يبني قصوراً على أوهام ، ولا أن يستشهد بالباطل على ما يريد ، بل يذهب أبعد من ذلك ، فيتخرّص - رجماً بالغيب - ويتهّم نقلة الأحاديث ورواتها من أهل السنة : بأنهم خانوا الأمانة ، واختصروا كثيراً من رواياتهم ، خوفاً من حاكم. ويقصد أنهم زوّروا الحقائق ، وحذفوا ما يتعلّق بالوصيّة لعليّ بالخلافة ! وكأنّه مقرّر - في قرارة نفسه - أنّ كلّ ما يستشهد به على هذه القضية لا يكفي ولا يشفي غليلاً ، فمشى خطوةً أخرى فيما وراء النصوص ، وهي مكذوبة ، وتقوّل من غير دليل ، واتّهم من غير حجة ، وادّعى أنّ هذه النصوص حذفت أكثرها ، وألصقها تعلقاً بالمسألة !! ».

أقول :

أمّا السبّ فلا نقابله فيه بالمثل !

والحقّ مع السيّد - رحمه الله - فيما قال ، لأنّ المستفاد من تتبّع ألفاظ حديث الغدير في كتب أهل السنة - ويساعده الاعتبار وشواهد الأحوال - هو أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قد خطبهم - :
ففي « المسند » : « فخطبنا »^(١٤٣) .

(١٤٢) حديث الثقلين.. تواتره ، فقهه كما في كتب السنة - ط ١٤١٣ هـ .

(١٤٣) مسند أحمد ٥ : ١٨٨٣٨/٥٠١ .

وفي « المستدرك على الصحيحين » : « قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ، فقال ما شاء الله أن يقول »^(١٤٤) .

وفي « مجمع الزوائد » : « فوالله ما من شيء يكون إلى يوم الساعة إلا قد أخبرنا به يومئذ . ثم قال : أيها الناس... »^(١٤٥) .

فأين النص الكامل لتلك الخطبة !؟

ولماذا لم يرووا مواضع الرسول وإرشاداته !؟

وإذا كان قد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم بكل شيء يكون إلى يوم الساعة ، وبين وظيفة الأمة ، فما الذي حملهم على إخفائه عن الأمة !؟

لقد حرموا الأمة من هدي الرسول وتعاليمه وإرشاداته ، بدلاً من أن ينقلوها ويكونوا دعاءً إليها وناشرين لها...

وإن الذي حملهم على كتم خطبة النبي هذه هو ما حملهم على كتم كثير من الحقائق ! وإن الذي منعهم من نقلها هو نفس مامنهم من أن يقربوا إليه دواءً وقرطاساً ليكتب للأمة كتاباً لن يضلوا بعده !

* قال السيد :

« ٤ - والصاحح الحاكمة بوجوب التمسك بالثقلين متواترة ، وطرقها عن بضع وعشرين صحابياً متضافرة ، وقد صدع بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مواقف له شتى : تارةً يوم غدير خم كما سمعت ، وتارةً يوم عرفة في حجة الوداع ، وتارةً بعد انصرافه من الطائف ، ومرةً على منبره في المدينة ، وأخرى في حجته المباركة في مرضه والحجرة غاصّة بأصحابه ، إذ قال : أيها الناس يوشك أن أقبض ... »^(١٤٦) .

قال في الهامش : « راجعه في أواخر الفصل ٢ من الباب ٩ من الصواعق المحرقة لابن حجر ، بعد الأربعين حديثاً من الأحاديث المذكورة في ذلك الفصل ، ص ١٩٤ » .

قيل :

(١٤٤) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١١٠ .

(١٤٥) مجمع الزوائد ٩ : ١٠٥ .

(١٤٦) المراجعات : ١٥ - ١٦ .

« يكفي أن يعلم أنّ هذا الذي ساقه على أنّه قاله صلى الله عليه [وآله] وسلّم في مرضه والحجرة غاصّة بأصحابه ، ليس في كتاب من كتب الحديث المعتبرة ، وقد أورده من غير سند ، فالاحتجاج به ساقط حتّى تثبت قضيتان : سنده أولاً ، ثمّ صدق هذا السند.

وهيئات له أن يثبت هاتين القضيتين ، وليس ذكره لكتاب الصواعق لابن حجر المكيّ بمصحح هذا الحديث ، ولا بدليل على صحّة الاحتجاج به. فابن حجر هذا ليس من علماء الحديث ، ولا له في هذه الصناعة باع ولا ذراع . ومن تأمل كتابه (الصواعق) وما حشاه به من الأحاديث الضعيفة والموضوعة يتيقّن أنّ كتابه لا يأبه به إلاّ أمثال المؤلّف وبني جلدته. على أنّ ابن حجر لم يسلم حتّى من هجوم المؤلّف عبد الحسين ، وجازاه جزاء سنّمار .»

أقول :

عدم اعتراضه إلاّ على حديث صدوره في مرضه في الحجرة ، ظاهر في موافقته على صدور حديث الثقلين يوم غدِير خَمّ ، ويوم عرفة في حجة الوداع ، وبعد انصرافه من الطائف ، وعلى منبره في المدينة ، ووجود ذلك في كتب الحديث المعتبرة ، وعليه ، يكون موافقاً على صدور الحديث في مواقف متعدّدة ، فيناقض إنكاره ذلك في كلماته السابقة.

وأما رواية أنّه قاله في مرض موته فقد جاء في « الصواعق » بعدما روى الحديث بعد انصرافه من الطائف عن ابن أبي شيبّة : « وفي رواية ... ».

فابن حجر لم يعز هذا الحديث إلى كتاب ، لكن بالتأمّل في كلامه يظهر تصحيحه له ، لأنّه بعدما أورد الحديث السابق عن ابن أبي شيبّة عن عبد الرحمن ابن عوف ، قال : « وفيه رجل اختلف في تضعيفه ، وبقية رجاله ثقات »^(١٤٧) . ثمّ أورد هذا الحديث ولم يتكلّم على سنده بشيء... ونحن تكفينا رواية ابن حجر لهذا الحديث لا سيّما مع سكوته عن سنده ، لأنّه من كبار علماء أهل السنّة المدافعين عن الخلفاء ومعاوية وحكومة الطلقاء ، كما لا يخفى على من راجع « الصواعق » و« تطهير الجنان » وغيرهما ممّا كتبه في هذا الشأن .

ومع ذلك... نذكر واحداً من رواة هذا الحديث ، المتقدّمين على ابن حجر المكيّ ... ألا وهو الحافظ السمهودي^(١٤٨) ، فإنّه نصّ على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم قال ذلك في مرضه الذي قبض فيه وقد امتلأت الحجرة من أصحابه ، كما في رواية لأمّ سلمة.

(١٤٧) الصواعق المحرقة : ١٩٤ .

(١٤٨) هو : الحافظ نور الدين على بن عبد الله السمهودي ، المتوفى سنة ٩١١ .

ولا بأس بنقل متن عبارته في التنبيه الخامس من تنبيهات حديث الثقلين :

« خامسها : قد تَضَمَّت الأحاديث المتقدِّمة ، الحثُّ البليغ على التمسك بأهل البيت النبوي وحفظهم واحترامهم والوصية بهم ، لقيامه صلى الله عليه [وآله] وسلّم بذلك خطيباً يوم غدیر خمّ ، كما في أكثر الروايات المتقدِّمة ، مع ذكره لذلك في خطبته يوم عرفة على ناقته ، كما في رواية الترمذي عن جابر ، وفي خطبته لما قام خطيباً بعد انصرافه من حصار الطائف ، كما في رواية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، وفي مرضه الذي قبض فيه وقد امتلأت الحجرة من أصحابه ، كما في رواية لأم سلمة . بل سبق قول ابن عمر - رضي الله عنهما - : آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم : اخلفوني في أهل بيتي ... مع قوله صلى الله عليه [وآله] وسلّم : انظروا كيف تخلفوني فيهما .

وقوله : ألا وإي سائلكم حين تردون عن الثقلين فانظروا ... الحديث .

وقوله : والله سائلكم كيف خلفتموني في كتابه وأهل بيتي .

وقوله : ناصرهما لي ناصر وخاذلهما لي خاذل .

و : أوصيكم بعترتي خيراً .

و : أذكركم الله في أهل بيتي .

على اختلاف الألفاظ في الروايات المتقدِّمة .

مع قوله - في رواية عبد الله بن زيد عن أبيه - : فمن لم يخلفني فيهم بتر عمره ، وورد على يوم القيامة مسوداً وجهه .

وفي الحديث الآخر : فأني أخاصمكم عنهم غداً ، ومن أكن خصيمها خصمه ، ومن أخصمه دخل النار .

وفي الآخر : من حفظني في أهل بيتي فقد اتّخذ عند الله عهداً .

مع ما اشتملت عليه ألفاظ الأحاديث المتقدِّمة على اختلاف طرقها ، وما سبق ممّا أوصى به أمته وأهل بيته .

فأني حثُّ أبلغ من هذا وأكد منه !؟

فجزى الله تعالى نبيّه صلى الله عليه [وآله] وسلّم عن أمته وأهل بيته أفضل ما جزى أحداً من أنبيائه ورسله عليهم السلام «^(١٤٩) .

قال الحافظ السخاوي بترجمته بعد كلام له : « وبالجملة ، فهو إنسان فاضل متفنن متميز في الفقه والأصليين ، مديم للعمل والجمع والتأليف ، متوجه للعبادة والمباحثة والمناظرة ، قوي الجلادة على ذلك ، طلق العبارة فيه ، مغرم به ، مع قوة نفس وتكلف ، خصوصاً في مناقشات لشيخنا في الحديث ونحوه . « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٣ : ٢٤٧ .

(١٤٩) جواهر العقدين ق ٢ ج ١ : ١١٥ - ١١٦ .

* قال السيّد :

« ٥ - على أنّ المفهوم من قوله : (إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا : كتاب الله وعترتي) :
إنّما هو ضلال من لم يتمسك بهما معاً كما لا يخفى.

ويؤيّد ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلّم - في حديث الثقلين عند الطبراني - : (فلا تقدّموهما
فتهلكوا ، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم).

قال ابن حجر : وفي قوله صلى الله عليه وآله وسلّم : فلا تقدّموهما فتهلكوا ، ولا تقصّروا عنهما
فتهلكوا ، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم : دليل على أنّ من تأهّل منهم للمراتب العليّة والوظائف
الدينيّة كان مقدّماً على غيره ^(١٥٠) إلى آخر كلامه ^(١٥١).

قيل :

في الاعتراض على الحديث عن الطبراني :

« هذا جزء من حديث رواه الطبراني عن زيد بن أرقم. وفي هذا السند : حكيم بن جبير. وهو
ضعيف. ورمي بالتشيع كما قال المباركفوري. مجمع الزوائد ٩ : ١٦٣ .

على أنّ هذا الحديث - لو صحّ - فإنّ دلّته تشمل بني هاشم جميعاً وهم عشيرته صلى الله عليه
[وآله] وسلّم ، لا أبناء عليّ وفاطمة فقط.

ومع غض النظر عن مناقشة ابن حجر المكيّ فيما استنبطه من حكم من هذا الحديث الضعيف ،
هل يصحّ هذا الحديث دليلاً على هذا الحكم ؟ ثمّ أليس في هذا دليلٌ على عدم أصالة آراء ابن حجر
وضعه الفاضح في الحديث واستنباطه الأحكام ؟ «.

أقول :

* أمّا المفهوم من حديث الثقلين - كما ذكره السيّد - فلا ينكره أحد.

* وأمّا الحديث المؤيّد فهذا سنده :

« حدّثنا محمّد بن عبد الله الحضرمي ، ثنا جعفر بن حميد (ح) حدّثنا محمّد بن عثمان بن أبي
شيبه ، حدّثنا النضر بن سعيد أبو صهيب ، قال ثنا عبد الله بكير ، عن حكيم بن جبير ، عن أبي الطفيل ،
عن زيد بن أرقم ، قال : نزل النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم يوم الجحفة. ثمّ أقبل على الناس ، فحمد
الله وأثنى عليه ، ثمّ قال :

(١٥٠) الصواعق المحرقة : ٣٤٢ .

(١٥١) المراجعات : ١٦ .

إني لا أجد لنبيي إلا نصف عمر الذي قبله ، وإني أوشك أن أدعى فأجيب ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نصحت. قال : أليس تشهدون أن لا إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق والنار حق وأن البعث بعد الموت حق ؟ قالوا : نشهد. قال : فرفع يديه فوضعهما على صدره ثم قال : وأنا أشهد معكم. ثم قال : ألا تسمعون ؟ قالوا : نعم. قال : فإني فرطكم على الحوض ، وأنتم واردون على الحوض ، وإن عرضه أبعد ما بين صنعاء وبصرى ، فيه أقداح عدد النجوم من فضة ، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين. فنادى مناد : وما الثقلان يا رسول الله ؟

قال : كتاب الله طرف بيد الله [عز وجل] وطرف بأيديكم ، فاستمسكوا به لا تزلوا والآخر عترتي ، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض ، وسألت ذلك لهما ربي. فلا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهما فإنهم أعلم منكم. ثم أخذ بيد علي - رضي الله عنه - فقال : من كنت أولى به من نفسه فعلى وليه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه « (١٥٢) .

وهذا الحديث رواه الحافظ السيوطي بتفسير قوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (١٥٣) . وكذا الشيخ المتقي الهندي (١٥٤) .

وقد روى الشيخ المتقي الهندي قبل ذلك هذا الحديث عن الطبراني عن زيد بن ثابت ، قال « إني لكم فرط ، إنكم واردون على الحوض ، عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى ، فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضة ، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين ؟

قيل : وما الثقلان يا رسول الله ؟

قال : الأكبر كتاب الله ، سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به لن تزلوا ولا تزلوا ؛ والأصغر عترتي ، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض ؛ وسألت لهما ذلك ربي ، ولا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تعلموهما فإنهما أعلم منكم.

طب عن زيد بن ثابت « (١٥٥) .

ألا يليق هذا الحديث المروي في هذه الكتب ، عن اثنين من مشاهير الأصحاب ، لأن يكون «

مؤيداً » ؟!

* ثم إن الحديث عن زيد بن أرقم لم يناقش في سنده إلا من جهة « حكيم ابن جبير » ..

(١٥٢) المعجم الكبير ٥ : ٤٩٧١/١٦٦ .

(١٥٣) الدر المنثور ٢ : ٢٨٥ . والآية الشريفة في سورة آل عمران رقم ١٠٣ .

(١٥٤) كنز العمال ١ : ٩٥٧/١٨٨ .

(١٥٥) كنز العمال ١ : ٩٤٦/١٨٥ .

وقد راجعنا ترجمته في « تهذيب التهذيب »^(١٥٦) فوجدناه من رجال أربعة من الصحاح الستة ، وأن من الرواة عنه :

الأعمش ، والسفيانان ، وزائدة ، وفطر بن خليفة ، وشعبة ، وشريك ، وعلي بن صالح ، وجماعة وقال الفلاس : كان يحيى يحدث عنه .

ثم إن السبب في تضعيف بعضهم إيّاه هو « التشيع » ليس إلا :
« قال ابن أبي حاتم : سألت أبا زرعة عنه فقال : في رأيه شيء . قلت : ما محله ؟ قال : الصدق إن شاء الله .»

وقد تقدّم - ويأتي - أن « التشيع » غير قادح .
* وأما دعوى أن الحديث يشمل بني هاشم كلّهم ، فجهل أو تجاهل ، لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلّم ينهى عن التقدّم على « عترته » وعن تعليمهم ، ويعلّل ذلك : بأنهم أعلم منكم ، وكيف يشمل هذا جميع بني هاشم !؟
وليت الرجل راجع كلمات شراح الحديث من أبناء مذهبه ! فإنّ الذي قاله ابن حجر المكيّ قد نصّ عليه غير واحد من أعلام الحديث والعلماء الحفاظ :

قال القاري في شرح المشكاة : « أقول : والأظهر هو أن أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله . فالمراد بهم أهل العلم منهم ، المطلّعون على سيرته ، الواقفون على طريقته ، العارفون بحكمه وحكمته . وبهذا يصلح أن يكونوا مقابلاً لكتاب الله سبحانه كما قال : (ويعلمهم الكتاب والحكمة) . ويؤيده ما أخرجه أحمد في المناقب ، عن حميد بن عبد الله بن زيد : أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلّم ذكر عنده قضاء قضى به علي بن أبي طالب فأعجبه وقال : الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت... »^(١٥٧) .

وقال المناوي : « وعترتي أهل بيتي . تفصيل بعد إجمال ، بدلاً أو بياناً . وهم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً »^(١٥٨) .

وقال عبد الحقّ الهندي : « والعتره رهط الرجل وأقرباؤه وعشيرته الأدنون ، وفسره صلى الله عليه وآله وسلّم بقوله : وأهل بيتي ، للإشارة إلى أنّ مراده هنا من العتره : أخصّ عشيرته وأقاربه . وهم أولاد الجدّ القريب . أي : أولاده وذريّته صلى الله عليه وآله وسلّم »^(١٥٩) .

(١٥٦) تهذيب التهذيب ٢ : ٣٨٣ .

(١٥٧) مرقة المفاتيح ٥ : ٦٠٠ .

(١٥٨) فيض القدير - شرح الجامع الصغير ٣ : ١٤ .

(١٥٩) أشعة اللغات في شرح المشكاة ٤ : ٦٨١ .

وقال السمهودي : « الَّذِينَ وَقَعَ الْحَثُّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ وَالْعَتْرَةِ الطَّاهِرَةِ : هُمُ الْعُلَمَاءُ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِذْ لَا يَحِثُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّمُ عَلَى التَّمَسُّكِ بِغَيْرِهِمْ ، وَهُمْ الَّذِينَ لَا يَقَعُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْكِتَابِ افْتِرَاقٌ ، حَتَّى يَرِدَا الْحَوْضَ . وَلِهَذَا قَالَ : لَا تَقَدِّمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تَقْصُرُوا عَنْهُمَا فَتَهْلِكُوا »^(١٦٠) .

* وَأَمَّا الْحُكْمُ الَّذِي اسْتَنْبَطَهُ ابْنُ حَجْرٍ مِنَ الْحَدِيثِ - وَالَّذِي لِأَجْلِهِ تَهَجَّمُ عَلَيْهِ هَذَا الرَّجُلُ - فَهُوَ مُوجُودٌ كَذَلِكَ فِي كَلَامِ غَيْرِ ابْنِ حَجْرٍ مِنْ أُمَّةِ الْحَدِيثِ :

ففي « جواهر العقدين » و« شرح المواهب اللدنية » و« فيض القدير » : « أَنْ ذَلِكَ يَفْهَمُ وَجُودَ مَنْ يَكُونُ أَهْلًا لِلتَّمَسُّكِ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَالْعَتْرَةِ الطَّاهِرَةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَوُجِدُوا فِيهِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ، حَتَّى يَتَوَجَّهَ الْحَثُّ الْمَذْكُورُ إِلَى التَّمَسُّكِ بِهِ ، كَمَا أَنَّ الْكِتَابَ الْعَزِيزَ كَذَلِكَ . وَلِهَذَا كَانُوا - كَمَا سَيَأْتِي - أَمَانًا لِأَهْلِ الْأَرْضِ ، فَإِذَا ذَهَبُوا ذَهَبَ أَهْلُ الْأَرْضِ »^(١٦١) .

(١٦٠) جواهر العقدين ق ٢ ج ١ : ٩٣ .

(١٦١) جواهر العقدين ق ٢ ج ١ : ٩٤ ، فيض القدير ٣ : ١٥ ، شرح المواهب اللدنية ٧ : ٨ .

حديث السفينة

قال السيّد :

« ٦ - وممّا يأخذ بالأعناق إلى أهل البيت ويضطرّ المؤمن إلى الانقطاع في الدين إليهم: قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم : ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق .»

قال في الهامش : « أخرج الحاكم بالأسناد إلى أبي ذرّ ، ص ١٥١ من الجزء الثالث من المستدرک .»
* « وقوله صلى الله عليه وآله وسلّم : إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، وإنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل ، من دخله غفر له .»
قال في الهامش : « أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد ، وهذا هو الحديث ١٨ من الأربعين ، الخامسة والعشرين من الأربعين للنبهاني ، ص ٢١٦ من كتابه الأربعين حديثاً^(١٦٢) .»

أقول :

أولاً : لقد اقتصر السيّد - رحمه الله - على هذين اللفظين من ألفاظ حديث السفينة ، عن الحاكم النيسابوري والحافظ الطبراني ، بالإسناد إلى إثنين من الصحابة ، هما : أبوذرّ الغفاري ، وأبوسعيد الخدري . وهذا كاف للاحتجاج ، لكون الحاكم والطبراني من أكبر أئمة الحديث عند القوم .
وثانياً : حديث السفينة مروى في كتب القوم بالطرق الكثيرة ، عن عدّة من الصحابة غير من ذكر ، وهم :

١ - أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام .

٢ - عبد الله بن العباس .

٣ - أبو الطفيل عامر بن واثلة .

٤ - أنس بن مالك .

٥ - عبد الله بن الزبير .

٦ - سلمة بن الأكوع .

(١٦٢) المراجعات : ١٧ .

وثالثاً : إنّ رواة حديث السفينة من كبار الأئمة والحفّاظ المشاهير كثيرون ، ومن أشهرهم :

١ - أحمد بن حنبل ، إمام الحنابلة^(١٦٣) .

٢ - مسلم بن الحجاج ، صاحب الكتاب « الصحيح » عندهم .

٣ - أحمد بن عبد الخالق البزار ، في « المسند » .

٤ - أبو بكر الخطيب البغدادي ، في « تاريخ بغداد » .

٥ - الفخر الرازي ، في « تفسيره » الكبير ، بتفسير آية المودّة .

٦ - شمس الدين الذهبي ، في « الميزان » بترجمة : الحسن بن أبي جعفر الجفري .

٧ - ابن حجر العسقلاني ، في « المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية » .

ورابعاً : إنّ من أعلام القوم من ينصّ على صحّة الحديث ، أو يعترف بتعدّد طرقه وأنّ بعضها

يقوّي بعضاً ، وإليك عبارات بعضهم :

١ - قال الحاكم النيسابوري بعد أن أخرجه : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم

يخرجاه »^(١٦٤) .

٢ - وقال ابن حجر المكيّ : « وجاء من طرق عديدة يقوّي بعضها بعضاً : إمّا مثل أهل بيتي كمثّل

سفينة نوح ، من ركبها نجا. وفي رواية مسلم^(١٦٥) : ومن تخلف عنها غرق. وفي رواية : هلك. وإمّا مثل

أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل ، من دخله غفر له الذنوب »^(١٦٦) .

٣ - وقال شمس الدين السخاوي : « وبعض هذه الطرق يقوّي بعضاً »^(١٦٧) .

٤ - وقال جلال الدين السيوطي : « أخرجه الحاكم وهو صحيح »^(١٦٨) وقال : « رواه البزار وأبو

يعلى في مسنديهما ، والطبراني في الأوسط ، والحاكم وصحّحه »^(١٦٩) .

٥ - ابن حجر المكيّ في « شرح الهمزية للبوصيري » بشرح قوله :

آل بيت النبيّ طبتّم وطاب الـ *** مدح لي فيكم وطاب الثناء قال : « وصحّ حديث : إنّ مثل أهل

بيتي مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك »^(١٧٠) .

(١٦٣) انظر : مشكاة المصابيح ٢ : ٦١٨٣/٥١٩ .

(١٦٤) المستدرک علی الصحيحین ٢ : ٣٤٣ .

(١٦٥) هذه الكلمة حرّفوها إلى « سلم » كما حرّفوا صحيح مسلم بإسقاط الحديث ! والشاهد بما ذكرنا هو أنّ الشيخ الجهرمي ذكر الكلمة

كذلك : « وفي رواية مسلم » في ترجمته الحديث في كتابه « البراهين القاطعة في ترجمة الصواعق المحرقة » إلى الفارسية .

(١٦٦) الصواعق المحرقة : ٢٣٤ .

(١٦٧) استجلاب ارتقاء الغرف ٢ : ٤٨٤ ، ذيل الحديث ٢٢٠ .

(١٦٨) نهاية الإفضال في مناقب الآل - مخطوط .

(١٦٩) الأساس في مناقب بني العباس - مخطوط .

٦ - وقال العيدروس اليميني : « وصحَّ حديث : إنَّ مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك »^(١٧١) .

٧ - وقال السيّد أحمد زيني دحلان : « وصحَّ عنه صلى الله عليه [وآله] وسلّم من طرق كثيرة أنه قال : إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق - وفي رواية : هلك - ومثل أهل بيتي فيكم كمثل باب حطّة في بني إسرائيل ، من دخله غفر له »^(١٧٢) .

٨ - وقال الشيخ محمّد بن يوسف التونسي المالكي ، المعروف بالكافي : « روى البزّار عن ابن عبّاس ، وأبو داود عن ابن الزبير ، والحاكم عن أبي ذرّ بسند حسن - : مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » .

وقال بعد كلام له : « ويدلّ على ذلك : الحديث المشهور المتفق على نقله : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق .

وهو حديث نقله الفريقان وصحّحه القبيلان ، لا يمكن لطاعن أن يطعن عليه ، وأمثاله في الأحاديث كثيرة »^(١٧٣) .

وخامساً : وقد بلغ هذا الحديث من الثبوت مبلغاً جعل كبار علماء اللغة من أهل السنّة يوردونه في كتبهم ، ويستشهدون بألفاظه على المعاني اللغوية :

قال ابن الأثير « زخخ : فيه^(١٧٤) : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح ، من تخلف عنها زخّ به في النار . أي : دفع ورمي ، يقال : زخّه يزخّه زخّاً »^(١٧٥) .

وقال ابن منظور : « وفي الحديث : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح ، من تخلف عنها زخّ به في النار . أي : دفع ورمي . يقال زخّه يزخّه زخّاً »^(١٧٦) .

وقال الزبيدي : « وفي الحديث : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح ، من تخلف عنها زخّ به في النار . أي دفع ورمي »^(١٧٧) .

(١٧٠) شرح الهمزيّة = المنح المكيّة : ٢٧٩ .

(١٧١) العقد النبوي والسرّ المصطفوي - مخطوط .

(١٧٢) الفضل المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وأهل البيت الطاهرين . ط هامش السيرة الدحلانية . باب ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام .

(١٧٣) السيف اليماني المسلول في عنق من يطعن في أصحاب الرسول : ٩ .

(١٧٤) النهاية ٢ : ٢٩٨ .

(١٧٥) أي : في الحديث .

(١٧٦) لسان العرب ٣ : ٢٠ .

(١٧٧) تاج العروس من جواهر القاموس ٤ : ٢٧٣ .

وسادساً : لقد ذكر كبار المحققين من علماء الحديث عند القوم ، الشارحون للسنة الكريمة والأقوال النبوية في معنى حديث السفينة ، عبارات فيها الاعتراف الصريح بدلالته على ما تذهب إليه الشيعة الإمامية ، ولا بأس بذكر بعض تلك العبارات :

قال الطيبي بشرح الحديث عن أبي ذر الغفاري : « قوله : وهو آخذ باب الكعبة. أراد الراوي بهذا مزيد توكيد لإثبات هذا ، وكذا أبوذر اهتمّ بشأن روايته ، فأورده في هذا المقام على رؤوس الأنام ليتمسكوا به. وفي رواية له بقوله : من عرفني فأنا من قد عرفني ، ومن أنكرني فأنا أبوذر ، سمعت النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول : ألا : إن مثل أهل بيتي... الحديث. أراد بقوله : فأنا أبوذر ، المشهور بصدق اللهجة وثقة الرواية ، وأنه هذا حديث صحيح لا مجال للردّ فيه. وهذا تلميح إلى ما روينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول : ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء ، أصدق من أبي ذر. وفي رواية أبي ذر : من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبه عيسى بن مريم ، فقال عمر بن الخطاب - كالحاسد ! - : يا رسول الله أفتعرف ذلك؟! قال : ذلك فأعرفوه. أخرجه الترمذي وحسنه الصغاني في كشف الحجاب.

شبه الدنيا بما فيها من الكفر والضلالات ، والبدع والأهواء الزائغة ، ببحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، وقد أحاط بأكنافه وأطرافه الأرض كلها ، وليس فيه خلاص ومناص إلا تلك السفينة ، وهي : محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم «^(١٧٨) . وقال القاري بمثل كلمات الطيبي واستشهد بها^(١٧٩) .

وقال السمهودي : « قوله صلى الله عليه [وآله] وسلم : مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه. الحديث. وجهه : إن النجاة ثبت لأهل السفينة من قوم نوح عليه السلام... ومحصله : الحث على التعلق بحبلهم وحبهم وإعظامهم شكراً لنعمة مشرفهم صلى الله عليه [وآله] وسلم ، والأخذ بهدي علمائهم ومحاسن أخلاقهم وشيمهم. فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة ، وأدى شكر النعمة الوارفة ، ومن تخلف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان ، فاستوجب النيران «^(١٨٠) .

وقال المناوي [إن مثل أهل بيتي] فاطمة وعلی وابنيهما ، وبينهما أهل العدل والديانة [فيكم مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك] وجه التشبيه : أن النجاة ثبتت لأهل السفينة من قوم نوح ، فأثبت المصطفى صلى الله عليه [وآله] وسلم لأئمة بالتمسك بأهل بيته النجاة ، وجعلهم وصلّة إليها. ومحصوله : الحث على التعلق بحبلهم وحبهم وإعظامهم شكراً لنعمة مشرفهم ، والأخذ بهدي

(١٧٨) الكاشف (شرح المشكاة) ٣١٦/١١ .

(١٧٩) مرآة المفاتيح ٥ : ٦١٠ .

(١٨٠) جواهر العقدين ق ٢ ج ١ : ١٢٦ .

علمائهم ، فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة ، وأدى شكر النعمة المترادفة. ومن تخلف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان ، فاستحق النيران ، لما أن بغضهم يوجب النار كما جاء في عدة أخبار ، كيف وهم أبناء أمة الهدى ومصايح الدجى ، الذين احتج الله بهم على عباده ، وهم فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة ، الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم ، وبرأهم من الآفات ، وافترض موذتهم في كثير من الآيات ، وهم العروة الوثقى ، ومعدن التقى.

واعلم أن المراد بأهل بيته في هذا المقام العلماء منهم ، إذ لا يحث على التمسك بغيرهم وهم الذين لا يفارقون الكتاب والسنة حتى يردوا معه على الحوض^(١٨١) .

وقال ابن حجر المكي مثل ذلك ، وقد أورد السيد - رحمه الله - عبارته في المتن^(١٨٢) .

قيل :

« رواه الحاكم في المستدرک ٣ : ١٥١ عن أبي ذر . وفي سنده : مفضل بن صالح ، وهو منكر الحديث كما قال البخاري وغيره. وضعفه المناوي في فتح القدير^(١٨٣) . وقال ابن عدي : أنكر ما رأيت له حديث الحسن بن علي ، وسأته أرجو أن يكون مستقيماً. وقال الذهبي في الميزان : وحديث سفينة نوح أنكر وأنكر^(١٨٤) .

ومن رواه أيضاً : سويد بن سعيد ، قال البخاري : هو منكر الحديث ويحيى ابن معين كذبه وسبه. قال أبو داود : وسمعت يحيى يقول : هو حلال الدم. وقال الحاكم : ويقال إن يحيى لما ذكر له هذا الحديث قال : لو كان لي فرس ورمح غزوت سويداً^(١٨٥) .

وأما حنش ، فقد وثقه أبو داود ، وقال أبو حاتم : صالح ، لا أراهم يحتجون به ، وقال النسائي : ليس بالقوي ، وقال البخاري : يتكلمون في حديثه ، وقال ابن حبان : لا يحتج به ، ينفرد عن علي بأشياء ، ولا يشبه حديثه حديث الثقات.

وروي الحديث من طريق أخرى فيها ضعيفان^(١٨٦) :

الحسن بن أبي جعفر الجفري. وعلي بن زيد بن جدعان.

(١٨١) فيض القدير - شرح الجامع الصغير ٢ : ٥١٩ .

(١٨٢) المراجعات : ١٨ . عن الصواعق المحرقة : ٢٣٤ .

(١٨٣) كذا . والصحيح : فيض القدير .

(١٨٤) ميزان الاعتدال ٤ : ١٦٧ .

(١٨٥) ميزان الاعتدال ٢ : ٢٤٨ - ٢٥٠ .

(١٨٦) ميزان الاعتدال ١ : ٦١٩ .

أما الحسن بن أبي جعفر ، فقد قال فيه الفلاس : صدوق منكر الحديث. وقال ابن المديني:
ضعيف ضعيف ، وضعفه أحمد والنسائي ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال مسلم بن إبراهيم -
وهو تلميذه - : كان من خيار الناس رحمه الله ، وقال يحيى بن معين : ليس بشي.

ثم ذكر له الذهبي أحاديث منكرة فيها هذا الحديث ، ثم قال : قال ابن عدي : هو عندي ممن لا
يتعمد الكذب. وقال ابن حبان : كان الجفري من المتعبدين المجابين الدعوة ، ولكنّه ممن غفل عن
صناعة الحديث فلا يحتجّ به^(١٨٧). [الميزان] .

وأما عليّ بن زيد بن جدعان ، فقال الذهبي : اختلفوا فيه. ثم ذكر من وثقه ثم قال : وقال شعبة
: حدّثنا عليّ بن زيد (وكان رقاعاً ، أي : كان يخطئ فيرفع الحديث الموقوف) وقال مرّةً : حدّثنا عليّ قبل
أن يختلط ، وكان ابن عيينة يضعفه ، وقال حماد بن زيد : أخبرنا ابن زيد وكان يقلب الأحاديث.

وقال الفلاس : كان يحيى القطان يتقي الحديث عن عليّ بن زيد.

وروي عن يزيد بن زريع قال : كان عليّ بن زيد رافضياً.

وقال أحمد العجلي : كان يتشيع وليس بالقويّ.

وقال البخاري وأبو حاتم : لا يحتجّ به^(١٨٨).

فهل - يا ترى - يصلح مثل هذا الحديث الهالك أن يأخذ بالأعناق؟! «

أقول :

أولاً : إنّه يكفي لاستدلال الشيعة بهذا الحديث كونه مخرجاً في كتب أهل السنّة ، من السنن
والمسانيد والمجاميع الحديثية الشهيرة ، وبطرق متكثّرة ، عن عدّة من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله
وسلم ، فهو - كما قال الشيخ الكافي المالكي - : « حديث مشهور متّفق على نقله » و« نقله الفريقان
وصحّحه القبيلان » و« لا يمكن لطاعن أن يطعن عليه » .

وثانياً : إنّه يكفي للاحتجاج تصحيح الحاكم وعدّة من مشاهير الأئمّة وقول آخرين : حديث مروّي
بطرق عديدة يقوي بعضها بعضاً.

وثالثاً : ظاهر كلام الرجل انحصار طرق هذا الحديث بما ذكره وخذش فيه. والحال أنّ طرقه كثيرة
جدّاً كما اعترف بذلك غير واحد منهم.

ورابعاً : إنّه قد ورد بطرق ليس فيها أحد من الرواة الذين حاول تضعيفهم.. ومن ذلك :

(١٨٧) ميزان الاعتدال ١ : ٤٨٢ .

(١٨٨) ميزان الاعتدال ٣ : ١٢٧ - ١٢٨ .

رواية البزار في (مسنده) عن عبد الله بن الزبير^(١٨٩) .
ورواية الخطيب البغدادي في (تاريخه) عن أنس^(١٩٠) .
ورواية الدولابي بالإسناد عن أبي الطفيل عامر بن واثلة...^(١٩١) .
ورواية أبي عبد الله القضاعي الأندلسي ، الشهير بابن الأبار ، في (معجمه) بالإسناد عن زاذان عن أبي
ذرّ...^(١٩٢) .

وخامساً : إنّه يشهد بصحة حديث السفينة روايات أخرى :
كالذي أخرجه ابن أبي شيبة عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال : « إنّما مثلنا في هذه الأمة
كسفينة نوح ، وكباب حطّة في بني إسرائيل »^(١٩٣) .

والذي رواه المتقي الهندي عنه عليه السلام أنّه قال في كلام له : « والله إنّ مثلنا في هذه الأمة
كمثل سفينة نوح في قوم نوح ، وإنّ مثلنا في هذه الأمة كمثل باب حطّة في بني إسرائيل »^(١٩٤) .
وسادساً : لقد أخرج الحاكم هذا الحديث بطريقتين^(١٩٥) :

أحدهما : « أخبرني ميمون بن إسحاق الهاشمي ، ثنا أحمد بن عبد الجبار ، ثنا يونس بن بكير ،
ثنا المفصل بن صالح ، عن أبي إسحاق ، عن حنش الكناني ، قال : سمعت أبا ذرّ يقول - وهو آخذ بباب
الكعبة - : أيها الناس ، من عرفني فأنا من عرفتم ، ومن أنكرني فأنا أبو ذرّ ، سمعت رسول الله صلى الله
عليه [وآله] وسلّم يقول : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق .
وهذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه »^(١٩٦) .

والثاني : « أخبرني أحمد بن جعفر بن حمدان الزاهد ببغداد ، حدّثنا العباس بن إبراهيم
القراطيسي ، ثنا محمّد بن إسماعيل الأحمسي ، ثنا مفصل بن صالح ، عن أبي إسحاق ، عن حنش الكناني ،
قال : سمعت أبا ذرّ - وهو آخذ باب الكعبة - : من عرفني فأنا من عرفني ، ومن أنكرني فأنا أبو ذرّ ،

(١٨٩) مختصر زوائد مسند البزار ٢ : ١٩٦٥/٣٣٣ .

(١٩٠) تاريخ بغداد ١٢ : ٩١ .

(١٩١) الكنى والأسماء ١ : ٧٦ .

(١٩٢) المعجم - لابن الأبار - : ٨٧ - ٨٩ .

(١٩٣) الكتاب المصنف لابن أبي شيبة ١٢ : ١٢١٦٤/٧٧ . وعنه الدر المنثور ١ : ١٧٤ .

(١٩٤) كنز العمال ٢ : ٤٤٢٩/٤٣٥ .

(١٩٥) ويلاحظ أنّه يصحّ أحدهما على شرط مسلم ، ويسكت عن الآخر ، وهذا ممّا يدلّ على دقّة الحاكم وتنبّهته في الحديث ، وأنّه لم يكن
متساهلاً في كتابه - كما يدّعي بعض القوم - .

(١٩٦) المستدرک على الصحيحين ٢ : ٣٤٣ .

سمعت النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول : مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، ومثل حطة لبني إسرائيل «^(١٩٧) .

والحافظ الذهبي - وهو من أتباع ابن تيمية و إمام أتباعه - لم يחדش في السنين إلا من جهة « المفضل بن صالح » . فقد جاء في « تلخيص المستدرک » في آخر الحديث الأول :

« م . قلت : مفضل خرج له الترمذي فقط . ضعفه »^(١٩٨) .

وفي آخر الحديث الثاني :

« صحيح . قلت : مفضل واه »^(١٩٩) .

لكن صاحبنا أضاف التكم في « حنش الكناني » التابعي المشهور ، وكأنه أشد تعصباً من الذهبي !!
وسابغاً : إن المفضل بن صالح - الذي ضعفه الذهبي - من رجال الترمذي كما اعترف...

وهو على شرط مسلم كما نص عليه الحاكم واعترف الذهبي به أيضاً .

والذي أوجب التكم فيه منهم ما ذكره الترمذي بقوله : « ليس عند أهل الحديث بذاك الحافظ »

فهم غير قادحين في ثقته ، ولا في حفظه ، إلا أنه ليس بذاك الحافظ !

وظاهر كلماتهم أن ذنب الرجل رواية فضائل أهل البيت :

قال ابن عدي - بعد أن أورد له أحاديث - : « أنكر ما رأيت له حديث الحسن بن علي ، وسأته

أرجو أن يكون مستقيماً » .

فابن عدي يوثق الرجل ، وإنما ينكر بعض أحاديثه ، وقد جعل أنكرها حديث الحسن . قال ابن

حجر : « يعني : أتاني جابر فقال : اكشف لي عن بطنك . الحديث » !^(٢٠٠) .

إذن ، فالرجل لا مجال للقدح فيه ولا في رواياته ، وما ذكره الذهبي ليس إلا تعصباً ، وهو مشهور

بالتعصب كما عرفت سابقاً .

وثامناً : قوله : « وروي الحديث من طريق أخرى فيها ضعيفان : الحسن بن أبي جعفر الجفري ،

وعلي بن زيد بن جدعان » فيه :

إن « الحسن بن أبي جعفر الجفري » يروي هذا الحديث عن « علي بن زيد » كما عند المحدث

الفقيه ابن المغازلي الشافعي ، حيث رواه بإسناده عن « الحسن بن أبي جعفر ، ثنا علي بن زيد ، عن

سعيد بن المسيب ، عن أبي ذر... »^(٢٠١) .

(١٩٧) المستدرک على الصحيحين ٣ : ١٥١ .

(١٩٨) تلخيص المستدرک - المطبوع بذييل المستدرک - ٢ : ٣٤٣ .

(١٩٩) تلخيص المستدرک - المطبوع بذييل المستدرک - ٣ : ١٥١ .

(٢٠٠) تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٤٣ .

لكن قال الحافظ الهيثمي صاحب مجمع الزوائد :

« عن أبي ذرّ ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم : مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح ، من ركب فيها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق ، ومن قاتلنا في آخر الزمان كمن قاتل مع الدجال. رواه البزار والطبراني في الثلاثة. وفي إسناده البزار : الحسن بن أبي جعفر الجفري. وفي إسناده الطبراني : عبد الله بن داهر.

وهما متروكان « (٢٠٢) .

فيظهر أنّ الطريق التي فيها « الحسن » لا يوجد فيه « عليّ بن زيد بن جدعان » أو يوجد ولا كلام فيه.

ومثله الحديث الآخر قال الهيثمي :

« وعن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح ، من ركب فيها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق. رواه البزار والطبراني. وفيه : الحسن بن أبي جعفر. وهو متروك « (٢٠٣) .

وذكر الحافظ الهيثمي الحديث بسند آخر ، ليس فيه واحد من الرجلين المذكورين. قال :

« وعن عبدالله بن الزبير : إنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم قال : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح ، من ركبها سلم ، ومن تركها غرق. رواه البزار. وفيه : ابن لهيعة ، وهو ليّن « (٢٠٤) .

وتاسعاً : لنا أن نحتجّ بكلّ من :

الحسن بن أبي جعفر الجفري.

وعليّ بن زيد بن جدعان.

* أمّا « الحسن » فقد روى عنه : أبو داود الطيالسي ، وابن مهدي ، ويزيد ابن زريع ، وعثمان بن مطر ، ومسلم بن إبراهيم ، وجماعة آخرين من مشاهير الرواة الأئمة ، وروايتهم عنه تدلّ على جلالته بالإضافة إلى :

أنّ مسلم بن إبراهيم قال : كان من خيار الناس.

وقال عمرو بن عليّ : صدوق : منكر الحديث.

(٢٠١) مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ١٧٧/١٣٤ .

(٢٠٢) - ٣ مجمع الزوائد ٩ : ١٦٨ .

وقال أبو بكر بن أبي الأسود : ترك ابن مهدي حديثه ثم حدّث عنه وقال : ما كان لي حجة عند ربي.

وقال ابن عديّ : والحسن بن أبي جعفر أحاديثه سالحة ، وهو يروي الغرائب وخاصة عن محمّد بن جحادة ، له عنه نسخة يرويها المنذر بن الوليد الجارودي عن أبيه عنه. وله عن محمّد بن جحادة غير ما ذكرت أحاديث مستقيمة سالحة ، وهو عندي ممّن لا يتعمّد الكذب ، وهو صدوق.

وقال ابن حبان : من خيار عباد الله الخشن ، ضعّفه يحيى وتركه أحمد ، وكان من المتعبّدين المجابين الدعوة ، ولكنّه ممّن غفل عن صناعة الحديث وحفظه ، فإذا حدّث وهم وقلّب الأسانيد وهو لا يعلم ، حتّى صار ممّن لا يحتجّ به ، وإن كان فاضلاً^(٢٠٥).

هذه هي الكلمات التي اوردها الحافظ ابن حجر بترجمته ، في مقابلة كلمات الجراح .

فنقول :

١ - الرجل من رجال الترمذي وابن ماجه.

٢ - روى عنه كبار الأئمة.

٣ - شهد بعدالته : مسلم بن إبراهيم فقال : كان من خيار الناس.

فقال المعترض : « وهو تلميذه ».

قلت : كأنه يريد إسقاط هذه الشهادة لكون الشاهد تلميذاً ، وكأنّ الرجل لا يدري أنّ هذا المورد ليس من موارد عدم قبول الشهادة ، بل الأمر بالعكس ، إذ المفروض عدالة الشاهد ، فإذا كان تلميذاً كان أكثر معرفةً بحال المشهود له من غيره.

٤ - شهد بعدالته : عمرو بن عليّ الفلاس إذ قال : صدوق. وسيأتي الكلام على قوله بعد ذلك : «

منكر الحديث ».

٥ - شهد بعدالته : ابن عديّ.

٦ - قال ابن حبان : من خيار عباد الله الخشن ، وكان من المتعبّدين المجابين الدعوة ، ولكنّه ممّن

غفل عن صناعة الحديث وحفظه ، فإذا حدّث وهم وقلّب الأسانيد وهو لا يعلم ، حتّى صار ممّن لا يحتجّ به وإن كان فاضلاً.

أقول : هذه عبارة ابن حبان.. فقارن بينها وبين ما أورده المعترض :

(٢٠٥) تهذيب التهذيب ٢ : ٢٢٧ .

« وقال ابن حبان : كان الجفري من المتعبدين المجابين الدعوة ولكنه ممن غفل عن صناعة الحديث ، فلا يحتج به ».

ولاحظ ! ممن هذا التحريف والتصرف !؟

يقول ابن حبان - بعد الشهادة بكون « الحسن » من خيار عباد الله الخشن وأنه كان من المتعبدين المجابين الدعوة - : ولكنه ممن غفل عن صناعة الحديث وحفظه ، فإذا حدث وهم قلب الأسانيد وهو لا يعلم حتى صار ممن لا يحتج به وإن كان فاضلاً.

فغاية ما كان « الحسن » أنه : « إذا حدث وهم وقلب الأسانيد » لكن « وهو لا يعلم » أي : فهو - كما قال ابن عدي : « ممن لا يتعمد الكذب ، وهو صدوق ». ولذا قال عنه الفلاس^(٢٠٦) - بعد أن قال : « صدوق » - : « منكر الحديث ».

فظهر :

أولاً : لم ينقل المعترض كلمات التعديل والثناء.

وثانياً : قد حرّف بعض الكلمات في حقّ الرجل.

وثالثاً : قد ظلم الرجل إذ لم يتحقّق كلمات الجرح ، وأنها إنّما ترجع إلى وهم الرجل في روايته عن غفلة ، وأما هو في ذاته فصدوق جليل من خيار عباد الله الخشن.

* وأما « عليّ بن زيد » فقد أخرج عنه : البخاري في « الأدب المفرد » ، ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه ، كما ذكر ابن حجر^(٢٠٧) ، وهؤلاء أرباب الصحاح الستة عندهم.

وذكر ابن حجر كلمات عدّة من الأئمة في وثاقته وصدقه والثناء عليه... ونحن لا نحتاج إلى الإطناب في ترجمته لأمرين :

الأول : كونه من رجال مسلم والأربعة والبخاري في « الأدب المفرد » ، وهذا فوق المطلوب.

والثاني : إنّ السبب الأصلي لجرح من جرحه هو التشيع ! فلاحظ عباراتهم في « تهذيب التهذيب » ونكتفي بإيراد واحدة منها :

« وقال يزيد بن زريع : رأيته ولم أحمل عنه لأّنه كان رافضياً » .

وقد جعلوا أنكر ما روى : ما حدث به حمّاد بن سلمة ، عنه ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، رفعه

: إذا رأيتم معاوية على هذه الأعواد فاقتلوه . قاله ابن حجر .

(٢٠٦) ولا يخفى أن « عمرو بن عليّ الفلاس » هو نفسه من رواة حديث السفينة ، عن طريق «الحسن بن أبي جعفر الجفري » ، أخرجه عنه أبو بكر البزار في مسنده ، وهذا ممّا يشهد بما ذكرناه.

(٢٠٧) تهذيب التهذيب ٧ : ٢٨٣ .

قلت : فإذا كان هذا الأمر - الحق الذي وافقه في روايته كثيرون ، وهو من الأحاديث الصادرة قطعاً - هو أنكروا ما روي عنه ، فاعرف حال بقيّة أحاديثه !

وعاشراً : لنا أن نحتج بكل من :

عبد الله بن داهر .

وابن لهيعة .

* أمّا « عبد الله بن داهر » فذنبه عند القوم أنّه : « رافضيّ خبيث » وأنّ « عامّة ما يرويه في فضائل عليّ وهو متّهم في ذلك » .

وقد أورد في « الميزان » و« لسان الميزان » أحاديث عنه في فضل عليّ وأهل البيت عليهم السلام ، منها ما رواه بإسناده عن ابن عباس :

« ستكون فتنة فمن أدركها فعليه بالقرآن وعليّ بن أبي طالب ، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم - وهو آخذ بيد عليّ يقول - : هذا أول من آمن بي ، وأول من يصفحني ، وهو فاروق الأئمة ، وهو يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الظلمة ، وهو الصديق الأكبر ، وهو خليفتي من بعدي »^(٢٠٨) .

* وأمّا « ابن لهيعة » فقد روى عنه كبار الأئمة من المتقدمين ، كالثوري ، وشعبة ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، وابن المبارك .

وهو من رجال : مسلم وأبي داود والترمذي وابن ماجه .

قال أبو داود عن أحمد : ومن كان مثل ابن لهيعة بمصر في كثرة حديثه وضبطه وإتقانه؟! وعن الثوري : عند ابن لهيعة الأصول وعندنا الفروع ، وحججت حججاً لألقى ابن لهيعة . وقال أبو الطاهر بن السرح : سمعت ابن وهب يقول : حدّثني - والله - الصادق البارّ عبد الله بن لهيعة .

وقال يعقوب بن سفيان : سمعت أحمد بن صالح - وكان من خيار المتقنين - يثني عليه .

وعنه أيضاً : ابن لهيعة صحيح الكتاب...

وعن ابن معين : قد كتبت حديث ابن لهيعة ، وما زال ابن وهب يكتب عنه حتّى مات .

وقال الحاكم : استشهد به مسلم في موضعين .

وقال ابن شاهين : قال أحمد بن صالح : ابن لهيعة ثقة ، وما روي عنه من الأحاديث فيها تخليط .

يطرح ذلك التخليط .

وقال مسعود عن الحاكم : لم يقصد الكذب ، وإمّا حدّث من حفظه بعد احتراق كتبه فأخطأ .

(٢٠٨) ميزان الاعتدال ٢ : ٤١٦ ، لسان الميزان ٣ : ٢٨٢ .

وقال ابن عدِيّ : حديثه كأنه نسيان ، وهو ممّن يكتب حديثه^(٢٠٩) .

أقول : ألا يكفي هذا للإحتجاج بما رواه !؟

بقي الكلام :

في : « حنش الكناني » و« سويد بن سعيد » .

* أمّا « حنش » فقد عرفت أنّه من التابعين من المشاهير ، وقد دأب القوم على تعديل التابعين أخذاً بما يروونه عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أحاديث : خير القرون قرنيّ ثمّ الذين يلونهم... بل ذكره ابن مندّة وأبو نعيم في الصحابة كما ذكر ابن حجر .

وأورد ابن حجر كلمات التوثيق له عن أبي داود والعجلي وغيرهما .

وقد أخذ عليه أنّه كان ينفرد عن عليّ بأشياء لا تشبه حديث الثقات !! حتّى صار ممّن لا يحتجّ

بحديثه !!^(٢١٠) .

* وأمّا « سويد بن سعيد » فهو من رجال صحيح مسلم وصحيح ابن ماجّة . قال ابن حجر :

« وعنه : مسلم ، وابن ماجّة ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، ويعقوب بن شيبة وعبد الله بن أحمد ،

ومطيّن ، وبقي بن مخلّد ، وأبو الأزهر... » .

قال ابن حجر : « قال عبد الله بن أحمد : عرضت على أبي أحاديث سويد عن ضمّام بن إسماعيل

فقال لي : اكتبها كلّها فإنّه صالح . أو قال : ثقة . وقال الميموني عن أحمد : ما علمت إلّا خيراً . وقال البغوي

: كان من الحفّاظ ، وكان أحمد ينتقي عليه لولديه فيسمعان منه . وقال أبو داود عن أحمد : أرجو أن

يكون صدوقاً . وقال : لا بأس به . وقال أبو حاتم : كان صدوقاً وكان يدّس ويكثر . وقال البخاري : كان قد

عمي فيلقن ما ليس من حديثه . وقال يعقوب بن شيبة : صدوق مضطرب الحفظ ولا سيّما بعدما عمي .

وقال صالح بن محمّد : صدوق إلّا أنّه كان عمي فكان يلقن أحاديث ليست من حديثه... »^(٢١١) .

وقال الذهبي : « الحافظ الرّحال المعمر ، حدّث عن مالك بالموطأ وعنه م ، ق ، ومطيّن ، وابن

ناجية ، وعبد الله بن أحمد ، والباغندي ، والبغوي ، وخلق كثير .

قال البغوي : كان من الحفّاظ ، كان احمد بن حنبل ينتقي عليه لولديه .

(٢٠٩) تهذيب التهذيب ٥ : ٣٢٧ - ٣٣١ ، الكامل في ضعفاء الرجال ٥ : ٢٥٣ ، وفيه : « وحديثه حسن كأنه يستبان عمّن روى عنه ، وهو

ممّن يكتب حديثه » .

(٢١٠) تهذيب التهذيب ٣ : ٥١ .

(٢١١) تهذيب التهذيب ٤ : ٢٣٩ - ٢٤٠ .

وقال أبو حاتم : صدوق كثير التدليس. وقال أبو زرعة : أمّا كتبه فصحيح ، وأمّا إذا حدّث من حفظه فلا « (٢١٢) .

وقال ابن حجر : « صدوق في نفسه ، إلّا أنّه عمي فصار يتلقّن ما ليس من حديثه. وأفحش فيه ابن معين القول » (٢١٣) .

أقول : تلخّص :

١ - هو من رجال مسلم وابن ماجّة ، ومن مشايخ كثير من الأئمّة.

٢ - هو « صدوق » عند أحمد وجماعة من أئمّة الجرح والتعديل.

٣ - عمدة ما انتقد عليه أنّه لمّا عمي لقن ما ليس من حديثه.

٤ - أفحش القول فيه يحيى بن معين... فقلوه مردود عند الأئمّة.

واعلم أنّ هذا المعترض ذكر العبارة التالية :

« وقال الحاكم : ويقال إنّ يحيى لمّا ذكر له هذا الحديث قال : لو كان لي فرس ورمح غزوت

سويداً ».

لكن ما هو المراد من « هذا الحديث »؟! حديث السفينة!؟

لا ، بل حديث آخر... لكنّ الرجل دلّس وحرّف!!

قال ابن حجر : « وقال ابن حبان : كان أتى عن الثقات بالمعضلات : روى عن أبي مسهر يعني عن

أبي يحيى القتّات - عن مجاهد ، عن ابن عباس ، رفعه : من عشق وكنتم وعفّ ومات ، مات شهيداً. قال :

ومن روى مثل هذا الخبر عن أبي مسهر تجب مجانبته رواياته. هذا إلى ما لا يحصى من الآثار وتلك

الأخبار.

وقال فيه يحيى بن معين : لو كان لي فرس ورمح لكنّك أغزوه. قاله لمّا روى سويد هذا الحديث.

وكذا قال الحاكم أنّ ابن معين قال هذا في هذا الحديث « (٢١٤) .

أقول :

هكذا يريدون الردّ على كتبنا ، فاعرفوهم أيّها المنصفون ! واحذروهم أيّها المسلمون !!

*** قال السيّد رحمه الله :**

(٢١٢) تذكرة الحفاظ ٢ : ٤٥٤ .

(٢١٣) تقريب التهذيب ١ : ٥٩٦/٣٤٠ .

(٢١٤) تهذيب التهذيب ٤ : ٢٤١ .

« وقوله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم : النجوم أمانٌ لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمانٌ لأمتي من الاختلاف (في الدين) فإذا خالفتها قبيلة من العرب (يعني : في أحكام الله عزَّ وجلَّ) اختلفوا فصاروا حزب إبليس »^(٢١٥).

قال في الهامش : « أخرجه الحاكم في ص ١٤٩ من الجزء الثالث من المستدرک عن ابن عبَّاس .
ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .»

قيل :

« رواه الحاكم ١٤٩/٣ وفي سنده ابن أركون ، قال الذهبي : ضعّفوه . وكذا خليد ضعّفه أحمد وغيره . وهو حديث موضوع كما ذكر الذهبي .»

أقول :

قال الحاكم : « حدّثنا مكرم بن أحمد القاضي ، ثنا أحمد بن عليّ الأبار ، ثنا إسحاق بن سعيد بن أركون الدمشقي ، ثنا خليد بن دعلج أبو عمرو السدوسي ، أظنّه عن قتادة ، عن عطاء ، عن ابن عبَّاس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله... هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .»

وقد رواه عن الحاكم أعيان علماء الحديث المتأخّرين عنه وارتضوا تصحيحه ، ومنهم :
الحافظ السيوطي ، في : الخصائص الكبرى ٢ : ٢٦٦ ، وإحياء الميت بفضائل أهل البيت : ٥٢ ،
الحديث ٣٥ .

والحافظ السمهودي ، في : جواهر العقدين ق ٢ ج ١ : ١٢٠ .

والشبراوي ، في : الإتحاف بحبّ الأشراف : ٢٠ .

والحمزاوي ، في مشارق الأنوار : ٨٦ .

والصّبّان ، في : إسعاف الراغبين - هامش نور الأبصار : ١٤١ .

فنحن نستدلّ برواية هؤلاء...

أمّا الذهبي فقد عرفنا حاله وطريقته ، ولا يعتدّ بكلامه إلّا من كان على شاكلته...

ثم إنَّ لهذا الحديث الشريف مؤيّدات كثيرة... كقوله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم : « النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتي أمان لأمتي .» أخرجه : ابن أبي شيبة ، ومسدد ، والحكيم الترمذي ، وأبو يعلى ، والطبراني ، وابن عساكر . وعنهم المتقي الهندي^(٢١٦) .

(٢١٥) المراجعات : ١٧ .

ولهذا نجدهم يعقدون في كتبهم أبواباً بهذا العنوان :
قال الحافظ محب الدين الطبري : « ذكر أنهم أمان لأمة محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم...
« (٢١٧) .

وقال الحافظ السخاوي : « باب الأمان ببقائهم والنجاة في اقتنائهم... » (٢١٨) .
وقال الحافظ السمهودي : « الذكر الخامس : ذكر أنهم أمان الأمة ، وأنهم كسفينة نوح... » (٢١٩) .

* * *

المراجعة (١٠)

* قال السيد رحمة الله تعالى عليه

مجيباً على طلب المزيد من النصوص النبوية :

١ (٢٢٠) - أخرج الطبراني في الكبير ، والرافعي في مسنده ، بالإسناد إلى ابن عباس ، قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من سره ان يحيا حياتي ، ويموت مماتي ، ويسكن جنّة عدن غرسها ربي ،
فليوال علياً من بعدي ، وليوال وليه ، وليقتد بأهل بيتي من بعدي ، فإنهم عترتي ، خلقوا من طينتي ،
ورزقوا فهمي وعلمي ، فويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتي ، القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم الله شفاعتي
« .

قال في الهامش : « هذا الحديث بعين لفظه هو الحديث ٣٤١٩٨ من أحاديث الكنز ، في ص ١٠٣
من جزئه ١٢ . وقد اورده في منتخب الكنز أيضاً ، فراجع من المنتخب ما هو في أوائل هامش ص ٩٤ من
الجزء ٥ من مسند أحمد ، غير أنه قال : « ورزقوا فهمي » ولم يقل : « وعلمي » ولعلّه غلط من الناسخ .
وأخرجه الحافظ أبو نعيم في حليته ، ونقله عنه علامة المعتزلة في ص ١٧٠ من المجلد التاسع من شرح
النهج طبع مصر ، ونقل نحوه في ص ١٦٨ عن أبي عبد الله أحمد بن حنبل في كلّ من مسنده وكتاب
مناقب علي بن ابي طالب » .

(٢١٦) كنز العمّال ١٢ : ١٠١/٣٤١٨٨ .

(٢١٧) ذخائر العقبى : ٤٩ .

(٢١٨) استجلاب ارتقاء الغرف ٢ : ٤٧٧ .

(٢١٩) جواهر العقدين - ق ٢ ج ١ : ١١٩ .

(٢٢٠) هذا الترقيم منّا ، اقتضته ضرورة البحوث الآتية هنا كما سيّضح .

٢ - وأخرج مطين، والباوردي، وابن جرير، وابن شاهين، وابن مندة، من طريق أبي إسحاق، عن زياد بن مطرف، قال: « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من أحب أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل الجنة التبوعدني ربي - وهي جنة الخلد - فليتول علياً وذريته من بعده، فإنهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم باب ضلالة ».

قال في الهامش: « وهذا الحديث هو الحديث ٣٢٩٦٠ من أحاديث الكنز في ص ٦١١ من جزئه ١١، وأورده في المنتخب أيضاً، فراجع من المنتخب ما هو في السطر الأخير من هامش ص ٣٢ من الجزء ٥ من مسند أحمد. وأورده ابن حجر العسقلاني مختصراً في ترجمة زياد بن مطرف، في القسم الأول من إصابته، ثم قال: قلت: في إسناده (يحيى بن يعلى المحاربي) وهو واهي.

أقول: هذا غريب من مثل العسقلاني، فإن (يحيى بن يعلى المحاربي) ثقة بالاتفاق، وقد أخرج له البخاري في عمرة الحديبية من صحيحه، وأخرج له مسلم في الحدود من صحيحه أيضاً، سمع أباه عند البخاري، وسمع عند مسلم غيلان بن جامع، وأرسل الذهبي في الميزان توثيقه إرسال المسلمات، وعدّه الإمام القيسراني وغيره ممن احتج بهم الشيخان وغيرهما ».

٣ - ومثله حديث زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « من أراد أن يحيا حياتي، ويموت موتي، ويسكن جنة الخلد التبوعدني ربي، فليتول علي بن أبي طالب، فإنه لن يخرجكم من هدى، ولن يدخلكم في ضلالة ».

قال في الهامش: « أخرجه الحاكم في آخر ص ١٢٨ من الجزء ٣ من صحيحه المستدرک، ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في فضائل الصحابة، وهو الحديث ٣٢٩٥٩ من أحاديث الكنز في ص ٦١١ من جزئه ١١، وأورده في منتخب الكنز أيضاً، فراجع هامش ص ٣٢ من الجزء ٥ من المسند ».

٤ - وكذلك حديث عمّار بن ياسر، قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أوصي من آمن بي وصدّقني بولاية علي بن أبي طالب، فمن تولاه فقد تولاني، ومن تولاني فقد تولي الله، ومن أحبّه فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عزّ وجلّ ».

قال في الهامش: « أخرجه الطبراني في الكبير، وابن عساكر في تاريخه وهو الحديث ٣٢٩٥٣ من أحاديث الكنز، في ص ٦١٠ من جزئه ١١ ».

٥ - وعن عمّار أيضاً، مرفوعاً: « اللهم من آمن بي وصدّقني، فليتول علّابن أبي طالب، فإنّ ولايته ولايتي، وولايتي ولاية الله تعالى ».

قال في الهامش : « أخرج الطبراني في الكبير عن محمد بن أبي عبدة ابن محمد بن عمّار بن ياسر ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عمّار ؛ وهو الحديث ٣٢٩٥٨ من أحاديث الكنز ص ٦١١ من جزئه ١١ ، وأورده في المنتخب أيضاً »^(٢٢١) .

تحقيق أسانيد هذه الأحاديث

أقول : ولا بدّ من تحقيق أسانيد هذه الأحاديث ، والنظر فيما قيل في ذلك من السابقين واللاحقين ، فنقول وبالله نستعين :

* أمّا الحديث الأوّل وهو الذي نقله السيّد عن « كنز العمّال » عن الطبراني والرافعي ، فهذا سنده عند الرافعي :

« الحسن بن حمزة العلوي الرازي ، أبو طاهر ، قدم قزوين وحَدّث بها عن سليمان بن أحمد ، روى عنه : أبو مضر ربيعة بن عليّ العجلي ، فقال :

ثنا أبو طاهر الحسن بن حمزة العلوي - قدم علينا قزوين سنة ٣٤٤ - ، ثنا سليمان بن أحمد ، ثنا عمر بن حفص السدوسي ، ثنا إسحاق بن بشر الكاهلي ، ثنا يعقوب بن المغيرة الهاشمي ، عن ابن أبي رُوَاد ، عن إسماعيل بن أميّة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس »^(٢٢٢) .

وبه يتبيّن سند الطبراني ، وهو سليمان بن أحمد.

قال السيّد في الهامش : « وأخرجه الحافظ أبو نعيم في حليته ، ونقله عنه... ».

أقول :

هذا نصّ عبارة الحافظ أبي نعيم :

« حدّثنا فهد بن إبراهيم بن فهد ، ثنا محمد بن زكريّا الغلابي ، ثنا بشر بن مهران ، ثنا شريك ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن حذيفة ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : من سرّه أن يحيا حياتي ، ويموت ميتتي ، ويتمسك بالقصبة الياقوتة التي خلقها الله بيده ثمّ قال لها : كوني فكانت ، فليتولّ عليّ بن أبي طالب من بعدي .

رواه شريك أيضاً : عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي الطفيل ، عن زيد بن أرقم .

ورواه السدّي عن زيد بن أرقم .

(٢٢١) المراجعات : ٢٠ - ٢١ .

(٢٢٢) نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ٣٣٤/٤ عن مسند الرافعي - مخطوط . التدوين في اخبار قزوين ٢ : ٤٨٥ .

ورواه ابن عباس ، وهو غريب .

حدّثنا محمّد بن المظفر ، ثنا محمّد بن جعفر بن عبدالرحيم ، ثنا أحمد بن محمّد بن يزيد بن سليم ، ثنا عبد الرحمن بن عمران بن أبي ليلى - أخو محمّد بن عمران - ثنا يعقوب بن موسى الهاشمي ، عن ابن أبي رواد ، عن إسماعيل بن أمية ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] وسلّم : من سرّه أن يحيا حياتي... « (٢٣٣) .

فأبو نعيم أخرجه بعدّة طرق عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم من دون طعن في شيء منها ، كما سنرى .

وأخرجه الحافظان ابن عساكر والكنجي من طريق أبي نعيم ، ثمّ قال الأوّل : « هذا حديث منكر ، وفيه غير واحد من المجهولين » (٢٣٤) .

وأيضاً : أخرجه ابن عساكر بإسناد له عن : زيد بن وهب ، عن حذيفة ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم (٢٣٥) .

وإسناد آخر من طريق الحافظ الخطيب البغدادي ، عن أبي الطفيل ، عن سيّدنا أبي ذرّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم (٤) .

فهذا الحديث مروى عندهم عن جماعة من الأصحاب ، وهم :

١ - عبد الله بن عباس .

٢ - أبو ذرّ الغفاري .

٣ - حذيفة بن اليمان .

٤ - زيد بن أرقم .

تحقيق السند :

أمّا طريقه عن أبي ذرّ وزيد بن أرقم ، فلا نجد من هؤلاء الرواة عنهما طعناً في شيء من الأسانيد... ولو كان لأفصحوا به ، كما وجدنا بالنسبة إلى حديث غيرهما :

فحديث ابن عباس... قال ابن عساكر بعد إخراجه من طريق أبي نعيم : « هذا حديث منكر ، وفيه غير واحد من المجهولين » وقال أبو نعيم : « غريب » .

وحديث حذيفة... وإن سكت عنه أبو نعيم وابن عساكر... فقد طعن الذهبي في سنده...

(٢٣٣) حلية الأولياء ١ : ٨٦ .

(٢٣٤) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٤٠ - ١٤١ ، كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب : ٢١٤ .

(٢٣٥) و (٤) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٤٢ .

أما قول ابن عساكر : « فيه غير واحد من المجهولين » فبرده :

أولاً : سكوت الطبراني والرافعي والمتقي الراوي عنهما ، مع طعنه في بعض الأحاديث كما سيأتي.

وثانياً : كلام أبي نعيم ، إذ لم يقل إلا : « غريب » وسيأتي بيان معناه.

وثالثاً : إن الراوي عن « ابن أبي رواد » عند الطبراني والرافعي هو : « يعقوب بن المغيرة الهاشمي

» وعند أبي نعيم وابن عساكر والكنجي هو : « يعقوب بن موسى الهاشمي » ، ولا أستبعد أن تكون الجهالة على أثر اختلاف النسخ والاشتباه في اسم الراوي.

وأما قوله : « منكر » فلا يضرب باعتبار الحديث ، لأن الحافظ النووي يقول في « معرفة المنكر » :

قال الحافظ البرديجي : هو الفرد الذي لا يعرف متنه عن غير روايه ، وكذا أطلقه كثيرون... «^(٢٢٦) .

وأما قول أبي نعيم : « وهو غريب » فلا يضرب كذلك ، لأن « الغرابة » تجتمع مع « الصحة »

السنيّة ، ولذا نرى كثيراً ما يقولون : « غريب صحيح ».

وقال الحافظ النووي : « الغريب والعزیز : إذا انفرد عن الزهري وشبهه ممن يجمع حديثه رجل

بحديث سمي : غريباً ، فإن انفرد اثنان أو ثلاثة سمي عزيزاً ، فإن رواه جماعة سمي : مشهوراً.

ويدخل في الغريب ما انفرد راو بروايته أو بزيادة في متنه أو إسناده...

وينقسم إلى صحيح وغيره وهو الغالب «^(٢٢٧) .

وأما طعن الذهبي في سند الحديث عن « حذيفة بن اليمان » فقد جاء بترجمة : « بشر بن مهران

» إذ قال :

« بشر بن مهران الخصاف ، عن شريك . قال ابن أبي حاتم : ترك أبي حديثه . ويقال : بشير .

قلت : قد روى عنه محمد بن زكريا الغلابي - لكن الغلابي متهم - قال : حدثنا شريك ، عن الأعمش

، عن زيد بن وهب ، عن حذيفة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من سره أن يحيا

حياتي ، ويموت ميتتي ، ويتمسك بالقضيب الياقوت ، فليتول على بن أبي طالب من بعدي «^(٢٢٨) .

أقول :

أما ترك أبي حاتم حديث بشر فلا يعبا به ، لقول الذهبي نفسه بترجمة أبي حاتم :

« إذا وثق أبو حاتم رجلا فتمسك بقوله ، فإنه لا يوثق إلا رجلا صحيح الحديث . وإذا لئ رجلا أو

قال فيه : لا يحتج به ، فلا ، توقف حتى ترى ما قال غيره فيه ، فإن وثقه أحد فلا تب على تجريح أبي

. ٢٢٦) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ١ : ٢٧٦ .

. ٢٢٧) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ٢ : ٦٣٢ .

. ٢٢٨) ميزان الاعتدال ١ : ٣٢٥ .

حاتم ، فإنه متعنت في الرجال ، قد قال في طائفة من رجال الصحاح : ليس بحجة ، ليس بقوي ، أو نحو ذلك «^(٢٢٩) .

وقال بترجمة أبي زرعة الرازي : « يعجبني كثيراً كلام أبي زرعة في الجرح والتعديل ، يبين عليه الورع والخبرة ، بخلاف رفيقه أبي حاتم ، فإنه جراح «^(٢٣٠) .
وأما اتهامه « الغلابي » فمردود :

أولاً : بأنه قد تابعه غيره في هذا الحديث عن بشر ، وهو : « أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل » في رواية ابن عساكر^(٢٣١) .

وثانياً : فإن كلمة « متهم » بحاجة إلى بيان ، فلماذا الإجمال !؟

أما في « تذكرة الحفاظ »^(٢٣٢) و« سير أعلام النبلاء »^(٢٣٣) فذكره فيمن توفي سنة ٢٩٠ ولم يزد على ذلك شيئاً.

وأما في « العبر » فقد ترجم له بقوله : « وفيها : محمد بن زكريا الغلابي الأخباري ، أبو جعفر ، بالبصرة . روى عن : عبد الله بن رجاء الغداني ، وطبقته . قال ابن حبان : يعتبر بحديثه إذا روى عن الثقات « انتهى^(٢٣٤) .

أما في « ميزان الاعتدال » فقد غلبه التعصب فقال : « محمد بن زكريا الغلابي البصري الأخباري ، أبو جعفر ، عن : عبد الله بن رجاء الغداني ، وأبي الوليد ، والطبقة . وعنه : أبو القاسم الطبراني وطائفة . وهو ضعيف . وقد ذكره ابن حبان في كتاب (الثقات) وقال : يعتبر بحديثه إذا روى عن ثقة . وقال ابن مندة : تكلم فيه . وقال الدارقطني : يضع الحديث .

الصولي ، حدثنا الغلابي : حدثنا إبراهيم بن بشار ، عن سفيان ، عن أبي الزبير ، قال : كنا عند جابر ، فدخل علي بن الحسين ، فقال جابر : دخل الحسين فضمه النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إليه وقال : يولد لابني هذا ابن يقال له علي ، إذا كان يوم القيامة نادى مناد ؛ ليقم سيد العابدين ، فيقوم هذا . ويولد له ولد يقال له : محمد ، إذا رأيتَه - يا جابر - فأقرأ عليه مني السلام .
فهذا كذب من الغلابي... «^(٢٣٥) .

(٢٢٩) سير أعلام النبلاء - ترجمة أبي حاتم ١٣ : ٢٦٠ .

(٢٣٠) سير أعلام النبلاء - ترجمة أبي زرعة ١٣ : ٨١ .

(٢٣١) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٤٢ .

(٢٣٢) تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٣٩ .

(٢٣٣) سير أعلام النبلاء ١٣ : ٥٣٤ .

(٢٣٤) العبر في خبر من غير ١ : ٤١٨ .

(٢٣٥) ميزان الاعتدال ٣ : ٥٥٠ .

والآن ، عرف وجه الاتهام !!

لكن الأمر أكثر من ذلك ، فإن الرجل أخباري مؤرخ ، وجل مؤلفاته في أهل البيت عليهم السلام... بل الرجل من أصحابنا الإمامية ، قال الشيخ النجاشي :

« محمد بن زكريا بن دينار مولى بني غلاب ، أبو عبد الله - وبنو غلاب قبيلة بالبصرة من بني نصر بن معاوية ، وقيل : إنه ليس بغير البصرة منهم أحد - وكان هذا الرجل وجهاً من وجوه أصحابنا بالبصرة ، وكان أخبارياً واسع العلم ، وصنف كتباً كثيرة.

وقال لي أبو العباس بن نوح : إنني أروي عن عشرة رجال عنه. له كتب منها : الجمل الكبير ، والجمل المختصر ، وكتاب صفين الكبير ، وكتاب صفين المختصر ، مقتل الحسين عليه السلام ، كتاب النهر ، كتاب الأجواد ، كتاب الوافدين ، مقتل أمير المؤمنين عليه السلام ، أخبار زيد عليه السلام ، أخبار فاطمة عليها السلام ومنشأها ومولدها ، كتاب الجبل .

أخبرنا أبو العباس أحمد بن علي بن نوح ، قال : حدثنا أبو الحسن علي بن يحيى بن جعفر السلمي الحداء ، وأبو علي أحمد بن الحسين بن إسحاق بن شعبة الحافظ ، وعبد الجبار بن شيران الساكن بنهر خطي ، في آخرين ، قالوا : حدثنا محمد بن دينار الغلابي بجميع كتبه.

ومات محمد بن زكريا سنة ٢٩٨ «^(٢٣٦) .

إذن ، لا بد أن يتهمه الذهبي وأمثاله...!!

لكن لا يخفى أن هذا الجرح ساقط ، لما قررنا في مقدمات البحث - وعلى ضوء كلمات أعلام القوم - من أن الجرح المستند إلى الاختلاف في العقيدة غير مسموع ، وأن التشيع ليس بضائر... مضافاً إلى ما ذكرناه في التعريف بالذهبي وطريقته في الجرح...

وعلى هذا كله ، فإنه يبقى توثيق ابن حبان للغلابي بلا معارض.

فالحديث معتبر ، ويؤيده كثرة طرقه وسكوت أبي نعيم وابن عساكر وغيرهما عن الطعن فيه.

تنبيه :

الخبر المذكور - الذي لأجله كذب الذهبي الغلابي - تلقاه غير واحد من الأعلام بالقبول ، ممن تقدم على الذهبي أو تأخر ، فأخرجه ابن عساكر بإسناده عن أبي بكر محمد بن يحيى الصولي ، عن الغلابي ، عن إبراهيم بن بشار ، عن سفيان بن عيينة ، عن أبي الزبير^(٢٣٧) ...

(٢٣٦) رجال النجاشي : ٣٤٦ .

(٢٣٧) تاريخ مدينة دمشق ٥٤ : ٢٧٦ .

وعن ابن عساكر : الكنجي الشافعي ، قال : « هذا حديث ذكره محدث الشام في مناقبه كما أخرجناه ، وسنده معروف عند أهل النقل »^(٢٣٨) .

وأرسله ابن حجر المكي إرسال المسلم فقال : « وكفاه شرفاً أن ابن المديني روى عن جابر... »^(٢٣٩) فلو لم يكن الخبر صحيحاً عنده لما أرسله ولما جعله ممّا « كفاه شرفاً » !
ورواه كمال الدين محمد بن طلحة ، وهو من المتقدمين على الذهبي^(٢٤٠) وهو من الأئمة الفقهاء الأعلام ، ترجم له الذهبي نفسه في غير واحد من كتبه وأثنى عليه ، وكذلك غيره في كثير من المصادر ، لا سيّما الكتب المؤلفة في طبقات فقهاء الشافعية.

أقول :

إنّ هذا الخبر إنّما هو فضيلة من فضائل أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وتكذيب الذهبي - برمي الغلابي بالكذب - جري على عادته في ردّ فضائلهم عليهم السلام حتّى نسب إلى النصب.
ولكنّي رأيت بعضهم يردّ خبر إبلاغ جابر الإمام الباقر السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ، لأنّ فرقة من الشيعة - اخترعها وسمّاها بالباقرية - استدلت به على أنّ الباقر عليه السلام هو « المهدي المنتظر » فقالت هذه الطائفة : « ما أقرأه السلام إلّا وهو المنتظر المهدي » قال : « يقال لهم بعد صحّة الخبر : ينبغي أن يكون أويس القرني مهدياً منتظراً ، لأنّه صحّ... »^(٢٤١) .
ألا سائل يسأل الصفدي : من هذه الفرقة؟! وأين كانت؟! ومن أسسها؟! ومن أين نقلت هذا الاستدلال؟!...

ثمّ يقال له : إنّ في ذيل الخبر - عند ابن عساكر - : « يا جابر ، أعلم أنّ المهدي من ولده ، واعلم - يا جابر - أن بقاءك بعده قليل ».

فلماذا كلّ هذا السعي وراء ردّ فضيلة من فضائل العترة حتّى بالافتراء والتزوير؟!
وثالثاً : أنا لو تنزّلنا عن جميع ما ذكر ، وسلّمنا ضعف طريق حديث حذيفة ، ففي الاحتجاج بحديث غيره كفاية ، فقد رأينا أنّ ابن عساكر - الذي طعن في حديث ابن عباس - لم يطعن في حديث زيد بن أرقم ، وحديث أبي ذرّ ، كما لم يطعن في حديث حذيفة.

(٢٣٨) كفاية الطالب : ٤٤٨ .

(٢٣٩) الصواعق المحرقة : ٣٠٤ .

(٢٤٠) مطالب السؤل في مناقب آل الرسول : ٢٨١ .

(٢٤١) هو الصفدي ، انظر : الوافي بالوفيات ٤ : ١٠٢ - ١٠٣ .

ورابعاً : لو سلّمنا ضعف أسانيد جميع هذه الأحاديث ، فقد تقرّر عندهم أنّ هكذا حديث - حتى لو كان كلّ طريقه ضعيفة - حجة :

قال المنّاوي - بعد الكلام على بعض الأخبار ردّاً على ابن تيميّة - : « وهذه الأخبار وإن فرض ضعفها جميعاً ، لكن لا ينكر تقويّ الحديث الضعيف - بكثرة طرقه وتعدّد مخرجه - إلاّ جاهل بالصناعة الحديثية أو معاند متعصّب ، والظنّ به أنّه من القبيل الثاني » (٢٤٢) .

قلت :

بل هو اليقيني في مثل ابن تيميّة والذهبي ! بالنظر إلى ما أسلفنا باختصار من ذكر ترجمتهما وتصريح غير واحد من الأعلام بكونهما معاندين يتكلّمان بالتعصّب والهوى .
* وقد قلّدهما في الطعن في الأحاديث بهذه الطريقة بعض المعاصرين ، ثمّ أصبح - بدوره - قدوة لبعض الناشئة من الكتّاب... وهو الشيخ ناصر الدين الألباني ، قال :

« ٨٩٤ - من سرّه أن يحيا حياقي... »

موضوع ، أخرجه أبو نعيم ١ : ٨٦ من طريق... وقال : وهو غريب .

قلت : وهذا إسناد مظلم ، كلّ من دون ابن أبي رواد مجهولون ، لم أجد من ذكرهم ، غير أنّه يترجح عندي أنّ أحمد بن محمّد بن يزيد بن سليم إمّا هو : ابن مسلم الأنصاري الأترابلسي المعروف بابن أبي الحناجر ، قال ابن أبي حاتم ٢ : ١٤٤/٧٣ كتبنا عنه وهو صدوق ، وله ترجمة في تاريخ ابن عساكر ٥ : ٤٦٨ .

وأما سائرهم فلم أعرفهم ، فأحدهم هو الذي اختلق هذا الحديث الظاهر البطلان والتركيب . وفضل عليّ رضي الله عنه - أشهر من أن يستدلّ عليه بمثل هذه الموضوعات التي يتشبّث الشيعة بها ، ويسوّدون كتبهم بالعشرات من أمثالها ، مجادلين بها في إثبات حقيقة لم يبق اليوم أحد يجحدها ، وهي فضيلة عليّ رضي الله عنه .

ثمّ الحديث عزاه في الجامع الكبير ٢ / ٥٣ / ١ للرافعي أيضاً عن ابن عباس . ثمّ رأيت ابن عساكر أخرجه في تاريخ دمشق ١٢ / ١٣٠ / ٢ من طريق أبي نعيم ثمّ قال عقبه : هذا حديث منكر ، وفيه غير واحد من المجهولين .

قلت : وكيف لا يكون منكراً ، وفيه مثل ذلك الدعاء : لا أنالهم الله شفاعتي ، الذي لا يعهد مثله عن النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم ، ولا يتناسب مع خلقه صلى الله عليه [وآله] وسلّم ورأفته ورحمته بأمتّه .

(٢٤٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣ : ١٧٠ .

وهذا الحديث من الأحاديث التي أوردها صاحب المراجعات ، عبد الحسين الموسوي ، نقلا عن كنز العمال ١١ : ٦١١ و ١٢ : ١٠٣ ، موهماً أنه في مسند الإمام أحمد ، معرضاً عن تضعيف صاحب الكنز إياه تبعاً للسيوطي .

أقول :

هذه عبارته حول هذا الحديث ، وهي قطعة من كلام طويل له ، تعرّض فيه بالنقد لبعض الأحاديث التي احتجّ بها السيّد في هذه المراجعة... وقد أورد الدكتور السالوس كلام هذا الشيخ بطوله في هامش كتيبه حول حديث الثقلين^(٢٤٣) . وفيه مواقع للنظر.

أولها : في حكمه بوضع هذا الحديث إستناداً إلى أنّ « كلّ من دون ابن أبي رواد مجهولون... فلم أعرفهم ، فأحدهم هو الذي اختلق هذا الحديث » إذ إنّه باطل ومردود بوجوه :

١ - إنّ الذي أخرج الحديث في كتابه بواسطة مشايخه ، وكان أقرب عهداً وأكثر معرفة برواته - وهو الحافظ أبو نعيم - لم يرم الحديث بالضعف فضلا عن الوضع ، بل غاية ما هنالك أنّه قال : « وهو غريب ».

وقد بيّنا المراد من « الغريب » في اصطلاح علم الحديث ، والشيخ غير جاهل بذلك قطعاً.

٢ - إنّ قد نبّه الحافظ ابن عساكر من قبل على أنّ : « فيه غير واحد من المجهولين » ولم يحكم على الحديث إلاّ بأنّه « منكر » ، وقد عرفنا معنى هذه الكلمة اصطلاحاً ، فهل انكشف للشيخ ما خفي على ابن عساكر فأضاف أنّه : « موضوع » ؟!

٣ - إنّ لنا أن نسأل الشيخ عن المبرّر لنسبة « الإختلاق » إلى « من لا يعرفه » وأنّه هل وصل إلى مرحلة من « المعرفة » !! تجوّز له إلحاق من لم يعرفه بمن يعرفه بالاختلاق ؟!

وثانيها : في قوله - في الحديث - : « الظاهر البطلان والتركيب ، وفضل عليّ رضي الله عنه - أشهر من أن يستدلّ عليه بمثل هذه الموضوعات التي يتشبّث الشيعة بها ، ويسوّدون كتبهم بالعشرات من أمثالها... » فإنّ هذا الحديث واحد من عشرات الأحاديث المتفق عليها ، ومن النصوص الدالّة على إمامة أمير المؤمنين وأئمة أهل البيت عليهم السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم ، كما لا يخفى على من تأمّل في ألفاظها ، ولذا يعدّ عند هذا الشيخ النجيب ! وأمثاله من أتباع ابن الجوزي « ظاهر البطلان والتركيب » !!

ثمّ الأجدر بنا أن نمرّ على سائر ما في هذه العبارة « كراماً » ولا نقول إلاّ « سلاماً ».

(٢٤٣) حديث الثقلين وفقهه ، هامش ص : ٢٨ عن سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، الجزء الثاني.

وثالثها : في قوله : « وكيف لا يكون منكراً ؟ وفيه مثل ذلك الدعاء... ولا يتناسب مع خلقه... » فإنه غفل أو تغافل عن المراد من « منكر » ، وقد ذكرنا أنه اصطلاح في علم الحديث وبيّنا معناه... وأمّا أنّ مثل هذا الدعاء لا يتناسب مع خلق النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فكلام بارد جداً ، لأنّ من كذب بفضل العترة النبويّة الهاديّة ولم يقتد بها فهو ضالّ ، و(ماذا بعد الحقّ إلا الضلال)^(٢٤٤) ، ومن قطع فيهم صلة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان من الّذين (يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)^(٢٤٥) ، وحينئذ (فما تنفعهم شفاعة الشافعين)^(٢٤٦) وكيف تنال شفاعة النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أعرض عن أهل بيته الطاهرين وهو القائل في حقّ الثقلين : « ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا » !؟

وأما دعاؤه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على بعض الناس ، ولعنته البعض الآخر... فموارده في سيرته المباركة غير قليلة ، ومن اليسير الوقوف عليه بأدنى مراجعة.

ورابعها : قوله أخيراً : « وهذا الحديث من الأحاديث التي أوردتها صاحب المراجعات... موهماً... » فإنه فرية واضحة ، إذ ليس في كلام السيّد أيّ إيهام بكون الحديث في مسند أحمد ، كما أنّا راجعنا « كنز العمّال » ونقلنا عبارته سابقاً ولم نجد في ذلك الموضوع تضعيفاً منه للحديث !!

*** وأما الحديث الثاني فقد أخرجه عدا من ذكر من الأعلام :**

الإمام أبو جعفر الطبري - في منتخب ذيل المذيل : ٨٣ ، في ذكر من روى عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من همدان - : « حدّثني زكريّا بن يحيى ابن أبان المصري ، قال : حدّثنا أحمد بن أشكاب ، قال : حدّثنا يحيى بن يعلى المحاربي ، عن عمّار بن رزيق الضبيّ ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن زياد بن مطرف ، قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول :

من أحبّ أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنّة التي وعدني ربّي ، قضباناً من قضبانها غرسها في جنة الخلد ، فليتولّ عليّ بن أبي طالب وذريّته من بعده ، فإنّهم لن يخرجوهم من باب هدّي ، ولن يدخلوهم في باب ضلالة ».

والحافظ الطبراني ، فقد قال الهيثمي : « وعن زياد بن مطرف ، عن زيد بن أرقم ، وربّما لم يذكر زيد بن أرقم ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : من أحبّ... رواه الطبراني ، وفيه : يحيى بن يعلى الأسلمي ، وهو ضعيف »^(٢٤٧).

(٢٤٤) سورة يونس ١٠ : ٣٢ .

(٢٤٥) سورة الرعد ١٣ : ٢٥ .

(٢٤٦) سورة المدّثر ٧٤ : ٤٨ .

(٢٤٧) مجمع الزوائد ٩ : ١٠٨ .

والمُتَّقِي الهندي ، عن مطين ، والباوردي ، وابن شاهين ، وابن مندة ، عن زياد بن مطرف . قال : « وهو واه »^(٢٤٨) .

فهؤلاء كلهم رووا هذا الحديث عن (زياد بن مطرف) عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، ولم نعرف تضعيفاً منهم لسنده إلا من الهيثمي والمُتَّقِي ، وليس إلا لـ « يحيى بن يعلى الأسلمي » .

فظهر :

١ - إنَّ هذا الحديث غير الحديث الآتي .

٢ - إنَّ مخرَّجي هذا الحديث جماعة من الأعلام ، ولم يطعن أحد منهم في سنده .

٣ - إنَّه لم يضعف أحد من رجاله إلا « يحيى بن يعلى الأسلمي » ، وسيأتي تحقيق الحال في ذلك .

* وأما الحديث الثالث فيختلف عن الثاني من وجوه :

أحدها : المتن ، كما لا يخفى على من قارن بين لفظيهما .

والثاني : الصحابي الراوي .

والثالث : الأعلام المخرَّجون ، فذاك لم يكن الحاكم وأبو نعيم من رواته ، وهذا لم يروه الأئمة الرواة

لذلك .

والرابع : التنصيص من بعض المخرَّجين على صحَّة هذا ، دون ذلك .

ولهذه الأمور وغيرها أفرد المُتَّقِي في كتابيه رواية كلِّ منهما عن الآخر واختلف تعبيره عنهما .

وهذا الحديث - كما ذكر السيّد رحمه الله - أخرجه الحاكم وصحَّحه حيث قال : « حدّثنا بكر بن

محمّد الصيرفي بهرو ، ثنا إسحق ، ثنا القاسم بن أبي شيبه ، ثنا يحيى بن يعلى الأسلمي ، ثنا عمّار بن

رزيق ، عن أبي إسحاق ، عن زياد بن مطرف ، عن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : من يريد أن يحيى حياتي ، ويموت موتي ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربّي ،

فليتولّ عليّ بن أبي طالب ، فإنّه لن يخرجكم من هدّي ، ولن يدخلكم في ضلالة .

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه «^(٢٤٩) .

وأخرجه الحافظ أبو نعيم ، قال : « حدّثنا محمّد بن أحمد بن عليّ ، قال : ثنا محمّد بن عثمان

بن أبي شيبه ، قال : ثنا إبراهيم بن الحسن التغلبي ، قال : ثنا يحيى بن يعلى الأسلمي ، قال : ثنا عمّار

بن رُزَيْق ، عن أبي إسحاق ، عن زياد بن مطرف ، عن زيد بن أرقم ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

[وآله] وَسَلَّمَ...

(٢٤٨) كنز العمّال ١١ : ٦١١ رقم ٣٢٩٦٠ ، منتخب كنز العمّال هامش مسند أحمد ٥ : ٣٢ .

(٢٤٩) المستدرک على الصحيحين ٣ : ١٢٨ .

غريب من حديث أبي إسحاق تفرّد به يحيى عن عمّار.

وحدّث به أبو حاتم الرازي ، عن أبي بكر الأعين ، عن يحيى الحماني عن يحيى بن يعلى.

وحدّثناه محمّد بن أحمد بن إبراهيم ، قال : نا الوليد بن أبان ، قال : نا أبوحاتم به»^(٢٥٠) .

وأخرجه الحافظ ابن عساكر بإسناده عن : « يحيى بن عبد الحميد الحماني ، أنبأنا يحيى بن يعلى ، عن عمّار بن رزيق ، عن أبي إسحاق ، عن زياد ابن مطرف ، عن زيد بن أرقم ، قال : قال النبيّ صَلَّى اللهُ عليه [وآله] وسلّم... »^(٢٥١) .

وأخرجه الطبراني ، وعنه المتقي الهندي ، فإنّه بعد أن رواه قال : « طب ، ك وتعقب ، وأبو نعيم في فضائل الصحابة ، عن زيد بن أرقم »^(٢٥٢) .

تحقيق السند :

أقول : والمراد من « تعقّب » ما ذكره الذهبي في (تلخيصه) : « قلت : أتى له الصّحة ؟ والقاسم متروك ، وشيخه ضعيف ، واللفظ ركيك. فهو إلى الوضع أقرب »^(٢٥٣) .

و« القاسم » هو « القاسم بن أبي شيبّة ». و « شيخه » هو : « يحيى بن يعلى الأسلمي ».

أقول :

لكنّ « القاسم » - سواءً كان متروكاً أو غير متروك - غير موجود في غير الحاكم من طرق الحديث ، ولذا كان الإشكال من ناحية « يحيى بن يعلى الأسلمي » فقط.

لكنّ هذا الإشكال مندفع كذلك لوجوه :

الاول : إنّ الحافظين أبا نعيم وابن عساكر لم يتكلّموا في سند هذا الحديث أصلاً ، وقد رأينا ابن عساكر كيف نبّه - في الحديث الأوّل - على أنّ « فيه غير واحد من المجهولين » ، فلو كان « يحيى » هذا ضعيفاً لكان أولى بالتنبيه عليه. ورأينا أيضاً كيف يذكر أبو نعيم للحديث طرقات عدّة ، عن جماعة من الأعلام ، ولا يتعرّض لشيء قادح في سنده. أمّا قوله : « غريب من حديث أبي اسحاق » فقد عرفت معناه . على أنّ « أبا إسحاق » - وهو السبيعي - غير موجود في بعض الطرق الأخرى.

(٢٥٠) حلية الأولياء ٤ : ٣٤٩ - ٣٥٠ .

(٢٥١) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٤٢ وفيه : عمّار بن مطرف ، وهو غلط .

(٢٥٢) كنز العمّال ١١ : ٦١١ الحديث رقم ٣٢٩٥٩ ، منتخبه على هامش مسند أحمد ٥ : ٣٢ .

(٢٥٣) تلخيص المستدرک - على هامشه - ٣ : ١٢٨ .

والثاني : إنّ تضعيف « يحيى بن يعلى الأسلمي » معارض بتصحيح الحاكم للحديث ، الدالّ على ثقته.

والثالث : إنّ الرجل من رجال البخاري في « الأدب المفرد » والترمذي في (صحيحه) ومن مشايخ كثير من الأعلام ، كأبي بكر ابن أبي شيبة وأقرانه^(٢٥٤) .

والرابع : إنّ غاية ما هناك تعارض الجرح والتعديل في حقّ الرجل ، لكنّ الجرح هو « أبو حاتم » القائل : « ضعيف الحديث ، ليس بالقويّ » وابن حبان القائل في « الضعفاء »: « يروي عن الثقات المقلوبات ، فلا أدري ممّن وقع ذلك ، منه أو من الراوي عنه أبي ضرار بن سرد ، فيجب التنكّب عمّا روى » والبزّار القائل : « يغلط في الأسانيد » والبخاري القائل : « مضطرب الحديث »^(٢٥٥) .

قلت :

أمّا كلام البخاري والبزّار ، فليس بقدرح في الرجل نفسه.

وأما كلام ابن حبان فيعارضه أنّه أخرج له حديثاً في صحيحه كما ذكر ابن حجر ، على أنّ كلامه في الرجل يشبه كلامه في « محمّد بن الفضل السدوسي ، أبو النعمان ، عارم » إذ قال في حقّه : « اختلط في آخر عمره وتغيّر حتّى كان لا يدري ما يحدث به فوقع في حديثه المناكير الكثيرة ، فيجب التنكّب عن حديثه فيما رواه المتأخرون ، فإذا لم يعلم هذامن هذا ترك الكلّ ، ولا يحتجّ بشي منها » فقال الذهبي في مقام ترجيح تعديل الدارقطني على هذا الكلام : « فأين هذا القول من قول ابن حبان الخساف المتهور في عارم فقال : اختلط... »^(٢٥٦) .

وأما قدرح أبي حاتم فمردود بكلام الذهبي أيضاً ، وقد تقدّم.

والخامس : إنّ السبب الأصلي للطعن في الرجل هو التشييع ، وهذا ما أفصح عنه ابن عدّي ، إذ إنّّه لم يقل فيه إلّا : « كوفي ، من الشيعة »^(٢٥٧) ... كما سيأتي التصريح بذلك من الألباني.. فهذا ذنب هذا الرجل

!!

وتلخص : أنّه لا موجب للطعن والقدرح في الرجل ، وإنّ الذين تكلموا فيه لا يعبأ بكلامهم ، لا سيّما في مقابل اعتماد الترمذي والحاكم وكبار الأئمة السابقين واللاحقين عليه...

(٢٥٤) تهذيب التهذيب ١١ : ٢٦٦ .

(٢٥٦) ميزان الاعتدال ٤ : ٨ .

(٢٥٧) تهذيب التهذيب ١١ : ٢٦٦ .

وأما طعن الهيثمي والمتقي وأمثالهما فيسقط عن الاعتبار ، بعد الوقوف على العلة الأصلية لما قاله المتقدمون فيه...

ثم إنه - وبعد الفراغ عن إثبات اعتبار هذا الحديث سنداً - لولا قوة دلالة على مطلوب أهل الحق لما قال الذهبي : « واللفظ ركيك ، فهو إلى الوضع أقرب » فلاتغفل !!

* وهنا أيضاً يعترض الشيخ ناصر الدين الألباني على السيد رحمه الله فيقول :

« موضوع ، رواه أبو نعيم في الحلية ٣٤٩/٤ - ٣٥٠ و ٣٥٠ ، والحاكم ١٢٨/٣ ، وكذا الطبراني في الكبير ، وابن شاهين في شرح السنة ٢/٦٥/١٨ من طرق عن زيد بن أرقم - زاد الطبراني : وربما لم يذكر زيد بن أرقم - قال : قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ، فذكره . وقال أبو نعيم : غريب من حديث أبي إسحاق ، تفرّد به يحيى .

قلت : وهو شيعي ضعيف ، قال ابن معين : ليس بشي . وقال البخاري : مضطرب الحديث ، وقال ابن أبي حاتم ١٩٦/٢/٤ عن أبيه : ليس بالقويّ ضعيف الحديث . والحديث قال الهيثمي في المجمع ١٠٨/٩ : رواه الطبراني وفيه : يحيى ابن يعلى الأسلمي ، وهو ضعيف . قلت : وأما الحاكم فقال : صحيح الإسناد . فردّه الذهبي بقوله : قلت : أتى له الصّحة ؟ والقاسم متروك وشيخه (يعني الأسلمي) ضعيف ، واللفظ ركيك ، فهو إلى الوضع أقرب .

وأقول : القاسم - وهو ابن أبي شيبه - لم يتفرّد به ، بل تابعه راويان آخران عند أبي نعيم . فالحمل فيه على الأسلمي وحده دونه . نعم ، للحديث عندي علّتان أخريان :

الاولى : أبو إسحاق ، وهو السبيعي ، فقد كان اختلط مع تدليسه ، وقد عنعنه .

الأخرى : الاضطراب في إسناده منه أو من الأسلمي ، فإنّه تارةً يجعله من مسند زيد بن أرقم ، وتارةً من مسند زياد بن مطرف ، وقد رواه عنه مطينّ والباوردي وابن جرير وابن شاهين في الصحابة . كما ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة وقال : قال ابن مندة : لا يصح .

قلت : في إسناده يحيى بن يعلى المحاربي وهو واه .

قلت : وقوله (المحاربي) سبق قلم منه ، وإمّا هو (الأسلمي) كما سبق ويأتي .

تنبيه : لقد كان الباعث على تخريج هذا الحديث ونقده ، والكشف عن علّته ، أسباب عدّة ، منها : أنّي رأيت الشيخ المدعوّ بعبد الحسين الموسوي الشيعي قد خرّج الحديث في مراجعته ص ٢٧ تخريجاً أوهم به القراء أنّه صحيح كعادته في أمثاله . واستغلّ في سبيل ذلك خطأ قلميّاً وقع للحافظ بن ابن حجر رحمه الله ، فبادرت إلى الكشف عن إسناده وبيان ضعفه ، ثمّ الردّ على الإيهام المشار إليه ، وكان ذلك منه على وجهين ، فأنا أذكرهما معقّباً على كلّ منهما ببيان ما فيه فأقول :

الأول : إنّه ساق الحديث من رواية مطيّن ومن ذكرنا معه نقلا عن الحافظ من رواية زياد بن مطرف ، وصدّره برقم ٣٨. ثمّ قال : ومثله حديث زيد بن أرقم... فذكره ورقم له بـ٣٩. ثمّ علّق عليهما مبيناً مصادر كلّ منهما ، فأوهم بذلك أنّهما حديثان متغايران إسناداً ، والحقيقة خلاف ذلك...

والآخر : إنّه حكى تصحيح الحاكم للحديث دون أن يتبعه ببيان علّته ، أو على الأقلّ دون أن ينقل كلام الذهبي في نقده ، وزاد في إيهام صحّته أنّه نقل عن الحافظ قوله في الإصابة : قلت : في إسناده : يحيى بن يعلى المحاربي ، وهو واه. فتعقّب عبد الحسين بقوله : أقول : هذا غريب من مثل العسقلاني... فأقول : أغرب من هذا الغريب أن يدير عبد الحسين كلامه في توهيمه الحافظ في توهينه للمحاربي ، وهو يعلم أنّ المقصود بهذا التوهين إنّما هو الأسلمي وليس المحاربي...» (٢٥٨).

أقول :

وفيه مواقع للنظر :

أما أولاً : فقد سبق أنّ أبا نعيم لم يقل في هذا الحديث إلّا « غريب.. » وقد بيّنا المراد من « الغريب » في الإصطلاح. كما سبق أنّ ابن عساكر روى الحديث من دون طعن في سنده. ونحن نعتد على كلام هؤلاء ، لكونهم أئمّة في الحديث وأقرب عهداً وأكثر معرفة برواته ، ولا نعبأ بتضعيف المتأخّرين عنهم فضلا عن الحكم بالوضع !

وأما ثانياً : فإنّ « يحيى بن يعلى الأسلمي » لا ذنب له إلّا التشييع ، كما سبق ، وكما اعترف هذا الشيخ... وقد حقّقنا حاله على ضوء كلمات أعلام القوم.

وأما ثالثاً : فإنّ أبا إسحاق السبيعي مع أنّه قد اختلط في آخر عمره ، وكان يدلس... من رجال الصحيحين ، فقد ذكر الحافظ ابن القيسراني تحت عنوان : « من اسمه عمرو عندهما » : « ١٣٩٣ : عمرو بن عبد الله بن ذي محمد ، ويقال : ابن عبد الله بن عليّ ، الهمداني السبيعي الكوفي ... » ثمّ ذكر مشايخه عند البخاري ومسلم ، ثمّ قال : « قال شريك : سمعت أبا إسحاق يقول : ولدت في سنتين من إمارة عثمان. وقال أبو بكر بن عيَّاش . دفنّا أبا إسحاق سنة ستّ أو سبع وعشرين ومائة » (٢٥٩).

بل في تهذيب التهذيب : « ع (الستّة) : عمرو بن عبد الله... أبو إسحاق السبيعي الكوفي... » (٢٦٠)

(٢٥٨) حديث الثقلين وفقهه ، هامش ص ٣٠ عن سلسلة الأحاديث للألباني.

(٢٥٩) الجمع بين رجال الصحيحين ١ : ٣٦٦ .

(٢٦٠) تهذيب التهذيب ٨ : ٥٦ .

فهو من رجال الصحاح الستة عندهم... والطعن فيه طعن فيها... لكن الشيخ يتكلم وكأنه أفهم ،
وأعلم ، وأبصر ، وأخبر... من أصحابها...!!

وأما رابعاً : فإننا قد بيّنا أنّ هنا حديثين متغايرين متناً وإسناداً ...

وحتى لو فرضنا - جدلاً - اتّحاد الحديث ووحده ، فلماذا يتجاهل الشيخ أنّ الشكّ في
اسم الصحابي الراوي للحديث لا يضرّ باعتباره عندهم... وكم لهذا المطلب من نظير في أحاديثهم...!!

فالتعبير بالاضطراب ، وجعل ذلك علّةً للحديث... باطل... على كلّ تقدير...

وأما خامساً : فإنّ السيّد لم يكن في شيء من هذه المواضع بصدد تصحيح ما يحتجّ به سنداً، كي
يحتاج إلى استغلال خطأ قلمي وقع للحافظ ابن حجر العسقلاني... وإمّا نبه على السهو الواقع منه
مستغرباً منه... لا أكثر... فلماذا هذه الحملة الظالمة؟! أليس المقصود منها تضييع الحقوق وإنكار
الحقائق؟!

وأما الحديث الرابع فقد قال المتّقّي الهندي بعد روايته :

« طب وابن عساكر - عن أبي عبيدة بن محمّد بن عمّار بن ياسر ، عن أبيه ، عن جدّه »^(٢٦١) .

تحقيق السند :

أقول :

أما رواية الطبراني فقد قال الهيتمي بعد الحديث :

« رواه الطبراني بإسنادين ، أحسب فيهما جماعةً ضعفاء ، وقد وثّقوا »^(٢٦٢) .

وفي هذه العبارة مطالب :

الأوّل : إنّ الطبراني روى الحديث بإسنادين لا بإسناد واحد.

والثاني : إنّ الطبراني لم يطعن في شيء من الإسنادين.

والثالث : إنّ رجال الإسنادين قد وثّقوا ، ويكفينا إخباره بذلك عن النظر في توهمه !! أنّ فيهما

جماعةً ضعفاء.

وأما رواية ابن عساكر فهي بإسنادين كذلك^(٢٦٣) ، والملاحظ :

١ - إنّ في الإسنادين غير واحد من أعلام الحفاظ.

٢ - إنّ ابن عساكر لم يطعن في شيء منهما.

(٢٦١) كنز العمّال ١١ : ٦١٠ ح ٣٢٩٥٣ .

(٢٦٢) مجمع الزوائد ٩ : ١٠٩ .

(٢٦٣) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٤٠ .

إذن ، يكفينا شهادة الهيثمي ، وسكوت كل من ابن عساكر والمتقي ، إذ لو كان موضع للقدح لأفصحا به.

وروى أبو عبد الله الكنجي الشافعي الحافظ هذا الحديث في المناقب بإسناد له وقال : « حديث عال حسن مشهور أسند عند أهل النقل »^(٣٦٤).

* وأما الحديث الخامس فقال المتقي الهندي بعد أن رواه :

« طب - عن محمد بن أبي عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عمّار »^(٣٦٥).

أقول :

وأخرجه ابن عساكر من طريق الطبراني حيث قال :

« أخبرنا أبو عليّ الحدّاد ، أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن ريذه ، أنبأنا سليمان بن أحمد الطبراني ، أنبأنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، أنبأنا أحمد بن طارق الوابشي ، أنبأنا عمرو بن ثابت ، عن محمد بن أبي عبيدة ابن محمد بن عمّار بن ياسر ، عن أبيه أبي عبيدة ، عن محمد بن عمّار بن ياسر ، عن أبيه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم : من آمن بي وصدّقني ، فليتولّ عليّ بن أبي طالب ، فإنّ ولايته ولايتي ، وولايتي ولاية الله »^(٣٦٦).

ثم رواه بطريقين آخرين فقال :

« أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي ، أخبرنا أبو القاسم بن مسعدة ، أنبأنا حمزة بن يوسف ، أنبأنا أبو أحمد بن عديّ ، أنبأنا محمد بن عبيد الله بن فضيل ، أنبأنا عبد الوهّاب بن الضحّاك ، أنبأنا ابن عيّاش ، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر ، عن أبيه عن جدّه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم...

قال : وأنبأنا أبو أحمد ، أنبأنا جعفر بن أحمد بن عليّ بن بيان ، أنبأنا يحيى ابن عبد الله بن بكير ، حدّثني ابن لهيعة ، حدّثني محمد بن عبد الله ، عن أبي عبيدة... »^(٣٦٧).

(٣٦٤) كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب : ٧٤ .

(٣٦٥) كنز العمّال ١١ : ٦١١ ح ٣٢٩٥٨ .

(٣٦٦) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٣٩ .

(٣٦٧) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٣٩ .

تحقيق السند :

أقول :

ولا يخفى أن أكثر رجال هذه الأسانيد أئمة حفاظ أعلام ، ولولا خوف الإطالة لترجمناهم ، كي يزداد شأن هذه الأحاديث ، والمضمون الذي اشتملت عليه وضوحاً وتبيناً.

* وقد قيل - في الردّ على الحديث الرابع - ما هذا نصّه :

« هذا الحديث رواه الطبراني بإسنادين ، أحسب فيهما جماعةً ضعفاء :

عن أبي عبيدة بن محمّد بن عمّار بن ياسر ، عن أبيه ، عن جدّه (المنتخب : ٣٢) .

عن محمّد بن أبي عبيدة بن محمّد بن عمّار بن ياسر ، عن أبيه ، عن جدّه عمّار (المراجعات : ٢١

).

لم يثبت أن لأبي عبيدة بن محمّد بن عمّار ولداً اسمه (محمّد) روى عنه ، كما أنّه قد اختلف في

أبي عبيدة هذا ، هل هو سلمة بن محمّد بن عمّار ؟ أم أخ له ؟

وقد اختلف في توثيقه أيضاً ، فقال ابن معين : ثقة. وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : منكر الحديث

ولا يسمّى. وقال في موضع آخر : صحيح الحديث. وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل : أبو عبيدة هذا ثقة.

أمّا محمّد بن عمّار ، فقد أورد ابن حجر في تهذيب التهذيب : أنّه كان يرسل الحديث فيرفعه إلى

النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم دون ذكر أبيه عمّار.

وعلى هذا ، فإن الحديث مضطرب السند ، ولم يخرج أحد من أصحاب الصحاح والمسانيد المعتمدة

«.

أقول :

ولا يخفى فساد هذا النقد :

أمّا أولاً : فإنّ جملة : « رواه الطبراني بإسنادين... » هي كلام الحافظ الهيثمي ، وقد نقلناها آنفاً ،

إلا أنّ هذا المفترى حرّفها وأسقط منها اعترافه بأنّ رجال الحديث « وثقوا » وأبقى جملة : « أحسب

فيهما جماعةً ضعفاء » لكنّه حذف اسم الحافظ الهيثمي ليوهم أنّ الكلام له دونه.

وأما ثانياً : إنّ هذه الأحاديث من أدلّة ثبوت « محمّد بن أبي عبيدة » ولم أجد في رواة أحاديث

الباب من يطعن فيها من هذه الناحية ، ويكفيها قول الهيثمي : « وثقوا » إذ التوثيق فرع الثبوت كما

هو واضح.

وأما ثالثاً : فالاختلاف في اسم أبي عبيدة بعد توثيقه غير مضرّ.

وأما رابعاً : فإنَّ الرجل لم يورد طعنًا في وثاقة أبي عبيدة. أما يحيى بن معين وعبد الله فقد وثَّقه.
وأما أبو حاتم - وبعد غُضِّ النظر عمَّا ذكر الذهبي في تجريحاته - فكلامه متعارض... فأين الجرح؟!
وأما خامساً : فما نقله عن « تهذيب التهذيب » لا يضرُّ بوثاقة الرجل ، وقد كتم هذا الرجل ما
أورده ابن حجر ممَّا يدلُّ على وثاقته^(٢٦٨) ، وأنَّ ابن حبان ذكره في الثقات ، ولهذا كلَّه قال ابن حجر نفسه
بترجمته : « مقبول »^(٢٦٩) .

تحقيق سند حديث أحمد :

* قال السيّد رحمه الله - في آخر هامش الحديث الأوّل - :

« ونقل نحوه في ص ٤٤٩ عن أبي عبد الله أحمد بن حنبل في كلِّ من مسنده وكتاب مناقب عليّ
بن أبي طالب »^(٢٧٠) .

أقول :

أما الحديث في « الفضائل » لأحمد^(٢٧١) فهذا نصه :

« حدّثنا الحسن ، قال : ثنا الحسن بن عليّ بن راشد ، نا شريك ، قال : ثنا الأعمش ، عن حبيب
بن أبي ثابت ، عن أبي الطفيل ، عن زيد بن أرقم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم : من
أحبَّ أن يستمسك بالقضيب الأحمر الذي غرسه الله عزَّ وجلَّ في جنَّة عدن بيمينه ، فليتمسك بحبِّ عليّ
بن أبي طالب »^(٢٧٢) .

ورواه عن أحمد غير واحد من الأعلام^(٢٧٣) .

وهذا الحديث أخرجه : الدارقطني ; قال السيوطي : « الدارقطني : حدّثنا الحسن بن عليّ بن
زكريّا ، حدّثنا الحسين^(٢٧٤) بن راشد ، حدّثنا شريك... الحسن هو العدويّ الوضاع ، سرقه من إسحاق »^(٢٧٥)

(٢٦٨) تهذيب التهذيب ٩ : ٣١٩ .

(٢٦٩) تقريب التهذيب ٢ : ١٩٣ .

(٢٧٠) المراجعات : ٢٠ .

(٢٧١) في مراجعة سريعة لكتاب « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » لم نهند إلى موضع الحديث في مسند أحمد ، ولا ندرى ما إذا
كان موجوداً فيه ولم نعثر عليه ، أو أسقط فيما أسقط من أحاديث المسند !!

(٢٧٢) فضائل الصحابة : ٢ : ٦٦٤ رقم الحديث ١١٣٢ .

(٢٧٣) كسب ابن الجوزي في التذكرة : ٥١ ، وابن أبي الحديد في الشرح : ٩ : ١٦٨ ، والقندوزي في الينابيع : ١ : ١/٣٧٩ ، و ٢ : ٣٧٠/٤٨٦ .

(٢٧٤) كذا ، والصحيح هو : « الحسن » . كما في تهذيب الكمال : ٦ : ٢١٥ وتهذيب التهذيب ٢ : ٢٥٦ .

وابن عساكر... قال : « أخبرنا أبو غالب ابن البتاء ، أنبأنا أبو محمّد الجوهري ، أنبأنا محمّد بن العباس بن حيويه الخزاز ، أنبأنا الحسن بن عليّ بن زكريّا ، أنبأنا الحسن بن عليّ بن راشد... »^(٢٧٦) .
قال أبو نعيم : ورواه السديّ عن زيد بن أرقم^(٢٧٧) .

قلت :

رواية السديّ ، أخرجها ابن عساكر بطريقين عن زيد بن أرقم وأبي هريرة... قال :
« أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن المسلم الرحبي ، أنبأنا خال أبي سعد الله ابن صاعد ، أنبأنا مسدّد بن عليّ ، أنبأنا إسماعيل بن القاسم ، أنبأنا يحيى بن عليّ ، أنبأنا أبو عبد الرحمن ، أنبأنا أبي ، عن السديّ ، عن زيد بن أرقم ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم...
أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر ، أنبأنا أبو سعد الجوزودي ، أنبأنا أبو الحسن عليّ بن أحمد الجيرفتي [ظ] أنبأنا أبو أحمد حمزة بن محمّد بن العباس الدهقان ببغداد ، أنبأنا محمّد بن مندة بن أبي الهيثم الأصبهاني ، أنبأنا محمّد بن بكير الحضرمي ، أنبأنا عبد الله بن عمر البلخي ، عن الفضل بن يحيى المكيّ ، عن السديّ ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم... »^(٢٧٨) .
وأخرجها السيوطي عن زيد بطريق آخر ، فإنّه قال بعد رواية الدارقطني المتقدّمة :
« قلت : له طريق آخر ، قال الشيرازي في الألقاب : أنبأنا أبو الحسن أحمد ابن أبي عمران الجرجاني ، أنبأنا كرد بن جعفر بن أحمد بن محمّد البغدادي - إملاء - حدّثنا أحمد بن أبي فروة الرهاوي ، حدّثنا إبراهيم بن عبد السلام الرهاوي ، حدّثنا عبد الملك بن دليل ، حدّثني أبي دليل ، عن السديّ ، عن زيد بن أرقم - مرفوعاً : من أحبّ...

قال ابن حبان : دليل عن السديّ عن زيد بن أرقم ، روى عنه ابنه عبد الملك نسخة موضوعة لا يحلّ ذكرها في الكتب. قال الذهبي في الميزان : منها هذا الحديث »^(٢٧٩) .
وهذا الحديث أخرجه السيوطي عن البراء بن عازب ، قال :
« الأزدي : أنبأنا عمرو بن سعيد بن سفيان ، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم النحوي ، حدّثنا يزيد بن هارون ، حدّثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء - مرفوعاً - : من أحبّ...

(٢٧٥) اللآلئ المصنوعة ١ : ٣٦٩ .

(٢٧٦) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٤٣ .

(٢٧٧) حلية الأولياء ١ : ٨٦ .

(٢٧٨) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٤٣ .

(٢٧٩) اللآلئ المصنوعة ١ : ٣٦٩ .

إسحاق يضع . قلت : قال في الميزان : هو : إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب ابن عبّاد بن العوّام الواسطي ، رآه ابن عديّ وكذّبه لوضعه الحديث ; وكذّبه الأزدي أيضاً وقال فيه : النحووي . والله أعلم»^(٢٨٠)

والفقيه الحافظ ابن المغازلي الشافعي ، عن مجاهد ، عن ابن عبّاس ، قال :
« أخبرنا أبو الحسن أحمد بن المظفر بن أحمد العطار - بقراءتي عليه فأقرّ به سنة ٤٣٤ - قلت له :
أخبركم أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن عثمان الملقّب بابن السقاء الحافظ الواسطي - رحمه الله - أخبرنا
أبو بكر ابن أبي داود - وأنا سألته - حدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن شاذان ، حدّثنا محمّد بن الصلت ،
حدّثنا الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عبّاس ، قال :

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : من أحبّ أن يتمسك بالقضيب الياقوت الأحمر الذي
غرسه الله في جنة عدن ، فليتمسك بحبّ عليّ بن أبي طالب .»

وعن السديّ ، عن ابن عبّاس :

« أخبرنا محمّد بن أحمد بن عثمان بن الفرّج ، أخبرنا أبو عمر محمّد بن العبّاس بن حيوية الخرزّاز
- إذناً - حدّثنا أبو الحسن الديباجي أحمد بن محمّد ، حدّثنا أحمد بن محمّد بن غالب ، قال : حدّثني
عبد العزيز بن عبد الله ، عن إسماعيل بن عيّاش الحمصي ، عن السديّ ، عن ابن عبّاس ، عن النبيّ صلّى
الله عليه [وآله] وسلّم... »

وعن عليّ بن الحسين عليهما السلام ، عن ابن عبّاس :

« أخبرنا أبو طالب محمّد بن أحمد بن عثمان ، أخبرنا أبو عبد الله محمّد ابن زيد بن عليّ بن
جعفر بن مروان الكوفي - قراءةً عليه في ذي الحجّة سنة ٣٧٢ - حدّثنا أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن
شاذان ، قال : حدّثني محمّد بن إسماعيل ، قال : حدّثني إسحاق بن موسى ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن
أبيه ، عن عليّ بن الحسين ، عن ابن عبّاس... »^(٢٨١) .

أقول :

فهذا الحديث مروّي عندهم في كتب كثيرة معتبرة بالأسانيد والطرق العديدة المتضاربة ، عن غير

واحد من الأصحاب ، وهم :

١ - عبد الله بن عبّاس .

(٢٨٠) اللآلي المصنوعة ١ : ٣٦٨ .

(٢٨١) مناقب عليّ بن أبي طالب : ٢١٦ - ٢١٧ .

٢ - البراء بن عازب.

٣ - زيد بن أرقم.

٤ - أبو هريرة.

فهل وضعه كل هؤلاء؟! أو بعضهم ووافق عليه غيره؟!!

ولو سلّمنا ضعف جميع طرقه وأسانيده... فقد تقدّم كلام العلامة المتأوي وله نظائر من غيره من الأعلام - ينصّ على بلوغ هكذا حديث مرتبة الحجّية ، وأنّ من ينكر هذا المعنى فهو إمّا جاهل بالصناعة ، أو معاند مكابر متعصّب...

لكنّا لا نسلّم.. وللنظر فيما ذكر في غير واحد من الطرق مجال...

* لأنّ حديث « دليل عن السديّ عن زيد » لم يطعن فيه إلّا من جهة كلام ابن حبان : « روى عنه ابنه عبد الملك نسخة موضوعة لا يحلّ ذكرها في الكتب » وتطبيق الذهبي - باجتهاده المنبعث من طريقته في ردّ فضائل أهل البيت عليهم السلام - هذه الكبرى على ما نحن فيه بقوله : « منها هذا الحديث » !!

* ولأنّ حديث « الأزدي عن البراء » استند في ردّه إلى أمرين :

أحدهما : رآه ابن عدّي وكذّبه.

والثاني : كذّبه الأزدي.

قلت :

أمّا الأوّل ففيه : أن « ابن عدّي » على هذا من أقران « إسحاق » المذكور ، وقد نصّ الذهبي على أنّ كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به ، وهذه عبارته :

« قلت : كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به ، لا سيّما إذا لاح لك أنّه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ، ما ينجو منه إلّا من عصم الله ، وما علمت أنّ عصرًا من الأعصار سلم أهله من ذلك ، سوى الأنبياء والصديقين... »^(٢٨٢).

وعليه ، فليتوقّف عن قبول رمي ابن عدّي إسحاق بما سمعت ! وأمّا الثاني ، فقد نصّ الذهبي أيضاً بسقوط جرح الأزدي ، قال : « لا يلتفت إلى قول الأزدي ، فإنّ في لسانه في الجرح رهقاً »^(٢٨٣) .
إذن ، لم يثبت جرح إسحاق.

(٢٨٢) ميزان الاعتدال ١ : ١١١ .

(٢٨٣) ميزان الاعتدال ١ : ٦١ .

على أنه قد تابعه في الحديث غيره : أخرج ابن عساكر قال :

« أخبرنا أبو غالب ابن البتاء ، أنبأنا أبو محمّد الجوهري ، أنبأنا أبو الحسين ابن المظفر ، أنبأنا محمّد بن محمّد بن سليمان ، حدّثني محمّد بن أبي يعقوب الدينوري ، أنبأنا أبو ميمون جعفر بن نصر ، أنبأنا يزيد بن هارون الواسطي... »^(٢٨٤) .

و « أبو ميمون » وإن تكلم فيه ، إلا أنّ سكوت ابن عساكر ومشايخه الذين في طريق هذا الحديث - وهم حقاظ كبار - عن الطعن يكفي في مقام الاحتجاج.

* ولأنّ حديث الدارقطني لم يطعن فيه إلا من ناحية « الحسن » قال الحافظ ابن الجوزي : « هو العدوّي الكذاب الوضّاع ، ولعلّه سرقه من النحوي »^(٢٨٥) . وقال السيوطي : « هو العدوّي الوضّاع ، سرقه من إسحاق »^(٢٨٦) .

* وكذا الحديث في « الفضائل » ، إذ لم يطعن في إسناده إلا من ناحية « الحسن » في أوله .

قلت :

إعلم أنّ القوم قد تناقضت كلماتهم واضطربت أقوالهم تجاه هذا الحديث ، بالسند الذي جاء في (الفضائل) ورواه الدارقطني الحافظ ، ونحن ننقل كلماتهم.. وعليك بالتأمّل ، ولك أن تستنتج ما حكم به عقلك وإنصافك..

لقد جاء في (الفضائل) : « حدّثنا الحسن ، قال : ثنا الحسن بن عليّ بن راشد ، قال : ثنا الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي الطفيل ، عن زيد بن أرقم... » .

وقال الدارقطني : « حدّثنا الحسن بن عليّ بن زكريّا ، حدّثنا الحسن بن راشد ، حدّثنا شريك... » .

أمّا « ابن راشد » فهو : « الحسن بن عليّ بن راشد الواسطي » قال الحافظ ابن حجر : « صدوق ، رمي بشي من التدليس . من العاشرة ، مات سنة ٣٧ » ووضع عليه علامة : أبي داود والنسائي^(٢٨٧) .

وأمّا « الأعمش » فهو من رجال الكتب الستة^(٢٨٨) .

وأمّا « حبيب » فهو من رجال الكتب الستة كذلك^(٢٨٩) .

(٢٨٤) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٤٣ .

(٢٨٥) الموضوعات ١ : ٣٨٧ .

(٢٨٦) اللآلي المصنوعة ١ : ٣٦٩ .

(٢٨٧) تقريب التهذيب ١ : ١٦٨ .

(٢٨٨) تقريب التهذيب ١ : ٣٣١ .

(٢٨٩) تقريب التهذيب ١ : ١٤٨ .

وأما « أبو الطفيل » و« زيد بن أرقم » فصحابيان.
 إذن : لا إشكال إلا من ناحية « الحسن » في أول السند.
 أما الدارقطني فقال : « حدّثنا الحسن بن عليّ بن زكريّا... ».
 وأما (الفضائل) فإنّه وإن لم يقل في حديثنا - وحديثين قبله - إلا « حدّثنا الحسن » لكنّه صرّح في
 الحديث السابق على الأحاديث الثلاثة بقوله : « حدّثنا الحسن بن عليّ البصري ».
 ثمّ إن الدارقطني لم يتكلّم في الحديث بشي غير أنّه قال : « ما كتبتّه إلاّ عنه » فلم يضعّف شيخه
 « الحسن » وهو يدلّ على كون الحديث صحيحاً عنده.
 لكنّ القوم المتعصّبين يشقّ عليهم ذلك !! فيقول ابن الجوزي عقب كلام الدارقطني : « قلت :
 وهو العدويّ الكذاب الوضّاع ، ولعلّه سرقه من النحوي ».
 ثمّ جاء السيوطي فأسقط كلام الدارقطني ، كما تمّ شهادته الضمنيّة بوثاقه شيخه « الحسن » !!
 وأسقط كلمة « لعلّ » من عبارة ابن الجوزي ، ليرمي الرجل بالسرقة عن يقين !! فقال : « الحسن هو
 العدويّ الوضّاع ، سرقة من إسحاق ».

فنقول :

أولاً : الدارقطني يشهد بوثاقه شيخه ، وهذه الشهادة لا تعارضها تلك الكلمات المضطربة الصادرة
 من الحاقدين على أهل البيت الطاهرين !
 وثانياً : إنّ الأوصاف والألقاب التي يذكرونها بتراجم الدارقطني لتكذب أن يتّخذ « كذاباً ، وضّاعاً ،
 سارقاً » شيخاً له ، فيروي عنه الأحاديث النبويّة والأحكام الشرعيّة !!
 يقولون بترجمة الدارقطني ووصفه :
 الإمام الحافظ المجوّد ، شيخ الإسلام ، علم الجهابذة... من بحور العلم ومن أئمة الدنيا ، انتهى إليه
 الحفظ ومعرفة علل الحديث ورجاله... صار واحد عصره في الحفظ والفهم والورع... فريد عصره وقريع
 دهره ونسيج وحده وإمام وقته ، انتهى إليه علوّ الأثر والمعرفة بعلم الحديث وأسماء الرجال ، مع
 الصدق والثقة... لم يأت بعد النسائي مثله... أمير المؤمنين في الحديث...^(٢٩٠) .
 وثالثاً : إنّ قول ابن الجوزي والسيوطي « هو العدويّ الوضّاع » اجتهاد في مقابلة نصّ الدارقطني
 على أنّه غيره كما ستعرف.

(٢٩٠) هذه كلمات من : الحاكم ، الخطيب ، الذهبي... انظر : تاريخ بغداد ١٢ : ٣٤ ، سير أعلام النبلاء ١٦ : ٤٤٩ و ١٠ : ٢٦٧ ، ميزان
 الاعتدال ٤ : ٨ عند نقل كلام عنه .

ورابعاً: إنّ ابن الجوزي - المتوفى سنة ٥٩٧ - غير جازم بسرقة الحديث من « إسحاق ».. وهل ترد الأحاديث المعتمدة الثابتة بـ « لعلّ »؟! ثمّ يأتي السيوطي - المتوفى ٩١١ - وكأنّه جازم ، فيسقط كلمة « لعلّ » !

وخامساً: قد عرفت أنّ « إسحاق بن إبراهيم » إنّما تكلم فيه الأزدي ، ومن هنا لم يطعن ابن الجوزي في الحديث عن البراء إلا اعتماداً عليه حيث قال : « قال الأزدي : كان إسحاق بن إبراهيم يضع الحديث » وقد قدّمنا عن الحافظ الذهبي أنّ الأزدي لا يعتدّ بقوله... حتّى أنّه قال فيه في موضع آخر بترجمة أحد الرجال : « وقال أبو الفتح الأزدي: هو ضعيف ، لم أر في شيوخنا من يحدث عنه. قلت : هذه مجازفة ، ليت الأزدي عرف ضعف نفسه ! »^(٢٩١) . وقال بترجمة الأزدي :

« قال أبو بكر الخطيب : كان حافظاً ، صنّف في علوم الحديث . وسألته البرقاني عنه فضغفه. وحدّثني أبو النجيب عبد الغفار الأرموي قال : رأيت أهل الموصل يوهّنون أباالفتح ولا يعدّونه شيئاً. قال الخطيب : في حديثه مناكير.

قلت : وعليه في كتابه في الضعفاء مؤاخذات ، فإنّه قد ضعّف جماعةً بلا دليل ، بل قديكون غيره قد وثّقهم »^(٢٩٢) .

وتحصّل : صحّة الحديث برواية الدارقطني.

وأما رواية (الفضائل) فالحسن فيها هو « الحسن بن عليّ البصري ».. قال محقّقه : « موضوع ، وآفته الحسن بن عليّ البصري ».

فمن هو ؟!

لقد نقل الذهبي وابن حجر العسقلاني عن الدارقطني أنّ شيخه « الحسن ابن عليّ بن زكريّا » غير « العدويّ » وأن « العدويّ » متروك ، فقالا : « الحسن بن عليّ بن زكريّا بن صالح ، أبو سعيد العدويّ البصريّ ، الملقب بالذئب. قال الدارقطني : متروك ، وفرّق بينه وبين سميّه العدويّ »^(٢٩٣) .

وهذا وجه آخر يدلّ على أنّ شيخه ثقة.

فهذا من جهة.

ومن جهة أخرى : فقد أورد الذهبي وابن حجر عن الحافظ السهمي - المتوفى سنة ٤٢٨ - كلاماً هو نصّ في المغايرة بين « الحسن بن عليّ البصري » و « العدويّ ».. فقالا : « وقال حمزة السهمي : سمعت

(٢٩١) سير أعلام النبلاء ١٣ : ٣٨٩ .

(٢٩٢) سير أعلام النبلاء ١٦ : ٣٤٨ .

(٢٩٣) ميزان الاعتدال ١ : ٥٠٦ ، لسان الميزان ٢ : ٢٢٨ .

أبا محمّد الحسن بن عليّ البصريّ يقول. أبو سعيد العدويّ كذاب على رسول الله صلّى الله عليه وآله [وسلم ، يقول عليه ما لم يقل...»^(٢٩٤) .

فالحقّ أنّ « الحسن بن عليّ البصريّ » شيخ القطيعي ، و« الحسن بن عليّ ابن زكريّا » شيخ الدارقطني... واحد... فهو حديث اتّفق « الدارقطني » و« القطيعي » على روايته ، وبسند واحد ، وهو صحيح.

وقول محقق كتاب (الفضائل) : « موضوع » باطل ، لأنّ « الحسن بن عليّ البصريّ » غير « العدويّ الوضاع » وليس إلّا « شيخ الدارقطني » إذ لم نجد في الكتب رجلا بعنوان « الحسن بن عليّ البصريّ » أصلاً.

كما أنّ قول ابن الجوزي والسيوطي بعد حديث الدارقطني : « هو العدويّ الوضاع » خلط ، إن لم نقل بأنّهما تعمّداً ذلك لغرض الحديث !

تنبيه :

لقد اثبتنا صحّة الأحاديث المذكورة وتماميّة الاحتجاج بها ، وإنّ من ينظر فيما ذكرناه وينصف لا يتردّد في صدور المضمون الذي تدلّ عليه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ، كما لا يتردّد في وجوب الأخذ بذاك المضمون اعتقاداً وعملاً...

وقد رأينا من المناسب أن نوّكد صدور المضمون ، بحديث بنفس المعنى أخرجه كبار الأئمّة الأعلام في المسانيد المعتمدة والكتب المشتهرة ، وبأسانيد صحيحة ، كما نصّ على صحّته غير واحد منهم ، وهو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام :
« أنت وليّ كلّ مؤمن من بعدي » .
أخرجه :

ابن أبي شيبة في « المصنّف » وصحّحه^(٢٩٥) ، ووافقه على التصحيح : السيوطي^(٢٩٦) والقاري^(٢٩٧) .
وأبو داود الطيالسي في (مسنده) بسند نصّ على صحّته : ابن عبد البر^(٢٩٨) والمزّي^(٢٩٩) .

(٢٩٤) ميزان الاعتدال ١: ٥٠٨ ، لسان الميزان ٢ : ٢٣٠ .

(٢٩٥) كنز العمال ١١ : ٣٢٩٤١/٦٠٨ .

(٢٩٦) القول الجليّ في مناقب عليّ : ٦٠ الحديث ٤٠ . بتفاوت يسير .

(٢٩٧) مرآة المفاتيح ٥ : ٥٦٧ .

(٢٩٨) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام ٣ : ١٠٩١ .

(٢٩٩) تهذيب الكمال - ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام ٢٠ : ٤٨١ .

وأحمد بن حنبل في (مسنده) بسند صحيح^(٣٠٠) .
والترمذي في (صحيحه)^(٣٠١) .
والنسائي في (الخصائص)^(٣٠٢) .
وابن جرير الطبري وصححه^(٣٠٣) .
وابن حبان في (صحيحه)^(٣٠٤) .
والحاكم ، وصححه على شرط مسلم^(٣٠٥) .
وابن حجر ، قال : « أخرج الترمذي بسند قوي... »^(٣٠٦) .
وسندلّل بالتفصيل على صحّته حيث يذكره السيّد ، فانتظر .

أقول :

ثمّ إن السيّد - رحمه الله - أورد نصوصاً أخرى ، وتعرّض خلالها - بالمناسبة - إلى أشياء من غير النصوص النبويّة...

وحيث تكلمنا بالتفصيل في تشييد عمدة نصوص المراجعة ، ودفع شبهات السابقين واللاحقين عنها ، ولم يبق مجال للريب في تماميّة ما قصده السيّد - رحمه الله - في هذه المراجعة... كما لم نجد شبهةً تستحقّ التعليق حول الأحاديث والشواهد الأخرى المذكورة فيها... ننتقل إلى المراجعة التالية ، وموضوعها « حجج الكتاب ».

* * *

(٣٠٠) مسند أحمد بن حنبل ٥ : ١٩٤٢٦/٦٠٦ .

(٣٠١) الجامع الصحيح ٦ : ٣٧١٢/٧٨ .

(٣٠٢) خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ١٤٣ الحديث ٨٩ .

(٣٠٣) كنز العمّال ١٣ : ٣٦٤٤٤/١٤٢ .

(٣٠٤) صحيح ابن حبان ١٥ : ٦٩٢٩/٣٧٣ .

(٣٠٥) المستدرک على الصحيحين ٣ : ١١٠ - ١١١ .

(٣٠٦) الإصابة في تمييز الصحابة - ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام ٢ : ٥٠٩ .

المراجعة (١٢)

حجج الكتاب

قيل :

« لابدّ قبل التعرض لاستشهاد المؤلّف بالآيات على ما ذهب إليه ، من كلمة موجزة في منهج

الشيعة في تفسير القرآن الكريم :

إنّ الدارس للفرق والمذاهب التي نشأت بعد حركة الفتح الإسلامي واستقرار الإسلام بدولته المترامية ، لا بدّ وأنّ يلاحظ أولاً أنّ هذه الفرق اتخذت القرآن الكريم وسيلة للإستدلال على آرائها ، ولكنّ الفرق بين أصحاب الآراء الصحيحة التي لا تخالف الأصول الإسلامية وبين غيرهم من أصحاب المذاهب المبتدعة : أنّ الأوائل كانوا تابعين لما تدلّ عليه معاني القرآن الكريم ، موضحين لدلالات ألفاظه كما فهمها سلف الأمة وعلماؤها ، وكما فسرها الرسول صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وأصحابه والتابعون لهم بإحسان ، فكانوا ضمن دائرة التمسك بالكتاب والسنة ، لم يشذوا عنها.

أمّا أصحاب البدع والأهواء ، فقد رأوا آراءً ، واعتقدوا اعتقادات أرادوا أن يروّجوها على الناس ، فأعوزتهم الأدلّة ، فالتفتوا إلى القرآن الكريم... وهم كما قال ابن تيميّة...

أمثلة من مواقف الشيعة في التفسير : يقول ملأ محسن الكاشي في مقدّمة كتابه : (الصافي في

تفسير القرآن الكريم)...

وملأ محسن الكاشي ممّن يرى أنّ القرآن قد حرّف... ولا يتورّع هذا الراضى المفترى من الطعن على كبار الصحابة الكرام ، ويرميهم بكلّ نقيصة ، ويجرّدهم من كلّ مكرمة ، هكذا فعل مع عثمان في تفسير الآيتين ٨٤ و٨٥ من سورة البقرة ، وهكذا فعل مع أبي بكر في تفسير الآية ٤٠ من سورة التوبة ، وكذلك طعن في أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة عند تفسيره أول سورة التحريم (يا أيها النبيّ لم تحرم ما أحلّ الله لك...).

ويعتقد عبدالله بن محمد رضا العلويّ - الشهير بشبر - المتوفّي سنة ١٢٤٢ أنّ القرآن قد حرّف...

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية ٤٠ من سورة التوبة (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها) الآية ، نجده يعرض عن تعيين هذا الذي صحب النبيّ صلّى الله عليه

[وآله] وسلّم في هجرته وهو أبو بكر ، ثمّ يصرّح أو يلمّح بما نقص من قدره أو يذهب بفضله المنسوب إليه والمنوّه به في القرآن الكريم ، فيقول... «.

أقول :

لابدّ قبل التعرّض لاستدلال السيّد - رحمه الله - بآيات الكتاب الكريم على ولاية أهل البيت عليهم السلام ، على ضوء الأخبار المتّفق عليها بين علماء الفريقين ، من ذكر الأمور التالية بإيجاز :

١ - إنّه كما لغير الشيعة الإماميّة الاثني عشرية من الفرق الإسلامية منهج في تفسير القرآن الكريم ، وفهم حقائقه وأحكامه ، وأسباب نزول آياته... كذلك الشيعة ، وإنّ منهجهم يتلخّص في الرجوع إلى القرآن وما ورد عن العترة المعصومين بالأسانيد المعتمدة... وهذا أمر واضح وللتحقيق فيه مجال آخر.

٢ - إلا أنّ منهج البحث في كتب المناظرة يختلف... فإنّ من الأصول التي يجب على الباحث المناظر الالتزام بها هو : الاستدلال بالروايات الواردة عن طريق رجال المذهب الذي يعتنقه الطرف المقابل ، وكلمات العلماء المحقّقين المعروفين من أبناء الطائفة التي ينتمي إليها.

فهذا ممّا يجب الالتزام به في كلّ بحث يتعلّق بالفرق والمذاهب ، وإلاّ فإن كلّ فرقة ترى الحقّ في كتبها ورواياتها ، وتقول ببطلان ما ذهب إليه وقال به غيرها ، فتكون المناقشة بلا معنىّ والمناظرة بلا جدوى.

وعلى هذه القاعدة مشى السيّد - رحمه الله - في (مراجعاته) مع شيخ الأزهر (الشيخ البشري) .
وفي (حجج الكتاب)... حيث يشير إلى المصادر السنيّة المقبولة لدى (الشيخ)...
فكان القول بنزول الآية المباركة في أمير المؤمنين أو أهل البيت عليهم السلام قولاً متّفقاً عليه بين الطرفين ، والحديث الوارد في ذلك سنّة ثابتة يجب اتّباعها والتمسك بها على كلا الفريقين.
وقد كانت هذه طريقة علمائنا المتقدّمين...

٣ - ولم نجد الالتزام بهذه الطريقة التي تفرضها طبيعة البحث والحوار في كلمات أكثر علماء أهل السنّة...

ومن أراد التأكّد من هذا الذي نقوله فليُنظر - مثلاً - إلى كتاب « منهاج الكرامة في إثبات الإمامة » للعلامة الحليّ ، وما قاله ابن تيميّة في (منهاجه) في الردّ عليه ، وليقارن بين المنهاجين ، خصوصاً في فصل الاستدلال بالكتاب ، فبدلاً من أن يلتزم ابن تيميّة بالقواعد والآداب ، أخذ يسبّ العلامة ويشتمه ويتهّمه بأنواع التهم ! ثمّ يضطرّ إلى اتّهام كبار أئمّة السنّة في التفسير والحديث - الذين نقل عنهم العلامة

القول بنزول الآيات في أهل البيت ، كالثعلبي والواحدي والبغوي ونظرائهم - بنقل الموضوعات ورواية المكذوبات ، وأمثال ذلك من الاتِّهَامات ، وسنتعرِّض لذلك في خلال البحث عن الآيات .
ثم إنَّ ابن تيميَّة أصبح - وللأسف - قدوةً للَّذين يجدون في أنفسهم حرجاً ممَّا قضى الله ورسوله ، فلوَّوا رؤوسهم واستكبروا استكباراً . أمَّا الشيخ البشري وأمثاله ، فأذعنوا للحقِّ واتَّبعوه ، فمنهم من أخفى ذلك ومنهم من أجهر به إجهاراً...

٤ - وفضائل الإمام عليٍّ وأهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم ، وما نزل فيهم من آياته الكريمة ، كثيرة جداً ، حتَّى أنَّ جماعة من أعلام السنَّة أفردوا ذلك بالتأليف...

هذا ، بالرغم من الحصار الشديد المضروب على رواية هذا النوع من الأحاديث ورواته !

أمَّا غير أهل البيت ، فلم يدَّع - حتَّى في كتب القوم - نزول شيء من الآيات في حقِّهم..!

أنظر إلى كلام القاضي عضد الدين الإيجي - المتوفَّى سنة ٧٥٦ - في كتابه «المواقف في علم الكلام»

الذي هو من أجل متونهم في علم الكلام ، يقول :

« المقصد الرابع : في الإمام الحقِّ بعد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلَّم ، وهو عندنا أبو بكر ،

وعند الشيعة عليٌّ ، رضي الله عنهما. لنا وجهان : الأول : إنَّ طريقه إمَّا النصُّ أو الإجماع. أمَّا النصُّ فلم يوجد... »^(٣٠٧) .

نعم ، ذكر في المقصد الخامس ، في أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هو

عندنا وأكثر قدماء المعتزلة أبو بكر - رضي الله عنه - ، وعند الشيعة وأكثر متأخري المعتزلة عليٌّ. لنا وجوه

الأول : قوله تعالى : (وسيجتنبها الأتقى * الذي يؤتي ماله يتزكى)^(٣٠٨) . قال أكثر المفسِّرين - واعتمد عليه العلماء - أنَّها نزلت في أبي بكر. الثاني : قوله عليه السلام... »^(٣٠٩) .

فلم يستدلَّ من الكتاب إلا بآية واحدة ، نسب إلى أكثر المفسِّرين نزولها في أبي بكر.

فهذه آية واحدة فقط !

وهناك آية ثانية ، وهي آية الغار ، جعلوها فضيلة لأبي بكر ، واستدلُّوا بها في الكتب.

أمَّا آية الغار فممنَّ تكلم في الاستدلال بها : المأمون العباسي ، الذي وصفه الحافظ السيوطي في

كتابه « تاريخ الخلفاء وأمراء المؤمنين » فقال : « قرأ العلم في صغره وسمع الحديث من : أبيه ، وهشيم ،

وعبَّاد بن العوام ، ويوسف ابن عطية ، وأبي معاوية الضرير ، وإسماعيل بن عليَّة ، وحجَّاج الأعمور ،

(٣٠٧) شرح المواقف ٨ : ٣٥٤ .

(٣٠٨) سورة الليل ٩٢ : ١٧ و ١٨ .

(٣٠٩) شرح المواقف ٨ : ٣٦٥ - ٣٦٦ .

وطبقتهم. وأدبه اليزيدي ، وجمع الفقهاء من الآفاق ، وبرع في الفقه والعربية وآيام الناس ، ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها ، فجرّه ذلك إلى القول بخلق القرآن.

روى عنه : ولده الفضل ، ويحيى بن أكتم ، وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي ، والأمير عبد الله بن طاهر ، وأحمد بن الحارث الشيعي ، ودعبل الخزاعي ، وآخرون.

وكان أفضل رجال بين العباس حزمًا وعزمًا ، وحلمًا وعلماً ، ورأيًا ودهاءً ، وهيبًا وشجاعةً ، وسؤددًا وسماحةً ، وله محاسن وسيرة طويلة ، لولا ما أتاه من محنة الناس في القول بخلق القرآن ، ولم يل الخلافة من بني العباس أعلم منه ، وكان فصيحاً مفوهاً...» (٣١٠) .

تكلم المأمون في آية الغار ، في مجلس ضمّ قاضي القضاة يحيى بن أكتم وأئمة العصر في الفقه والحديث ، في مسائل كثيرة من أبواب الفضائل والمناقب ، فكان أن قال لمخاطبه - وهو : إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل بن حمّاد بن زيد ؛ والراوي إسحاق نفسه - :

«... فما فضله الذي قصدت له الساعة ؟ قلت قول الله عزّ وجلّ : (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) (٣١١) فنسبه إلى صحبته.

قال : يا إسحاق أما إني لا أحملك على الوعر من طريقك ، إني وجدت الله تعالى نسب إلى صحبة من رضيه ورضي عنه كافرًا ، وهو قوله : (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً * لکننا هو الله ربّي ولا أشرك برّبّي أحدًا) (٣١٢) .

قلت : إن ذلك كان صاحباً كافرًا ، وأبو بكر مؤمن.

قال : فإذا جاز أن ينسب إلى صحبة من رضيه كافرًا ، جاز أن ينسب إلى صحبة نبيّه مؤمنًا ، وليس بأفضل المؤمنين ولا الثاني ولا الثالث.

قلت : يا أمير المؤمنين ، إن قدر الآية عظيم.. إن الله يقول : (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) .

قال : يا إسحاق ، تأبي الآن إلا أن أخرجك إلى الاستقصاء عليك ؛ أخبرني عن حزن أبي بكر ، أكان رضا أم سخطاً ؟

قلت : إنّ أبا بكر إنّما حزن من أجل رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم خوفًا عليه وغمًا أن يصل إلى رسول الله شيء من المكروه.

قال : ليس هذا جوايي . إنّما كان جوايي أن تقول رضا أم سخطٌ .

(٣١٠) تاريخ الخلفاء : ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٣١١) سورة التوبة ٩ : ٤٠ .

(٣١٢) سورة الكهف ١٨ : ٣٧ و ٣٨ .

قلت : بل كان رضا لله.

قال : وكان الله جلّ ذكره بعث إلينا رسولاً ينهى عن رضا الله عزّ وجلّ وعن طاعته؟!

قلت : أعوذ بالله.

قال : أو ليس قد زعمت أن حزن أبي بكر رضا لله!؟

قلت : بلى.

قال : أولم تجد أنّ القرآن يشهد أنّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم قال : لا تحزن. نهياً له

عن الحزن؟!

قلت : أعوذ بالله !

قال : يا إسحاق ، إن مذهبي الرفق بك ، لعلّ الله يردّك إلى الحقّ ويعدل بك عن الباطل، لكثرة ما

تستعيد به.

وحدّثني عن قول الله : (فأنزله الله سكينته عليه) من عني بذلك رسول الله أم أبوبكر ؟

قلت : بل رسول الله.

قال : صدقت.

قال فحدّثني عن قول الله عزّ وجلّ (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) إلى قوله : (ثم أنزل الله سكينته على

رسوله وعلى المؤمنين)^(٣١٣) أتعلم من المؤمنين الذين أراد الله في هذا الموضع ؟

قلت : لا أدري يا أمير المؤمنين.

قال : الناس جميعاً انهزموا يوم حنين ، فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم إلا سبعة

نفر من بني هاشم ، عليّ يضرّب بسيفه بين يدي رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم ، والعبّاس آخذ

بلجام بغلة رسول الله ، والخمسة محدقون به خوفاً من أن يناله من جراح القوم شيء ، حتّى أعطى الله

لرسوله الظفر ، فالمؤمنون في هذا الموضع عليّ خاصةً ثمّ من حضره من بني هاشم.

قال : فمن أفضل ؟ من كان مع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم في ذلك الوقت ، أم من

انهزم عنه ولم يره الله موضعاً لينزلها عليه ؟

قلت : بل من أنزلت عليه السكينة.

قال : يا إسحاق ، من أفضل ؟ من كان معه في الغار ، أم من نام على فراشه ووقاه بنفسه حتّى تمّ

لرسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم ما أراد من الهجرة ؟

(٣١٣) سورة التوبة ٩ : ٢٥ و ٢٦ .

إنَّ الله تبارك وتعالى أمر رسوله أن يأمر علياً بالنوم على فراشه وأن يقي رسول الله صَلَّى اللهُ عليه [وآله] وسلّم بنفسه . فأمره رسول الله صَلَّى اللهُ عليه [وآله] وسلّم بذلك ، فبكى عليّ - رضي الله عنه - ، فقال له رسول الله : ما يبكيك يا عليّ؟! أجزعاً من الموت؟!

قال : لا ، والذي بعثك بالحقّ يا رسول الله ، ولكن خوفاً عليك ، أفتسلم يا رسول الله ؟
قال : نعم .

قال : سمعاً وطاعة وطيبة نفسي بالفداء لك يا رسول الله .

ثمّ أتى مضجعه واضطجع وتسجّى بثوبه . وجاء المشركون من قريش فحفّوا به لا يشكّون أنّه رسول الله ، وقد أجمعوا أن يضربه من كلّ بطن من بطون قريش ضرباً بالسيف لئلاً يطلب الهاشميون من البطون بطناً بدمه وعليّ يسمع ما القوم فيه من تلاف نفسه ، ولم يدعه ذلك إلى الجزع كما جزع صاحبه في الغار .

ولم يزل عليّ صابراً محتسباً ، فبعث الله ملائكته فمنعته من مشركي قريش ، حتّى أصبح ، فلما أصبح قام ، فنظر القوم إليه ، فقالوا : أين محمّد؟! قال : وما علمي بمحمّد أين هو ! قالوا : فلا نراك إلّا مغرراً بنفسك منذ ليلتنا .

فلم يزل عليّ أفضل ، ما بدا به يزيد ولا ينقص ، حتّى قبضه الله إليه «^(٣١٤) .

وأما الآية الأخرى ، فقد ذكرنا في تعليقة «المواقف» في الجواب عن الاستدلال بها وجوهاً :

الأوّل : إنّ نزولها في أبي بكر غير متفق عليه بين المفسّرين من أهل السُنّة ، وحتّى كونه قول أكثر المفسّرين غير ثابت ، وإن جاء ذلك في شرح المواقف^(٣١٥) .

ومن المفسّرين من حمل الآية على العموم ، ومنهم من قال بنزولها في قصّة أبي الدحداح وصاحب النخلة ، كما ذكر السيوطي^(٣١٦) .

والثاني : إنّ رواة نزولها في حقّ أبي بكر ما هم إلّا آل الزبير ، وهؤلاء قوم منحرفون عن أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام ومعروفون بذلك .

والثالث : إنّ سند خبر نزولها في أبي بكر غير معتبر ، قال الحافظ الهيثمي :

« وعن عبدالله بن الزبير ، قال : نزلت في أبي بكر الصّدّيق : (وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه

ربّه الأعلى * ولسوف يرضى)^(٣١٧) .

(٣١٤) العقد الفريد ٥ : ٩٨ - ٩٩ .

(٣١٥) شرح المواقف ٨ : ٣٦٦ .

(٣١٦) الدرّ المنثور ٨ : ٥٣٢ .

(٣١٧) سورة الليل ٩٢ : ١٩ - ٢١ .

رواه الطبراني ، وفيه : مصعب بن ثابت. وفيه ضعف « (٣١٨) .

قلت :

وهذا الرجل هو : مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ؛ ولاحظ الكلمات في تضعيفه
بترجمته (٣١٩) .

هذا بالنسبة إلى أبي بكر.

وأما عمر وعثمان ، فلم يزعموا نزول شيء فيهما من القرآن...

٥ - بل لو تتبعت كتبهم في مختلف العلوم لوجدت للقوم مثالب في القرآن الكريم ، ونحن الآن في
غنى عن التعرض لمثل هذه الأمور ، غير أننا نشير إلى أن نزول قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك
تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم * قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم * وإذا أسر النبي إلى بعض
أزواجه حديثاً فلما نبات به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نباتها به قال من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير * إن
تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير * عسى ربه إن
طلقن أن يبده أزواجاً خيراً منكنّ مسلمات مؤمنات...) (٣٢٠) في عائشة وحفصة مذكور في أشهر كتب القوم من
الصاح وغيرها ، فراجع إن شئت :

مسند أحمد بن حنبل ١ : ٢٢٢/٥٥ .

صحيح البخاري : كتاب النكاح ، باب في موعظة الرجل ابنته ٣ : ٥١٩١/٤٥٩ .

صحيح البخاري : كتاب التفسير ، بتفسير الآية : (تبتغي مرضات أزواجك) ٣ : ٤٩١٣/٣٥٩ .

صحيح مسلم : كتاب الطلاق ، باب في الإيلاء واعتزال النساء ٢ : ١٤٧٩/٦٤٢ .

صحيح الترمذي ٥ : ٣٣١٨/٣٤٥ .

صحيح النسائي ٢ : ٢٤٤٢/٧٢ .

وفي هذا القدر كفاية ، لتعلم أن القصة التي أوردها الشيخ محسن الكاشاني مذكورة في كتبهم ،

ولتعرف من المتقول المفترى !!

وبعد المقدمة ، وقبل الورود في (تشييد المراجعات) نقول :

(٣١٨) مجمع الزوائد ٩ : ٥٠ .

(٣١٩) تهذيب التهذيب ١٠ : ١٤٤ .

(٣٢٠) سورة التحريم ٦٦ : ١ - ٥ .

لقد كان ابن تيمية - كما أشرنا من قبل - قدوةً للمكابرين من بعده ، فهم متى ما أعوزهم الدليل ، وعجزوا عن المناقشة ، لجأوا إلى كلماته المضطربة المتهافتة ، التي لا علاقة لها بالمطلب ، ولا أساس لها من الصحة... ومن ذلك هذا المورد ، وبيان ذلك بإيجاز هو :

إنَّ المقام ليس مقام البحث عن المناهج التفسيرية عند هذه الفرقة أو تلك ، وإمَّا المقصود ذكر الأخبار والأقوال الواردة في كتب أهل السنة المعروفة ، في طائفة من آيات الكتاب النازلة في حق أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام... فهذا هو المقصود.

وأما أنَّ منهج الشيعة في التفسير ما هو ؟ ومنهج غيرهم ما هو ؟ وأيُّ منهما هو الصحيح ؟ فتلك بحوث تطرح في محلها.

ثمَّ إنَّ للشيعي أن يقول نفس هذا الكلام الذي قاله القائل ، فيقول : « إنَّ الدارس للفرق والمذاهب... ولكنَّ الفرق بين أصحاب الآراء الصحيحة التي لا تخالف الأصول الإسلامية ، وبين غيرهم من أصحاب المذاهب المبتدعة... ».

لكن من هم « أصحاب الآراء الصحيحة » ؟! ومن هم « أصحاب المذاهب المبتدعة » ؟! فنحن نقول : إن « أصحاب الآراء الصحيحة » في فهم القرآن الكريم ، هم أتباع الأئمة الطاهرين من أهل البيت ، كالإمامين الباقر والصادق عليهما السلام...

وإنَّ « أصحاب المذاهب المبتدعة » هم : عكرمة البربري... وأمثاله. وسنفضّل الكلام في التعريف بعكرمة وأمثاله على ضوء كلمات أهل السنة. وعلى الجملة : فإن السيد - رحمه الله - لم يستدلّ في بحوثه هذه بالآيات الكريمة على « منهج الشيعة في التفسير » ، وإمَّا استدلال بروايات أهل السنة وأقوال مفسريهم المشاهير على ما هو « منهج البحث والمناظرة ».

وتعرّض هذا القائل هنا لمسألة « تحريف القرآن ».. وهذه أيضاً لا علاقة لها بالبحث ، وإمَّا الغرض من ذكرها هنا تشويش ذهن القارئ وتشويه مذهب الشيعة ، ونحن نحيل القارئ المنصف إلى كتابنا المطبوع المنتشر في الموضوع وهو : « التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف »^(٣٢١) ليظهر له رأينا في المسألة ، ويتبيّن له من القائل بالتحريف !

فلنشرع في (تشييد المراجعات) : في (حجج الكتاب) :

(٣٢١) نشر أولاً في حلقات في مجلة تراثنا ، في الأعداد ٦ - ١٤ ، ثم نشرته مؤسسة دار القرآن الكريم في ٣٧١ صفحة ، ولعلّه خير كتاب أخرج للناس في موضوعه.

آية التطهير

قال السيّد ،

مخاطباً الشيخ سليم البشري :

« إنكم - بحمد الله - ممّن وسعوا الكتاب علماً ، وأحاطوا بجليّه وخفيّه خبراً ، فهل نزل من آياته الباهرة في أحد ما نزل في العترة الطاهرة؟! هل حكمت محكماته بذهاب الرجس عن غيرهم؟! وهل لأحد من العالمين كآية تطهيرهم؟! ».

أقول :

هذه الآية مباركة هي قوله تعالى : (إمّا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)^(٣٢٢) .
وقد استدلّ بها أصحابنا - تبعاً لأئمة العترة الطاهرة - على عصمة « أهل البيت » ومن ثمّ فهي من أدلة إمامة أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة الطاهرين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم.
وقد كابر بشأنها الخوارج ، والنواصب ، والمخالفون لـ « أهل البيت » منذ اليوم الأوّل ، وإلى يومنا هذا... ولذا كانت هذه الآية موضع البحث والتحقيق ، والأخذ والردّ ، وكتبت حولها الكتب والدراسات الكثيرة^(٣٢٣) .

ونحن نذكر وجه الاستدلال ، ولينظر الناظرون هل هو « ضمن دائرة التمسك بالكتاب والسنة »..

أو لا؟!

وهذه هي الأقوال في المسألة نقلاً عن أحد المتعصّبين ضدّ الشيعة الإماميّة :

« وفي المراد بأهل البيت ها هنا ثلاثة أقوال :

أحدها : أنّهم نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ، لأنّهنّ في بيته. رواه سعيد بن جبیر عن ابن عباس. وبه قال عكرمة وابن السائب ومقاتل. ويؤكد هذا القول أنّ ما قبله وما بعده متعلّق بأزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم. وعلى أرباب هذا القول اعتراض ، وهو : إنّ جمع المؤنّث بالنون

(٣٢٢) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٣ .

(٣٢٣) ولنا فيها كتاب رداً على كتيب للدكتور عليّ أحمد السالوس ، أسماه : « آية التطهير بين أمّهات المؤمنين وأهل الكساء » صدر بعنوان « مع الدكتور السالوس في آية التطهير » وهناك التفصيل الأكثر.

فكيف قيل (عنكم) و (يطهركم) ؟ فالجواب : إن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فيهنّ فعَلَبَ المذكّر.

والثاني : إنّه خاصّ في : رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وعليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين. قاله أبو سعيد الخدري ، وروي عن أنس وعائشة وأمّ سلمة نحو ذلك.

والثالث : إنهم أهل رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وأزواجه ، قاله الضحّاك «^(٣٢٤) .

فهذه عبارة الحافظ ابن الجوزي..

فالقائل باختصاص الآية بالرسول وبضعته ووصيّه وسبطيه عليهم الصلاة والسلام ، هم جماعة من الصحابة ، وعلى رأسهم : أمّ سلمة وعائشة... من زوجته...

وعلى رأس القائلين بكونها خاصّة بالأزواج : عكرمة البربري... لما سيأتي من أنّ ابن عبّاس من

القائلين بالقول الثاني.

أمّا القول الثالث فلم يحكه إلّا عن الضحّاك !

فمن هم « أصحاب الآراء الصحيحة » ؟! ومن هم « اصحاب البدع والأهواء » ؟! ولماذا أعرض الذين ادّعوا أنّهم « كانوا تابعين لما تدلّ عليه معاني القرآن الكريم ، موضحين لدلالات ألفاظه كما فهمها سلف الأمة وعلماؤها ، وكما فسرها الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم وأصحابه والتابعون لهم بإحسان » عن قول أمّ سلمة وعائشة وجماعة من كبار الصحابة ومشاهيرهم - كما سيجيء - وأخذوا بقول « عكرمة » الذي ستعرفه ، وأمثاله ؟!

وأما تفصيل المطلب ، ففي فصول :

(٣٢٤) زاد المسير في علم التفسير - للحافظ ابن الجوزي ، المتوفّى سنة ٥٩٧ - ٦ : ٣٨١ - ٣٨٢ .

الفصل الأوّل

في تعيين النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قولاً وفعلاً

المُراد من « أهل البيت »

فقد أخرج جماعة من كبار الأئمّة والحفّاظ والأئمّة حديث الكساء ، الصريح في اختصاص الآية المباركة بالرسول وأهل بيته الطاهرين عليهم الصلاة والسلام ، عن عشرات من الصحابة :

من الصحابة الرواة لحديث الكساء :

ونحن نذكر عدّة منهم فقط :

١ - عائشة بنت أبي بكر.

٢ - أمّ سلمة زوجة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

٣ - عبدالله بن العباس.

٤ - سعد بن أبي وقاص.

٥ - أبو الدرداء.

٦ - أنس بن مالك.

٧ - أبو سعيد الخدري.

٨ - واثلة بن الأسقع.

٩ - جابر بن عبدالله الأنصاري.

١٠ - زيد بن أرقم.

١١ - عمر بن ابي سلمة.

١٢ - ثوبان مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

من الأئمّة الرواة لحديث الكساء :

ونكتفي بذكر أشهر المشاهير منهم :

١ - أحمد بن حنبل ، المتوفّى سنة ٢٤١.

٢ - عبد بن حميد الكشي ، المتوفّى سنة ٢٤٩.

- ٣ - مسلم بن الحجاج ، صاحب الصحيح ، المتوفى سنة ٢٦١.
- ٤ - أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي ، المتوفى سنة ٢٧٧.
- ٥ - أحمد بن عبد الخالق البزار ، المتوفى ٢٩٢.
- ٦ - محمد بن عيسى الترمذي ، المتوفى سنة ٢٩٧.
- ٧ - أحمد بن شعيب النسائي ، المتوفى سنة ٣٠٣.
- ٨ - أبو عبد الله محمد بن عليّ الحكيم الترمذي.
- ٩ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، المتوفى سنة ٣١٠.
- ١٠ - عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ، الشهير بابن أبي حاتم ، المتوفى سنة ٣٢٧.
- ١١ - سليمان بن أحمد الطبراني ، المتوفى سنة ٣٦٠.
- ١٢ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، المتوفى سنة ٤٠٥.
- ١٣ - أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، المتوفى سنة ٤٣٠.
- ١٤ - أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، المتوفى سنة ٤٥٨.
- ١٥ - أبو بكر أحمد بن عليّ ، الخطيب البغدادي ، المتوفى سنة ٤٦٣.
- ١٦ - أبو السعادات المبارك بن محمد ، ابن الأثير ، المتوفى سنة ٦٠٦.
- ١٧ - شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، المتوفى سنة ٧٤٨.
- ١٨ - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، المتوفى سنة ٩١١.

من ألفاظ الحديث في الصحاح والمسانيد وغيرها :

وهذه نبذة من ألفاظ الحديث بأسانيدها^(٣٢٥) :

ففي المسند : « حدّثنا عبد الله ، حدّثني أبي ، ثنا عبد الله بن نمير ، قال : ثنا عبد الملك - يعني ابن أبي سليمان - ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : حدّثني من سمع أم سلمة تذكر أنّ النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم كان في بيتها ، فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة ، فدخلت بها عليه ، فقال لها : ادعي زوجك وابنك . قالت : فجاء عليّ والحسين والحسن فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون تلك الخزيرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء له خيبري .

(٣٢٥) نعم ، هذه نبذة من الروايات ، إذ لم نورد كلّ ما في المسند أو المستدرک أو غيرهما ، بل لم نورد شيئاً من تفسير الطبري وقد أخرجه من أربعة عشر طريقاً ، ولا من كثير من المصادر المعتمدة في التفسير والحديث وتراجم الصحابة وغيرها .

قالت : وأنا أصلي في الحجرة ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً).

قالت : فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ، ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

قالت : فأدخلت رأسي البيت فقلت : وأنا معكم يا رسول الله ؟

قال : إنك إلى خير ، إنك إلى خير.

قال عبد الملك : وحدثني أبو ليلى عن أم سلمة مثل حديث عطاء سواء.

قال عبد الملك : وحدثني داود بن أبي عوف الجحاف ، عن^(٣٢٦) حوشب ، عن أم سلمة بمثله سواء^(٣٢٧) .

وفي المسند : « حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، ثنا عقان ، ثنا حماد بن سلمة ، قال : ثنا علي بن زيد ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة : أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال لفاطمة : اتيني بزوجك وابنيك ; فجاءت بهم ، فألقى عليهم كساءً فديكياً.

قال : ثم وضع يده عليهم ثم قال : اللهم إن هؤلاء آل محمد ، فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد ، إنك حميد مجيد.

قالت أم سلمة : فرفعت الكساء لأدخل معهم ، فجذبه من يدي وقال : إنك على خير^(٣٢٨) .

وفي المسند : « حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، ثنا يحيى بن حماد ، ثنا أبو عوانة ثنا أبو بلج ، ثنا عمرو بن ميمون ، قال : إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا : يا ابن عباس ، إنما أن تقوم معنا وإما أن تخلصنا هؤلاء.

قال : فقال ابن عباس : بل أقوم معكم.

قال : وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى. قال : فابتدؤا فتحدثوا ، فلا ندرني ما قالوا.

قال : فجاء ينفذ ثوبه ويقول : أف وتف ، وقعوا في رجل له عشر ، وقعوا في رجل قال له النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم (فذكر مناقب لعلي منها :) « وأخذ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) »^(٣٢٩) .

(٣٢٦) كذا .

(٣٢٧) مسند أحمد ٧ : ٢٥٩٦٩/٤١٥ .

(٣٢٨) مسند أحمد ٧ : ٢٦٢٠٦/٤٥٥ .

(٣٢٩) مسند أحمد ١ : ٣٠٥٢/٥٤٤ .

وفي صحيح مسلم : « حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمّد بن عبد الله ابن نمير - واللفظ لأبي بكر -
 قالا : حدّثنا محمّد بن بشر ، عن زكريّا عن مصعب بن شيبة ، عن صفية بنت شيبة ، قالت : قالت عائشة :
 خرج النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم غداً وعليه مرط مرحل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله ،
 ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء عليّ فأدخله ، ثم قال :
 (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) ^(٣٢٠) .

وفي جامع الأصول : « ٦٦٨٩ ت ، أمّ سلمة - رضي الله عنها - قالت : إنّ هذه الآية نزلت في بيتي :
 (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) قالت : وأنا جالسة عند الباب فقلت : يا رسول الله ،
 أليست من أهل البيت ؟ فقال : إنّك إلى خير ، أنت من أزواج رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم .

قالت : وفي البيت : رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وعليّ وفاطمة وحسن وحسين ، فجلّهم
 بكساء وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .
 وفي رواية : إنّ النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم جلّ على الحسن والحسين وعليّ وفاطمة ، ثمّ
 قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامّتي ، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .
 قالت أمّ سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال : إنّك إلى خير .

أخرج الترمذي الرواية الآخرة ، والأولى ذكرها رزين ^(٣٣١) .
 ٦٦٩٠ ت ، عمر بن أبي سلمة - رضي الله عنه - قال : نزلت هذه الآية على النبيّ صلّى الله عليه
 [وآله] وسلّم : (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) في بيت أمّ سلمة ، فدعا النبيّ صلّى الله
 عليه [وآله] وسلّم فاطمة وحسناً وحسيناً ، فجلّهم بكساء وعليّ خلف ظهره ، ثمّ قال : اللهم هؤلاء أهل
 بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

قالت أمّ سلمة : وأنا معهم يا نبيّ الله ؟

قال : أنت على مكانك وأنت على خير .

أخرجه الترمذي ^(٣٣٢) .

٦٦٩١ ت ، أنس بن مالك - رضي الله عنه - إنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم كان يمرّ بباب
 فاطمة إذا خرج إلى الصلاة حين نزلت هذه الآية ، قريباً من ستّة أشهر ، يقول : الصلاة أهل البيت (إنّما
 يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) .

أخرجه الترمذي ^(٣٣٣) .

. ٢٤٢٤/٢٢٩ : ٤ صحيح مسلم

. ٦٧٠٢/١٥٥ : ٩ جامع الاصول

. ٦٧٠٣/١٥٦ : ٩ جامع الاصول

٦٦٩٢ م ، عائشة - رضي الله عنها - قالت : خرج النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم وعليه مرط
مرحل أسود ، فجاء الحسن فأدخله ، ثم جاء الحسين فأدخله ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء عليّ
فأدخله ، ثم قال : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الآية .
أخرجه مسلم « (٣٣٤) .

وفي الخصائص : « أخبرنا محمد بن المثنى ، قال : أخبرنا أبو بكر الحنفي ، قال : حدثنا بكير بن
مسمار ، قال سمعت عامر بن سعد يقول : قال معاوية لسعد ابن أبي وقاص : ما يمنعك أن تسبّ ابن أبي
طالب ؟!

قال : لا أسبّه ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم ، لأنّ تكون لي واحدة
منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم :
لا أسبّه ما ذكرت حين نزل عليه الوحي ، فأخذ عليّاً وابنيه وفاطمة فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال :
ربّ هؤلاء أهلي وأهل بيتي .

ولا أسبّه ما ذكرت حين خلفه في غزوة غزاهها...

ولا أسبّه ما ذكرت يوم خيبر... « (٣٣٥) .

وفي الخصائص : « أخبرنا قتيبة بن سعيد البلخي وهشام بن عمّار الدمشقي ، قالا : حدثنا حاتم ،
عن بكير بن مسمار ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، قال : أمر معاوية سعداً فقال : ما يمنعك أن
تسبّ أبا تراب ؟! فقال : أما [انا] ما إن ذكرت ثلاثاً قالهنّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم فلن
أسبّه ، لأنّ تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم :

سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم يقول له ، وقد خلفه في بعض مغازيه...

وسمعتة يقول يوم خيبر : ...

ولمّا نزلت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) دعا رسول الله صلى الله عليه [وآله]
وسلّم عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي « (٣٣٦) .
أقول :

أخرجه ابن حجر العسقلاني باللفظ الأوّل في « فتح الباري » بشرح حديث : « أما ترضى أن تكون
منّي بمنزلة هارون... » فقال :

(٣٣٣) جامع الاصول ٩ : ٦٧٠٤/١٥٦ .

(٣٣٤) جامع الاصول ٩ : ٦٧٠٥/١٥٦ .

(٣٣٥) خصائص امير المؤمنين علي بن أبي طالب : ٩٠ الحديث ٥٤ .

(٣٣٦) خصائص امير المؤمنين علي بن أبي طالب : ٣٣ الحديث ١١ .

« ووقع في رواية عامر بن سعد بن أبي وقاص عند مسلم والترمذي ، قال : قال معاوية لسعد : ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟! »

قال : أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم فلن أسبه ؛ فذكر هذا الحديث.

وقوله : لأعطينّ الراية رجلاً يحبّه الله ورسوله.

وقوله لما نزلت (فقلّ تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم)^(٣٣٧) دعا عليّاً وفاطمة والحسن والحسين ، فقال : اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي^(٣٣٨) .

وهذا تحريف للحديث ! إذ أسقط أولاً : « فأدخلهم تحت ثوبه » ، ثم جعلت الآية النازلة هي آية المباهلة لا آية التطهير ! فتأمل.

وفي الخصائص : أخرج حديث عمرو بن ميمون عن ابن عبّاس المتقدّم عن المسند^(٣٣٩) .

وفي المستدرک : « حدّثنا أبو العبّاس محمّد بن يعقوب ، ثنا العبّاس بن محمّد الدوري ، ثنا عثمان بن عمر ، ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، ثنا شريك بن أبي نمر ، عن عطاء بن يسار ، عن أمّ سلمة - رضي الله عنها - أنّها قالت :

في بيتي نزلت هذه الآية : (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) ، قالت: فأرسل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسلّم إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين - رضوان الله عليهم أجمعين - فقال : اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي.

قالت أمّ سلمة : يا رسول الله ، وأنا من أهل البيت ؟

قال : إنّك أهلي خير^(٣٤٠) ، وهؤلاء أهل بيتي ، اللّهمّ أهلي أحقّ.

هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

حدّثنا أبو العبّاس محمّد بن يعقوب ، أنبأ العبّاس بن الوليد بن مزيد ، أخبرني أبي ، قال : سمعت الأوزاعي يقول : حدّثني أبو عمّار ، قال : حدّثني واثلة ابن الأسقع - رضي الله عنه - قال : جئت اريد عليّاً - رضي الله عنه - فلم أجده. فقالت فاطمة - رضي الله عنها - : إنطلق إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسلّم يدعوه فاجلس ، فجاء مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسلّم فدخل ودخلت معهما. قال : فدعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسلّم حسناً وحسيناً فأجلس كلّ واحد منهما على فخذه ، وأدنى فاطمة من

(٣٣٧) سورة آل عمران ٣ : ٦١ .

(٣٣٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٧ : ٦٠ .

(٣٣٩) خصائص امير المؤمنين علي بن ابي طالب : ٥٢ الحديث ٢٤ .

(٣٤٠) كذا .

حجره وزوجها ، ثم لف عليهم ثوبه وأنا شاهد ، فقال : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) اللهم هؤلاء أهل بيتي.

هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه «^(٣٤١) .

وفي تلخيص المستدرک : وافق الحاكم على التصحيح^(٣٤٢) .

ورواه الذهبي بإسناد له عن شهر بن حوشب عن أم سلمة ، وفيه : « قالت : فأدخلت رأسي

فقلت : يا رسول الله ، وأنا معكم ؟

قال : أنت إلى خير - مرتين - .» .

ثم قال : « رواه الترمذي مختصراً وصححه من طريق الثوري ، عن زبيد ، عن شهر بن حوشب «^(٣٤٣) .

وفي الصواعق المحرقة : « الآية الأولى : قال الله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت

ويطهركم تطهيراً) أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين. لتذكير ضمير (عنكم)

وما بعده «^(٣٤٤) .

ممن نص على صحة الحديث :

هذا ، وقد قال جماعة من الأئمة بصحة الحديث الدال على اختصاص الآية الكريمة بأهل البيت

عليهم السلام ، إذ أخرجوه في الصحيح أو نصوا على صحته ، ومن هؤلاء :

١ - أحمد بن حنبل. بناءً على التزامه بالصحة في « المسند » .

٢ - مسلم بن الحجاج ، إذ أخرجه في (صحيحه) .

٣ - ابن حبان ، إذ أخرجه في (صحيحه) .

٤ - الحاكم النيسابوري ، إذ صححه في « المستدرک » .

٥ - الذهبي ، إذ صححه في « تلخيص المستدرک » تبعاً للحاكم .

٦ - ابن تيمية ، إذ قال : « فصل - وأما حديث الكساء فهو صحيح ، رواه أحمد والترمذي من

حديث أم سلمة ، ورواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة... »^(٣٤٥) .

(٣٤١) المستدرک على الصحيحين ٢ : ٤١٦ كتاب التفسير .

(٣٤٢) تلخيص المستدرک ٢ : ٤١٦ .

(٣٤٣) سير أعلام النبلاء ١٠ : ٣٤٦ - ٣٤٧ .

(٣٤٤) الصواعق المحرقة : ٢٢٠ .

(٣٤٥) منهاج السنة ٥ : ١٣ .

ما دلت عليه الأحاديث :

وهذه الأحاديث الواردة في الصحاح والمسانيد ومعاجم الحديث بأسانيد صحيحة متكاثرة جداً ، أفادت نقطتين :

أولاً : إن المراد بـ « أهل البيت » في الآية المباركة هم : النبيّ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، لا يشركهم أحد ، لا من الأزواج ولا من غيرهنّ مطلقاً .
أما الأزواج ، فلأنّ الأحاديث نصّت على أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم لم يأذن بدخول واحدة منهنّ تحت الكساء .

وأما غيرهنّ ، فلأنّ النبيّ إنّما أمر فاطمة بأن تجيء بزوجها وولديها فحسب ، فلو أراد أحداً غيرهم - حتّى من الأسرة النبويّة - لأمر بإحضاره .

وثانياً : إن الآية المباركة نزلت في واقعة معيّنة وقضيّة خاصّة ، ولا علاقة لها بما قبلها وما بعدها... ولا ينافيه وضعها بين الآيات المتعلّقة بنساء النبيّ ، إذ ما أكثر الآيات المدنيّة بين الآيات المكيّة وبالعكس ، ويشهد بذلك :

١ - مجي الضمير : « عنكم » و « يطهركم » دون : عنكنّ ويطهركنّ .

٢ - إتصال الآيات التي بعد آية التطهير بالتي قبلها ، بحيث لو رفعت آية التطهير لم يختل الكلام أصلاً... فليست هي عجزاً لآية ولا صدرأ لأخرى... كما لا يخفى .

ثمّ ما ألطف ما جاء في الحديث جواباً لقول أمّ سلمة : « ألسنت من أهل البيت ؟ » قال :

« أنت من أزواج رسول الله » !! فإنّه يعطي التفصيل مفهوماً ومصداقاً بين العنوانين :

عنوان « أهل البيت » وعنوان « الأزواج » أو « نساء النبيّ » .

فتكون الآيات المبدوءة - في سورة الأحزاب - ب : (يا نساء النبيّ)^(٣٤٦) خاصّة بـ « الأزواج » والآية (إنّما

يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) خاصّة بالعترة الطاهرة .

وحديث مروره صلى الله عليه وآله وسلّم بباب فاطمة وقوله : الصلاة أهل البيت (إنّما يريد الله

ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً).. رواه كثيرون كذلك لا نطيل بذكر رواياته .

* * *

(٣٤٦) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٢ .

الفصل الثاني

في سقوط القولين الآخرين

وبهذه الأحاديث الصحيحة المتفق عليها بين المسلمين يسقط القولان الآخران ، لأن المفروض أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسّر بنفسه - قولاً وفعلًا - الآية المباركة ، وعيّن من نزلت فيه ، فلا يسمع - والحال هذه - ما يخالف تفسيره كائناً من كان القائل ، فكيف والقائل بالقول الأوّل هو « عكرمة »؟! وقد كان هذا الرجل أشدّ الناس مخالفةً لنزول الآية في العترة الطاهرة فقط. فقد حكي عنه أنّه كان ينادي في الأسواق بنزولها في زوجات النبي فقط^(٣٤٧) وأنّه كان يقول : « من شاء باهلتها أنّها نزلت في نساء النبي خاصّة »^(٣٤٨) .

وقد كان القول بنزولها في العترة هو الرأي الذي عليه المسلمون ، كما يبدو من هذه الكلمات ، بل جاء التصريح به في كلامه حيث قال : « ليس بالذي تذهبون إليه ، إنّما هو نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم »^(٣٤٩) .

إلّا أنّ من غير الجائز الأخذ بقول عكرمة في هذا المقام وأمثاله !

ترجمة عكرمة :

فإنّ عكرمة البربري من أشهر الزنادقة الذين وضعوا الأحاديث للطعن في الإسلام ! وإليك طرفاً من تراجمه في الكتب المعتمدة المشهورة^(٣٥٠) :

١ - طعنه في الدين :

لقد ذكروا أنّ هذا الرجل كان طاعناً في الإسلام ، مستهزئاً بالدين ، من أعلام الضلالة ودعاة السوء. فقد نقلوا عنه أنّه قال : إنّما أنزل الله متشابه القرآن ليضلّ به !

(٣٤٧) جامع البيان ٢٢ : ٧ ، تفسير القرآن العظيم ٣ : ٤٩١ ، أسباب النزول للواحي : ٣٧٠ ، الحديث ٦٩٩ .

(٣٤٨) الدر المنثور ٦ : ٦٠٢ - ٦٠٣ ، تفسير القرآن العظيم ٦ : ٤١١ .

(٣٤٩) الدر المنثور ٦ : ٦٠٣ .

(٣٥٠) الطبقات الكبرى ٥ : ٢٨٧ ، الضعفاء الكبير ٣ : ٣٧٣ ، تهذيب الكمال ٢٠ : ٢٦٤ ، وفيات الأعيان ٣ : ٢٦٥ ، ميزان الاعتدال ٣ : ٩٣ ، المغني في الضعفاء ٢ : ٦٧ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ١٢ ، تهذيب التهذيب ٧ : ٢٣٤ - ٢٤٢ .

وقال في وقت الموسم : وددت أتي اليوم بالموسم وييدي حربة فأعترض بها من شهد الموسم يميناً
وشمالاً !

وأته وقف على باب مسجد النبي وقال : ما فيه إلا كافر !
وذكروا أنه كان لا يصلي ، وأنه كان في يده خاتم من الذهب ، وأنه كان يلعب بالنرد ، وأنه كان
يستمتع الغناء.

٢ - كان من دعاة الخوارج :

وأته إنما اخذ أهل أفريقية رأي الصفرية - وهم من غلاة الخوارج - منه ، وقد ذكروا أنه نحل ذلك
الرأي إلى ابن عباس !

وعن يحيى بن معين : إنما لم يذكر مالك عكرمة ، لأن عكرمة كان ينتحل رأي الصفرية.

وقال الذهبي : قد تكلم الناس في عكرمة ، لأنه كان يرى رأي الخوارج.

٣ - كان كذاباً :

كذب على سيده ابن عباس حتى أوثقه علي بن عبدالله بن عباس على باب كنيف الدار. فقيل له :
أتفعلون هذا همولاكم؟! قال : إن هذا يكذب على أبي.

وعن سعيد بن المسيب ، أنه قال لمولاه : يا برد ، إياك أن تكذب علي كما يكذب عكرمة على ابن
عباس.

وعن ابن عمر ، أنه قال لمولاه : اتق الله ، ويحك يا نافع لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن
عباس .

وعن القاسم : إن عكرمة كذاب.

وعن ابن سيرين ويحيى بن معين ومالك : كذاب.

وعن ابن ذويب : كان غير ثقة.

وحرم مالك الرواية عنه.

وأعرض عنه مسلم بن الحجاج.

وقال محمد بن سعد : ليس يحتج بحديثه.

٤ - ترك الناس جنازته :

ولهذه الأمور وغيرها ترك الناس جنازته ; قيل : فما حمله أحد ، حتى اكتروا له أربعة رجال من

السودان.

ترجمة مقاتل :

ومقاتل حاله كحال عكرمة ، فقد أدرجه كلٌّ من : الدارقطني ، والعقيلي ، وابن الجوزي ، والذهبي في (الضعفاء)... وتكفينا كلمة الذهبي : « اجمعوا على تركه »^(٣٥١) .

ترجمة الضحّاك :

وأما القول الآخر فقد عزاه ابن الجوزي إلى الضحّاك بن مزاحم فقط : وهذا الرجل أدرجه ابن الجوزي نفسه كالعقيلي في (الضعفاء) وتبعهما الذهبي فأدرجه في « المغني في الضعفاء »... ونفوا أن يكون لقي ابن عبّاس ، بل ذكر بعضهم أنّه لم يشافه أحداً من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وعن يحيى بن سعيد : كان الضحّاك عندنا ضعيفاً.

قالوا : وكانت أمّه حاملاً به سنتين!^(٣٥٢) .

هذا ، ولكن في نسبة هذا القول - كنسبة القول الأوّل إلى ابن السائب الكلبى - كلام، فقد نسب إليهما القول باختصاص الآية بالخمسة الأطهار في المصادر وهو الصحيح ، كما حقّقنا ذلك في الردّ على السالوس.

* * *

(٣٥١) سير أعلام النبلاء ٧ : ٢٠٢ .

(٣٥٢) تهذيب الكمال ١٣ : ٢٩١ ، ميزان الاعتدال ٢ : ٣٢٥ ، المغني في الضعفاء ١ : ٤٩٤ رقم ٢٩١٢ .

الفصل الثالث

في دلالة الآية المباركة على عصمة أهل البيت

وكما أشرنا من قبل ، فإن أصحابنا يستدلون بالآية المباركة - بعد تعيين المراد بأهل البيت فيها بالأحاديث المتواترة بين الفريقين - على عصمة أهل البيت... وقد جاء ذكر وجه الاستدلال لذلك مشروحاً في كتبهم في العقائد والإمامة ، وفي تفاسيرهم بذيّل الآية المباركة ، ويتلخّص في النقاط التالية :

١ - « إنّما » تفيد الحصر ، فالله سبحانه حصر إرادة إذهاب الرجس عنهم.

٢ - « الإرادة » في الآية الكريمة تكوينية ، من قبيل الإرادة في قوله تعالى : (إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)^(٣٥٣) لا تشريعية من قبيل الإرادة في قوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)^(٣٥٤) ، لأنّ التشريعية تتنافى مع نصّ الآية بالحصر ، إذ لا خصوصية لأهل البيت في تشريع الأحكام لهم. وتتنافى مع الأحاديث ، إذ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم طبّق الآية عليهم دون غيرهم.

٣ - « الرجس » في الآية هو « الذنوب ».

وتبقى شبهة : إنّ الإرادة التكوينية تدلّ على العصمة ، لأنّ تخلف المراد عن إرادته عزّ وجلّ محال ، لكنّ هذا يعني الالتزام بالجبر وهو ما لا تقول الإمامية به.

وقد أجاب علماءنا عن هذه الشبهة - بناءً على نظرية : لا جبر ولا تفويض ، بل أمر بين الأمرين - بما حاصله :

إنّ مفاد الآية أنّ الله سبحانه ممّا علم أن إرادة أهل البيت تجري دائماً على وفق ما شرّعه لهم من التشريعات ، لما هم عليه من الحالات المعنوية العالية ، صحّ له تعالى أن يخبر عن ذاته المقدّسة أنّه لا يريد لهم بإرادته التكوينية إلّا إذهاب الذنوب عنهم ، لأنّه لا يوجد من أفعالهم ، ولا يقدرهم إلّا على هكذا أفعال يقومون بها بإرادتهم لغرض إذهاب الرجس عن أنفسهم...

ثمّ إنّّه لولا دلالة الآية المباركة على هذه المنزلة العظيمة لأهل البيت ، لما حاول أعداؤهم من الخوارج والنواصب إنكارها ، بل ونسبتها إلى غيرهم ، مع أنّ أحداً لم يدّع ذلك لنفسه سواهم.

* * *

(٣٥٣) سورة يس ٣٦ : ٨٢ .

(٣٥٤) سورة البقرة ٢ : ١٨٥ .

الفصل الرابع

في تناقضات علماء السنة تجاه معنى الآية

وجاء العلماء.. وهم يعلمون بمدلول الآية المباركة ومفاد الأحاديث الصحيحة الواردة بشأنها. وهم من جهة لا يريدون الاعتراف بذلك ، لأنه في الحقيقة نسف لعقائدهم في الأصول والفروع... ومن جهة أخرى ينسبون أنفسهم إلى « السنة » ويدعون الأخذ بها والاتباع لها... فوقعوا في اضطراب ، وتناقضت كلماتهم فيما بينهم ، بل تناقضت كلمات الواحد منهم... فمنهم من وافق الإمامية ، بل - في الحقيقة - تبع السنة النبوية الثابتة في المقام وأخذ بها. ومنهم من وافق عكرمة الخارجي ومقاتل المجمع على تركه. ومنهم من أخذ بقول الضحاک الضعيف ، خلافاً لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وكبار الصحابة.

فهم على طوائف ثلاث :

ونحن نذكر من كل طائفة واحداً أو اثنين :

فمن الطائفة الاولى :

أبو جعفر الطحاوي^(٣٥٥) قال : « باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في المراد بقوله تعالى (إِنَّمَا يَرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) من هم ؟

حدَّثنا الربيع المرادي ، حدَّثنا أسد بن موسى ، حدَّثنا حاتم بن إسماعيل ، حدَّثنا بكير بن مسمار ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه ، قال : لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام ، وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي.

(٣٥٥) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المصري الحنفي - المتوفى سنة ٣٢١ هـ - توجد ترجمته مع الثناء البالغ في : طبقات أبي إسحاق الشيرازي : ١٤٨ ، والمنظوم ١٣ : ٣١٨ ، ووفيات الأعيان ١ : ٧١ ، وتذكرة الحفاظ ٣ : ٨٠٨ والجواهر المضية في طبقات الحنفية ١ : ٢٧١ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ١ : ١١٦ ، وحسن المحاضرة ١ : ٢٥٠ ، وطبقات الحفاظ : ٣٣٩ ، وغيرها. وقد عنونه الحافظ الذهبي بقوله : « الطحاوي الإمام العلامة ، الحافظ الكبير ، محدث الديار المصرية وفقهها » قال : « ذكره أبو سعيد بن يونس فقال : عداه في حجر الأزد ، وكان ثقة ثبتاً فقيهاً عاقلاً لم يخلف مثله » قال الذهبي : « قلت : من نظر في تواليف هذا الإمام علم محلّه من العلم وسعة معارفه... » سير أعلام النبلاء ١٥ : ٢٧ - ٣٢.

فكان في هذا الحديث أنّ المراد بما في هذه الآية هم : رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَحَسَنَ وَحُسَيْنَ.

حدَّثنا فهد ، ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير بن عبد الحميد ، عن الأعمش ، عن جعفر ، عن عبد الرحمن البجلي ، عن حكيم بن سعيد ، عن أمّ سلمة ، قالت : نزلت هذه الآية في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَحَسَنَ وَحُسَيْنَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (إِنَّمَا يَرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً).

ففي هذا الحديث الذي في الأوّل «.

ثمّ إنّهُ أخرج بأسانيد عديدة هذا الحديث عن أمّ سلمة ، وفيها الدلالة الصريحة على اختصاص الآية بأهل البيت الطاهرين ، وهي الأحاديث التي جاء فيها أنّ أمّ سلمة سألت : « وأنا معهم ؟ » فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « أنت من أزواج النبيّ ، وأنت على خير - أو : إلى خير - ».

وقالت : « فقلت : يا رسول الله ، أنا من أهل البيت ؟ فقال : إنّ لك عند الله خيراً. فوددت أنّه قال نعم ، فكان أحبّ إليّ ممّا تطلع عليه الشمس وتغرب ».

وقالت : « فرفعت الكساء لأدخل معهم ، ف جذبته رسول الله وقال : إنّك على خير ».

قال الطحاوي : « قدلّ ما روينا من هذه الآثار - ممّا كان من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى أمّ سلمة - ممّا ذكرنا فيها لم يرد به أنّها كانت ممّا أريد به ممّا في الآية المتلوّة في هذا الباب ، وأنّ المراد بما فيها هم : رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَحَسَنَ وَحُسَيْنَ دُونَ مَنْ سِوَاهُمْ - يدلّ على مراد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقوله لأمّ سلمة في هذه الآثار من قوله لها : (أنت من أهلي) :

ما قد حدّثنا محمّد بن الحجّاج الحضرمي وسليمان الكيساني ، قالوا : حدّثنا بشر بن بكر ، عن الأوزاعي ، أخبرني أبو عمّار ، حدّثني واثلة... فقلت : يا رسول الله ، وأنا من أهلك ؟ فقال : وأنت من أهلي.

قال واثلة : فإنّها من أرجى ما أرجو !

وواثلة أبعد منه عليه السلام من أمّ سلمة منه ، لأنّه إنّما هو رجل من بني ليث ، ليس من قريش. وأمّ سلمة موضعها من قريش موضعها الذي به منه.

فكان قوله لواثلة : أنت من أهلي ، على معنى : لا تباغك إيّاي وإيمانك بي ، فدخلت بذلك في

جمليتي.

وقد وجدنا الله تعالى قد ذكر في كتابه ما يدل على هذا المعنى بقوله :

(ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي)^(٣٥٦) فأجابه في ذلك بأن قال : (إنه ليس من أهلك)^(٣٥٧) إنه يدخل

في أهله من يوافقه على دينه وإن لم يكن من ذوي نسبه.

فمثل ذلك أيضاً ما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جواباً لأُم سلمة : « أنت من أهلي

« يحتمل أن يكون على هذا المعنى أيضاً ، وأن يكون قوله ذلك كقوله مثله لوأثله.

وحديث سعد وما ذكرناه معه من الأحاديث في أول الباب معقول بها من أهل الآية المتلوّة فيها ،

لأننا قد أحطنا علماً أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما دعا من أهله عند نزولها لم يبق من أهلها

المرادين فيها أحد سواهم ، وإذا كان ذلك كذلك استحال أن يدخل معهم فيما أريد به سواهم. وفيما

ذكرنا من ذلك بيان ما وصفنا.

فإن قال قائل : فإن كتاب الله تعالى يدل على أن زواج النبي هم المقصودون بتلك الآية ، لأنه قال

قبلها في السورة التي هي فيها : (يا أيها النبي قل لأزواجك...)^(٣٥٨) فكان ذلك كله يؤذن به ، لأنه على خطاب

النساء لا على خطاب الرجال ، ثم قال : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الآية.

فكان جوابنا له : إن الذي تلاه إلى آخر ما قبل قوله : (إنما يريد الله) الآية.. خطاب لأزواجه ، ثم

أعقب ذلك بخطابه لأهله بقوله تعالى : (إنما يريد الله) الآية ، فجاء به على خطاب الرجال ، لأنه قال فيه : (

ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم) وهكذا خطاب الرجال ، وما قبله فجاء به بالنون وكذلك خطاب

النساء.

فعقلنا أن قوله : (إنما يريد الله) الآية ، خطاب لمن أرادته من الرجال بذلك ، ليعلمهم تشريفه لهم

ورفعه لمقدارهم أن جعل نساءهم ممن قد وصفه لما وصفه به مما في الآيات المتلوّة قبل الذي خاطبهم

به تعالى.

ومما دل على ذلك أيضاً ما حدّثنا... عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا

خرج إلى صلاة الفجر يقول : الصلاة يا أهل البيت (إنما يريد الله) الآية.

وما قد حدّثنا... حدّثني أبو الحمراء ، قال : صحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...

في هذا أيضاً دليل على أن هذه الآية فيهم. وبالله التوفيق «^(٣٥٩).

(٣٥٦) سورة هود ١١ : ٤٥ .

(٣٥٧) سورة هود ١١ : ٤٦ .

(٣٥٨) سورة الأحزاب ٣٣ : ٢٨ .

(٣٥٩) مشكل الآثار ١ : ٣٣٢ - ٣٣٩ .

ومن الطائفة الثانية :

ابن الجوزي^(٣٦٠) والذهبي^(٣٦١) .. فإنهما تبعاً لعكرمة البربري الخارجي ، ومقاتل بن سليمان ، على ما هو مقتضى تعصّبهما وعنادهما لأهل البيت عليهم السلام !

ومن الطائفة الثالثة :

ابن كثير.. فإنه بعد أن ذكر فرية عكرمة قال : « فإن كان المراد أنهم كنّ سبب النزول دون غيرهنّ ، فصحيح ؛ وإن أريد أنهم المراد فقط دون غيرهنّ ، ففي هذا نظر. فإنه قد وردت أحاديث تدلّ على أنّ المراد أعمّ من ذلك ».

ثمّ أورد عدّة كثيرة من تلك الأحاديث التي هي نصّ في اختصاص الآية بالرسول والوصي والحسين والصدّيقة الطاهرة عليهم الصلاة والسلام ، وأنّ قول عكرمة مخالف للكتاب والسنة...

غير أنّ تعصّبه لم يسمح له بالإذعان لذلك ، حتّى قال بدخول الزوجات في المراد بالآية! متشبّهتاً بالسياق ، فقال : « ثمّ الذي لا يشكّ فيه من تدبّر القرآن أنّ نساء النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم داخلات في قوله تعالى : (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) فإنّ سياق الكلام معهنّ... »^(٣٦٢).

اعتراف ابن تيميّة بصحّة الحديث :

والعجب أنّ ابن تيميّة لا يقول بهذا ولا بذاك ! بل يذعن بصحّة الحديث كما استدلّ العلامة الحليّ - رحمه الله - ، قال العلامة :

« ونحن نذكر هنا شيئاً يسيراً ممّا هو صحيح عندهم ، ونقلوه في المعتمد من كتبهم ، ليكون حجّة عليهم يوم القيامة ، فمن ذلك :

ما رواه أبو الحسن الأندلسي^(٣٦٣) في « الجمع بين الصحاح الستّة » موطأ مالك ، وصحيح مسلم والبخاري ، وسنن أبي داود ، وصحيح الترمذي ، وصحيح النسائي: عن أمّ سلمة - زوج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم - أن قوله تعالى : (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) أنزلت في بيتها : وأنا

(٣٦٠) وهذا ظاهر كلامه في زاد المسير ٦ : ٣٨١ ، حيث ذكر هذا القول أولاً وجعل يدافع عنه !

(٣٦١) سير أعلام النبلاء ٢ : ٢٠٧ .

(٣٦٢) تفسير القرآن العظيم ٦ : ٤١١ .

(٣٦٣) وهو : رزين بن معاوية العبدري ، صاحب « تجريد الصحاح » المتوفى سنة ٥٣٥ كما في سير أعلام النبلاء ٢٠ : ٢٠٤ حيث ترجم له ووصفه بـ : الإمام المحدث الشهير ، وحكى عن ابن عساكر : « كان إمام المالكيين بالحرم ». وترجم له أيضاً في : تذكرة الحفاظ ٤ : ١٢٨١ ، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٤ : ٩٦ ، والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٦٧ ، ومرآة الجنان ٣ : ٢٠١ ، وغيرها.

جالسة عند الباب ، فقلت : يا رسول الله ، ألسنت من أهل البيت ؟ فقال : إنك على خير ، إنك من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قالت : وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ وفاطمة وحسن وحسين ، فجلّهم بكساء وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً^(٣٦٤) .
فقال ابن تيمية :

« فصل : وأما حديث الكساء فهو صحيح ، رواه أحمد والترمذي من حديث أم سلمة ، ورواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة ، قالت : خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله معه في المرط ، ثمّ جاء الحسين فأدخله معه ، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها ، ثمّ جاء عليّ فأدخله ، ثمّ قال : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً).

وهذا الحديث قد شركه فيه فاطمة وحسن وحسين - رضي الله عنهم - فليس هو من خصائصه ، ومعلوم أنّ المرأة لا تصلح للإمامة ، فعلم أنّ هذه الفضيلة لا تختصّ بالأئمة ، بل يشركهم فيها غيرهم .
ثمّ إنّ مضمون هذا الحديث أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا لهم بأن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيراً.

وغاية ذلك أن يكون دعا لهم بأن يكونوا من المتّقين الذين أذهب الله عنهم الرجس ويطهرهم ؛ واجتناب الرجس واجب على المؤمنين ، والطهارة مأمور بها كلّ مؤمن..

قال الله تعالى : (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم)^(٣٦٥) وقال : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّهم بها)^(٣٦٦) وقال تعالى : (إن الله يحبّ التوابين ويحبّ المتطهرين)^(٣٦٧) .

فغاية هذا أن يكون هذا دعاءً لهم بفعل المأمور وترك المحذور ، والصديق - رضي الله عنه - قد أخبر الله عنه بأنّه (الأتقى * الذي يؤتي ماله يتزكّى وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربّه الأعلى ولسوف يرضى)^(٣٦٨) .

وأيضاً : فإنّ السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان (رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنّات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم)^(٣٦٩) لابدّ أن يكونوا قد فعلوا المأمور وتركوا

(٣٦٤) منهاج الكرامة : ١٠٢ - ١٠٣ .

(٣٦٥) سورة المائدة ٥ : ٦ .

(٣٦٦) سورة التوبة ٩ : ١٠٣ .

(٣٦٧) سورة البقرة ٢ : ٢٢٢ .

(٣٦٨) سورة الليل ٩٢ : ١٧ - ٢١ .

المحظور ، فإنَّ هذا الرضوان وهذا الجزاء إمَّا ينال بذلك وحينئذ فيكون ذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم من الذنوب بعض صفاتهم.

فما دعا به النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم لأهل الكساء هو بعض ما وصف الله به السابقين الأولين.

والنبيُّ دعا لغير اهل الكساء بان يصلي الله عليهم ، ودعا لأقوام كثيرين بالجنَّة والمغفرة وغير ذلك ، ممَّا هو أعظم من الدعاء بذلك ، ولم يلزم أن يكون من دعا له بذلك أفضل من السابقين الأولين ، ولكنَّ أهل الكساء ممَّا كان قد أوجب عليهم اجتناب الرجس وفعل التطهير ، دعا لهم النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم بأن يعينهم على فعل ما أمرهم به ، لئلاَّ يكونوا مستحقِّين للذمِّ والعقاب ، ولينالوا المدح والثواب « (٣٧٠) .

هذا نصُّ كلام ابن تيميَّة ، وأنت ترى فيه :

١ - الاعتراف بصحَّة الحديث الدالِّ على نزول الآية المباركة في أهل الكساء دون غيرهم.

٢ - الاعتراف بأنَّه فضيلة.

٣ - الاعتراف بعدم شمول الفضيلة لغير عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

فأين قول عكرمة؟! وأين السياق؟! وأين ما ذهب إليه ابن كثير!؟

سقوط كلمات ابن تيميَّة :

وتبقى كلمات ابن تيميَّة ، فإنَّه بعد عرض عن قول عكرمة ، وعن قول من قال بالجمع ، واعترف بالاختصاص بالعترة ، أجاب عن الاستدلال بالآية المباركة بوجوه واضحة البطلان :

* فأولُّ شيء قاله هو : « هذا الحديث قد شرکه فيه فاطمة... » .

وفيه : إنَّ العلامة الحليَّ لم يدَّع كون الحديث من خصائص عليٍّ عليه السلام ، بل الآية المباركة والحديث يدلَّان على عصمة « أهل البيت » وهم : النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلَّم وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين.. والمعصوم هو المتعین للإمامة بعد رسول الله ، غير أنَّ المرأة لا تصلح للإمامة. نعم ، هو من خصائصه في مقابل أبي بكر وغيره ، وهذا هو المهم .

* ثمَّ قال : « ثمَّ إنَّ مضمون هذا الحديث أنَّ النبيَّ دعا لهم... بأن يكونوا من المتقين الذين أذهب

الله عنهم الرجس... فغاية هذا أن يكون هذا دعاء لهم بفعل المأمور وترك المحظور .»

(٣٦٩) سورة التوبة ٩ : ١٠٠ .

(٣٧٠) منهاج السنَّة ٥ : ١٣ - ١٥ .

وهذا من قلة فهمه أو شدة تعصبه :

أما أولاً : فلأنه ينافي صريح الآية المباركة ، لأن « إنما » دالة على الحصر ، وكلامه دال على عدم الحصر ، فما ذكره رد على الله والرسول.

أما ثانياً : فلأن في كثير من « الصحاح » أن الآية نزلت ، فدعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي... فالله عز وجل يقول : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت...) والنبى صلى الله عليه وآله وسلم يعين « أهل البيت » وأنهم هؤلاء دون غيرهم.

وأما ثالثاً : فلأنه لو كان المراد هو مجرد الدعاء لهم بأن يكونوا « من المتقين » و« الطهارة مأمور بها كل مؤمن » « فغاية هذا أن يكون دعاء لهم بفعل المأمور وترك المحذور » فلا فضيلة في الحديث ، وهذا يناقض قوله من قبل : « فعلم أن هذه الفضيلة... !! »

وأما رابعاً : فلأنه لو كان « غاية ذلك أن يكون دعاء لهم بفعل المأمور وترك المحذور » فلماذا لم يأذن لأم سلمة بالدخول معهم؟!

أكانت « من المتقين الذين أذهب الله عنهم الرجس... » فلا حاجة لها إلى الدعاء؟! أو لم يكن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يريد منها أن تكون « من المتقين... »؟!

وأما خامساً : فلو سلمنا أن « غاية هذا أن يكون دعاء لهم... » لكن إذا كان الله سبحانه « يريد » والرسول « يدعو » - ودعاؤه مستجاب قطعاً - كان « أهل البيت » متصفين بالفعل بما دلّت عليه الآية والحديث.

* فقال : « والصديق قد أخبر الله عنه... ».

وحاصله : إن غاية ما كان في حق « أهل البيت » هو « الدعاء » وليس في الآية ولا الحديث إشارة إلى « استجابة » هذا الدعاء ، فقد يكون وقد لا يكون ، وأما ما كان في حق « أبي بكر » فهو « الأخبار » فهو كائن ، فهو أفضل من « أهل البيت » !!

وفيه :

أولاً : في « أهل البيت » في الآية شخص النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا ريب في أفضليته المطلقة.

وثانياً : في « أهل البيت » في الآية فاطمة الزهراء ، وقد اعترف غير واحد من أعلام القوم بأفضليتها من أبي بكر :

فقد ذكر العلامة المناوي بشرح الحديث المتفق عليه بين المسلمين : « فاطمة بضعة منِّي فمن أغضبها أغضبني » : « استدلَّ به السهيلي^(٣٧١) على أنَّ من سبَّها كفر ، لأنَّه يغضبه ، وأنها أفضل من الشيخين .»

وقال : « قال الشريف السمهودي : ومعلوم أنَّ أولادها بضعة منها ، فيكونون بواسطتها بضعة منه ، ومن ثمَّ لما رأت أمَّ الفضل في النوم أنَّ بضعةً منه وضعت في حجرها أولها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن تلد فاطمة غلاماً فيوضع في حجرها ، فولدت الحسن فوضع في حجرها. فكلُّ من يشاهد الآن من ذرِّيَّتها بضعة من تلك البضعة وإن تعدَّدت الوسائط ، ومن تأمَّل ذلك انبعث من قلبه داعي الإجلال لهم وتجنَّب بغضهم على أيِّ حال كانوا عليه.

قال ابن حجر : وفيه تحريم أذى من يتأذى المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بتأذيه ، فكل من وقع منه في حقِّ فاطمة شيء فتأذت به فالنبيُّ صلى اللهُ عليه وآله وَسَلَّمَ يتأذى به بشهادة هذا الخبر ، ولا شيء أعظم من إدخال الأذى عليها من قبل ولدها ، ولهذا عرف بالإستقراء معاجلة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا (ولعذاب الآخرة أشد) «^(٣٧٢)»^(٣٧٣).

وثالثاً : في « أهل البيت » في الآية : الحسن والحسين ، وإنَّ نفس الدليل الذي أقامه الحافظ السهيلي وغيره على تفضيل الزهراء دليل على أفضليَّة الحسين ، بالإضافة إلى الأدلَّة الأخرى ، ومنها « آية التطهير » و« حديث الثقلين » الدالِّين على « العصمة » ، ولا ريب في أفضليَّة المعصوم من غيره.

ورابعاً : في « أهل البيت » في الآية : أمير المؤمنين عليه السلام ، وهي - مع أدلَّة غيرها لا تحصى - تدلُّ على أفضليَّته على جميع الخلائق بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وخامساً : كون المراد من الآية (الأتقى...) « أبو بكر » هو قول انفراد القوم به ، فلا يجوز أن يعارض به القول المتفق عليه.

وسادساً : كون المراد بها « أبو بكر » أوَّل الكلام ، وقد تقدَّم الكلام على ذلك.

* قال : « وأيضاً : فإنَّ السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار... فما دعا به النبيُّ... ».

وحاصله : أفضليَّة « السابقين الأولين... » من « أهل البيت » المذكورين.

(٣٧١) عبد الرحمن بن عبد الله ، العلامة الأندلسي ، الحافظ العلم ، صاحب التصانيف ، برع في العربيَّة واللغات والأخبار والأثر ، وتصدَّر للإفادة ، من أشهر مؤلفاته : الروض الأنف - شرح « السيرة النبويَّة » لابن هشام - توفيَّ سنة ٥٨١ ، له ترجمة في : مرآة الجنان ٣ : ٣٢٠ ، النجوم الزاهرة ٦ : ١٠٠ - ١٠١ ، العبر ٣ : ٨٢ .

(٣٧٢) سورة طه ٢٠ : ١٢٧ .

(٣٧٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤ : ٤٢١ .

ويرد عليه : ما ورد على كلامه السابق ، فإن هذا فرع أن يكون الواقع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو صرف « الدعاء » .. وقد عرفت أن الآية تدل على أن الإرادة الإلهية تعلقت بإذهاب الرجس عن أهل البيت وتطهيرهم تطهيراً ، فهي دالة على عصمة « أهل البيت » وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأعلن للأمة الإسلامية أنهم : هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

ثم إن الآية : (والسابقون الاولون...)^(٣٧٤) المراد فيها أمير المؤمنين عليه السلام، ويشهد بذلك تفسير قوله تعالى : (والسابقون السابقون * أولئك المقربون)^(٣٧٥) بعلي عليه السلام.

فعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « السَّبَقُ ثلاثة ، السابق إلى موسى : يوشع بن نون ، والسابق إلى عيسى : صاحب ياسين ، والسابق إلى محمد صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم علي بن أبي طالب ».

قال الهيثمي : « رواه الطبراني ، وفيه : حسين بن حسن الأشقر ، وثقه ابن حبان ، وضعفه الجمهور ، وبقيه رجاله حديثهم حسن أو صحيح »^(٣٧٦) .

قلت :

« الحسين بن حسن الأشقر » من رجال النسائي في (صحيحه) وقد ذكروا أن للنسائي شرطاً في صحيحه أشد من شرط الشيخين^(٣٧٧) .. وقد روى عنه كبار الأئمة الأعلام : كأحمد بن حنبل ، وابن معين ، والفلأس ، وابن سعد ، وأمثالهم^(٣٧٨) .

وقد حكى الحافظ بترجمته ، عن العقيلي ، عن أحمد بن محمد بن هانئ ، قال : قلت لأبي عبد الله - يعني ابن حنبل - تحدث عن حسين الأشقر؟! قال : لم يكن عندي ممن يكذب.

وذكر عنه التشيع فقال له العباس بن عبد العظيم : إنه يحدث في أبي بكر وعمر. وقلت أنا : يا أبا عبد الله ! إنه صنف باباً في معايبهما. فقال : ليس هذا بأهل أن يحدث عنه^(٣٧٩) .

وكأن هذا هو السبب في تضعيف غير أحمد ، وعن الجوزجاني : غال ، من الشتامين للخيرة^(٣٨٠) . ولذا يقولون : له مناكير ، وأمثال هذه الكلمة مما يدل على طعنهم في أحاديث الرجل في فضل علي أو

(٣٧٤) سورة التوبة ٩ : ١٠٠ .

(٣٧٥) سورة الواقعة ٥٦ : ١٠ و ١١ .

(٣٧٦) مجمع الزوائد ٩ : ١٠٢ .

(٣٧٧) تذكرة الحفاظ ٢ : ٧٠٠ .

(٣٧٨) تهذيب التهذيب ٢ : ٢٩١ .

(٣٧٩) تهذيب التهذيب ٢ : ٢٩١ .

الخط من مناوئيه ، وليس لهم طعن في الرجل نفسه ، ولذا قال ابن معين : كان من الشيعة الغالية. فقيل له : فكيف حديثه؟! قال لا بأس به. قيل: صدوق؟ قال : نعم ، كتبت عنه^(٢٨١) .

ومن هنا قال الحافظ : « الحسين بن حسن الأشقر ، الفزاري ، الكوفي صدوق ، يهمل ويغلو في التشيع ، من العاشرة ، مات سنة ٢٠٨ ، س »^(٢٨٢) .

وأما أبو بكر .. فلم يكن من السابقين الأولين :

قال أبو جعفر الطبري : « وقال آخرون : أسلم قبل أبي بكر جماعة. ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا كنانة بن جبلة ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن الحجّاج بن الحجّاج

، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن محمّد بن سعد ، قال : قلت لأبي :

أكان أبو بكر أولكم إسلاماً ؟

فقال : لا ؛ ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ؛ ولكن كان أفضلنا إسلاماً »^(٢٨٣) .

تناقض ابن تيمية :

ثم إن ابن تيمية تعرض لآية التطهير في موضع آخر ، ولكنّه هذه المرّة لم ينصّ على صحّة الحديث ! ولم يعترف بمفاده ! بل ادّعى كون الأزواج من أهل البيت ! وهو القول الثالث الذي نسبه ابن الجوزي إلى الضحّاك بن مزاحم ، وهذه هي عبارته.

« وأما آية الطهارة فليس فيها إخبار بطهارة أهل البيت وذهاب الرجس عنهم ، وإمّا فيها الأمر لهم بما يوجب طهارتهم وذهاب الرجس عنهم ، فإنّ قوله : (إمّا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وقوله تعالى : (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) وقوله : (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم * والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً * يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً) .

فالإرادة هنا متضمنة للأمر والمحبة والرضا ، وليست هي المشيئة المستلزمة لوقوع المراد ، فإنّه لو كان كذلك لكان قد تطهّر كلّ من أراد الله طهارته. وهذا على قول هؤلاء القدرية الشيعة أوجه ، فإنّ عندهم أنّ الله يريد ما لا يكون! ويكون ما لا يريد !

فقوله : (إمّا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) إذا كان هذا بفعل المأمور وترك

المحظور كان ذلك متعلّقاً بإرادتهم وأفعالهم ، فإن فعلوا ما أمروا به طهروا وإلا فلا.

(٢٨١) تهذيب التهذيب ٢ : ٢٩٢ .

(٢٨٢) تهذيب التهذيب ١ : ١٧٥ .

(٢٨٣) تاريخ الطبري ٢ : ٣١٦ .

وهم يقولون : إنَّ الله لا يخلق أفعالهم ولا يقدر على تطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم ، وأمَّا المثبتون للقدر فيقولون : إنَّ الله قادر على ذلك ، فإذا ألهمهم فعل ما أمر وترك ما حظر حصلت الطهارة وذهاب الرجس.

وممَّا يبيِّن أنَّ هذا ممَّا أمرُوا به لا ممَّا أخبروا بوقوعه : ما ثبت في الصحيح أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم أدار الكساء على عليٍّ وفاطمة وحسن وحسين ثمَّ قال اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه عن عائشة ، ورواه أهل السنن عن أمِّ سلمة.

وهو يدلُّ على ضدِّ قول الرافضة من وجهين : أحدهما : أنَّه دعا لهم بذلك. وهذا دليل على ان الآية لم يخبر بوقوع ذلك ، فإنَّه لو كان قد وقع لكان يثني على الله بوقوعه ويشكره على ذلك ، لا يقتصر على مجرد الدعاء به. الثاني : إنَّ هذا يدلُّ على أنَّ الله قادر على إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم ، وذلك يدلُّ على أنَّه خالق أفعال العباد.

وممَّا يبيِّن أنَّ الآية متضمَّنة للأمر والنهي قوله في سياق الكلام : (يا نساء النبيِّ من يأت منكنَّ بفاحشة... إني ما يريد الله ليذهب... واذكرن ما يتلى في بيوتكنَّ من آيات الله والحكمة إنَّ الله كان لطيفاً خبيراً).

وهذا السياق يدلُّ على أنَّ ذلك أمر ونهي. ويدلُّ على أنَّ أزواج النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم من أهل بيته ، فإنَّ السياق إمَّا هو في مخاطبتهن.

ويدلُّ على أنَّ قوله (ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) عمَّ غير أزواجه ، كعليٍّ وفاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم ، لأنَّه ذكره بصيغة التذكير ممَّا اجتمع المذكر والمؤنَّث. وهؤلاء خصَّوا بكونهم من أهل البيت من أزواجه ، فلهذا خصَّهم بالدعاء ممَّا أدخلهم في الكساء ، كما أنَّ مسجد قباء أسَّس على التقوى ، ومسجده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم أيضاً أسَّس على التقوى وهو أكمل في ذلك. فلما نزل قوله تعالى : (مسجد أسَّس على التقوى من أوَّل يوم...)^(٣٨٤) بسبب مسجد قباء تناول اللفظ لمسجد قباء ولمسجده [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّم] بطريق الأولى.

(٣٨٤) سورة التوبة ٩ : ١٠٨ .

وقد تنازع العلماء : هل أزواجه من آله ؟ على قولين ، هما روايتان عن أحمد ، أصحهما أنهن من آله وأهل بيته ، كما دلّ على ذلك ما في الصحيحين من قوله : اللهم صلّ على محمد وعلى أزواجه وذريته . وهذا مبسوط في موضع آخر «^(٣٨٥) .

أقول :

لقد حاول ابن تيمية التهرب من الالتزام بمفاد الآية المباركة والسنة النبوية الثابتة الصحيحة الواردة بشأنها - كما اعترف هو أيضاً - بشبهات واهية وكلمات متهافئة ، ومن راجع كتب الأصحاب في بيان الاستدلال بالآية المباركة - على ضوء السنة المتفق عليها - عرف موارد النظر ومواضع التعصّب في كلامه...

وقد ذكرنا نحن أيضاً طائفة من الأحاديث المشتملة على وقوع إذهاب الرجس عن أهل البيتوتطهيرهم عنه من الله سبحانه بإرادته التكوينية غير المنافية لمذهب أهل البيت في مسألة الجبر والإختيار.

فالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم قد عيّن المراد من « أهل البيت » عليهم السلام في الآية المباركة بعد نزول الآية المباركة ، ودعا لهم أيضاً ولا ريب في أن دعاءه مستجاب.

كما علمنا من الخصوصيات الموجودة في نفس الآية ، ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في معناها أنّ الآية خاصة بأهل البيت ، وهذا ما اعترف به جماعة من أئمة الحديث كالطحاوي وابن حبان تبعاً لأزواج النبيّ وأعلام الصحابة ، وأنها نازلة في قضية خاصة ، غير أنّها وضعت ضمن آيات نساء النبيّ ، وكم له من نظير ، حيث وضعت الآية المكّية ضمن آيات مدنية أو المدنية ضمن آيات مكّية.

وقد دلّت الآية المباركة والأحاديث المذكورة وغيرها على أنّ عنوان « أهل البيت » - أي : أهل بيت النبيّ - لا يعمّ أزواجه ، بل لا يعمّ أحداً من عشيرته وأسرته إلاّ بقريته.

هذا ، وفي صحيح مسلم في ذيل حديث الثقلين عن زيد بن أرقم ، أنّه سئل : هل نساؤه من أهل بيته ؟ قال : « لا وأيم الله ، إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثمّ يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها ».

وهذا هو الذي دلّت عليه الأحاديث.

وأما ما رووه عنه من أنّ : « أهل بيته من حرم الصدقة من بعده » فيردّ تطبيقه على مانحن فيه الأحاديث المتواترة المذكور بعضها ، ومن الواضح عدم جواز رفع اليد عن مفادها بقول زيد هذا.

(٣٨٥) منهاج السنة ٤ : ٢١ - ٢٤ .

خلاصة البحث

وتلخص : أن الآية المباركة لم تنزل إلا في العترة الطاهرة ، وهذا ما أشار إليه السيّد - رحمه الله - بقوله : « هل حكمت محكماته بذهاب الرجس عن غيرهم؟! وهل لأحد من العالمين كآية تطهيرهم؟! » .«

فقبل :

« هذه الآية لم تنزل في آل البيت - كما يفهم المؤلّف - بل نزلت في نساء النبيّ صلى الله عليه وآله] وسلّم ، وإن كان معناها متضمناً لآل البيت بالمفهوم الضيق الذي يفهمه الشيعة ، وهم أبناء عليّ وفاطمة.

وليس فيها اخبار بذهاب الرجس وبالطهارة ، وإنما فيها الأمر بما يوجب طهارتهم وذهاب الرجس عنهم ، وذلك كقوله تعالى (المائدة : ٦) (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) وكقوله تعالى : (النساء : ٢٦) : (يريد الله لبيّن لكم ويهديكم) وكقوله (النساء : ٢٨) : (يريد الله أن يخفف عنكم)... ومما يبيّن أنّ ذلك ممّا أمروا به لا ممّا أخبر بوقوعه : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله] وسلّم أدار الكساء على عليّ وفاطمة والحسن والحسين ثمّ قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. رواه مسلم من حديث عائشة ، ورواه أصحاب السنن من حديث أمّ سلمة. وفيه دليل على أنّه تعالى قادر على إذهاب الرجس والتطهير.

ومما يبيّن أنّ الآية متضمنة للأمر والنهي قوله في سياق الكلام (الأحزاب : ٣٠ - ٣٤) (يا نساء النبيّ من يأت منكنّ بفاحشة مبينة) إلى قوله : (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً * واذكرن ما يتلى في بيوتكنّ...).

فهذا السياق يدلّ على أنّ ذلك أمر ونهي ، وأنّ الزوجات من أهل البيت ، فإنّ السياق إنّما هو في مخاطبتهن. ويدلّ الضمير المذكّر على أنّه عمّ غير زوجاته كعليّ وفاطمة وابنيهما ، كما أن مسجد قبا

أسس على التقوى ، ومسجده أيضاً أسس على التقوى وهو أكمل في ذلك ، فلمّا نزلت (التوبة : ١٠٨) : (مسجد أسس على التقوى) تناول اللفظ مسجد قبا ومسجده بطريق الأولى.

وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن أرقم^(٣٨٦) : (... وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي. ثلاثاً)

فقال الحصين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟!

قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده.

قال : ومن هم ؟

قال : آل عليّ ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس.

قال : كل هؤلاء حرم الصدقة ؟!

قال : نعم . (مسلم ١٢٢/٧ - ١٢٣) .

وفي الصحيحين : اللهم صلّ على محمد وعلى أزواجه وذريته^(٣٨٧) . (المنتقى : ١٦٩) .

وعلى هذا ، فإن كلام المؤلّف عن هذه بأنّها قد حكمت بذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم كلام تنقصه الدقّة ، بل فيها حكم بإرادة الله ذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم ، وذلك إذا فعلوا ما سبق أن خوطبت به نساء النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم في الآيات السابقة .»

أقول :

وهذا الكلام هو كلام ابن تيمية ، وقد ذكرنا غير مرّة أنّ هؤلاء المتأخّرين ، المناوئين لأهل البيت الطاهرين ، يلجأون إلى كلمات ابن تيمية متى ما أعوزهم الدليل ، وقد عرفت التهافت والتناقض في كلمات ابن تيمية حول آية التطهير.

لكنّ هذا الرجل اختار هذا الكلام دون كلامه السابق ، لخلوّ هذا من التصريح بصحّة الحديث وكونه فضيلةً خاصّةً بأهل البيت عليهم السلام !!

على أنّ نفس هذا الكلام أيضاً متهافت - كما لا يخفى على أهل النظر والتدقيق - لأنّه يقول أوّلاً :

« هذه الآية لم تنزل في آل البيت كما يفهم المؤلّف » ففي من نزلت ؟!

يقول : « بل نزلت في نساء النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم .»

وهذا قول عكرمة الخارجي !

(٣٨٦) كذا .

(٣٨٧) صحيح البخاري ٤ : ٦٣٦٠/٢٠٦ . صحيح مسلم ١ : ٤٠٧/٣٧١ .

لكنّه يستدرك قائلاً : « وإن كان معناها متضمناً لآل البيت... ».

وهذا عدول عن رأي عكرمة وقبول للقول الآخر.

ثمّ يناقض نفسه فيقول : « ويدلّ الضمير المذكّر على أنّه عمّ غير زوجاته كعليّ وفاطمة وابنيهما » لأنّ ظاهر قوله : « كان معناها متضمناً... » نزول الآية في النساء فقط وهو قول عكرمة ، وقوله : « ويدلّ الضمير المذكّر... » صريح في شمول الآية لغير النساء !!

لكنّ قوله - تبعاً لابن تيميّة - : « كعليّ... » خروج عمّا ذهب إليه المسلمون قاطبةً...

وعلى كلّ حال فإنّها محاولات يائسة.. للتملّص عمّا جاءت به السنّة النبويّة الشريفة الثابتة لدى المسلمين..

وما كلّ هذه التمخّلات والمكابرات وأمثالها من الكُتّاب المتأخّرين كالدكتور السالوس، كما في كتابنا : مع الدكتور السالوس في آية التطهير - إلاّ لعلم القوم بما تنطوي عليه الآية المباركة والأحاديث الواردة في معناها من دلالات...

والله هو العاصم ، وهو ولي التوفيق.

* * *

آية المودة

قال السيّد رحمه الله :

« هل حكم بافتراض المودة لغيرهم محكم التنزيل؟! ».

قال في الهامش :

« كلاً ، بل اختصهم الله سبحانه بذلك تفضيلاً لهم على من سواهم فقال :

(قل لا أسئلكم أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنةً (وهي هنا مودّتهم) نزدله فيها حسناً إن الله غفور (لأهل

مودّتهم) شكور (لهم على ذلك) »^(٣٨٨) .

ف قيل :

« هذه الآية قال الإمام أحمد في سبب نزولها :

حدّثنا يحيى ، عن شعبة ، حدّثني عبد الملك بن ميسرة ، عن طاووس ، قال : أتى ابن عبّاس رجل

فسأله..

وسليمان بن داود ، قال : أخبرنا شعبة ، أنبأني عبد الملك ، قال سمعت طاووساً يقول : سألت رجل

ابن عبّاس المعنى عن قول الله عزّ وجلّ : (قل لأسألكم عليه إلا المودة في القربى) فقال سعيد بن جبير : قربي

محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ; قال ابن عبّاس : عجلت ! وإن رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم

لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فيهم قرابة . فنزلت (قل لا أسألكم عليه

أجراً إلا المودة في القربى) إلا أن تصلوا قرابة ما بيني وبينكم^(٣٨٩) .

وكذلك روى البخاري^(٣٩٠) هذا الحديث ، وليس عنده (فنزلت). وأخرجه الطبري ٢٥ : ٢٣ وفيه: إلا

القرابة التي بيني وبينكم أن تصلوها . وعزاه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية ٣ : ٣٦٨ إلى أحمد بن

منيع وقال : صحيح.

(٣٨٨) المراجعات : ٢٦ .

(٣٨٩) مسند أحمد ١ : ٢٠٢٥/٣٧٩ .

(٣٩٠) صحيح البخاري ٣ : ٤٨١٨/٣٢٠ .

هذا ، ويدلُّ أنّ هذه الآية تدلُّ على هذا المعنى : أنّ الله تعالى لم يقل : (إلّا المودّة لذي القربى) ، بل قال : (في القربى). ألا ترى أنّه لما أراد ذوي قربته قال : (واعلموا أنّما غنمتم من شيء فإنّ الله خمسه وللرسول ولذي القربى) .

وليس مواليتنا لأهل البيت من أجر النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم في شيء ، وهو صلى الله عليه [وآله] وسلّم لا يسألنا أجراً ، بل أجره على الله تعالى .

ثمّ إنّ الآية مكّيّة باتّفاق ، ولم يكن على تزوّج بفاطمة بعد ، ولا وُلد ولد لهما . وبهذا يتبين لك التكلف الممقوت ، وتحميل كلام الله عزّ وجلّ مالا يحتمل عندما يقول المؤلّف : (بل اختصهم الله سبحانه بذلك تفضيلاً لهم على من سواهم : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى ومن يقترف حسنةً (وهي هنا مودّتهم) نرد له فيها حسناً إن الله غفور (لاهل مودّتهم) شكور (لهم على ذلك)) . ومن أين له هذا التفسير؟! وهل يستقيم له ذلك بعقل أو نقل؟! اللهمّ لا .

أقول :

إنّ هذا الذي ذكر ما هو إلّا خلاصة لما قاله المتمادون في التعصّب من أهل السُنّة ، ومنهم ابن تيميّة في غير موضع من كتابه « منهاج السُنّة » فليس هذا بشيء جديد ، وإمّا هو تقليد ، كما سيظهر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد... فها هنا فصول :

الفصل الأوّل

في تعيين النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم

المراد من « القربي »

إنّه إذا كنّا تبعاً للكتاب والسنة ، ونريد - حقّاً - الأخذ - اعتقاداً وعملاً - بما جاء في كلام الله العزيز وأتى به الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم... كان الواجب علينا الرجوع إلى النبيّ نفسه وتحكيمه في كلّ ما شجر بيننا واختلفنا فيه ، كما أمر سبحانه وتعالى بذلك حيث قال : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلموا تسليماً)^(٣٩١).

لقد وقع الاختلاف في معنى قوله تعالى : (ذلك الذي يبشّر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى...)^(٣٩٢) ... لكنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم سبق وأن بيّن المعنى وأوضح المراد من « القربي » في أخبار طرقي الخلاف كليهما ، فلماذا لا يقبل قوله ويبقى الخلاف على حاله؟! لقد عيّن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم المراد من « القربي » في الآية ، فالمراد أقرباؤه ، وهم عليّ والزهراء وولداهما.. فهؤلاء هم المراد من « القربي » هنا كما كانوا المراد من « أهل البيت » في آية التطهير بتعيين منه كذلك.

ذكر من رواه من الصحابة والتابعين :

وقد روى ذلك عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عدّة كبيرة من الصحابة وأعلام التابعين ، المرجوع إليهم في تفسير آيات الكتاب المبين ، ومنهم :

- ١ - أمير المؤمنين عليه عليه السلام.
- ٢ - الإمام السبط الأكبر الحسن بن عليّ عليه السلام.
- ٣ - الإمام السبط الشهيد الحسين بن عليّ عليه السلام.
- ٤ - الإمام السجّاد عليّ بن الحسين عليه السلام.

(٣٩١) سورة النساء ٤ : ٦٥ .

(٣٩٢) سورة الشورى ٤٢ : ٢٣ .

٥ - الإمام الباقر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام.

٦ - الإمام الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام.

٧ - عبد الله بن عباس.

٨ - عبد الله بن مسعود.

٩ - جابر بن عبد الله الأنصاري.

١٠ - أبو أمامة الباهلي.

١١ - أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي.

١٢ - سعيد بن جبير.

١٣ - مجاهد بن جبر.

١٤ - مقسم بن بجرة.

١٥ - زاذان الكندي.

١٦ - السدي.

١٧ - فضال بن جبير.

١٨ - عمرو بن شعيب.

١٩ - ابن المبارك.

٢٠ - زر بن حبيش.

٢١ - أبو إسحاق السبيعي.

٢٢ - زيد بن وهب.

٢٣ - عبد الله بن نجيب.

٢٤ - عاصم بن ضمرة.

وممن رواه من أئمة الحديث والتفسير :

وقد روى نزول الآية المباركة في أهل البيت عليهم السلام - هذا الذي أرسله إرسال المسلم إمام الشافعية في شعره المعروف المشهور ، المذكور في الكتب المعتمدة ، كالصواعق المحرقة - مشاهير الأئمة في التفسير والحديث وغيرهما في مختلف القرون ، ونحن نذكر أسماء عدّة منهم :

١ - سعيد بن منصور ، المتوفى سنة ٢٢٧.

٢ - أحمد بن حنبل ، المتوفى سنة ٢٤١.

- ٣ - عبد بن حميد ، المتوفى سنة ٢٤٩.
- ٤ - محمد بن إسماعيل البخاري ، المتوفى سنة ٢٥٦.
- ٥ - مسلم بن الحجاج النيسابوري ، المتوفى سنة ٢٦١.
- ٦ - أحمد بن يحيى البلاذري ، المتوفى سنة ٢٧٦.
- ٧ - محمد بن عيسى الترمذي ، المتوفى سنة ٢٧٩.
- ٨ - أبو بكر البزار ، المتوفى ٢٩٢.
- ٩ - محمد بن سليمان الحضرمي ، المتوفى سنة ٢٩٧.
- ١٠ - محمد بن جرير الطبري ، المتوفى سنة ٣١٠.
- ١١ - أبو بشر الدولابي ، المتوفى سنة ٣١٠.
- ١٢ - أبو بكر بن المنذر النيسابوري ، المتوفى سنة ٣١٨.
- ١٣ - عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، المتوفى سنة ٣٢٧.
- ١٤ - الهيثم بن كليب الشاشي ، المتوفى سنة ٣٣٥.
- ١٥ - أبو القاسم الطبراني ، المتوفى سنة ٣٦٠.
- ١٦ - أبو الشيخ ابن حبان ، المتوفى سنة ٣٦٩.
- ١٧ - محمد بن إسحاق ابن مندة ، المتوفى سنة ٣٩٥.
- ١٨ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، المتوفى سنة ٤٠٥.
- ١٩ - أبو بكر ابن مردويه الأصفهاني ، المتوفى سنة ٤١٠.
- ٢٠ - أبو إسحاق الثعلبي ، المتوفى سنة ٤٢٧.
- ٢١ - أبو نعيم الأصفهاني ، المتوفى سنة ٤٣٠.
- ٢٢ - علي بن أحمد الواحدي ، المتوفى سنة ٤٦٨.
- ٢٣ - محيي السنّة البغوي ، المتوفى سنة ٥١٦.
- ٢٤ - جار الله الزمخشري ، المتوفى سنة ٥٣٨.
- ٢٥ - الملاء عمر بن محمد بن خضر ، المتوفى سنة ٥٧٠.
- ٢٦ - أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي ، المتوفى سنة ٥٧١.
- ٢٧ - أبو السعادات ابن الأثير الجزري ، المتوفى سنة ٦٠٦.
- ٢٨ - الفخر الرازي ، المتوفى سنة ٦٠٦.
- ٢٩ - عز الدين ابن الأثير ، المتوفى سنة ٦٣٠.

- ٣٠ - محمّد بن طلحة الشافعي ، المتوفّي سنة ٦٥٢ .
- ٣١ - أبو عبد الله الأنصاري القرطبي ، المتوفّي سنة ٦٥٦ .
- ٣٢ - أبو عبد الله الكنجي الشافعي ، المتوفّي سنة ٦٥٨ .
- ٣٣ - القاضي البيضاوي ، المتوفّي سنة ٦٨٥ .
- ٣٤ - محبّ الدين الطبري الشافعي ، المتوفّي سنة ٦٩٤ .
- ٣٥ - الخطيب الشربيني ، المتوفّي سنة ٦٩٨ .
- ٣٧ - أبو البركات النسفي ، المتوفّي سنة ٧١٠ .
- ٣٨ - أبو القاسم الجزّي ، المتوفّي سنة ٧٤١ .
- ٣٩ - علاء الدين الخازن ، المتوفّي سنة ٧٤١ .
- ٤٠ - أبو حيّان الأندلسي ، المتوفّي سنة ٧٤٥ .
- ٤١ - ابن كثير الدمشقي ، المتوفّي سنة ٧٧٤ .
- ٤٢ - أبو بكر نور الدين الهيثمي ، المتوفّي سنة ٨٠٧ .
- ٤٣ - ابن حجر العسقلاني ، المتوفّي سنة ٨٥٢ .
- ٤٤ - نور الدين ابن الصبّاغ المالكي ، المتوفّي سنة ٨٥٥ .
- ٤٥ - شمس الدين السخاوي ، المتوفّي سنة ٩٠٢ .
- ٤٦ - نور الدين السمهودي ، المتوفّي سنة ٩١١ .
- ٤٧ - جلال الدين السيوطي ، المتوفّي سنة ٩١١ .
- ٤٨ - شهاب الدين القسطلاني ، المتوفّي سنة ٩٢٣ .
- ٤٩ - أبو السعود العمادي ، المتوفّي سنة ٩٥١ .
- ٥٠ - ابن حجر الهيثمي المكيّ ، المتوفّي سنة ٩٧٣ .
- ٥١ - الزرقاني المالكي ، المتوفّي سنة ١١٢٢ .
- ٥٢ - عبد الله الشبراوي ، المتوفّي سنة ١١٦٢ .
- ٥٣ - محمّد الصبّان المصري ، المتوفّي سنة ١٢٠٦ .
- ٥٤ - قاضي القضاة الشوكاني ، المتوفّي سنة ١٢٥٠ .
- ٥٥ - شهاب الدين الألوسي ، المتوفّي سنة ١٢٧٠ .
- ٥٦ - الصديّق حسن خان ، المتوفّي سنة ١٣٠٧ .
- ٥٧ - محمّد مؤمن الشبلنجي ، المتوفّي بعد سنة ١٣٠٨ .

نصوص الحديث في الكتب المعتمدة :

وهذه ألفاظ من هذا الحديث بأسانيد كما في الكتب المعتمدة من الصحاح والمسانيد والمعجم وغيرها :

* أخرج البخاري قائلاً : « قوله : (إلا المودة في القربى) .

« حدّثنا محمد بن بشر ، حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا شعبة ، عن عبد الملك بن ميسرة ، قال : سمعت طاووساً عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنّه سئل عن قوله (إلا المودة في القربى) فقال سعيد بن جبير : قربي آل محمد صلى الله عليه [وآله] وسلّم . فقال ابن عباس : عجلت ! إنّ النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة . فقال : إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة » (٣٩٣) .

* وأخرجه مسلم ، كما نصّ عليه الحاكم والذهبي ، وسيأتي .

* وأخرجه أحمد ، ففي « المسند » : « حدّثنا عبد الله ، حدّثني أبي ، ثنا يحيى ، عن شعبة ، حدّثني عبد الملك بن ميسرة ، عن طاووس ، قال أتى ابن عباس رجل فسأله . وسليمان بن داود ، قال : أخبرنا شعبة ، أنبأني عبد الملك ، قال : سمعت طاووساً يقول : سألت رجل ابن عباس المعنى عن قوله عزّ وجلّ : (قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) فقال سعيد بن جبير : قرابة محمد صلى الله عليه [وآله] وسلّم . قال ابن عباس : عجلت ! إنّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة فنزلت : (قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) إلا أن تصلوا قرابة ما بيني وبينكم » (٣٩٤) .

* وفي (المناقب) ما هذا نصّه : « وفي ما كتب إلينا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي ، يذكر أنّ حرب بن الحسن الطحان حدّثهم ، قال : حدّثنا حسين الأشقر ، عن قيس ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لمّا نزلت (قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) قالوا : يا رسول الله ، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم ؟ قال : عليّ وفاطمة وابناها » (٣٩٥) .

* وأخرج الترمذي فقال : « حدّثنا بندار ، حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا شعبة ، عن عبد الملك بن ميسرة ، قال : سمع طاووساً قال : سئل ابن عباس عن هذه الآية (قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)

(٣٩٣) صحيح البخاري ٣ : ٤٨١٨/٣٢٠ .

(٣٩٤) مسند أحمد ١ : ٢٠٢٥/٣٧٩ .

(٣٩٥) فضائل الصحابة ٢ : ١١٤١/٦٦٩ ، ورواه غير واحد من الحفاظ قائلين : « أحمد في المناقب » كالمحبّ الطبري في ذخائر العقبي : ٦٢ ، والسخاوي في استجلاب ارتقاء الغرف ١ : ٤٩/٣٢٣ .

فقال سعيد بن جبير : قربي آل محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم. فقال ابن عباس : أعلمت؟! إن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال : إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة.

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح « (٣٩٦) .

* وأخرج ابن جرير الطبري ، قال :

[١] « حدّثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا إسماعيل بن أبان ، قال : ثنا الصباح بن يحيى المري ، عن السدي ، عن أبي الديلم ، قال : لما جاء بعلي بن الحسين - رضي الله عنهما - أسيراً فأقيم على درج دمشق ، قام رجل من أهل الشام فقال : الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرني الفتنة ! فقال له علي بن الحسين - رضي الله عنه - أقرأت القرآن؟! قال : نعم ، قال : أقرأت آل حم؟! قال : قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم. قال : ما قرأت (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)؟! قال : وإني لكم لأنتم هم؟! قال : نعم (٣٩٧) .

[٢] حدّثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا عبد السلام ، قال : ثنا يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : قالت الأنصار : فعلنا وفعلنا؛ فكأنهم فخرنا ، فقال ابن عباس - أو العباس ، شك عبد السلام - : لنا الفضل عليكم.

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ، فأتاهم في مجالسهم فقال : يا معشر الأنصار ! ألم تكونوا أذلة فاعزكم الله بي؟!

قالوا : بلى يا رسول الله.

قال : ألم تكونوا ضللاً فهداكم الله بي؟!

قالوا : بلى يا رسول الله.

قال : أفلا تجيبوني؟!

قالوا : ما نقول يا رسول الله ؟

قال : ألا تقولون : ألم يخرجك قومك فأويناك؟! أو لم يكذبوك فصدّقناك؟! أو لم يخذلوك فنصرناك

!؟

قال : فما زال يقول حتّى جثوا على الركب وقالوا : أموالنا وما في أيدينا للهولرسوله ، قال : فنزلت)

قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى .

(٣٩٦) الجامع الصحيح ٥ : ٣٢٥١/٢٩٥ .

(٣٩٧) وأرسله أبو حيان إرسال المسلم ، حيث ذكر القول الحق ، قال : « وقال بهذا المعنى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، واستشهد بالآية حين سيق إلى الشام أسيراً » البحر المحيط ٩ : ٣٣٥ .

[٣] حدّثني يعقوب ، قال : ثنا مروان ، عن يحيى بن كثير ، عن أبي العالية ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) قال : هي قربي رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم .

[٤] حدّثني محمّد بن عمارة الأسدي ومحمّد بن خلف ، قالوا : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، قال : سألت عمرو بن شعيب عن قول الله عزّ وجلّ (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) قال : قربي النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم «^(٣٩٨) .

أقول :

ولا يخفى أنّ ابن جرير الطبري ذكر في معنى الآية أربعة أقوال ، وقد جعل القول بنزولها في « أهل البيت » القول الثاني ، فذكر هذه الأخبار .

وجعل القول الأوّل أنّ المراد قرابته مع قريش ، فذكر رواية طاووس عن ابن عبّاس ، التي أخرجها أحمد والشيخان ، وقد تقدّمت ، وفيها قول سعيد بن جبير بنزولها في « أهل البيت » خاصّةً .

وأما القولان الثالث والرابع فستنعرض لهما فيما بعد .

* وأخرج أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي - صاحب المسند الكبير - في مسند عبد الله بن مسعود ، في ما رواه عنه زرّ بن حبيش ، قال :

« حدّثنا الحسن بن عليّ بن عفّان ، حدّثنا محمّد بن خالد ، عن يحيى ابن ثعلبة الأنصاري ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زرّ ، عن عبد الله ، قال :

كنا مع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم في مسير ، فهتف به أعرابي بصوت جهوري : يا محمّد ! فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم : يا هناه ! فقال : يا محمّد ! ما تقول في رجل يحبّ القوم ولم يعمل بعملهم ؟ قال : المرء مع من أحبّ . قال : يا محمّد ! إلى ما تدعو ؟ قال : إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله ، وأني رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحجّ البيت . قال : فهل تطلب على هذا أجراً ؟ قال : لا إلاّ المودّة في القربى . قال : أقرابي يا محمّد أم أقرباك ؟ قال : بل أقرابي . قال : هات يدك حتّى أبايعك ، فلا خير في من يودّك ولا يودّ أقرباك «^(٣٩٩) .

* وأخرج الطبراني : « حدّثنا محمّد بن عبد الله ، ثنا حرب بن الحسن الطحان ، ثنا حسين الأشقر ، عن قيس بن الربيع ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما ، قال : لمّا نزلت)

(٣٩٨) جامع البيان ٢٥ : ١٦ - ١٧ .

(٣٩٩) مسند الصحابة ١٢٧/٢ ح ٦٦٤ .

قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى (قالوا : يا رسول الله ، ومن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال : علي وفاطمة وابناهما)^(٤٠٠) .

وأخرج أيضاً : « حدّثنا محمد بن عبدالله الحضرمي ، ثنا محمد بن مرزوق ، ثنا حسين الأشقر ، ثنا نصير بن زياد ، عن عثمان أبي اليقظان ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قالت الأنصار فيما بينهم : لو جمعنا لرسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم مالا فنبسط يده لا يحول بينه وبين أحد ، فأتوا رسول الله فقالوا : يا رسول الله ! إننا أردنا أن نجمع لك من أموالنا. فأنزل الله عزّ وجلّ (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) فخرجوا مختلفين ، فقال بعضهم : ألم تروا إلى ما قال رسول الله !؟ وقال بعضهم : إنّما قال هذا لنقاتل عن أهل بيته وننصرهم... »^(٤٠١) .

* وأخرج الحاكم قائلًا : « حدّثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن أخي طاهر العقريقي الحسيني ، ثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين ، حدّثني عمّي عليّ بن جعفر بن محمد ، حدّثني الحسين بن زيد ، عن عمر بن عليّ ، عن أبيه عليّ بن الحسين ، قال :
خطب الحسن بن عليّ الناس حين قتل عليّ ، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال :

لقد قبض في هذه الليلة رجل لا يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يعطيه رايته فيقاتل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فما يرجع حتّى يفتح الله عليه ، وما ترك على أهل الأرض صفراء ولا بيضاء إلا سبع مائة درهم فضلت من عطاياه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله.. ثمّ قال :

أيّها الناس ! من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن عليّ ، وأنا ابن النبيّ ، وأنا ابن الوصيّ ، وأنا ابن البشير ، وأنا ابن النذير ، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه ، وأنا ابن السراج المنير ، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا ، وأنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وأنا من أهل البيت الذي افترض الله مودّتهم على كلّ مسلم فقال تبارك وتعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنةً نزد له فيها حسناً) فاقتراف الحسنه مودّتنا أهل البيت »^(٤٠٢) .

(٤٠٠) المعجم الكبير ٣ : ٣٩ رقم ٢٦٤١ و ١١ : ٤٤٤ رقم ١٢٢٥٩ .

(٤٠١) المعجم الكبير ١٢ : ٣٣ رقم ١٢٣٨٤ .

(٤٠٢) المستدرک على الصحيحين ٣ : ١٧٢ .

وقال الحاكم بتفسير الآية من كتاب التفسير : « إِنَّمَا اتَّفَقَا فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى حَدِيثِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَيْسَرَةَ الزَّرَادِ عَنْ طَاوُوسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ فِي قُرْبَى آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ »^(٤٠٣) .

* وأخرج أبو نعيم : « حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، ثنا الحسن بن محمد بن أبي هريرة ، ثنا إسماعيل بن يزيد ، ثنا قتيبة بن مهران ، ثنا عبد الغفور ، عن أبي هاشم ، عن زاذان ، عن عليّ ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ : عليكم بتعلم القرآن وكثرة تلاوته تنالون به الدرجات وكثرة عجايبه في الجنة ، ثم قال عليّ : وفينا آل حم ، إنّه لا يحفظ مودتنا إلا كلّ مؤمن ، ثم قرأ (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) »^(٤٠٤) .

وأخرج أيضاً : « حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، ثنا عبادة بن زياد ، ثنا يحيى بن العلاء ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر ، قال : جاء أعرابي إلى النبي صَلَّى اللهُ اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ فقال : يا محمد ! اعرض عليّ الإسلام . فقال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله . قال : تسألني عليه أجراً ؟ قال : لا ، إلا المودة في القربى ، قال : قرباي أو قرباك ؟ قال : قرباي . قال : هات أبايعك ، فعلى من لا يحبك ولا يحبّ قرباك لعنة الله . قال صَلَّى اللهُ اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ : آمين .

هذا حديث غريب من حديث جعفر بن محمد ، لم نكتبه إلا من حديث يحيى بن العلاء ، كوفي ولي قضاء الريّ »^(٤٠٥) .

* وأخرج أبو بشر الدولابي خطبة الإمام الحسن السبط ، فقال : « أخبرني أبو القاسم كهمس بن معمر : أن أبا محمد إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر ابن محمد بن عليّ بن حسين بن عليّ بن أبي طالب حدّثهم : حدّثني عمّي عليّ ابن جعفر بن محمد بن حسين بن زيد ، عن الحسن بن زيد بن حسن بن عليّ ، عن أبيه ، قال : خطب الحسن بن عليّ الناس حين قتل عليّ... »

أخبرني أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن عمر بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، حدّثني أبي ، حدّثني حسين بن زيد ، عن الحسن ابن زيد بن حسن - ليس فيه : عن أبيه - ، قال : خطب الحسن بن عليّ الناس...

(٤٠٣) المستدرک علی الصحیحین ٢ : ٤٤٤ .

(٤٠٤) ذکر أخبار اصبهان ٢ : ١٦٥ .

(٤٠٥) حلیة الأولیاء ٣ : ٢٠١ .

حدّثنا أحمد بن يحيى الأودي ، نا إسماعيل بن أبان الوراق ، نا عمر ، عن جابر ، عن أبي الطفيل ، وزيد بن وهب ، وعبد الله بن نجى ، وعاصم بن ضمرة ، عن الحسن بن عليّ ، قال : لقد قبض في هذه الليلة رجل...»^(٤٠٦) .

* وأخرج ابن عساكر : « أخبرنا أبو الحسن الفرضي ، أنبأنا عبد العزيز الصوفي ، أنبأنا أبو الحسن بن السمّسار ، أنبأنا أبو سليمان...»

قال : وأنبأنا ابن السمّسار ، أنبأنا عليّ بن الحسن الصوري ، أنبأنا سليمان ابن أحمد بن أيّوب الطبراني اللخمي بأصبهان ، أنبأنا الحسين بن إدريس الحريري التستري ، أنبأنا أبو عثمان طالوت بن عبّاد البصري الصيرفي ، أنبأنا فضال بن جبير ، أنبأنا أبو أمامة الباهلي ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : خلق الله الأنبياء من أشجار شتّى ، وخلقني وعلياً من شجرة واحدة ، فأنا أصلها وعليّ فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمرها ، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا ، ومن زاع هوى ، ولو أنّ عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثمّ ألف عام ثمّ ألف عام ، ثمّ لم يدرك محبّتنا إلاّ أكّبه الله على منخريه في النار ، ثمّ تلا (قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى) .

ورواه عليّ بن الحسن الصوفي مرّةً أخرى عن شيخ آخر ، أخبرناه أبو الحسن الفقيه السلمي ، أنبأنا عبد العزيز الكتّاني ، أنبأنا أبو نصر بن الجبّان ، أنبأنا أبو الحسن عليّ بن الحسن الطرسوسي ، أنبأنا أبو الفضل العبّاس بن أحمد الخواتيمي بطرسوس ، أنبأنا الحسين بن إدريس التستري...»^(٤٠٧) .

* وأخرج ابن عساكر خبر خطبة مروان - بأمر من معاوية - ابنة عبد الله بن جعفر ليزيد، وأنّ عبد الله أوكل أمرها إلى الحسين عليه السلام فزوّجها من القاسم ابن محمّد بن جعفر ، وتكلّم عليه السلام - في المسجد النبوي وبنو هاشم وبنو أميّة مجتمعون - فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : « إنّ الإسلام دفع الخسيصة ومّمّ النقيصة وأذهب اللائمة ، فلا لوم على مسلم إلاّ في أمر مآثم . وإنّ القرابة التي عظم الله حقّها وأمر برعايتها وأن يسأل نبيّه الأجر له بالموّدة لأهلها : قرابتنا أهل البيت...»^(٤٠٨) .

* وأخرج ابن الأثير : « روى حكيم بن جبير ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : كنت أجالس أشياخاً لنا ، إذ مرّ علينا عليّ بن الحسين - وقد كان بينه وبين أناس من قريش منازعة في امرأة تزوّجها منهم لم يرض منكحها - فقال أشياخ الأنصار : ألا دعوتنا أمس لما كان بينك وبين بني فلان؟! إنّ أشياخنا حدّثونا أنّهم أتوا رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فقالوا : يا محمّد ! ألا نخرج إليك من ديارنا ومن أموالنا

(٤٠٦) الذرّيّة الطاهرة : ١٠٩ - ١١١ .

(٤٠٧) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٦٥ - ٦٦ .

(٤٠٨) تعليق العلامة المحمودي على شواهد التنزيل ٢ : ١٤٤ عن أنساب الأشراف بترجمة معاوية ، وتاريخ دمشق بترجمة مروان بن الحكم .

لما أعطانا الله بك وفضلنا بك وأكرمنا بك ؟ فأَنْزَلَ اللهُ تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى) . ونحن ندلكم على الناس. أخرجه ابن مندة « (٤٠٩) » .

* وأخرج ابن كثير : « وقول ثالث ، وهو ما حكاه البخاري وغيره رواية عن سعيد بن جبير... وقال السدي عن أبي الديلم ، قال : لمَّا جيء بعليّ بن الحسين رضي الله عنه أسيرا... وقال أبو إسحاق السبيعي : سألت عمرو بن شعيب عن قوله تبارك وتعالى : (قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى) فقال : قربى النبيّ . رواهما ابن جرير .

ثم قال ابن جرير : حدّثنا أبو كريب ، حدّثنا مالك بن إسماعيل ، حدّثنا عبد السلام ، حدّثني يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس...

وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن عليّ بن الحسين ، عن عبد المؤمن ابن عليّ ، عن عبد السلام ، عن يزيد بن أبي زياد - وهو ضعيف - بإسناده ، مثله أو قريباً منه .

وفي الصحيحين في قسم غنائم حنين قريب من هذا السياق ، ولكن ليس فيه ذكر نزول هذه الآية...

وقال ابن أبي حاتم : حدّثنا عليّ بن الحسين ، حدّثنا رجل سمّاه ، حدّثنا حسين الأشقر ، عن قيس ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله عنه - ، قال : لمَّا نزلت هذه الآية (قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى) قالوا : يا رسول الله ، من هؤلاء الذين أمر الله بمودّتهم ؟ قال : فاطمة وولدها . رضي الله عنهم . وهذا إسناده ضعيف ، فيه مبهم لا يعرف ، عن شيخ شيعي متخرّق وهو حسين الأشقر « (٤١٠) » .

* وروى الهيثمي : « عن ابن عباس قال : لمَّا نزلت (قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى) قالوا : يا رسول الله ، من قرابتك هؤلاء الذي وجبت علينا مودّتهم ؟ قال : عليّ وفاطمة وابناهما .

رواه الطبراني من رواية حرب بن الحسن الطحّان عن حسين الأشقر عن قيس بن الربيع ، وقد وثّقوا كلّهم وضعّفهم جماعة ، وبقية رجاله ثقات « (٤١١) » .

ورواه مرةً أخرى كذلك وقال : « فيه جماعة ضعفاء وقد وثّقوا » « (٤١٢) » .

وروى خطبة الإمام الحسن عليه السلام قائلاً : « باب خطبة الحسن ابن عليّ رضي الله عنهما :

(٤٠٩) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥ : ٤١١ .

(٤١٠) تفسير القرآن العظيم ٧ : ٢٠١ .

(٤١١) مجمع الزوائد ٧ : ١٠٣ .

(٤١٢) مجمع الزوائد ٩ : ١٦٨ .

عن أبي الطفيل ، قال : خطبنا الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، فحمد الله وأثنى عليه وذكر أمير المؤمنين عليّاً رضي الله عنه خاتم الأوصياء ووصي الأنبياء وأمين الصديقين والشهداء ، ثمّ قال : يا أيّها الناس ، لقد فارقكم رجل ما سبقه الأوّلون ولا يدركه الآخرون. لقد كان رسول الله يعطيه الراية فيقاتل جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتّى يفتح الله عليه. ولقد قبضه الله في الليلة التي قبض فيها وصيّ موسى وعرج بروحه في الليلة التي...

ثمّ قال : من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم. ثمّ تلا هذه الآية قول يوسف : (واتبع ملة أبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب)^(٤١٣) ثمّ أخذ في كتاب الله. ثمّ قال : أنا ابن البشير ، أنا ابن النذير ، وأنا ابن النبيّ ، أنا ابن الداعي إلى الله ، وأنا ابن السراج المنير ، وأنا ابن الذي أرسل رحمةً للعالمين ، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عزّ وجلّ مودّتهم وولايتهم فقال في ما أنزل على محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى) .«

قال الهيثمي : « رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار... وأبو يعلى باختصار ، والبزار بنحوه... ورواه أحمد باختصار كثير !

وإسناد أحمد وبعض طرق البزار والطبراني في الكبير حسان »^(٤١٤) .

وروى السيوطي الحديث عن طاووس عن ابن عبّاس كما تقدّم.

قال : « وأخرج ابن مردويه من طريق ابن المبارك عن ابن عبّاس في قوله : (إلاّ المودة في القربى) قال : تحفظوني في قرابتي .«

قال : « وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق مقسم ، عن ابن عبّاس ، قال : قالت الأنصار... » الحديث ، وقد تقدّم.

قال : « وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه بسند ضعيف من طريق سعيد بن جبير ، قال : قالت الأنصار فيما بينهم : لو جمعنا لرسول الله... » الحديث ، وقد تقدّم.

قال : « وأخرج أبو نعيم والديلمي من طريق مجاهد عن ابن عبّاس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى ، أن تحفظوني في أهل بيتي وتودّوهم بي .«

(٤١٣) سورة يوسف ١٢ : ٣٨ .

(٤١٤) مجمع الزوائد ٩ : ١٤٦ .

قال : « وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه بسند ضعيف من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال لما نزلت هذه الآية (قد لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) قالوا : يا رسول الله ، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم ؟ قال : علي وفاطمة وولداها .»

قال : « وأخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن جبير : (إلا المودة في القربى) قال : قربي رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم .»

قال : « وأخرج ابن جرير عن أبي الديلم ، قال : لما جاء بعلي بن الحسين... » الحديث، وقد تقدّم.

ثم روى السيوطي حديث الثقلين وغيره مما فيه الوصية باتّباع أهل البيت والتحذير من بغضهم...^(٤١٥) .

* وقال الآلوسي : « وذهب جماعة إلى أنّ المعنى : لا أطلب منكم أجراً إلا محبتكم أهل بيتي وقرابتي. وفي البحر : أنّه قول ابن جبير والسدي وعمرو بن شعيب. و« في » عليه للظرفية المجازية ، و« القربى » بمعنى الأقرباء ، والجار والمجرور في موضع الحال. أي : إلا المودة ثابتة في أقربائي متمكنة فيهم ، وملكانة هذا المعنى لم يقل : إلا مودة القربى... وروى ذلك مرفوعاً :

أخرج ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، وابن مردويه ، من طريق ابن جبير عن ابن عباس ، قال : لما نزلت هذه الآية... » الحديث ، كما تقدّم. قال : « وسند هذا الخبر - على ما قال السيوطي في الدر المنثور - ضعيف ، ونصّ على ضعفه في تخريج أحاديث الكشاف ابن حجر.

وأيضاً : لو صحّ لم يقل ابن عباس ما حكى عنه في الصحيحين وغيرهما وقد تقدّم. إلا أنّه روي عن جماعة من أهل البيت ما يؤيد ذلك : أخرج ابن جرير عن أبي الديلم ، قال : لما جاء بعلي بن الحسين... » الحديث ، وقد تقدّم.

« وروى زاذان عن عليّ كرم الله تعالى وجهه ، قال : فينا في آل حم آية لا يحفظ مودتنا إلا مؤمن ؛ ثمّ قرأ هذه الآية.

وإلى هذا أشار الكميّ في قوله :

وجدنا لكم في آل حم آية *** تأولها منّا تقيّ ومعربٌ والله تعالى درّ السيّد الهيّتي - أحد الأقارب المعاصرين - حيث يقول :

بأية آية يأتي يزيدُ *** غداة صحائف الأعمال تُتلوقام رسول ربّ العرش يتلو *** وقد صمّت جميع الخلق (قد لا)

(٤١٥) الدر المنثور في التفسير المأثور ٧ : ٣٤٧ - ٣٤٨ .

والخطاب على هذا القول لجميع الأمة لا للأنصار فقط ، وإن ورد ما يوهم ذلك ، فإنهم كلهم مكلفون بمودة أهل البيت ، فقد أخرج مسلم والترمذي والنسائي... « فروى حديث الثقلين ، ونحوه ، ثم قال : « إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة من الأخبار »^(٤١٦) .

* وروى الشوكاني الأخبار التي نقلناها عن « الدر المنثور » كالحديث الذي رواه الأئمة من طريق مقسم عن ابن عباس. ثم قال : « وفي إسناده يزيد بن أبي زياد ، وهو ضعيف » وما رواه أبو نعيم والديلمي من طريق مجاهد عن ابن عباس ، ولم يتكلم في سنده ، وما رواه الجماعة من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : « قال السيوطي : بسند ضعيف ».

ثم إنه أشار إلى التعارض الموجود بين الأخبار في ما روي عن ابن عباس ، ورجح ما أخرج عنه في كتابي البخاري ومسلم ، وقال : « وقد أغنى الله آل محمد عن هذا بما لهم من الفضائل الجليلة والمزايا الجميلة ، وقد بيّنا بعض ذلك عند تفسيرنا لقوله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) »^(٤١٧) .

تنبيه :

حاول القوم أن لا ينقلوا خطبة الإمام الحسن عليه السلام كاملةً ، وحتى المنقوص منها تصرفوا في لفظه ! فراجع : المسند ١ : ٧٢٢/٣٢٨ ، والمناقب - لأحمد - ٢ : ١٠١٣/٥٩٥ ، والمعجم الكبير - للطبراني - ٣ : الرقم ٢٧١٧ إلى ٢٧٢٥ ، وتاريخ الطبري ٥ : ١٥٧ ، والمستدرک ٣ : ١٧٢ ، والكامل ٣ : ٤٠٠ ، ومجمع الزوائد ٩ : ١٤٦ ، وقارن بين الألفاظ لترى مدى إخلاص أمناء الحديث وحرصهم على حفظه ونقله !! ولننقل الخبر كما رواه أبو الفرج وبأسانيد مختلفة ، فقال :

« حدّثني أحمد بن عيسى العجلي ، قال : حدّثنا حسين بن نصر ، قال : حدّثنا زيد بن المعدل ، عن يحيى بن شعيب ، عن أبي مخنف ، قال : حدّثني أشعث ابن سوار ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن سعيد بن رويم.

وحدّثني عليّ بن إسحاق المخرمي وأحمد بن الجعد ، قال : حدّثنا عبد الله ابن عمر مشكدانة ، قال : حدّثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ابن حبشي .
وحدّثني عليّ بن إسحاق ، قال : حدّثنا عبدالله بن عمر ، قال : حدّثنا عمران بن عيينة ، عن الأشعث عن أبي إسحاق ، موقوفاً.

(٤١٦) روح المعاني ٢٥ : ٣١ - ٣٢ .

(٤١٧) فتح القدير ٤ : ٥٣٦ - ٥٣٧ .

وحدّثني محمّد بن الحسين الخثعمي ، قال : حدّثنا عبّاد بن يعقوب ، قال : حدّثنا عمرو بن ثابت ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة بن يريم ، قال :

قال عمرو بن ثابت : كنت أختلف إلى أبي إسحاق السبيعي سنّة أسأله عن خطبة الحسن بن عليّ ، فلا يحدّثني بها ، فدخلت إليه في يوم شات وهو في الشمس وعليه برنسه كأنه غول ، فقال لي : من أنت ؟ فأخبرته ، فبكي وقال : كيف أبوك ؟ كيف أهلك ؟ قلت : صالحون. قال : في أيّ شيء تردّد منذ سنة ؟ قلت : في خطبة الحسن بن عليّ بعد وفاة أبيه.

قال : حدّثني هبيرة بن يريم ، وحدّثني محمّد بن محمّد الباغندي ومحمّد ابن حمدان الصيدلاني ، قالوا : حدّثنا إسماعيل بن محمّد العلوي ، قال : حدّثني عمّي عليّ بن جعفر بن محمّد ، عن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن زيد ابن الحسن ، عن أبيه - دخل حديث بعضهم في حديث بعض ، والمعنى قريب - قالوا :

خطب الحسن بن عليّ بعد وفاة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقال : لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل ، ولقد كان يجاهد مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيقيه بنفسه ، ولقد كان يوجّهه برايته فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فلا يرجع حتّى يفتح الله عليه ، ولقد توفّي في هذه الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم ، ولقد توفّي فيها يوشع بن نون وصيّ موسى ، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم بقيت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله.

ثمّ خنقته العبرة فبكي وبكى الناس معه.

ثمّ قال : أيّها الناس ! من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ، أنا ابن البشير ، أنا ابن النذير ، أنا ابن الداعي إلى الله عزّ وجلّ بإذنه ، وأنا ابن السراج المنير ، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، والذين افترض الله مودّتهم في كتابه إذ يقول : (ومن يقترف حسنةً نزد له فيها حسناً) ^(٤١٨) فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت.

قال أبو مخنف عن رجاله : ثمّ قام ابن عبّاس بين يديه فدعا الناس إلى بيعته ، فاستجابوا له وقالوا : ما أحبّه إلينا وأحقه بالخلافة ؛ فبايعوه.

ثمّ نزل عن المنبر « ^(٤١٩) .

(٤١٨) سورة الشورى ٤٢ : ٢٣ .

(٤١٩) مقاتل الطالبين : ٥٠ - ٥٢ .

أقول :

وهكذا روى الشيخ المفيد بإسناده^(٤٢٠).

وذيل الخبر من الشواهد على بطلان خبر طاووس عن سعيد عن ابن عباس ، كما لا يخفى.

* * *

(٤٢٠) الإرشاد ٢ : ٧ - ٨ .

الفصل الثاني

في تصحيح أسانيد هذه الأخبار

قد ذكرنا في الفصل الأول طرفاً من الأخبار في أن المراد من « القربى » في « آية المودّة » هم « أهل البيت » ، وقد جاء في بعضها التصريح بأنهم « عليّ وفاطمة وابناهما ».

وقد نقلنا تلك الأخبار عن أهم وأشهر كتب الحديث والتفسير عند أهل السنّة ، من القدماء والمتأخّرين... وبذلك يكون القول بنزول الآية المباركة في « أهل البيت » قولاً متفقاً عليه بين الخاصّة والعامّة.

فأمّا ما رواه طاووس من جزم سعيد بن جبیر بأن المراد هم « أهل البيت » عليهم السلام خاصّة ، وهو الذي أخرجه الشيخان وأحمد والترمذي وغيرهم... فلم أجد طاعناً في سنده... وإن كان لنا كلام فيه ، وسيأتي.

وأما ما أخرج في (المناقب) لأحمد بن حنبل فهو من الزيادات ، فالقائل « كتب إلينا » هو « القطيعي » : أبو بكر أحمد بن جعفر الحنبلي - المتوفى سنة ٣٦٨ - وهو راوي : المسند ، والزهد ، والمناقب ، لأحمد بن حنبل.

حدّث عنه : الدارقطني ، والحاكم ، وابن رزقويه ، وابن شاهين ، والبرقاني ، وأبو نعيم ، وغيرهم من كبار الأئمّة.

ووثقه الدارقطني قائلاً : ثقة زاهد قديم ، سمعت أنه مجاب الدعوة ؛ وقال البرقاني : ثبت عندي أنه صدوق ، وقد ليّنته عند الحاكم فأنكر عليّ وحسنّ حاله وقال : كان شيعي ؛ قالوا : قد ضعف واختلّ في آخر عمره ، وتوقّف بعضهم في الرواية عنه لذلك.

ومن هنا أورده الذهبي في (ميزانه) مع التصريح بصدقه ، وهذه عبارته : « [صحّ] أحمد بن جعفر بن حمدان أبو بكر القطيعي ، صدوق في نفسه مقبول ، تغيّر قليلاً. قال الخطيب : لم نر أحداً ترك الإحتجاج به » ثمّ نقل ثقته عن الدارقطني وغيره ، وردّ على من تكلم فيه لاختلاله في آخر عمره^(٤٢١) .

(٤٢١) تاريخ بغداد ٤ : ٧٣ ، المنتظم ١٤ : ٢٦٠ ، سير أعلام النبلاء ١٦ : ٢١٠ ، ميزان الاعتدال ١ : ٨٧ ، الوافي بالوفيات ٦ : ٢٩٠ ، وغيرها .

و« محمد بن عبدالله بن سليمان الحضرمي » هو « مطين » المتوفى سنة ٢٩٧ ، قال الدارقطني : ثقة جبل ، وقال الخليلي : ثقة حافظ ، وقال الذهبي : الشيخ الحافظ الصادق ، محدث الكوفة...^(٤٢٢) .

وسياتي الكلام على سائر رجاله ؛ بما يثبت صحة السند وحجية الخبر.

وأما ما رواه ابن جرير الطبري حجةً للقول بنزول الآية في « أهل البيت » وقد كان أربع روايات... فما تكلم إلا في الثاني منها ، وهذا إسناده :

« حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا عبدالسلام ، قال : ثنا يزيد بن أبي زياد ، عن ميسم ، عن ابن عباس... » .

قال ابن كثير : « وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن علي بن الحسين ، عن عبد المؤمن بن علي ، عن عبد السلام ، عن يزيد بن أبي زياد - وهو ضعيف - بإسناده مثله أو قريباً منه » .

وتبعه الشوكاني حيث إنّه بعد أن رواه قال : « وفي إسناده يزيد بن أبي زياد ، وهو ضعيف » .
وأما ما رواه الأئمة ، كابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، وابن مردويه ، وعنهم السيوطي ، فقد ضعف السيوطي سنده ، وتبعه الشهاب الألوسي ، وقد سبقهما إلى ذلك الهيثمي وابن كثير وابن حجر العسقلاني ، قال الأخير في شرح البخاري :

« وهذا الذي جزم به سعيد بن جبير قد جاء عنه من روايته عن ابن عباس مرفوعاً ، فأخرج الطبري وابن أبي حاتم من طريق قيس بن الربيع ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت قالوا : يا رسول الله ، من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟... الحديث . وإسناده ضعيف... وقد جزم بهذا التفسير جماعة من المفسرين ، واستندوا إلى ما ذكرته عن ابن عباس من الطبراني وابن أبي حاتم ، وإسناده واه ، فيه ضعيف ورافضي »^(٤٢٣) .

وقال في تخريج أحاديث الكشاف : « أخرجه الطبراني وابن أبي حاتم والحاكم في مناقب الشافعي ، من رواية حسين الأشقر ، عن قيس بن الربيع ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وحسين ضعيف ساقط »^(٤٢٤) .

وقال ابن كثير : « وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا رجل سماه ، حدثنا حسين الأشقر ، عن قيس ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس... وهذا إسناده ضعيف ، فيه مبهم لا يعرف ، عن شيخ شيعي متخرق ، وهو حسين الأشقر »^(٤٢٥) .

(٤٢٢) تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٦٢ ، الوافي بالوفيات ٣ : ٣٤٥ ، سير اعلام النبلاء ١٤ : ٤١ .

(٤٢٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨ : ٤٥٧ - ٤٥٨ .

(٤٢٤) الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف - مع الكشاف ٥ : ٤٠٤ .

(٤٢٥) تفسير القرآن العظيم ٧ : ٢٠١ .

وتبعه القسطلاني بقوله : « وأما حديث ابن عباس أيضاً عند ابن أبي حاتم ، قال : لما نزلت هذه الآية (قد لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) قالوا : يا رسول الله ، من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم ؟ قال : فاطمة وولدها عليهم السلام. فقال ابن كثير إسناده ضعيف ، فيه متهم لا يعرف إلا عن شيخ شيعي مخترق ، وهو حسين الأشقر»^(٤٢٦) .

وقال الهيثمي : « رواه الطبراني من رواية حرب بن الحسن الطحان ، عن حسين الأشقر ، عن قيس بن الربيع ، وقد وثقوا كلهم وضعفهم جماعة وبقية رجاله ثقات .»

أقول :

فالأخبار الدالة على القول الحق ، المروية في كتب القوم ، منقسمة بحسب آرائهم في رجالها إلى ثلاثة أقسام :

- ١ - ما انفقوا على القول بصحته ؛ وهو حديث طاووس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .
 - ٢ - ما ذكروه وسكتوا عن التكلم في سنده ولم يتفوهوا حوله ببنت شفة ! بل منه ما لم يجدوا بداً من الاعتراف باعتباره ، كأخبار قول النبي لمن سأله عما يطلب في قبال دعوته ، وخطبة الإمام الحسن عليه السلام بعد وفاة أبيه ، وكلام الإمام السجاد في الشام ، ونحو ذلك .
 - ٣ - ما رووه وتكلموا في سنده .
- أما الأول فلنا كلام حوله ، وسيأتي في أول الفصل الرابع .
وأما القسم الثاني ، فلا حاجة إلى بيان صحته بعد أن أقر القوم بذلك .
وأما القسم الثالث ، فهو المقصود بالبحث هنا .
ولنفصل الكلام في تراجم من ضعفوه من رجال أسانيد هذه الأخبار ، ليتبين أن جميع ما ذكروه ساقط مردود ! على ضوء كلمات أعلام الجرح والتعديل منهم :

١ - ترجمة يزيد بن أبي زياد :

وهو : القرشي الهاشمي الكوفي ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل .
هو من رجال الكتب الستة ، قال المزني : « قال البخاري في اللباس من صحيحه عقيب حديث عاصم بن كليب عن أبي بردة : قلنا لعلي : ما القسيّة ؟ وقال جرير عن يزيد في حديثه : القسيّة ثياب مزلعة... الحديث .»

(٤٢٦) إرشاد الساري ٧ : ٣٣١ .

وروى له في كتاب رفع اليدين في الصلاة. وفي الأدب. وروى له مسلم مقروناً بغيره ، واحتج به الباقون «^(٤٢٧) .

وروى عنه جماعة كبيرة من أعلام الأئمة كسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، وشريك بن عبدالله ، وشعبة بن الحجاج ، وعبدالله بن نمير ، وأمثالهم^(٤٢٨) .
قال الذهبي : حدّث عنه شعبة مع براعته في نقد الرجال^(٤٢٩) .

أقول :

يكفي في جواز الاعتماد عليه وصحة الاحتجاج به رواية أصحاب الكتب الستة وكبار الأئمة عنه. مضافاً إلى قول مسلم في مقدّمة كتابه : « فإن اسم الستر والصدق وتعاطي العلم يشملهم، كعطاء بن السائب ويزيد بن أبي زياد وليث بن أبي سليم وأضرابهم^(٤٣٠) .
وقد وثّقه عدّة من الأئمة أيضاً :

قال ابن سعد : كان ثقةً في نفسه إلا أنه اختلط في آخر عمره فجاء بالعجائب.
وقال ابن شاهين - في الثقات - : قال أحمد بن صالح المصري : يزيد ابن أبي زياد ثقة ولا يعجبني قول من تكلم فيه.

وقال ابن حبان : كان صدوقاً إلا أنه لما كبر ساء حفظه وتغيّر ، وكان يلقن ما لقن فوقعت المناكير في حديثه.

وقال الآجري عن أبي داود : لا أعلم أحداً ترك حديثه ، وغيره أحبّ إلى منه.
وقال يعقوب بن سفيان : ويزيد وإن كانوا يتكلمون فيه لتغيّره فهو على العدالة الثقة وإن لم يكن مثل الحكم ومنصور^(٤٣١) .

ثمّ إنّنا نظرنا في كلمات القادحين - بالرغم من كون الرجل من رجال الكتب الستة ، إذ احتجّ به الأربعة وروى له الشيخان - فوجدنا أوّل شيء يقولونه :
كان من أئمة الشيعة الكبار^(٤٣٢) .

(٤٢٧) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٣٢ : ١٤٠ .

(٤٢٨) تهذيب الكمال ٣٢ : ١٣٧ ، سير أعلام النبلاء ٦ : ١٢٩ ، تهذيب التهذيب ١١ : ٢٨٧ رقم ٥٣١ .

(٤٢٩) سير أعلام النبلاء ٦ : ١٣٠ .

(٤٣٠) صحيح مسلم ١ : ٧ .

(٤٣١) هذه الكلمات بترجمته من تهذيب التهذيب ١١ : ٢٨٨ - ٢٨٩ ، وغيره.

(٤٣٢) الكامل - لابن عدي - ٩ : ١٦٤ ، تهذيب الكمال ٣٢ : ١٣٨ ، تهذيب التهذيب ١١ : ٢٨٨ .

فسألنا : ما المراد من « الشيعة » ؟ ومن أين عرف كونه « من أئمة الشيعة الكبار » ؟
فجاء الجواب : تدلّ على ذلك أحاديث رواها ، موضوعة^(٤٣٣) .

فنظرنا فإذا به يروي عن سليمان بن عمرو بن الأحوص ، عن أبي برزة ، قال : « تَغْنَى معاوية وعمرو بن العاص ، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم : اللَّهُمَّ اركسهما في الفتنة ركساً ، ودعّهما في النار دعّاً »^(٤٣٤) .

فهذا الحديث موضوع^(٤٣٥) أو غريب منكر^(٤٣٦) لأنّه ذمّ لمعاوية رأس الفئة الباغية وعمرو بن العاص رأس النفاق !! فيكون روايه « من أئمة الشيعة الكبار » !!

لكن يبدو أنّهم ما اكتفوا - في مقام الدفاع عن معاوية وعمرو - برمي الحديث بالوضع وروايه بالتشيع ، فالتجأوا إلى تحريف لفظ الحديث ، ووضع كلمة « فلان وفلان » في موضع الاسمين ، ففي المسند :

« حدّثنا عبد الله ، حدّثني أبي ، ثنا عبد الله بن محمّد - وسمعتّه أنا من عبد الله بن محمّد بن أبي شيبه - ، ثنا محمّد بن فضيل ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن سليمان بن عمرو بن الأحوص ، قال : اخبرني ربّ هذه الدار أبو هلال ، قال : سمعت أبا برزة ، قال : كنّا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم في سفر ، فسمع رجلين يتغنيان وأحدهما يجيب الآخر وهو يقول :
لا يزال جوادى تلوح عظامه *** ذوى الحرب عنه أن يجنّ فيقبرا فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم : انظروا من هما ؟ قال : فقالوا : فلان وفلان !!

قال : فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم : اللَّهُمَّ اركسهما ركساً ، ودعّهما إلى النار دعّاً » .
وكأنّ هذا المقدار لم يشف غليل القوم ، أو كان هذا التحريف لأجل الإبهام ، فيكون مقدّمه ليأتي آخر فيزيه ويضع « معاوية » و« عمراً » آخرين !! بخبر مختلق :

قال السيوطي - بعد أن أورد الحديث عن أبي يعلى وتعبّ ابن الجوزي بقوله : هذا لا يقتضي الوضع ، والحديث أخرجه أحمد في مسنده : حدّثنا... وله شاهد من حديث ابن عبّاس : قال الطبراني في الكبير... : « وقال ابن قانع في معجمه : حدّثنا محمّد بن عبدوس كامل ، حدّثنا عبد الله بن عمر ، حدّثنا سعيد أبو العبّاس التيمي ، حدّثنا سيف بن عمر ، حدّثني أبو عمر مولى إبراهيم بن طلحة ، عن

(٤٣٣) تهذيب الكمال ٣٢ : ١٣٨ . الهامش .

(٤٣٤) أخرجه أحمد في المسند ٥ : ١٩٢٨١/٥٨٠ ، والطبراني والبيّهار كما في مجمع الزوائد ٨ : ١٢٦ .

(٤٣٥) الموضوعات لابن الجوزي ، لكن لا يخفى أنّه لم يطعن في الحديث إلّا من جهة « يزيد » ولم يقل فيه إلّا « كان يلقن بأخرة فيتلقن » ، ولذا تعبّه السيوطي بما سنّده .

(٤٣٦) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٤ : ٤٢٤ .

زيد بن أسلم ، عن صالح ، عن شقران ، قال : بينما نحن ليلةً في سفر ، إذا سمع النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم صوتاً فقال : ما هذا؟! فذهبت أنظر ، فإذا هو معاوية بن رافع ، وعمرو بن رفاعه بن التابوت يقول :

لا يزال جوادي تلوح عظامه *** ذوى الحرب عنه أن يموت فيقبرا فأتيت النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم فأخبرته فقال : اللهمّ اركسهما ودعهما إلى نار جهنم دعاً. فمات عمرو بن رفاعه قبل أن يقدم النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم من السفر .» .

قال السيوطي : « وهذه الرواية أزال الإشكال وبيّنت أن الوهم وقع في الحديث الأوّل، في لفظة واحدة وهي قوله : ابن العاصي ، وإمّا هو ابن رفاعه أحد المنافقين ، وكذلك معاوية بن رافع أحد المنافقين ، والله أعلم »^(٤٣٧) .

بل السيوطي نفسه أيضاً يعلم واقع الحال وحقيقة الأمر ، وإلّا فما أجهله !!
أما أولاً : فلم يكن في الحديث الأوّل إشكال أو وهم حتّى يزال !! غاية ما هناك أنّ في « المسند » لفظ « فلانوفلان » بدل « معاوية وعمرو » والسيوطي يعلم - كغيره - أنّه تحريف ، إن لم يكن عن عمد فعن سهو !! على أنّه لم يوافق ابن الجوزي في الطعن في الحديث ، بل ذكر له ما يشهد له بالصحة .
وأما ثانياً : فلو سلّمنا وجود إبهام وإشكال في الحديث الأوّل ، فهل يزال ويرتفع بحديث لا يرتضي أحد سنده مطلقاً ، لمكان « سيف بن عمر » ... ولنلق نظرةً سريعةً في ترجمته .

قال ابن معين : ضعيف الحديث .

وقال أبو حاتم : متروك الحديث .

وقال أبو داود : ليس بشي .

وقال النسائي : ضعيف .

وقال الدارقطني : ضعيف .

وقال ابن عديّ : بعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكراً لم يتابع عليها .

وقال ابن حبان : يروي الموضوعات عن الأثبات . قالوا : كان يضع الحديث ، اتّهم بالزندقة .

وقال البرقاني عن الدارقطني : متروك .

وقال الحاكم : اتّهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط^(٤٣٨) .

والعجيب أنّ السيوطي نفسه يردّ أحاديثه قائلاً : « إنّه وضاع »^(٤٣٩) !

(٤٣٧) اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١ : ٤٢٧ .

(٤٣٨) تهذيب التهذيب ٤ : ٢٥٩ .

(٤٣٩) اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١ : ١٩٩ .

أقول :

فليُنظر الباحث المنصف كيف يردّون حديثاً - يروونه عن رجل اعتمد عليه أرباب الصحاح السنّة - لكونه في ذمّ ابن هند وابن النابغة ، وهم شيعة لهما... ويقابلونه بحديث يرويه رجل أنفقوا على سقوطه وأتهموه بالوضع والزندقة !!

فليُنظر ! كيف يتلاعبون بالدين وسنّة رسول ربّ العالمين !!
ولا يتوهّم أنّ هذه طريقتهم في أبواب المناقب والمثالب فحسب ، بل هي في الأصول والفقه أيضاً !!

فلنرجع إلى ما كنّا بصدده ، ونقول :
إن « يزيد بن أبي زياد » ثقة ، ومن رجال الكتب السنّة ، ولا عيب فيه إلا روايته بعض مثالب أئمّة القوم !! ولذا جعلوه « من أئمّة الشيعة الكبار » !!
على أنّ كون الراوي شيعياً ، بل رافضياً - حسب اصطلاحهم - لا يضرّ بوثاقته كما قرّروا في محلّه وبنوا عليه في مواضع كثيرة^(٤٤٠) .
وتلخص : صحّة روايته في نزول آية المودّة في خصوص « أهل البيت » الطاهرين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

٢ - ترجمة حسين الأشقر :

وقد ترجمنا لأبي عبدالله الحسين بن حسن الأشقر الفزاري الكوفي ، في مبحث آية التطهير ، وقلنا هناك بأنّه من رجال النسائي في (صحيحه) وأنّهم قد ذكروا أنّ للنسائي شرطاً في صحيحه أشدّ من شرط الشيخين^(٤٤١) .

وأنه روى عنه كبار الأئمّة الأعلام : كأحمد بن حنبل ، وابن معين ، والفلاس ، وابن سعد ، وأمّثالهم^(٤٤٢) .

وقد حكى الحافظ ابن حجر بترجمته عن العقيلي ، عن أحمد بن محمّد بن هانئ ، قال : قلت : لأبي عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - تحدّث عن حسين الأشقر ؟ قال : لم يكن عندي ممّن يكذب .

(٤٤٠) مقدّمة فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٣٩٨ .

(٤٤١) تذكرة الحفاظ ٢ : ٧٠٠ .

(٤٤٢) تهذيب التهذيب ٢ : ٢٩١ .

وذكر عنه التشيع فقال له العباس بن عبد العظيم : إنه يحدث في أبي بكر وعمر ، وقلت أنا : يا أبا عبد الله ، إنه صنّف باباً في معانيهما ! فقال : ليس هذا بأهل أن يحدث عنه^(٤٤٣) .

وهذا هو السبب في تضعيف غير أحمد.

وعن الجوزجاني : غال من الشّتامين للخيرة^(٤٤٤) .

ولذا يقولون : « له مناكير » وأمثال هذه الكلمة ، ممّا يدلّ على طعنهم في أحاديث الرجل في

فضل عليّ أو الحطّ من مناويّه ، وليس لهم طعن في الرجل نفسه ، ولذا قال يحيى بن معين :

كان من الشيعة الغالية ، فليل له : فكيف حديثه؟! قال : لا بأس به. قلت : صدوق؟ قال : نعم ،

كتبت عنه^(٤٤٥) .

هذا، فالرجل ثقة وصدوق عند : أحمد ، والنسائي ، ويحيى بن معين ، وابن حبان... وإمّا ذنبه

الوحيد هو « التشيع » وقد نصّوا على أنّه غير مضرّ.

أقول :

لكنّ المهمّ - هنا - أنّه « صدوق » عند الحافظ ابن حجر أيضاً ، فقد قال : « الحسين بن حسن

الأشقر ، الفزاري ، الكوفي ، صدوق ، يهمل ويغلو في التشيع ، من العاشرة ، مات سنة ٢٠٨ . س «^(٤٤٦) .

وإمّا أعدنا ترجمة الرجل هنا لنؤكّد على أنّ ابن حجر قد ناقض نفسه مرّتين :

١ - في تضعيفه الرجل في « تخريج أحاديث الكشاف » مع وصفه بـ « الصدق » في «

تقريب التهذيب » !

٢ - في طعنه في الرجل بسبب التشيع أو الرّفص - حسب تعبيره - مع أنّه نصّ في « مقدّمة فتح

الباري » على أنّ الرّفص - فضلا عن التشيع - غير مضرّ.

وبذلك يسقط طعنه في حديثنا ، وكذا طعن غيره تبعاً له.

تنبيه :

قد اختلف طعن الطاعنين في رواية الأئمّة : الطبراني ، وابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، والحاكم ، وابن

مردويه : عن حسين الأشقر ، عن قيس بن الربيع ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس...

(٤٤٣ و ٢) تهذيب التهذيب ٢ : ٢٩١ .

(٤٤٥) تهذيب التهذيب ٢ : ٢٩٢ .

(٤٤٦) تقريب التهذيب ١ : ١٧٥ .

فالسويطي لم يقل إلا « بسند ضعيف » وتبعه الآلوسي.
وابن حجر قال في « تخريج أحاديث الكشاف » : « وحسين ضعيف ساقط » فلا كلام له في غيره ،
لكن في « فتح الباري » : « إسناده واه ، فيه ضعيف ورافضي » .
وابن كثير - وتبعه القسطلاني - قال عن حسين الأشقر : « شيخ شيعي محترق » وأضاف - في
خصوص إسناد ابن أبي حاتم لقوله : حدثنا رجل سمّاه - : « فيه مبهم لا يعرف » .
والهيثمي أفرط فقال : « رواه الطبراني من رواية حرب بن الحسن الطحّان ، عن حسين الأشقر ،
عن قيس بن الربيع . وقد وثّقوا كلّهم وضعّفهم جماعة ، وبقية رجاله ثقات » .
وما ذكرنا - في ترجمة الأشقر - يسقط كلام السويطي والآلوسي ، وكذا كلام ابن كثير في « الأشقر »
أمّا قوله : « فيه مبهم لا يعرف » فيرده أنّه إن كان هو « حرب بن الحسن الطحّان » فهو ، وإن كان غيره
فالإشكال مرتفع بمتابعته .

وكذا يسقط كلام ابن حجر في « تخريج أحاديث الكشاف » .
أمّا كلامه في « فتح الباري » فيمكن أن يكون ناظراً إلى « الأشقر » فقط ، بأن يكون وصفه بالرفض
وضّعفه من أجل ذلك ، ويمكن أن يكون مراده من « ضعيف » غير الأشقر الذي وصفه بالرفض... وهذا
هو الأظهر ، ومراده - على الظاهر - هو « قيس بن الربيع » الذي زعم غيره ضعفه ، فلنترجم له :

٣ - ترجمة قيس بن الربيع :

وهو : قيس بن الربيع الأسدي ، أبو محمّد الكوفي :
من رجال : أبي داود والترمذي ، وابن ماجّة^(٤٤٧) .
روى عنه جماعة كبيره من الأئمّة في الصحاح وغيرها ، كسفيان الثوري ، وشعبة بن الحجّاج ، وعبد
الرزاق بن همام ، وأبي نعيم الفضل بن دكين ، وأبي داود الطيالسي ، ومعاذ بن معاذ ، وغيرهم .
وهذه بعض الكلمات في توثيقه ومدحه والثناء عليه باختصار :
قال : أبو داود الطيالسي عن شعبة : سمعت أبا حصين يثني على قيس بن الربيع .
قال : قال لنا شعبة : أدركوا قيساً قبل أن يموت !
قال عفّان : قلت ليحيى بن سعيد : أفتتّهمه بكذب؟! قال : لا .
قال عفّان : كان قيس ثقة ، يوثّقه الثوري وشعبة .
قال حاتم بن الليث ، عن أبي الوليد الطيالسي : كان قيس بن الربيع ثقة حسن الحديث .

(٤٤٧) تهذيب الكمال ٢٤ : ٢٥ ، تهذيب التهذيب ٨ : ٣٥٠ ، وغيرهما .

قال أحمد بن صالح : قلت لأبي نعيم : في نفسك من قيس بن الربيع شيء ؟ قال : لا .
قال عمرو بن عليّ : سمعت معاذ بن معاذ يحسن الثناء على قيس .
وقال يعقوب بن شيبة السدوسي : وقيس بن الربيع عند جميع أصحابنا صدوق ، وكتابه صالح ،
وهو ردي الحفظ جداً مضطربه ، كثير الخطأ ، ضعيف في روايته .
وقال ابن عدّيّ : عامة رواياته مستقيمة ، والقول فيه ما قال شعبة^(٤٤٨) .
هذا ، وقد أخذ عليه أمور :
أحدها : إنّه وليّ المدائن من قبل المنصور ، فأساء إلى الناس فنفروا عنه .
والثاني : التشييع ، نقله الذهبي عن أحمد^(٤٤٩) .
والثالث : وجود أحاديث منكرة عنده . قال حرب بن إسماعيل : قلت لأحمد بن حنبل : قيس بن
الربيع أيّ شيء ضعفه ؟ قال : روى أحاديث منكرة .
لكن قالوا : هذه الأحاديث أدخلها عليه ابنه لما كبر فحدّث بها^(٤٥٠) .
ولكونه صدوقاً في نفسه ، ثقة ، وإنّ هذه الروايات مدخولة عليه وليست منه ، قال الذهبي :
« صدوق في نفسه ، سيئ الحفظ »^(٤٥١) .
وقال الحافظ ابن حجر : « صدوق ، تغيّر لما كبر ، أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدّث به
»^(٤٥٢) .
فإن كان يقصد في « مقدّمة فتح الباري » تضعيف هذا الرجل فقد ناقض نفسه كذلك...

٤ - ترجمة حرب بن حسن الطحّان :

وهذا الرجل لم يتعرّض له بالتضعيف ، ولم ينقل كلاماً فيه إلّا الهيثمي ، ولكنّه مع ذلك نصّ على
أنّه « وثقّ » ولم يذكر المضعّف ولا وجه التضعيف .
وقال ابن أبي حاتم : « سألت أبي عنه فقال : شيخ »^(٤٥٣) .
وقال ابن حجر : « حرب بن الحسن الطحّان . ليس حديثه بذاك . قاله الأزدي . انتهى .

(٤٤٨) تهذيب الكمال ٢٤ : ٢٧ - ٣٦ .

(٤٤٩) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣ : ٣٩٣ و ٣٩٥ .

(٤٥٠) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٥٦ - ٤٦٢ ، تهذيب الكمال ٢٤ : ٢٥ - ٣٧ ، سير أعلام النبلاء ٨ : ٤١ - ٤٤ ، تهذيب التهذيب ٨ : ٣٥٠ - ٣٥٣ .

(٤٥١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣ : ٣٩٣ .

(٤٥٢) تقريب التهذيب ٢ : ١٢٨ .

(٤٥٣) الجرح والتعديل ٣ : ٢٥٢ .

وذكره ابن حبان في الثقات.

وقال ابن النجاشي : عامي الرواية. أي شيعي قريب الأمر. له كتاب.

روى عنه : يحيى بن زكريا اللؤلؤي «^(٤٥٤)» .

أقول :

لكن لا يلتفت إلى قول الأزدي ، كما نصّ عليه الذهبي ، حيث قال : « لا يلتفت إلى قول الأزدي ، فإنّ في لسانه في الجرح رهقاً »^(٤٥٥) .

تتمّة :

فيها مطلبان :

الأول : قال الذهبي معقّباً - على حديث خطبة الإمام الحسن عليه السلام ، الذي أخرجه الحاكم عن أبناء أمّة أهل البيت والذرية الطاهرة - : « ليس بصحيح »!^(٤٥٦) .

ولمّا كان هذا القدح مجملًا ومبهماً ، فإنّه لا يعبأ به... وأظنّ أنّه من جهة المتن والمعنى لا السند ،

وعذر الذهبي في قدحه في مناقب آل البيت عليهم السلام معلوم !!

والثاني : قال ابن عساكر - بعد أن أخرج من طريق الطبراني حديث أبي أمامة الباهلي - : « هذا

حديث منكر ، وقد وقع إلينا جزء ابن عبّاد وبعلوّ وليس هذا الحديث فيه »^(٤٥٧) .

وهذا الحديث بهذا اللفظ رواه عن طريق الطبراني الحافظ أبو عبد الله الكنجي ، وقال : « هذا

حديث حسن عال ، رواه الطبراني في معجمه كما أخرجه سواء ، ورواه محدّث الشام في كتابه بطرق

شثي «^(٤٥٨) والحافظ ابن حجر^(٤٥٩) . ورواه لا عن طريق الطبراني : الحاكم الحسكاني النيسابوري^(٤٦٠) .

أمّا عدم وجوده في الجزء الذي وقع إلى ابن عساكر من حديث طالوت بن عبّاد فغير مضرّ كما هو

واضح.

(٤٥٤) لسان الميزان ٢ : ١٨٤ .

(٤٥٥) ميزان الاعتدال ١ : ٦١ .

(٤٥٦) تلخيص المستدرک ٣ : ١٧٢ .

(٤٥٧) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٦٦ .

(٤٥٨) كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب : ٣١٧ .

(٤٥٩) لسان الميزان ٤ : ٤٣٤ .

(٤٦٠) شواهد التنزيل ٢ : ١٤١ .

وأما نكارة الحديث ففي أيّ فقرة منه؟! أفي حديث الشجرة؟! أو في قوله صلى الله عليه [وآله] وسلّم: «لو أن عبداً...»؟! أو في تلاوة آية المودّة في هذا الموضع؟!
أما حديث الشجرة فقد رواه من أئمة الحديث كثيرون^(٤٦١) وإليه أشار أميرالمؤمنين^(٤٦٢) ولم يقل أحد بِنكارتِه.

وأما تلاوته الآية هنا ، فقد عرفت أنّها نازلة في عليّ وفاطمة وابنيهما.
بقي قوله: «ولو أن عبداً...» وأظنّه يريد هذا ، وهو كلام جليل ، ومعناه دقيق ، وخلاصة بيانه:
أنّ الحبّ هو وسيلة الاتّباع والقرب ، والعمل بلا درك حبّ النبيّ وآله صلى الله عليه وآله وسلّم غير مقربّ إلى الله سبحانه وتعالى ، وكلّ عمل لا تقربّ فيه إليه فهو باطل ، وصاحبه من أهل النار وبئس القرار.

هذا إذا أخذنا الكلام على ظاهره.
وأما إذا كان كنايةً عن البغض ، فالأمر أوضح ، لأنّ بغض النبيّ وأهل بيته مبعّد عن الله عزّ وجلّ ، ولا ينفع معه عمل...

اللهمّ اجعلنا من المحبّين للنبيّ وآله ، ومن المتقرّبين بهم إليك.

* * *

(٤٦١) راجع الجزء الخامس من كتابنا الكبير «نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار» ففيه روايات أنهما مخلوقان من نور واحد ، ومن شجرة واحدة.

(٤٦٢) نهج البلاغة : ١٦٢ .

الفصل الثالث

في دفع شبهات المخالفين

وإذا ثبتت صحّة الأحاديث الدالّة على نزول الآية المباركة في « أهل البيت » حتّى التي تكلم في أسانيدھا ، بعد بيان سقوط ما تذرّعوا به ، تندفع جميع الشبهات التي يطرحونها حول ذلك .
ولكنّا مع ذلك نذكر ما قالوه في هذا الباب ، ونجيب عنه بالأدلة والشواهد القويمة ، (يهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) .

ولعلّ أشدّ القوم مخالفةً في المقام هو ابن تيميّة في « منهاج السنّة » فلنقدّم كلماته :
* يقول ابن تيميّة : « ثبت في الصحيح عن سعيد بن جبیر : أنّ ابن عبّاس سئل عن قوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى) قال : فقلت : إلاّ أن تؤدّوا ذوي قربي محمّداً . فقال ابن عبّاس : عجلت ! إنّه لم يكن بطن من قريش إلاّ لرسول الله منهم قرابة فقال : قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ أن تؤدّوني في القرابة التي بيني وبينكم .

فابن عبّاس كان من كبار أهل البيت وأعلمهم بتفسير القرآن ، وهذا تفسيره الثابت عنه .
ويدلّ على ذلك أنّه لم يقل : إلاّ المودة لذوي القربى ، ولكن قال : إلاّ المودة في القربى . ألا ترى أنّه لما أراد ذوي قريبه قال : (واعلموا أنّما غنمتم من شيء فإنّ لله خمسه وللرسول ولذوي القربى) . ولا يقال : المودة في ذوي القربى ، وإمّا يقال : المودة لذوي القربى ، فكيف وقد قال (قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى) ؟!
ويبيّن ذلك : إنّ الرسول صلّى الله عليه وآله [وآله] وسلّم لا يسأل أجراً أصلاً ، إمّا أجره على الله ، وعلى المسلمين موالاة أهل البيت لكن بأدلة أخرى غير هذه الآية وليست موالاة أهل البيت من أجر النبي في شيء .

وأيضاً ، فإنّ هذه الآية مكّيّة ، ولم يكن عليّ بعد قد تزوّج بفاطمة ، ولا ولد له أولاد « (٤٦٣) .

* وقال ابن تيميّة :

« وأمّا قوله : وأنزل الله فيهم (قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى) فهذا كذب ظاهر ، فإنّ هذه الآية

في سورة الشورى ، وسورة الشورى مكّيّة بلا ريب ، نزلت قبل أن يتزوّد عليّ بفاطمة ...

(٤٦٣) منهاج السنّة ٤ : ٢٥ - ٢٧ .

وقد تقدّم الكلام على الآية وأن المراد بها ما بيّنه ابن عباس... رواه البخاري وغيره.
وقد ذكر طائفة من المصنّفين من أهل السنّة والجماعة والشيعة ، من أصحاب أحمد وغيرهم ،
حديثاً عن النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم أنّ هذه الآية لما نزلت قالوا : يا رسول الله ، من هؤلاء ؟ قال :
عليّ وفاطمة وابناهما.

وهذا كذب باتّفاق أهل المعرفة « !^(٤٦٤) .

* وكرّر ابن تيميّة :

تكذيب الحديث المذكور..

وأنّ الآية في سورة الشورى وهي مكّيّة ، وأنّ عليّاً إمّا تزوّج فاطمة بالمدينة..
وأنّ التفسير الذي في الصحيحين يناقض ذلك الحديث ، قال : سئل ابن عباس..
وأنته قال : (لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى) ولم يقل : إلاّ المودّة للقربى ، ولا المودّة لذوي القربى
كما قال : (واعلموا ...) ..

وأنّ النبيّ لا يسأل على تبليغ رسالة ربّه أجراً البتة ، بل أجره على الله..
وأنّ القربى معرّفه باللام ، فلا بدّ أن تكون معروفةً عند المخاطبين ، وقد ذكرنا أنّها لما نزلت لم يكن
قد خلق الحسن ولا الحسين ، ولا تزوّج عليّ بفاطمة ، فالقربى التي كان المخاطبون يعرفونها يمتنع أن
تكون هذه ، بخلاف القربى التي بينه وبينهم ، فإنّها معروفة عندهم^(٤٦٥) .

* ولم يذكر ابن حجر العسقلاني في (تخريج الكشاف) إلاّ « المعارضة » قال : « وقد عارضه ما هو
أولى منه ، ففي البخاري... »^(٤٦٦) وكذا في « فتح الباري » وأضاف : « ويؤيّد ذلك أنّ السورة مكّيّة »^(٤٦٧) .
* وقال ابن كثير : « وذكر نزول الآية في المدينة بعيد ، فإنّها مكّيّة ، ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضي
الله عنها أولاد بالكلّيّة ، فإنّها لم تتزوّج بعليّ - رضي الله عنه - إلاّ بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة.
والحقّ تفسير هذه الآية بما فسّرها حبر الأئمة... »^(٤٦٨) .

* وقال القسطلاني : « والآية مكّيّة ولم يكن إذ ذاك لفاطمة أولاد بالكلّيّة ، فإنّها لم تتزوّج بعليّ إلاّ
بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة. وتفسير الآية بما فسّر به حبر الأئمة وترجمان القرآن ابن عباس أحقّ
وأولى »^(٤٦٩) .

(٤٦٤) منهاج السنّة ٤ : ٥٦٢ - ٥٦٣ .

(٤٦٥) منهاج السنّة ٧ : ٩٥ - ١٠٣ .

(٤٦٦) الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف - مع الكشاف - ٥ : ٤٠٤ .

(٤٦٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨ : ٤٥٨ .

(٤٦٨) تفسير القرآن العظيم ٧ : ٢٠١ .

* والشوكاني اقتصر على المعارضة وترجيح الحديث عن طاووس عن ابن عباس^(٤٧٠).

* وابن رزبهان ما قال إلا : « ظاهر الآية على هذا المعنى شامل لجميع قرابات النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم »^(٤٧١).

* وقال عبد العزيز الدهلوي ما حاصله :

« إنّه وإن أخرج أحمد والطبراني ذلك عن ابن عباس ، لكنّ جمهور المحدثين يضعّفونه ، لكون سورة الشورى بتمامها مكّيّة ، وما خلق الحسن والحسين حينذاك ، ولم يتزوّج عليّ بعد بفاطمة... والحديث في طريقه بعض الشيعة الغلاة ، وقد وصفه المحدثون بالصدق ، والظنّ الغالب أنّه لم يكذب وإمّا نقل الحديث بالمعنى. إذ كان لفظه « أهل بيتي » فخصّهم الشيعي بالأربعة...

والمعنى المذكور لا يناسب مقام النبوة ، وإمّا ذلك من شأن أهل الدنيا ، وأيضاً ينافيه الآيات الكثيرة كقوله تعالى : (ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله) فلو كان خاتم الأنبياء طالباً للأجر لزم أن تكون منزلته أدنى من سائر الأنبياء ، وهو خلاف الإجماع »^(٤٧٢).

فهذه شبهات أعلام القوم في هذا المقام ، فلنذكر الشبهات بالترتيب ونتكلّم عليها :

١ - سورة الشورى مكّيّة والحسنان غير موجودين :

ولعلّ هذه أهمّ الشبهات في المسألة ، وهي الأساس... ونحن تارةً نبحث عن الآية المباركة بالنظر إلى الروايات ، وأخرى بقطع النظر عنها ، فيقع البحث على كلا التقديرين.

أما على الأوّل : فإنّ الآية المباركة بالنظر إلى الروايات المختلفة الواردة - سواء المفسّرة بأهل البيت ، أو القائلة بأنّها نزلت بمناسبة قول الأنصار كذا وكذا - مدنية ، ولذا قال جماعة بأنّ سورة الشورى مكّيّة إلاّ آيات :

قال القرطبي : « سورة الشورى مكّيّة في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة : إلاّ أربع آيات منها أنزلت بالمدينة : (قل لا أسئلكم عليه أجرأ إلاّ المودة في القربى) إلى آخرها »^(٤٧٣).

وقال أبو حيان : « قال ابن عباس : مكّيّة إلاّ أربع آيات ، من قوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجرأ إلاّ المودة في القربى) إلى آخر الأربع آيات فإنّها نزلت بالمدينة »^(٤٧٤).

(٤٦٩) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٧ : ٣٣١ .

(٤٧٠) فتح القدير ٤ : ٥٣٧ .

(٤٧١) إبطال الباطل - المطبوع مع إحقاق الحقّ - ٣ : ٢٠ .

(٤٧٢) التحفة الاثنا عشرية : ٢٠٥ .

(٤٧٣) الجامع لأحكام القرآن ١٦ : ١ .

وقال الشوكاني : « وروي عن ابن عباس وقتادة أنّها مكّيّة إلا أربع آيات منها أنزلت بالمدينة (قد لا أسئلكم...)^(٤٧٥) .

وقال الألوسي : « وفي البحر : هي مكّيّة إلا أربع آيات من قوله تعالى : (قد لأسئلكم عليه أجراً) إلى آخر اربع آيات. وقال مقاتل : فيها مدني ، قوله تعالى : (ذلك الذي يبشّر الله عباده...) واستثنى بعضهم قوله تعالى : (أم يقولون افتري) ...

وجوّز أن يكون الإطلاق باعتبار الأغلب »^(٤٧٦) .

وبهذا القدر كفاية.

ووجود آيات مدنيّة في سورة مكّيّة أو بالعكس كثير ، ولا كلام لأحد في ذلك.

وأما على الثاني : فالآية دالّة على وجوب مودّة « القربى » أي : أقرباء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم ، والخطاب للمسلمين لا لغيرهم.

أما أنّها دالّة على وجوب مودّة « قربي » النبيّ ، فلتبادر هذا المعنى منه ، وقد أذعن بهذا التبادر غير واحد من الأئمّة ، نذكر منهم :

الكرماني ، صاحب « الكواكب الدراري في شرح البخاري »^(٤٧٧) .

والعيني ، صاحب « عمدة القاري في شرح البخاري ».

قال العيني بشرح حديث طاووس : « وحاصل كلام ابن عباس : إنّ جميع قريش أقارب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم وليس المراد من الآية بنو هاشم ونحوهم كما يتبادر الذهن إلى قول سعيد بن جبير »^(٤٧٨) .

وأما أنّ الخطاب للمسلمين ، فلوجه ، منها : السياق ، فإنّ الله سبحانه وتعالى يقول :

(ترى الظالمين مشفقين ممّا كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنّات لهم ما يشاؤون عند ربّهم)

ذلك هو الفضل الكبير * ذلك الذي يبشّر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى ومن يقترف حسنةً نزد له فيها حسناً إنّ الله غفور شكور * أم يقولون افتري على الله كذباً فإنّ يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحقّ الحقّ بكلماته إنّهُ عليم بذات الصدور * وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون * ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد) .

(٤٧٤) البحر المحيط ٩ : ٣٢٢ .

(٤٧٥) فتح القدير ٤ : ٥٢٤ .

(٤٧٦) روح المعاني ٢٥ : ١٠ .

(٤٧٧) صحيح البخاري بشرح الكرماني ١٨ : ٨٠ .

(٤٧٨) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٩ : ١٥٧ .

فقد جاءت الآية المباركة بعد قوله تعالى : (ذلك الذي يبشّر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات).

فإن قلت :

فبعدها : (أم يقولون افتري على الله كذباً...)؟!

قلت :

ليس المراد من ذلك المشركين ، بل المراد هم المسلمون ظاهراً المنافقون باطناً ، يدلّ على ذلك قوله بعده : (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون) فالخطاب ليس للمشركين ، ولم تستعمل « التوبة » في القرآن إلاّ في العصاة من المسلمين.

فإن قلت :

فقد كان في المسلمين في مكّة منافقون؟!

قلت :

نعم ، فراجع (سورة المنافقون) و (سورة المدثر) وما قاله المفسّرون^(٤٧٩) .
وعلى هذا ، فقد كان الواجب على المسلمين عامّة « مودّة » أقرباء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم... فهل - يا ترى - أمروا حينذاك بمودّة أعمامه وبنبي عمومته؟!
أمّا المشركون منهم.. فلا ، قطعاً.. وأمّا المؤمنون منهم وقت نزول الآية أو بعده... فأولئك لم يكن لهم أيّ دور يذكر في مكّة...
بل المراد « عليّ » عليه السلام ، فإنّه الذي كان المشركون يبغضونه ويعادونه ، والمنافقون يحسدونه ويعاندونه ، والمؤمنون يحبّونه ويوادّونه.
ولا يخفى ما تدلّ عليه كلمتا « المودّة » و « يقترف » .
ثمّ إنّّه صلى الله عليه وآله وسلّم لما سئل - في المدينة - عن المراد من : « القربى » في الآية المباركة قال : « عليّ وفاطمة والحسن والحسين » .

(٤٧٩) يراجع بهذا الصدد : تفاسير الفريقين ، خاصّة في سورة المدثر ، المكّيّة عند الجميع ، ويلاحظ اضطراب كلمات أبناء العامة وتناقضها ، في محاولات يائسة لصرف الآيات الدالة على ذلك عن ظواهرها ، فرارا ، من الإجابة عن السؤال بـ « من هم إذا ؟ » !!
أمّا الشيعة.. فقد عرفوا المنافقين منذ اليوم الأوّل... وللتفصيل مكان آخر ، ولو وجدنا متسعا لوضعنا في هذه المسألة القرآنية التاريخية المهمة جدّاً رسالة مفردة وبالله التوفيق.

٢ - الرسول لا يسأل أجراً :

إنَّ الرسول من قِبَلِ الله سبحانه وتعالى لا يسأل الناس أجراً على تبليغ الرسالة إليهم أصلاً ، وإنما أجره على الله ، وهكذا كان الأنبياء السابقون :

قال نوح لقومه : (إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على ربِّ العالمين) (٤٨٠).

وقال هود : (يا قوم لا أسئلكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون) (٤٨١) .

وقال صالح : (إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على ربِّ العالمين) (٤٨٢) .

ومن هنا أصرَّ بعضهم على أن الاستثناء منقطع ، وجوّز بعضهم - كالزمخشري وجماعة (٤٨٣) - أن يكون متصلاً وأن يكون منقطعاً.

أقول :

ونبيّنا أيضاً كذلك كما جاء في آيات عديدة ، منها :

(... قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلمين * إن هو إلاّ ذكر للعالمين) (٤٨٤) .

(قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلاّ على الله وهو على كلّ شيء شهيد) (٤٨٥) .

(قل ما أسألكم عليه من أجر إلاّ من شاء أن يتخذ إلى ربّه سبيلاً) (٤٨٦) .

وقد أجاب المفسّرون من الفريقين عن هذه الشبهة بأكثر من وجه ، وفي تفسيريّ الخازن والخطيب الشربيني (٤٨٧) منها وجهان...

ولكن يظهر - بالدقّة - أنّ الآيات في الباب بالنسبة إلى نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلّم على أربعة

أنحاء :

١ - ما اشتمل على عدم سؤال الأجر .

٢ - ما اشتمل على سؤال الأجر لكنّه « لكم » .

٣ - ما اشتمل على عدم سؤال الأجر ، وطلب « اتّخاذ السبيل إلى الله » عن اختيار .

(٤٨٠) سورة الشعراء ٢٦ : ١٠٧ - ١٠٨ .

(٤٨١) سورة هود ١١ : ٥١ .

(٤٨٢) سورة الشعراء ٢٦ : ١٤٣ - ١٤٥ .

(٤٨٣) الكشاف ٥ : ٤٠٤ ، روح المعاني ٢٥ : ٣١ ، فتح القدير ٤ : ٥٣٤ ، زاد المسير ٧ : ٢٨٤ .

(٤٨٤) سورة ص ٣٨ : ٨٦ - ٨٧ .

(٤٨٥) سورة سبأ ٣٤ : ٤٧ .

(٤٨٦) سورة الفرقان ٢٥ : ٥٧ .

(٤٨٧) تفسير الخازن ٤ : ٩٨ ، تفسير السراج المنير ٢ : ٦٦٨ .

٤ - ما اشتمل على سؤال الأجر وهو « المودّة في القربى ».

وأَيّ تناف بين هذه الآيات؟! يا منصفون!

إنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يسأل الناس أجراً، وإنما يريد منهم أن يتخذوا سبيلاً إلى الله، وهو ما لا يتحقق إلا بمودّة أهل البيت، وهو لهم... ولذا ورد عنهم عليه السلام: « نحن السبيل »^(٤٨٨) ... نعم هم السبيل وخاصّةً « إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً، وتظاهرت الفتن، وتقطّعت السبل... »^(٤٨٩).

فإذن.. هم.. السبيل... وهذا معنى هذه الآية في محكم التنزيل، ولا يخفى لوازم هذا الدليل فافهم واغتنم، و (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن...) وحسبنا الله ونعم الوكيل.

٣ - لماذا لم يقل: إلا المودّة للقربى؟

وطرح هذه الشبهة من مثل الدهلوي الهندي غير بعيد، لكنّه من مثل ابن تيميّة الذي يدعي العربيّة عجيب!! وليته راجع كلام أهل الفنّ:

قال الزمخشري: « يجوز أن يكون استثناءً متّصلاً، أي: لا أسألكم أجراً إلا هذا وهو أن تودّوا أهل قرابتي، ولم يكن هذا أجراً في الحقيقة، لأنّ قرابته قرابتهم، فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة. ويجوز أن يكون منقطعاً، أي: لا أسألكم أجراً قطّ ولكنني أسألكم أن تودّوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم.

فإن قلت: هلاً قيل: إلا مودّة القربى، أو: إلا المودّة للقربى؟ وما معنى قوله (إلا المودّة في القربى)؟

قلت: جعلوا مكاناً للمودّة ومقرراً لها، كقولك: لي في آل فلان مودّة، ولي فيهم هوىّ وحبّ شديد. تريد: أحبّهم وهم مكان حبّي ومحلّه، وليست « في » بصلة للمودّة كاللام إذا قلت: إلا المودّة للقربى، إنّما هي متعلّقة بمحذوف تعلّق الظرف به في قولك: المال في الكيس. وتقديره: إلا المودّة ثابتة في القربى وتممّكته فيها. والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى قرابة، والمراد: في أهل القربى. وروي أنّها لما نزلت قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة وابناهما. ويدلّ عليه ما روي عن عليّ رضي الله عنه: شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسد الناس لي، فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيّماننا وشمائنا، وذريّتنا خلف أزواجنا! »^(٤٩٠).

(٤٨٨) فرائد السمطين ٢: ٥٢٣/٢٥٣، وعنه في ينابيع المودّة ٣: ٢/٣٥٩.

(٤٨٩) فرائد السمطين ٢: ٥٢٣/٢٥٣، وعنه في ينابيع المودّة ٣: ٢/٣٥٩.

(٤٩٠) الكشّاف في تفسير القرآن ٥: ٤٠٤.

وقرّره الفخر الرازي حيث قال : « أورد صاحب الكشاف على نفسه سؤالاً فقال : هلاً قيل : إلاّ
مودّة القربى ، أو : إلاّ المودّة للقربى ، وما معنى قوله : (إلاّ المودّة في القربى) ؟

وأجاب بأن قال : جعلوا مكاناً للمودّة ومقرّاً لها كقولك : لي في آل فلان مودّة ، ولي فيهم هوىً
وحبّ شديد. تريد أحبّهم وهم مكان حبّي ومحلّه »^(٤٩١) .
وكذا أبو حيّان واستحسنه^(٤٩٢) .

وقال النيسابوري : « ثمّ أمر رسوله بأن يقول : (لا أسألكم) على هذا التبليغ (أجراً إلاّ المودّة) الكائنة (في القربى) جعلوا مكاناً للمودّة ومقرّاً لها ، ولهذا لم يقل : مودّة القربى ، أو : المودّة للقربى ، وهي مصدر
بمعنى القرابة ، أي : في أهل القربى ، وفي حقّهم »^(٤٩٣) .

وقال أبو السعود بعد أن جعل الإستثناء متّصلاً : « وقيل : الإستثناء منقطع والمعنى : لا أسألكم
أجراً قط ولكن أسألكم المودّة.

و (في القربى) حال منها. أي : إلاّ المودّة ثابتة في القربى متمكّنة في أهلها أو في حقّ القرابة. والقربى
مصدر كالزلفى ، بمعنى القرابة. روي : أنّها لما نزلت قيل : يا رسول الله ، من قرابتك... »^(٤٩٤) .
وراجع أيضاً تفاسير : البيضاوي والنسفي والشرييني ، وغيرهم.

٤ - المعارضة :

وهذه هي الشبهة الأخيرة ، وهي تتوقّف على اعتبار ما أخرج أحمد وغيره عن طاووس عن ابن
عبّاس ، والجواب عنها بالتفصيل في الفصل الرابع..

* * *

(٤٩١) التفسير الكبير ٢٧ : ١٦٧ .

(٤٩٢) البحر المحيط ٩ : ٣٣٥ .

(٤٩٣) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦ : ٧٣ .

(٤٩٤) تفسير أبي السعود ٨ : ٣٠ .

الفصل الرابع

الأخبار والأقوال

قد ظهر إلى الآن أنّ نزول الآية المباركة في « أهل البيت » هو المتبادر من الآية ، وأنّ القول بذلك مستند إلى أدلة معتبرة في كتب السنّة ، وأنّه محكيّ عن أمّة أهل البيت : أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو أعلم الأصحاب بكتاب الله بالإجماع ، والحسن السبط عليه السلام ، والحسين الشهيد عليه السلام ، والإمام السجّاد عليّ بن الحسين عليه السلام ، والإمام الباقر عليه السلام ، والإمام الصادق عليه السلام .
ورواه عدّة من كبار الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم .
وقال به ابن عبّاس ، في ما رواه عنه سعيد بن جبير ومجاهد والكلبي وغيرهم ، بل أرسله عنه أبو حيان إرسال المسلم ، وسنذكر عبارته .
وهو قول : سعيد بن جبير ، وعمرو بن شعيب ، والسدي ، وجماعة .

أدلة وشواهد أخرى للقول بنزول الآية في أهل البيت :

وقد ذكر هذا القول غير واحد من المفسرين وغيرهم فلم يردّوه .
بل لم يرجّحوا عليه غيره ، بل ذكروا له أدلة وشواهد ومؤيّدات ، من الأخبار والروايات .
* كالزمخشري ، فإنّه ذكر هذا القول ، وروى فيه الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم : « قيل : يا رسول الله ، من قرابتك... » قال : « ويدلّ عليه ما روي عن عليّ... » الحديث ، وقد تقدّم ، ثمّ قال بعده :
« وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم : حرّمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ، ومن اصطنع صنيعه إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة .

وروي : أنّ الأنصار قالوا : فعلنا وفعلنا... » الحديث ، وقد تقدّم .

قال : « وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم : من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك

الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة ، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة» (٤٩٥) .

* والرازي حيث قال : « روى الكلبي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : إن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم لما قدم المدينة كانت تعرفه نواب وحقوق ، وليس في يده سعة ، فقال الأنصار : إن هذا الرجل قد هداكم الله على يده وهو ابن اختكم وجاركم في بلدكم ، فاجمعوا له طائفة من أموالكم ، ففعلوا ، ثم أتوه به فردّه عليهم ، فنزل قوله تعالى : (قد لا أسألكم عليه أجراً) أي على الإيمان إلا أن تودّوا أقاربي. فحثهم على مودة أقاربه .»

ثم إنّه أورد الرواية عن الزمخشري قائلاً : « نقل صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أنّه قال : من مات على حب آل محمد... » إلى آخره. ثم قال :

« وأنا أقول : آل محمد هم الذين يؤول أمرهم إليه ، فكل من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل ، ولا شك أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أشدّ التعلّقات ، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر ، فوجب أن يكونوا هم الآل.

وأيضاً : اختلف الناس في الآل ، فقيل : هم الأقارب ، وقيل : هم أمته. فإن حملناه على القرابة فهم الآل ، وإن حملناه على الأمة الذين قبلوا دعوته فهم أيضاً آل. فثبت أن على جميع التقديرات هم الآل ، وأما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل ؟ فمختلف فيه.

وروى صاحب الكشاف : إنّه لما نزلت هذه الآية قيل : يا رسول الله ، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم ؟ فقال : عليّ وفاطمة وابناهما. فثبت أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النبي.

وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم ، ويدلّ عليه وجوه :

الأول : قوله تعالى : (إلا المودة في القربى) ووجه الاستدلال به ما سبق.

الثاني : لا شك أنّ النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم كان يحبّ فاطمة عليها السلام، قال صلى الله عليه [وآله] وسلم : فاطمة بضعة منّي ، يؤذيني ما يؤذيها. وثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله أنّه كان يحبّ علياً والحسن والحسين. وإذا ثبت ذلك وجب على كلّ الأمة مثله لقوله : (واتبعوه لعلكم تهتدون) ولقوله سبحانه : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة).

(٤٩٥) الكشاف في تفسير القرآن ٥ : ٤٠٥ .

الثالث : إنّ الدعاء للآل منصب عظيم ، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة ، وهو قوله : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ، وارحم محمدًا وآل محمد. وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل ، فكلّ ذلك يدلّ على أنّ حبّ آل محمد واجب. وقال الشافعي رضي الله عنه :

يا ركباً قف بالمحصّب من منى *** واهتف بساكن خيفها والناهضسحراً إذا فاض الحجيج إلى منى ***

فيضاً كما نظم الفرات الفائض

إن كان رفضاً حبّ آل محمد *** فليشهد الثقلان أنّي رافضي «^(٤٩٦)

* وذكر النيسابوري محصّل كلام الرازي قائلاً : « ولا ريب أنّ هذا فخر عظيم ، وشرف تامّ؛ ويؤيّد ما روي... »^(٤٩٧).

* وقال القرطبي : « وقيل : (القربى) قرابة الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلّم ، أي : لا أسألكم أجراً إلا أن تودّوا قرابتي وأهل بيتي ، كما أمر بإعظامهم ذوي القربى. وهذا قول عليّ بن حسين وعمرو بن شعيب والسدي. وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس : لما أنزل الله عزّ وجلّ (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) قالوا : يا رسول الله ، من هؤلاء الذين نودّهم ؟ قال : عليّ وفاطمة وابناؤهما. ويدلّ عليه أيضاً ما روي عن عليّ رضي الله عنه : قال : شكوت إلى النبيّ حسد الناس... وعن النبيّ : حرّمت الجنة... وكفى قبحاً بقول من يقول : إنّ التقرب إلى الله بطاعته ومودة نبيّه صلى الله عليه [وآله] وسلّم وأهل بيته منسوخ ، وقد قال النبيّ : من مات على حبّ آل محمد مات شهيداً ، ومن مات على حبّ آل محمد جعل الله زوّار قبره الملائكة والرحمة^(٤٩٨) ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه : أيس اليوم من رحمة الله ، ومن مات على بغض آل محمد لم يرح رائحة الجنة ، ومن مات على بغض آل بيتي فلا نصيب له في شفاعتي.

قلت : وذكر هذا الخبر الزمخشري في تفسيره بأطول من هذا فقال : قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم... « فذكره... »^(٤٩٩).

* وقال الخطيب الشربيني : « فقليل : هم فاطمة وعليّ وابناؤهما. وفيهم نزل : (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) »^(٥٠٠).

(٤٩٦) التفسير الكبير ٢٧ : ١٦٤ - ١٦٦ .

(٤٩٧) تفسير غرائب القرآن ٦ : ٧٤ .

(٤٩٨) كذا .

(٤٩٩) الجامع لاحكام القرآن ١٦ : ٢١ - ٢٣ .

(٥٠٠) السراج المنير ٣ : ٥٣٨ .

* وقال الألويسي : « وقيل : عليّ وفاطمة وولدها رضي الله تعالى عنهم ، وروي ذلك مرفوعاً : أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه ، من طريق ابن جبير عن ابن عباس ، قال : لما نزلت هذه الآية (قل لا أسألكم) إلى آخره. قالوا : يا رسول الله... وقد تقدّم. إلا أنه روي عن جماعة من أهل البيت ما يؤيد ذلك... ».

فروى خبر ابن جرير عن أبي الديلم « لما جاء بعلي بن الحسين... » وخبر زاذان عن علي عليه السلام... وأورد قول كميّ الشاعر والهيّتي أحد أقاربه... وقد تقدّم ذلك كلّه. ثمّ روى حديث الثقلين ، ثمّ قال :

« وأخرج الترمذي وحسنه والطبراني والحاكم والبيهقي في الشعب ، عن ابن عباس ، قال: قال عليه الصلاة والسلام : أحبّوا الله تعالى لما يغذوكم به من نعمة ، وأحبّوني لحبّ الله تعالى ، وأحبّوا أهل بيتي لحبي .

وأخرج ابن حبان والحاكم ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : والذي نفسي بيده ، لا يبغضنا أهل البيت رجل إلاّ أدخله الله تعالى النار. إلى غير ذلك ممّا لا يحصى كثرة من الأخبار ، وفي بعضها ما يدلّ على عموم القربى وشمولها لبني عبد المطلب :

أخرج أحمد والترمذي - وصحّحه والنسائي ، عن المطّلب بن ربيعة ، قال : دخل العباس على رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فقال : إنّا لنخرج فنرى قريشاً تحدث ، فإذا رأونا سكتوا ؛ فغضب رسول الله ودرّ عرق بين عينيه ، ثمّ قال : والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان حتّى يحبّكم الله تعالى ولقرباتي.

وهذا ظاهر إن خصّ (القربى) بالمؤمنين منهم ، وإلاّ ففيل : إنّ الحكم منسوخ. وفيه نظر. والحقّ وجوب محبّة قرابته عليه الصلاة والسلام من حيث إنّهم قرابته كيف كانوا ، وما أحسن ما قيل :

داريت أهلك في هواك وهم عدى *** ولأجل عين ألف عين تكرم وكلّما كانت جهة القرابة أقوى كان طلب المودّة أشدّ ، فمودّة العلويّين ألزم من محبّة العباسيّين على القول بعموم (القربى) وهي على القول بالخصوص قد تتفاوت أيضاً باعتبار تفاوت الجهات والاعتبارات ، وآثار تلك المودّة التعظيم والاحترام والقيام بأداء الحقوق أتمّ قيام ، وقد تهاون كثير من الناس بذلك حتّى عدّوا من الرفض السلوك في هاتيك المسالك ، وأنا أقول قول الشافعي الشافي العيّ :

يا راكباً قف بالمحصّب من منى..... « الأبيات ^(٥٠١) .

أقول :

هذا هو القول الأول ، وهو الحق ، أعني نزول الآية المباركة في خصوص : عليّ وفاطمة والحسين ، وعلى فرض التنزل وشمولها لجميع قربي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فما ورد في خصوص أهل البيت يخصّها.
فهذا هو القول الأول.

الردّ على الأقوال الأخرى :

وفي مقابله أقوال :

أحدها : إنّ المراد من (القربى) القرابة التي بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبين قريش « فقال : إلّا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة ».

والثاني : إنّ المراد من (القربى) هو القرب والتقرّب إلى الله ، أي إلّا أن تودّوا إلى الله في ما يقربكم إليه من التودّد إليه بالعمل الصالح.

والثالث : إنّ المراد من (القربى) هو « الأقرباء » ولكن لا أقرباء النبي مطلقاً ، بل المعنى : إلّا أن تودّوا قرابتكم وتصلوا أرحامكم.

والرابع : إنّ الآية منسوخة بقوله تعالى : (قل ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم)^(٥٠٢) .

أقول :

أمّا القول الأخير فقد ردّه الكل ، حتّى نصّ بعضهم على قبحه ، وقد بيّنا أن لا منافاة بين الآيتين أصلاً ، بل إحداهما مؤكّدة لمعنى الأخرى.

وأمّا الذي قبله ، فلا ينبغي أن يذكر في الأقاويل ، لأنّه قول بلا دليل ، ولذا لم يعبأ به أهل التفسير والتأويل.

وأمّا القول بأنّ المراد هو « التقرّب » فقد حكى عن الحسن البصري^(٥٠٣) وظاهر العيني اختياره له^(٥٠٤) . واستدلّ له في « فتح الباري » بما أخرجه أحمد من طريق مجاهد عن ابن عباس أيضاً : إنّ النبي صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم قال : « قل لا أسألكم عليه أجراً على ما جئتمكم به من البيّنات والهدى إلّا أن تقرّبوا إلى الله بطاعته ».

(٥٠٢) سورة سبأ ٣٤ : ٤٧ .

(٥٠٣) التفسير الكبير ٢٧ : ١٦٥ ، فتح الباري ٨ : ٤٥٨ وغيرهما .

(٥٠٤) عمدة القاري ١٩ : ١٥٧ .

لكن قال ابن حجر : « وفي إسناده ضعف »^(٥٠٥) .

وهو مردود أيضاً بأنه خلاف المتبادر من الآية ، وأنّ النصوص على خلافه... وهو خلاف الذوق السليم.

وأما القول الأوّل من هذه الأقوال ، فهو الذي اقتصر عليه ابن تيميّة فلم يذكر غيره ، واختاره ابن حجر ، ورجّحه الشوكاني... والدليل عليه ما أخرجه أحمد والشيخان وغيرهم عن طاووس عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس ، وقد تقدّم في أوّل أخبار المسألة.

ويقع الكلام على هذا الخبر في جهتين :

الأولى : جهة السند :

فإنّ مدار الخبر على « شعبة بن الحجّاج » وقد كان هذا الرجل ممّن يكذب ويضع على أهل البيت ، فقد ذكر الشريف المرتضى رحمه الله أنّه روى عن جعفر ابن محمّد أنّه كان يتولّى الشيخين^(٥٠٦) ! فمن يضع مثل هذا لا يستبعد منه أن يضع على ابن عبّاس في نزول الآية.

ثمّ إنّ الراوي عن شعبة عند أحمد « يحيى بن عبّاد الضبعي البصري » قال الخطيب : « نزل بغداد وحدث بها عن شعبة... روى عنه أحمد بن حنبل... »^(٥٠٧) .

وقد أورد ابن حجر هذا الرجل فيمن تكلم فيه من رجال البخاري ، فنقل عن الساجي أنّه ضعيف ، وعن ابن معين أنّه ليس بذاك وإن صدّقه^(٥٠٨) .

وروى الخطيب بإسناده عن ابن المديني ، قال : سمعت أبي يقول : يحيى ابن عبّاد ليس ممّن أحدث عنه ، وبشّار الخفّاف أمثل منه.

وبإسناده عن يحيى بن معين : لم يكن بذاك ، قد سمع وكان صدوقاً ، وقد أتيناها فأخرج كتاباً فإذا هو لا يحسن يقرأه فانصرفنا عنه.

وبإسناده عن الساجي : ضعيف ، حدّث عنه أهل بغداد. سمعت الحسن بن محمّد الزعفراني يحدث عنه عن الشعبي وغيره ، لم يحدث عنه أحد من أصحابنا بالبصرة ، لا بندار ولا ابن المثنى^(٥٠٩) .

وقد أورده الذهبي في ميزانه مقتصراً على تضعيف الساجي^(٥١٠) .

(٥٠٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨ : ٤٥٨ .

(٥٠٦) الشافي في الإمامة ٤ : ١١١ .

(٥٠٧) تاريخ بغداد ١٤ : ١٤٤ .

(٥٠٨) مقدّمة فتح الباري ٤٥٢ .

(٥٠٩) تاريخ بغداد ١٤ : ١٤٥ .

والراوي عن شعبة عند البخاري « محمد بن جعفر - غندر » وقد أدرجه ابن حجر فيمن تكلم فيه بمناسبة قول أبي حاتم : « يكتب حديثه عن غير شعبة ولا يحتج به »^(٥١١) ، وبهذه المناسبة أيضاً أورده الذهبي في ميزانه^(٥١٢) .

والراوي عنه : « محمد بن بشار » وهو أيضاً ممن تكلم فيه غير واحد من أمتهم ، وأدرجه ابن حجر فيمن تكلم فيه فذكر تضعيف الفلاس ، وأن يحيى بن معين كان يستضعفه ، وعن أبي داود : لولا سلامة فيه لترك حديثه^(٥١٣) .

لكن في ميزان الاعتدال : « كذب الفلاس » وروى عن الدورقي : « كنا عند يحيى بن معين فجرى ذكر بندار ، فرأيت يحيى لا يعبأ به ويستضعفه » قال : « ورأيت القواريري لا يرضاه » وكان صاحب حمام^(٥١٤) .

أقول :

لقد كان هذا حال عمدة أسانيد حديث طاووس عن ابن عباس ، والإنصاف أنه لا يصلح للاحتجاج فضلا عن المعارضة ، على أن كلام الحاكم في كتاب التفسير صريح في رواية البخاري ومسلم هذا الحديث عن طريق طاووس عن ابن عباس باللفظ الدال على القول الحق ، وهذا نص كلامه : « إنما اتفقا في تفسير هذه الآية على حديث عبد الملك بن ميسرة الزراد عن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه في قري آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ».

وأرسل ذلك أبو حيان عن ابن عباس إرسال المسلم ، فإنه بعد أن ذكر القول الحق قال : « وقال بهذا المعنى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب واستشهد بالآية حين سيق إلى الشام أسيراً ، وهو قول ابن جبير والسدي وعمرو ابن شعيب . وعلى هذا التأويل قال ابن عباس : قيل : يا رسول الله ، من قرابتك الذين أمرنا بمودتهم ؟ فقال : علي وفاطمة وابناهما »^(٥١٥) .

والثانية : جهة فقه الحديث :

(٥١٠) ميزان الاعتدال ٤ : ٣٨٧ .

(٥١١) مقدمة فتح الباري : ٤٣٧ .

(٥١٢) ميزان الاعتدال ٣ : ٥٠٢ .

(٥١٣) مقدمة فتح الباري : ٤٣٧ .

(٥١٤) ميزان الاعتدال ٣ : ٤٩٠ .

(٥١٥) البحر المحيط ٩ : ٣٣٥ .

وفيه :

أولاً : إنَّ من غير المعقول أن يخاطب الله ورسوله المشركين بطلب الأجر على أداء الرسالة ، فإنَّ المشركين كافرون ومكذَّبون لأصل هذه الرسالة ، فكيف يطلب منهم الأجر؟! **وثانياً :** إنَّ هذه الآية مدنيّة ، وقد ذكرت في سبب نزولها روايات تتعلّق بالأنصار. **وثالثاً :** على فرض كونها مكّيّة فالخطاب للمسلمين لا للمشركين كما بيّنا. وبعد ، فلو تنزّلنا وجوّزنا الأخذ سنداً ودلالة بما جاء في المسند وكتابي البخاريومسلم عن طاووس عن ابن عبّاس ، فلا ريب في أنّه نصّ في ذهاب سعيد بن جبير إلى القول الحقّ. وأمّا رأي ابن عبّاس فمتعارض ، والتعارض يؤدّي إلى التسايط ، فلا يبقى دليل للقول بأنّ المراد « القرابة » بين النبيّ وقريش ، لأنّ المفروض أن لا دليل عليه إلاّ هذا الخبر. لكنّ الصحيح أنّ ابن عبّاس - وهو من أهل البيت وتلميذهم - لا يخالف قولهم ، وقد عرفت أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ينصّ على نزول الآية فيهم ، وكذا الإمام السجّاد... ولم يناقش أحد في سند الخبرين ، وكذا الإمامان السبطان والإمامان الصادقان... فكيف يخالفهم ابن عبّاس في الرأي؟! لكن قد تمادى بعض القوم في التزوير والتعصّب ، فوضعوا على لسان ابن عبّاس أشياء ، ونسبوا إليه المخالفة لأمير المؤمنين عليه السلام في قضايا ، منها قضية المتعة ، حتّى وضعوا حديثاً في أنّ عليّاً عليه السلام كان يقول بحرمة المتعة فبلغه أنّ ابن عبّاس يقول بحلّيّتها ، فخاطبه بقوله : « إنك رجل تائه » ! ومع ذلك لم يرجع ابن عبّاس عن القول بالحليّة! ^(٥١٦) . ولهذا نظائر لا نطيل المقام بذكرها...

والمقصود أنّ القوم لما رأوا رواية غير واحد من الصحابة - وبأسانيد معتبرة - نزول الآية المباركة في « أهل البيت » ووجدوا أئمة أهل البيت عليهم السلام مجمعين على هذا القول... حاولوا أولاً تضعيف تلك الأخبار ثمّ وضع شيء في مقابلها عن واحد من علماء أهل البيت ليعارضوها به ، وليلقوا الخلاف بينهم بزعمهم... ثمّ يأتي مثل ابن تيميّة - ومن تبعه - فيستدلّ بالحديث الموضوع ويكذّب الحديث الصحيح المتفق عليه بين المسلمين.

تنبيهان :

الأول :

(٥١٦) راجع : رسالتنا في المتعنين في : الرسائل العشر .

قد تنبه الفخر الرازي إلى أن ما ذكره في ذيل الآية من الأدلة على وجوب محبة أهل البيت وإطاعتهم واحترامهم ، وحرمة بغضهم وعدائهم... يتنافى مع القول بإمامة الشيخين وتعظيم الصحابة قاطبة... مع ما كان منهم بالنسبة إلى أهل البيت وصدر منهم تجاههم ، فحاول أن يتدارك ذلك فقال :

« قوله (إلا المودة في القربى) فيه منصب عظيم للصحابة !! لأنه تعالى قال : (والسابقون السابقون * أولئك المقربون). فكل من أطاع الله كان مقرباً عند الله تعالى فدخل تحت قوله : (إلا المودة في القربى) !

والحاصل : إن هذه الآية تدل على وجوب حب آل رسول الله وحب أصحابه ، وهذا المنصب

لايسلم إلا على قول أصحابنا أهل السنة والجماعة الذين جمعوا بين حب العترة والصحابة.

وسمعت بعض المذكورين قال : إنه صلى الله عليه [وآله] وسلم قال : مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح ، من ركب فيها نجا. وقال : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ; ونحن الآن في بحر التكليف وتضربنا أمواج الشبهات والشهوات ، وراكب البحر يحتاج إلى أمرين : أحدهما : السفينة الخالية عن العيوب والثقب. والثاني : الكواكب الظاهرة الطالعة النيرة ، فإذا ركب تلك السفينة ووقع نظره على تلك الكواكب الظاهرة كان رجاء السلامة غالباً. فكذاك ركب أصحابنا أهل السنة سفينة حب آل محمد ووضعوا أبصارهم على نجوم الصحابة ، فرجوا من الله تعالى أن يفوزوا بالسلامة والسعادة في الدنيا والآخرة »!!^(٥١٧).

وكذلك النيسابوري ، فإنه قال : « قال بعض المذكورين : إن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قال :

مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح ، من ركب فيها نجا ، ومن تخلف عنها غرق. وعنه صلى الله عليه [وآله] وسلم : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.

فنحن نركب سفينة حب آل محمد ونضع أبصارنا على الكواكب النيرة ، أعني آثار الصحابة

لنتخلص من بحر التكليف وظلمة الجهالة ، ومن أمواج الشبهة والضلالة »!!^(٥١٨).

وكذلك الأوسي ، فإنه قال مثله وقد استظرف ما حكاه الرازي ، قال الأوسي بعد ما تقدم نقله

عنه في وجوب محبة أهل البيت ومتابعتهم وحرمة بغضهم ومخالفتهم :

« ومع هذا ، لا أعد الخروج عما يعتقدُه أكابر أهل السنة في الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - ديناً

، وأرى حُبهم فرضاً عليّ مبيناً ، فقد أوجبه أيضاً الشارع ، وقامت على ذلك البراهين السواطع. ومن

الظرائف ما حكاه الإمام عن بعض المذكورين... »^(٥١٩).

أقول :

(٥١٧) التفسير الكبير ٢٧ : ١٦٦ .

(٥١٨) تفسير غرائب القرآن ٦ : ٧٤ .

(٥١٩) روح المعاني ٢٥ : ٣٢ .

لقد أحسن النيسابوري والآلوسي إذ لم يتبعا الفخر الرازي في ما ذكره في صدر كلامه ، فإنّي لم أفهم وجه ارتباط مطلبه بأية المودّة... : على أنّ فيه مواضع للنظر ، منها : إنّ قوله تعالى : (والسابقون السابقون * أولئك المقربون) قد فسّر في كتب الفريقين في هذه الأمة بعليّ أمير المؤمنين عليه السلام^(٥٢٠) .
وأما الحكاية الظريفة عن بعض المذكّرين ، فإنّ من سوء حظّ هذا المذكّر - وهؤلاء المذكّرين !! - تنصيص عشرات من الأئمّة المعتمدين على بطلان حديث النجوم ووضعه وسقوطه :

قال أحمد : حديث لا يصحّ.

وقال البزار : هذا الكلام لا يصحّ عن النبيّ.

وقال الدارقطني : ضعيف.

وقال ابن حزم : هذا خبر مكذوب موضوع باطل ، لم يصحّ قطّ.

وقال البيهقي : أسانيد كُلهَا ضعيفة.

وقال ابن عبد البرّ : إسناده لا يصحّ.

وقال ابن الجوزي : هذا لا يصحّ.

وقال أبو حيّان : لم يقل ذلك رسول الله ، وهو حديث موضوع لا يصحّ به عن رسول الله.

وقال الذهبي : هذا باطل.

وقال ابن القيم - بعد الإشارة إلى بعض طرقه - : لا يثبت شيء منها.

وضعّفه أيضاً : ابن حجر العسقلاني ، والسيوطي ، والسخاوي ، والمتّقّي الهندي ، والمنّاوي ، والخفاجي ، والشوكاني... وغيرهم...

ومن شاء التفصيل فليرجع إلى رسالتنا فيه^(٥٢١) .

الثاني :

قال الرازي - في الوجوه الدالّة على اختصاص الأربعة الأطهار بمزيد التعظيم - : « الثالث : إنّ الدعاء للآل منصب عظيم ، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله : اللهم صلّ... »
وقد تعقّب بعض علمائنا هذا الكلام بما يعجبني نقله بطوله ، قال :

« فائدة : قال القاضي النعمان : أجمل الله في كتابه قوله (إنّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً) فبيّنه النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لأمتّه ، ونصب أولياءه لذلك من بعده ، وذلك

(٥٢٠) مجمع الزوائد ٩ : ١٠٢ .

(٥٢١) في كتاب : الرسائل العشر المطبوع المنتشر في الآفاق .

معجز لهم لا يوجد إلا فيهم ، ولا يعلم إلا فيهم ، فقال حين سألوا عن الصلاة عليه قولوا : اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد.

فالصلاة المأمور بها على النبي وآله ليست هي الدعاء لهم كما تزعم العامة ، إذ لا نعلم أحداً دعا للنبي فاستحسنه ، ولا أمر أحداً بالدعاء له ، وإلا لكان شافعاً فيه ، ولأنه لو كان جواب قوله تعالى (صلوا عليه) اللهم صل على محمد وآل محمد ، لزم أن يكون ذلك ردّاً لأمره تعالى ، كمن قال لغيره : إفعل كذا ، فقال : إفعل أنت. ولو كانت الصلاة الدعاء ، لكان قولنا : اللهم صل على محمد وآل محمد ، بمعنى : اللهم ادع له ، وهذا لا يجوز.

وقد كان الصحابة عند ذكره يصلون عليه وعلى آله ، فلما تغلب بنو أمية قطعوا الصلاة عن آله في كتبهم وأقوالهم ، وعاقبوا الناس عليها بغضاً لآله الواجبة مودتهم ، مع روايتهم أن النبي سمع رجلاً يصلي عليه ولا يصلي على آله فقال : لا تصلوا على الصلاة البترة ، ثم علمه ما ذكرناه أولاً. فلما تغلب بنو العباس أعادوها وأمروا الناس بها، وبقي منهم بقية إلى اليوم لا يصلون على آله عند ذكره.

هذا فعلهم ، ولم يدركوا أن معنى الصلاة عليهم سوى الدعاء لهم - وفيه شمة لهزيمة منزلتهم حيث إن فيه حاجة ما إلى دعاء رعيّتهم - فكيف لو فهموا أن معنى الصلاة هنا المتابعة؟! ومنه المصلي من الخيل ، فأول من صلى النبي - أي تبع - جبريل ، حين علمه الصلاة ، ثم صلى على النبي ، إذ هو أول ذكر صلى بصلاته ، فبشر الله النبي أنه يصلي عليه بإقامة من ينصبه مصلياً له في أمته ، وذلك لما سأل النبي بقوله : (واجعل لي وزيراً من أهلي) علياً (اشد به أزي) ثم قال تعالى : (صلوا عليه) أي : اعتقدوا ولاية عليّ وسلّموا لأمره. وقول النبي : قولوا : اللهم صل على محمد وآل محمد. أي : أسألوا الله أي يقيم له ولاية ولاة يتبع بعضهم بعضاً كما كان في آل إبراهيم ، وقوله : وبارك عليهم ، أي : أوقع النمو فيهم ، فلا تقطع الإمامة عنهم.

ولفظ الآل وإن عمّ غيرهم إلا أن المقصود هم ، لأن في الأتباع والأهل والأولاد فاجروكافر لا تصلح الصلاة عليه.

فظهر أن الصلاة عليه هي اعتقاد وصيته والأئمة من ذريته ، إذ بهم كمال دينهم وتمام النعمة عليهم ، وهم الصلاة التي قال الله إنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، لأن الصلاة الراتبه لا تنهى عن ذلك في كثير من الموارد « (٥٢٢) .

دلالة الآية سواء كان الإستثناء متصلاً أو منقطعاً :

(٥٢٢) الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم ١ : ١٩٠ - ١٩١ .

وتلخص : إن الآية المباركة دالة على وجوب مودة « أهل البيت »..

* سواء كانت مكية أو مدنية ، بغض النظر عن الروايات أو بالنظر إليها.

وسواء كان الإستثناء منقطعاً كما ذهب إليه غير واحد من علماء العامة وبعض أكابر أصحابنا كالشيخ المفيد البغدادي رحمه الله ، نظراً إلى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يطلب أجراً على تبليخ الرسالة ، قال رحمه الله :

« لا يصح القول بأن الله تعالى جعل أجر نبيه مودة أهل بيته عليهم السلام ، ولا أنه جعل ذلك من أجره عليه السلام ، لأنّ أجر النبي في التقرب إلى الله تعالى هو الثواب الدائم ، وهو مستحق على الله تعالى في عدله وجوده وكرمه ، وليس المستحق على الأعمال يتعلّق بالعباد ، لأنّ العمل يجب أن يكون لله تعالى خالصاً ، وما كان لله فالأجر فيه على الله تعالى دون غيره.

هذا ، مع أن الله تعالى يقول : (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرينى إلا على الله) وفي موضع آخر : (ويا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجرينى إلا على الذي فطرني).

فإن قال قائل : فما معنى قوله : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)؟ أوليس هذا يفيد أنه قد سألهم مودة القربى لأجره على الأداء ؟

قيل له : ليس الأمر على ما ظننت. لما قدّمناه من حجة العقل والقرآن ، والاستثناء في هذا المكان ليس هو من الجملة ، لكنّه استثناء منقطع. ومعناه : قل لا أسألكم عليه أجراً لكن أزمكم المودة في القربى وأسألكموها ، فيكون قوله : (قل لا أسألكم أجراً) كلاماً تاماً قد استوفى معناه ، ويكون قوله : (إلا المودة في القربى) كلاماً مبتدأً فائدته : لكن المودة في القربى سألتكموها ، وهذا كقوله : (فسجد الملائكة كلّهم أجمعون إلا إبليس) والمعنى فيه : لكنّ إبليس ، وليس باستثناء من جملة. وكقوله : (فإنهم عدوّ لي إلا ربّ العالمين) معناه : لكنّ ربّ العالمين ليس بعدوّ لي. قال الشاعر :

وبلدة ليس بها أنيس *** إلاّ اليعافير وإلاّ العيس ^(٥٢٣)

* أو كان متصلاً كما جوزه آخرون ، من العامة كالزمخشري والنسفي ^(٥٢٤) وغيرهما.

ومن أعلام أصحابنا كشيخ الطائفة ، قال : « في هذا الإستثناء قولان : أحدهما : أنّه استثناء منقطع ، لأنّ المودة في القربى ليس من الأجر ، ويكون التقدير : لكن أذركم المودة في قرابتي. الثاني : أنّه استثناء حقيقةً ، ويكون : أجرينى المودة في القربى كأنّه أجر وإن لم يكن أجر ^(٥٢٥) .

(٥٢٣) تصحيح الاعتقاد - مصنّفات الشيخ المفيد - : ١٤٠ - ١٤٢ .

(٥٢٤) الكشّاف في تفسير القرآن ٥ : ٤٠٤ ، تفسير النسفي ٢ : ٥٠٩ .

(٥٢٥) التبيان في تفسير القرآن ٩ : ١٥٨ .

وكالشيخ الطبرسي ، قال : « وعلى الأقوال الثلاثة فقد قيل في (إلا المودة) قولان، أحدهما : إنه استثناء منقطع ، لأنّ هذا ممّا يجب بالإسلام فلا يكون أجراً للنبوة.

والآخر : إنه استثناء متّصل ، والمعنى : لا أسألكم عليه أجراً إلاّ هذا فقد رضيت به أجراً ، كما أنّك تسأل غيرك حاجةً فيعرض المسؤول عليك برّاً فتقول له : إجعل برّي قضاء حاجتي. وعلى هذا يجوز أن يكون المعنى : لا أسألكم عليه أجراً إلاّ هذا ، ونفعه أيضاً عائد عليكم ، فكأنّي لم أسألكم أجراً ، كما مرّ بيانه في قوله : (قد ما سألتكم من أجر فهو لكم).

وذكر أبو حمزة الثمالي في تفسيره : حدّثني عثمان بن عمير ، عن سعيد بن جبير ، عن عبد الله بن عباس : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم حين قدم المدينة واستحكم الإسلام قالت الأنصار فيما بينها : نأتي رسول الله فنقول له : تعروك أمور ، فهذه أموالنا... «^(٥٢٦).

* هذا ، ولكن قد تفرّر في محلّه ، أنّ الأصل في الإستثناء هو الاتّصال ، وأنّه يحمل عليه ما أمكن ، ومن هنا اختار البعض - كالبيضاوي حيث ذكر الانقطاع قولاً - الاتّصال^(٥٢٧) ، بل لم يجوز بعض أصحابنا الانقطاع فقد قال السيّد الشهيد التستري : « تفرّر عند المحقّقين من أهل العربيّة والأصول أن الاستثناء المنقطع مجاز واقع على خلاف الأصل ، وأنّه لا يحمل على المنقطع إلاّ لتعدّر المتّصل ، بل ربّما عدلوا عن ظاهر اللفظ الذي هو المتبادر إلى الذهن المخالفين له ، لفرض الحمل على المتّصل الذي هو الظاهر من الاستثناء كما صرح به الشارح العضدي حيث قال : واعلم أنّ الحقّ أنّ المتّصل أظهر ، فلا يكون مشتركاً ولا للمشارك ، بل حقيقة فيه ومجاز في المنقطع ، ولذلك لم يحمله علماء الأمصار على المنفصل إلاّ عند تعدّر المتّصل حتّى عدلوا للحمل على المتّصل عن الظاهر وخالفوه ، ومن ثمّ قالوا في قوله : له عندي مائة درهم إلاّ ثوباً ، وله علىّ إبل إلاّ شاة ، معناه : إلاّ قيمة ثوب أو قيمة شاة ، فيرتكبون الإضمار وهو خلاف الظاهر ليصير متّصلاً ، ولو كان في المنقطع ظاهراً لم يرتكبوا مخالفة ظاهر حذراً عنه انتهى »^(٥٢٨).

* * *

(٥٢٦) مجمع البيان في تفسير القرآن ٥ : ٢٩ .

(٥٢٧) انوار التنزيل واسرار التأويل : ٦٤٢ .

(٥٢٨) إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل ٣ : ٢١ - ٢٢ .

الفصل الخامس

دلالة الآية على الإمامة والولاية

وكيف كان... فالآية المباركة تدلّ على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام من وجوه :

١ - القرابة النسبية والإمامة :

إنّه إن لم يكن للقرابة النسبية دخل وأثر في الإمامة والخلافة ، فلا ريب في تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام ، إذ كلّما يكون وجهاً لاستحقاقها فهو موجود فيه على النحو الأتمّ الأكمل الأفضل... لكنّ لها دخلاً وأثراً كما سنرى..

ولقد أجاد السيّد ابن طاووس الحليّ حيث قال - ردّاً على الجاحظ في رسالته العثمانية - ما نصّه :
« قال : وزعمت العثمانية : أنّ أحداً لا ينال الرئاسة في الدين بغير الدين. وتعلّق في ذلك بكلام بسيط عريض من يملأ كتابه ويكثر خطابه ، بألفاظ منضّدة ، وحروف مسدّدة كانت أو غير مسدّدة. بيان ذلك :

إنّ الإماميّة لا تذهب إلى أنّ استحقاق الرئاسة بالنسب ، فسقط جميع ما أسهب فيه الساقط ، ولكنّ الإماميّة تقول : إن كان النسب وجه الإستحقاق فبنو هاشم أولى به ، ثمّ عليّ أولاهم به ، وإن يكن بالسبب فعليّ أولى به إذ كان صهر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإن يكن بالتربية فعليّ أولى به ، وإن يكن بالولادة من سيّدة النساء فعليّ أولى به ، وإن يكن بالهجرة فعليّ مسبّبها بمبيته على الفراش ، فكّل مهاجريّ بعد مبيته في ضيافته عدا رسول الله ، إذا الجميع في مقام عبيده وخوله ، وإن يكن بالجهاد فعليّ أولى به ، وإن يكن بحفظ الكتاب فعليّ أولى به ، وإن يكن بتفسيره فعليّ أولى به على ما أسفّلت ، وإن يكن بالعلم فعليّ أولى به ، وإن يكن بالخطابة فعليّ أولى به ، وإن يكن بالشعر فعليّ أولى به.

قال الصولي فيما رواه : كان أبو بكر شاعراً وعمر شاعراً وعليّ أشعرهم.

وإن يكن بفتح أبواب المباحث الكلامية فعليّ أولى به ، وإن يكن بحسن الخلق فعليّ أولى به ، إذ عمر شاهد به ، وإن يكن بالصدقات فعليّ - على ما سلف - أولى به ، وإن يكن بالقوّة البدنيّة فعليّ أولى به ، بيانه : باب خبير ، وإن يكن بالزهد فعليّ أولى به في تقشّفه وبكائه وخشوعه وفنون أسبابه وتقدّم

إيمانه ، وإن يكن بما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في فضله فعليّ أولى به ، بيانه : ما رواه ابن حنبل وغيره على ما سلف ، وإن يكن بالقوة الواعية فعليّ أولى به ، بيانه : قول النبي صلى الله عليه وآله : « إن الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك ، وأن أعلمك وتعي ، وحقّ على الله أن تعي » ، وإن يكن بالرأي والحكم فعليّ أولى به ، بيانه : شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله له على ما مضى بالحكمة ، وغير ذلك ممّا نبّهنا عليه فيما مضى .

وإذا تقرّر هذا بأن معنى التعلّق لمن يذكر النسب إذا ذكره ، ولهذا تعجّب أمير المؤمنين عليه السلام حيث يستولى على الخلافة بالصحابة ، ولا يستولى عليها بالقرابة والصحابة .

ثمّ إنّي أقول : إنّ أبا عثمان أخطأ في قوله : « إنّ أحداً لا ينال الرئاسة في الدين بغير الدين » . بيانه : أنّه لو تخلّى صاحب الدين من السداد ما كان أهلاً للرئاسة ، وهو منع أن ينالها أحد إلا بالدين ، والاستثناء من النفي إثبات حاضر في غير ذلك من صفات ذكرتها في كتابي المسمى « بالآداب الحكمية » متكرّرة جدّاً ، ومنها ما هو ضروري ، ومنها ما هو دون ذلك .

ومن بغي عدوّ الإسلام أن يأتي متلقّطاً بما تلقّظ به ، وأمير المؤمنين عليه السلام الخصم ، وتيجان شرفه المصادمة ، ومجد سوّده المدفوع ، إذ هو صاحب الدين ، وبه قام عموده ، ورست قواعده ، وبه نهض قاعده ، وأفرغت على جيد الإسلام قلائده .

وأقول بعد هذا : إنّ للنسب أثراً في الرئاسة قوياً .

بيانه : أنّه إذا تقدّم على أرباب الشرف النسبي من لا يدانيهم ، وقادهم من لا يفاربهم ولا يضاھيهم ، كانوا بالأخلق عنه نافرين آنفين ، بل إذا تقدّم على أهل الرئيس الفاتت غير عصبته ، وقادهم غير القريب الأدنى من لحمته ، كانوا بالأخلق عنه حائدين متباعدين ، وله قالين ، وذلك مظنة الفساد في الدين والدنيا ، وقد ينخرم هذا اتّفاقاً ، لكنّ المناط الظاهر هو ما إليه أشرت ، وعليه عوّلت .

وأقول : إنّ القرآن المجيد ممّا تضمّن العناية بالأقربين من ذرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم ومواددتهم ، كان ذلك مادّة تقديمهم مع الأهلية التي لا يرجح غيرهم عليهم فيها ، فكيف إذا كان المتقدم عليهم لا يناسبهم فيها ولا يدانيها ؟!

قال الثعلبي بعد قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى) بعد أن حكى شيئاً ثمّ قال : فأخبرني الحسين بن محمّد [قال :] حدّثنا برهان بن عليّ الصوفي ، [قال :] حدّثنا حرب بن الحسن الطحان [قال :] حدّثنا حسين الأشقر ، عن قيس ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عبّاس ، قال : ممّا نزلت (قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى) قالوا : يا رسول الله ، من قرابتك هؤلاء الذين أوجبنا علينا مودّتهم ؟ قال : عليّ وفاطمة وابناهما .

وروى فنوناً جمّة غير هذا من البواعث على محبة أهل البيت ، فقال : أخبرنا أبو حسان المزكي ، [قال :] أخبرنا أبو العباس ، محمد بن إسحاق ، [قال :] حدّثنا الحسن بن عليّ بن زياد السري ، [قال :] حدّثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني ، [قال :] حدّثنا حسين الأشقر ، [قال :] حدّثنا قيس ، [قال :] حدّثنا الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) فقالوا : يا رسول الله ، من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودّتهم؟ قال : عليّ وفاطمة وولدهما . وقال : أخبرنا أبو بكر بن الحرث ، [قال :] حدّثنا أبو السبح ، [قال :] حدّثنا عبد الله بن محمد بن زكريّا ، [قال :] أخبرنا إسماعيل بن يزيد ، [قال :] حدّثنا قتيبة بن مهران ، [قال :] حدّثنا عبد الغفور أبو الصباح ، عن أبي هاشم الرّماني ، عن زاذان ، عن عليّ رضي الله عنه ، قال : فينا في آل حم ، إنّه لا يحفظ مودّتنا إلا كلّ مؤمن ، ثمّ قرأ (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) . وقال الكلبى : قل لا أسألكم على الإيمان جعلاً إلا أن توادّوا قرابتي ، وقد رأيت أن أذكر شيئاً من الآي الذي يحسن أن تتحدّث عنده ^(٥٢٩) .

أقول :

لا ريب في أنّ للنسب والقرب النسبي تأثيراً ، وأنّ للعناية الإلهية بـ « القربى » - أي : بعليّ والزهراء بضعة النبيّ وولديهما - حكمة ، وفي السنّة النبوية على ذلك شواهد وأدلة تشير إلى بعضها بإيجاز :

أخرج مسلم والترمذي وابن سعد وغيرهم عن واثلة ، قال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول : « إن الله عزّ وجلّ اصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » ^(٥٣٠) . قال النووي بشرحه : « استدّلّ به أصحابنا على أنّ غير قريش من العرب ليس بكفء لهم ، ولا غير بني هاشم كف لهم إلاّ بني المطّلب ، فإنّهم هم وبنو هاشم شيء واحد ، كما صرّح به في الحديث الصحيح » ^(٥٣١) .

(٥٢٩) بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية : ٣٨٧ - ٣٩١ .

(٥٣٠) جامع الأصول ٨ : ٦٣٣٧/٥٣٥ عن مسلم (٤ : ٢٢٧٦/١٠٦) والترمذي (٦ : ٣٦٠٦/٥) ، الطبقات الكبرى ١ : ٢٠ ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١ : ١٨١ .

(٥٣١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٥ : ٣٦ .

وعقد الحافظ أبو نعيم : « الفصل الثاني : في ذكر فضيلته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم بطيب مولده وحسبه ونسبه وغير ذلك » فذكر فيه أحاديث كثيرة بالأسانيد ، منها ماتقدّم ، ومنها الرواية التالية :

« إِنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حين خلق الخلق جعلني من خير خلقه ، ثم حين خلق القبائل جعلني من خير قبيلتهم ، وحين خلق الأنفس جعلني من خير أنفسهم ، ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم ، فأنا خيرهم أباً وخيرهم نفساً »^(٥٣٢) .

وذكر الحافظ محبّ الدين الطبري بعض هذه الأحاديث تحت عنوان « ذكر اصطفائهم » و« ذكر أنهم خير الخلق »^(٥٣٣) .

وقال القاضي عياض : « الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقاً وخلقاً ، وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقاً » فذكر فيه فوائد جمّة في كلام طويل^(٥٣٤) .
إذن ، هناك ارتباط بين « آية المودّة » و« آية التطهير » وأحاديث « الاصطفاء » و« أنهم خير خلق الله » .

ثم إنّ في أخبار السقيفة والاحتجاجات التي دارت هناك بين من حضرها من المهاجرين والأنصار ما يدلّ على ذلك دلالة واضحة ، فقد أخرج البخاري أنّ أبا بكر خاطب القوم بقوله : « لن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحيّ من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً »^(٥٣٥) ولا يستريب عاقل في أنّ عليّاً عليه السلام هو الأشرف - من المهاجرين والأنصار كلّهم - نسباً وداراً ، فيجب أن يكون هو الإمام .
بل روى الطبري وغيره أنّه قال كلمة أصرح وأقرب في الدلالة ، فقال الطبري إنّّه قال في خطبته : « فخصّ الله المهاجرين الأوّلين من قومه بتصديقه والإيمان به والمواساة له والصبر معه على شدّة أذى قومهم لهم وتكذيبهم إياهم ، وكلّ الناس لهم مخالف زار عليهم ، فلم يستوحشوا لقلّة عددهم وشفن الناس لهم وإجماع قومهم عليهم .

فهم أوّل من عبد الله في الأرض وآمن بالله وبالرسول ، وهم أولياؤه وعشيرته وأحقّ الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم »^(٥٣٦) .

وفي رواية ابن خلدون : « نحن أولياء النبيّ وعشيرته وأحقّ الناس بأمره ، ولا ننازع في ذلك »^(٥٣٧) .

(٥٣٢) دلائل النبوة ١ : ١٦/٦٦ .

(٥٣٣) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى : ٣٥ - ٣٦ .

(٥٣٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١ : ١٣٧ .

(٥٣٥) صحيح البخاري ٤ : ٦٨٢٠/٣٤٦ ، وأنظر : الطبري ٣ : ٢٠٥ ، سيرة ابن هشام ٤ : ٣١٠ ، وغيرهما .

(٥٣٦) تاريخ الطبري ٣ : ٢١٩ .

وفي رواية المحبّ الطبري عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب : « فكنا - معشر المهاجرين - أول الناس إسلاماً ، ونحن عشيرته وأقاربه وذوو رحمه ، ونحن أهل الخلافة ، وأوسط الناس أنساباً في العرب ، ولدتنا العرب كلها ، فليس منهم قبيلة إلا لقريش فيها ولادة ، ولن تصلح إلا لرجل من قريش... »^(٥٣٨) .
وهل اجتمعت هذه الصفات - في أعلى مراتبها وأسمى درجاتها - إلا في عليّ عليه السلام؟! إن عليّاً عليه السلام هو الذي توفّرت فيه هذه الصفات واجتمعت الشروط... فهو «عشيرة النبيّ» و «ذو رحمه» و «وليّه» وهو «أول من عبد الله في الأرض وآمن به» فهو «أحقّ الناس بهذا الأمر من بعده» و «لا ينازعه في ذلك إلا ظالم» !!

ومن هنا نراه عليه السلام يحتجّ على القوم في الشورى بـ «الأقربية» فيقول : «أنشدكم بالله ، هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الرحم منّي ، ومن جعله نفسه وأبناءه أبناءه ونساءه نساءه غيري؟! قالوا : اللهم لا» الحديث^(٥٣٩) .

وهذا ما اعترف به له عليه السلام طلحة والزبير ، حين راجعه الناس بعد قتل عثمان ليبياعوه ، فقال - في ما روي عن ابن الحنفية - : « لا حاجة لي في ذلك ، عليكم بطلحة والزبير .

قالوا : فانطلق معنا. فخرج عليّ وأنا معه في جماعة من الناس ، حتّى أتينا طلحة بن عبيدالله فقال له : إن الناس قد اجتمعوا ليبياعوني ولا حاجة لي في بيعتهم ، فابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله.

فقال له طلحة : أنت أولى بذلك منّي وأحقّ ، لسابقتك وقربتك ، وقد اجتمع لك من هؤلاء الناس من تفرّق عنيّ.

فقال له عليّ : أخاف أن تنكث بيعتي وتغدر بي !

قال : لا تخافنّ ذلك ، فوالله لا ترى من قبلي أبداً شيئاً تكرهه.

قال : الله عليك بذلك كفيلاً.

ثمّ أتى الزبير بن العوّام - ونحن معه - فقال له مثل ما قال لطلحة وردّ عليه مثل الذي ردّ عليه طلحة^(٥٤٠) .

هذا ، وقد كابر الجاحظ في ذلك ، في رسالته التي وضعها للدفاع عن العثمانية ، فردّ عليه السيّد

ابن طاووس الحليّ - طاب ثراه - قائلاً :

(٥٣٧) تاريخ ابن خلدون ٤ : ٨٥٤ .

(٥٣٨) الرياض النضرة ١ : ٢٣٦ .

(٥٣٩) الصواعق المحرقة : ٢٣٩ عن الدارقطني .

(٥٤٠) كنز العمال ٥ : ١٤٢٨٢/٧٤٧ .

« وتعلّق بقوله تعالى : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى).

وليس هذا دافعاً كون القرابة إذا كان ذا دين وأهليّة أن يكون أولى من غيره وأحقّ ممّن سواه بالرئاسة.

وتعلّق بقول رسول الله لجماعة من بني عبد المطلب : إني لا أغني عنكم من الله شيئاً.

وهي رواية لم يسندها عن رجال ، ولم يضيفها إلى كتاب.

ومما يردّ عليها ما رواه الثعلبي ، قال : وأخبرنا يعقوب بن السري ، [قال :] أخبرنا محمّد بن عبد الله الحفيد ، [قال :] حدّثنا عبد الله بن أحمد بن عامر ، [قال :] حدّثني أبي ، حديث عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ، قال : حدّثني أبي موسى ابن جعفر ، [قال :] حدّثني أبي جعفر بن محمّد ، [قال :] حدّثنا أبي محمّد بن عليّ ، [قال :] حدّثنا أبي عليّ بن الحسين ، [قال :] حدّثنا أبي الحسين بن عليّ ، [قال :] حدّثنا أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « حرّمت الجنّة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ، ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها ، فأنا جازيه [به] غداً إذا لقيني في القيامة.

ومن كتاب الشيخ العالم أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني « في ما نزل من القرآن في

أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام » ما يشهد بتكذيب قصد الجاحظ ما حكايته :

ومن سورة النساء ، حدّثنا عليّ بن محمّد ، قال : حدّثني الحسن بن الحكم الحبري ، قال : حدّثنا حسن بن حسين ، قال : حدّثنا حيان عن الكلبى ، عن أبي صالح ، عن ابن عبّاس ، في قوله تعالى : (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام)... الآية ، نزلت في رسول الله صلّى الله عليه وآله وأهل بيته وذوي أرحامه ، وذلك أنّ كلّ سبب ونسب منقطع [يوم القيامة] إلا ما كان من سببه ونسبه (إنّ الله كان عليكم رقيباً).
والرواية عن عمر شاهدة بمعنى هذه الرواية حيث ألحّ بالتزويج عند أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

وتعلّق بقوله تعالى : (واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم

ينصرون).

أقول : إنّ الجاحظ جهل أو تجاهل ، إذ هي في شأن الكافرين ، لا في سادات المسلمين أو أقرباء

رسول ربّ العالمين.

بيانه : قوله تعالى : (ولا هم ينصرون).

وتعلّق بقوله تعالى : (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً) ولم يتمّم الآية ، تدليساً وانحرافاً ، أو جهلاً ، أو

غير ذلك ، والأقرب بالأمارات الأوّل ، لأنّ الله تعالى تمّم ذلك بقوله : (ولا هم ينصرون * إلا من رحم الله إنّه هو

العزير الرحيم). وخلصاء الذرّية والقراية مرحومون بالآي والأثر ، فسقط تعلّقه ، مع أنّ هذا جميعه ليس داخلاً في كون ذي الدين والأهلية لا يكون له ترجيح في الرئاسة وتعلّق له بالرئاسة.

وتعلّق بقوله تعالى : (يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم) وليس هذا ممّا يدخل في تقريره الذي شرع فيه ، وإن كان حديثاً خارجاً عن ذلك ، فالجواب عنه : بما أنّ المفسّرين أو بعضهم قالوا في معنى قوله تعالى : (سليم) أي : لا يشرك ، وهذا صحيح.

وتعلّق بقوله تعالى : (اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود) وليس هذا من الرئاسة الدنياوية في شيء.

وبعد ، فهو مخصوص بقراية النبيّ عليه السلام بالأثر السالف عن الرضا. وبعد ، فإن المفسّرين قالوا عند قوله تعالى : (عسى أن يعثرك ربك مقاماً محموداً) قالوا : الشفاعة ، وإذا كان الرسول شافعاً في عموم الناس فأولى أن يشفع في ذرّيته ورحمه ، وكذا قيل في قوله تعالى : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) إنّها الشفاعة.

وتعلّق بقوله تعالى : (واتل عليهم نبأ ابني آدم) وليس هذا ممّا حاوله من سابق تقريره في شيء. وتعلّق في قصة نوح وكنعان ، وليس هذا ممّا نحن فيه في شيء ، أين كنعان من سادات الإسلام؟! وتعلّق بقوله تعالى : (لا ينال عهدي الظالمين) وللإمامية في هذا مباحث سديدة ، إذ قالوا : من سبق كفره ، ظالم لا محالة فيما مضى ، فلا يكون أهلاً للرئاسة ، فهذه واردة على الجاحظ لا له. ورووا في شيء من ذلك الرواية من طرق القوم ، وساق ما لا صيور له فيما نحن بصده «^(٥٤١)» .

٢ - وجوب المودّة يستلزم وجوب الطاعة :

إنّهُ ليس المراد من « المودّة » هو « المحبّة المجرّدة » ، لا سيّما في مثل الآية المباركة (ذلك الذي يبشّر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لأسألنكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى ومن يقترف حسنةً...) فإنّه قد جعلت « المودّة » - بناءً على اتّصال الاستثناء - أجراً للرسالة ، ومن المعلوم أنّه لولا التساوي والتناسب بين الشيء ومقابله لم يصدق على الشيء عنوان « الأجر » ، وحينئذ ، فإذا لاحظنا عظمة الرسالة المحمّدية عند الله وعند البشريّة ، اهتدينا إلى عظمة هذا الأجر وهو « المودّة في القربى ».

وكذا بناءً على الانقطاع ، لأنّ الروايات قد دلّت على أنّ المسلمين اقترحوا عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يدفعوا إليه في مقابل أداء الرسالة من الأموال ما يكون معه في سعة فأجاب - بناءً على هذا

(٥٤١) بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية : ٣٩١ - ٣٩٧ .

القول - بالردّ وأنه لا يسألهم أجراً أصلاً ، ثمّ قال : ولكن « المودّة في القربى » فجعلها هي الشئ المطلوب منهم والواجب عليهم..

فإيجاب المودّة - في مثل هذا المقام ، دون غيرها ممّا كان بالإمكان أن يطلبه منهم - يدلّ على أنّ هذا الأمر أهمّ الأشياء عند الله والرسول.

وعلى الجملة .. ليس المراد مجرد المودّة والمحبة ، بل هي المحبة المستتبعة للانقياد والطاعة ، قال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)^(٥٤٢) والاتباع يعني إطاعة الأمر كما في الآية المباركة : (وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري)^(٥٤٣) .

والاتباع ، والانقياد التام ، ، والإطاعة المطلقة ، هو معنى الإمامة والولاية...
قال العلامة الحليّ : « الرابعة : قوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى) روى الجمهور...
ووجوب المودّة يستلزم وجوب الطاعة »^(٥٤٤) .
وقال أيضاً : « البرهان السابع : قوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى) روى أحمد بن حنبل...

وغير عليّ من الصحابة الثلاثة لا تجب مودّته ، فيكون عليّ عليه السلام أفضل فيكون هو الإمام ، لأنّ مخالفته تنافي المودّة وامتنال أوامره يكون مودّة ، فيكون واجب الطاعة ، وهو معنى الإمامة »^(٥٤٥) .

٣ - وجوب المحبة المطلقة يستلزم الأفضليّة :

وأيضاً ، فإنّ عليّاً ممّن وجبت محبّته ومودّته على نحو الإطلاق ، ومن وجبت محبّته كذلك كان هو الأحبّ ، ومن كان أحبّ الناس إلى الله ورسوله كان أفضلهم ، ومن كان أفضل كان هو الإمام... فعليّ عليه السلام هو الإمام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله.
أما المقدّمة الأولى فواضحة جداً من الآية المباركة.

وأما المقدّمة الثانية فواضحة كذلك ، وممّا يدلّ على أنّ عليّاً عليه السلام أحبّ الخلق إلى الله ورسوله : حديث الطائر ، إذ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم - وقد أهدي إليه طائر - : « اللهمّ اتّني بأحبّ خلقك إليك ، فجاء عليّ فأكلّ معه » رواه عنه من الصحابة :

١ - عليّ أمير المؤمنين عليه السلام.

(٥٤٢) سورة آل عمران ٣ : ٣١ . وراجع التفاسير كالرازي ٨ : ١٨ .

(٥٤٣) سورة آل عمران ٣ : ٣١ . وراجع التفاسير كالرازي ٨ : ١٨ .

(٥٤٤) نهج الحقّ : ١٧٥ .

(٥٤٥) منهاج الكرامة : ١٤٨ .

٢ - عبد الله بن عباس.

٣ - أبو سعيد الخدري.

٤ - سفينة.

٥ - أبو الطفيل عامر بن واثلة.

٦ - أنس بن مالك.

٧ - سعد بن أبي وقاص.

٨ - عمرو بن العاص.

٩ - أبو مرزم يعلى بن مرة.

١٠ - جابر بن عبد الله الأنصاري.

١١ - أبو رافع.

١٢ - حبشي بن جنادة.

ورواه عنهم من التابعين عشرات الرجال.

ومن مشاهير الأئمة والحفاظ والعلماء في كل قرن ، أمثال :

أبي حنيفة ، إمام المذهب.

وأحمد بن حنبل ، إمام المذهب.

وأبي حاتم الرازي.

وأبي عيسى الترمذي.

وأبي بكر البزار.

وأبي عبد الرحمن النسائي.

وأبي الحسن الدارقطني.

وأبي عبد الله الحاكم النيسابوري.

وأبي بكر بن مردويه.

وأبي نعيم الأصفهاني.

وأبي بكر البيهقي.

وأبي عمر بن عبد البرّ.

وأبي محمّد البخوي.

وأبي الحسن العبدري.

وأبي القاسم بن عساكر.

وابن حجر العسقلاني.

وجلال الدين السيوطي.

وعلى الجملة ، فهذا الحديث نصّ في أنّ عليّاً أحبّ الخلق إلى الله ورسوله^(٥٤٦) .

وأما المقدّمة الثالثة فهي واضحة جدّاً كذلك ، وقد نصّ غير واحد منه على ذلك أيضاً :

قال وليّ الدين ابن العراقي ، في كلام له نقله الحافظ القسطلاني وابن حجر المكيّ عنه: « المحبّة الدينيّة لازمة للأفضليّة فمن كان أفضل كانت محبّتنا الدينيّة له أكثر »^(٥٤٧) .

وقال الرازي بتفسير (قد إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله) : « والمراد من محبّة الله تعالى له إعطاؤه الثواب »^(٥٤٨) .

ومن الواضح : أنّ من كان الأحبّ إلى الله كان الأكثر ثواباً ، والأكثر ثواباً هو الأفضل قطعاً.

وقال ابن تيميّة : « والمقصود أنّ قوله : (وغير عليّ من الثلاثة لا تجب مودّته) كلام باطل عند الجمهور ، بل مودّة هؤلاء أوجب عند أهل السنّة من مودّة عليّ ، لأنّ وجوب المودّة على مقدار الفضل ، فكلّ من كان أفضل كانت مودّته أكمل...

وفي الصحيح : إنّ عمر قال لأبي بكر يوم السقيفة - بل أنت سيّدنا وخيرنا وأحبّنا إلى رسول الله
«^(٥٤٩)

وقال التفتازاني : « إنّ (أحبّ خلقك) يحتمل تخصيص أبي بكر وعمر منه ، عملاً بأدلة أفضليّتهما
«^(٥٥٠)

وعلى الجملة ، فإنّ هذه المقدّمة واضحة أيضاً ولا خلاف لأحد فيها.

وأما المقدّمة الرابعة فبديل العقل والنقل ، وبه صرّح غير واحد من أعلام أهل الخلاف، حتّى أنّهم نقلوا عن الصحابة ذلك كما تقدّم في بعض الكلمات في فصل الشبهات ، وقال الشريف الجرجاني في الشورى وأنّه لماذا جعلت في هؤلاء السنّة دون غيرهم :

« وإمّا جعلها شورى بينهم ، لأنّه رأهم أفضل ممّن عداهم وأنّه لا يصلح للإمامة غيرهم »^(٥٥١) .

(٥٤٦) وهو يشكّل الجزئين الثالث عشر والرابع عشر من كتابنا الكبير : « نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار في إمامة الأئمّة الأطهار » .

(٥٤٧) المواهب اللدنيّة بالمنح المحمّدية ٢ : ٥٤٧ ، الصواعق المحرقة : ٩٧ .

(٥٤٨) التفسير الكبير ٨ : ١٩ .

(٥٤٩) منهاج السنّة ٧ : ١٠٦ - ١٠٧ .

(٥٥٠) شرح المقاصد ٥ : ٢٩٩ .

(٥٥١) شرح المواقيف ٨ : ٣٦٥ .

وقال ابن تيمية : الجمهور من أصحابنا وغيرهم يقولون : يجب تولية الأفضل مع الإمكان^(٥٥٢) .

وقال محب الدين الطبري : « قولنا : لا تتعقد ولاية المفضول عند وجود الأفضل »^(٥٥٣) .

وكذا قال غيرهم... ولا حاجة إلى ذكر كلماتهم.

وإلى هذا الوجه أشار العلامة الحلي في كلمة السابق.

وقال المحقق نصير الدين الطوسي في أدلة أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام : « ووجوب المحبة ».

فقال العلامة بشرحه : « هذا وجه تاسع عشر وتقريره : إنَّ علياً عليه السلام كان محبته ومودته

واجبة دون غيره من الصحابة ، فيكون أفضل منهم. وبيان المقدمة الأولى : إنَّه كان من أولى القربي ،

فتكون مودته واجبة لقوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)^(٥٥٤) .

٤ - وجوب المحبة المطلقة يستلزم العصمة :

وأيضاً : فإنَّ إطلاق الأمر بمودتهم دليل على عصمتهم ، وإذا ثبتت العصمة ثبتت الإمامة، وهذا

واضح.

أما أنَّ إطلاق الأمر بمودتهم - الدال على الإطاعة المطلقة - دليل على عصمتهم ، فيكفي فيه كلام

الفخر الرازي بتفسير قوله تعالى : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)^(٥٥٥) .

فإنَّه قال :

« إنَّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية ، ومن أمر الله بطاعته على

سبيل الجزم والقطع لا بدَّ وأن يكون معصوماً عن الخطأ ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير

إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته ، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ ، والخطأ لكونه خطأ

منهياً عنه ، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد ، وإنَّه محال فثبت أن

الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم ، وثبت أنَّ كلَّ من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم

وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ ، فثبت قطعاً أنَّ (أولي الأمر) المذكور في هذه الآية لابدَّ وأن يكون

معصوماً^(٥٥٦) .

فهذا محلَّ الشاهد من كلامه ، وأما من « أولي الأمر » الذين أمرنا بإطاعتهم ؟ فذاك بحث آخر..

(٥٥٢) منهاج السنة ٦ : ٤٧٥ .

(٥٥٣) الرياض النضرة ٢ : ١٧٣ .

(٥٥٤) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد : ٤١٨ .

(٥٥٥) سورة النساء ٤ : ٥٩ .

(٥٥٦) التفسير الكبير ١٠ : ١٤٤ .

وعلى الجملة ، فوجوب الإطاعة والاتباع على الإطلاق - المستفاد من وجوب المحبة المطلقة - مستلزم للعصمة.

وقد ذكر هذا الوجه غير واحد من علمائنا :

قال البيضاوي العاملي رحمه الله : « جعل الله أجر رسالة نبيه في مودة أهله في قوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) .

قالوا : المراد القربى في الطاعات ، أي : في طاعة أهل القربى.

قلنا : الأصل عدم الإضرار ، ولو سلم فلا يتصور إطلاق الأمر بمودتهم إلا مع عصمتهم.

قالوا : المخاطب بذلك الكفار ، يعني : راقبوا نسبي بكم ، يعني القرشية.

قلنا : الكفار لا تعتقد للنبي أجراً حتى تخاطب بذلك.

على أن الأخبار المتفق عليها تنافي الوجهين ، ففي صحيح البخاري...^(٥٥٧) .

وقال السيد الشبر : « وجوب المودة يستلزم وجوب الطاعة ، لأن المودة إنما تجب مع العصمة ،

إذ مع وقوع الخطأ منهم يجب ترك مودتهم كما قال تعالى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله)^(٥٥٨) . وغيرهم عليهم السلام ليس بمعصوم اتفاقاً. فعلي وولداه الأمة^(٥٥٩) .

دحض الشبهات المثارة على دلالة الآية على الإمامة :

أقول :

وهذا كلام السيد الشهيد التستري في الرد على ابن روزبهان ، الذي أشكل على العلامة الحلي..

* قال ابن روزبهان : « ونحن نقول : إن مودته واجبة على كل المسلمين ، والمودة تكون مع

الطاعة ، ولا كل مطاع يجب أن يكون صاحب الزعامة الكبرى .»

فأجاب السيد رحمه الله : « وأما ما ذكره من أنه لا يدل على خلافة علي عليه السلام فجهالة صرفة

أو تجاهل محض ! لظهور دلالة الآية على أن مودة علي عليه السلام واجبة بمقتضى الآية ، حيث جعل الله

تعالى أجر الإرسال إلى ما يستحق به الثواب الدائم مودة ذوي القربى ، وإنما يجب ذلك مع عصمتهم ، إذ

مع وقوع الخطأ عنهم يجب ترك مودتهم لقوله تعالى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله

ورسوله) الآية. وغير علي ليس بمعصوم بالاتفاق ، فتعين أن يكون هو الإمام.

(٥٥٧) الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم ١ : ١٨٨ .

(٥٥٨) سورة المجادلة ٥٨ : ٢٢ .

(٥٥٩) حقّ اليقين في معرفة أصول الدين ١ : ٢٧٠ .

وقد روى ابن حجر في الباب الحادي عشر من صواعقه عن إمامه الشافعي شعراً في وجوب ذلك برغم أنف الناصب ، وهو قوله :

يا أهل بيت رسول الله حبّكم *** فرض من الله في القرآن أنزله كفاكم من عظيم القدر أنكم *** من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

على أنّ إقامة الشيعة للدليل على إمامة عليّ عليه السلام على أهل السُنّة غير واجب بل تبرّعي ، لاتّفاق أهل السُنّة معهم على إمامته بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غاية الأمر أنّهم ينفون الوساطة وأهل السُنّة يثبتونها ، والدليل على المثبت دون النافي كما تقرّر في موضعه ، إلّا أن يرتكبوا خرق الإجماع بإنكار إمامته مطلقاً ، فحينئذ يجب على الشيعة إقامة الدليل ، والله الهادي إلى سواء السبيل « (٥٦٠) .

وقال الشيخ المظفر في جواب ابن روزبهان بعد كلام له : « فيتعيّن أن يكون المراد بالآية : الأربعة الأطهار ، وهي تدلّ على أفضليّتهم وعصمتهم وأنهم صفوة الله سبحانه ، إذ لو لم يكونوا كذلك لم تجب مودّتهم دون غيرهم ، ولم تكن مودّتهم بتلك المنزلة التي ما مثلها منزلة ، لكونها أجراً للتبليغ والرسالة الذي لا أجر ولا حقّ يشبهه .

ولذا لم يجعل الله المودّة لأقارب نوح وهود أجراً لتبليغهما ، بل قال لنوح : (قل لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله) (٥٦١) وقال لهود : (وقل لأسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون) (٥٦٢) .

فتنحصر الإمامة بقربي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، إذ لا تصحّ إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، لا سيّما بهذا الفضل الباهر مضافاً إلى ما ذكره المصنّف - رحمه الله - من أنّ وجوب المودّة مطلقاً يستلزم وجوب الطاعة مطلقاً ، ضرورة أنّ العصيان ينافي الودّ المطلق ، ووجوب الطاعة مطلقاً يستلزم العصمة التي هي شرط الإمامة ، ولا معصوم غيرهم بالإجماع ، فتنحصر الإمامة بهم ولا سيّما مع وجوب طاعتهم على جميع الأمة .

وقد فهم دلالة الآية على الإمامة الصحابة ، ولذا اتّهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعضهم فقالوا : ما يريد إلا أن يحثنا على قرابته بعده ، كما سمعته في بعض الروايات السابقة (٥٦٣) وكّل ذي فهم

(٥٦٠) إحقاق الحقّ - في الردّ على ابن روزبهان - ٣ : ٢٣ .

(٥٦١) سورة هود ١١ : ٢٩ .

(٥٦٢) سورة هود ١١ : ٢٩ .

(٥٦٣) المعجم الكبير ١٢ : ١٢٣٨٤/٣٣ ، وغيره .

يعرفها من الآية الشريفة ، إلا أنّ القوم أبوا أن يقرّوا بالحقّ ويؤدّوا أجر الرسالة ، فإذا صدرت من أحدهم كلمة طيبة لم تدعه العصبية حتّى يناقضها...» ^(٥٦٤) !

* وبالتأمّل في الوجوه التي ذكرناها وما نصّ عليه علماؤنا ، يظهر الجواب عن كلام السعد التفتازاني حيث ذكر في مباحث الأفضلية قائلاً :

« القائلون بأفضليّة عليّ رضي الله عنه تمسّكوا بالكتاب والسنة والمعقول. أمّا الكتاب فقولته تعالى :

(قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم

وأبنفسنا وأبنفسكم) ^(٥٦٥) الآية... وقوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى) ^(٥٦٦) قال سعيد بن جبیر : لمّا نزلت هذه الآية قالوا : يا رسول الله ، من هؤلاء الذين نودّهم ؟ قال : عليّ وفاطمة وولداها. ولا يخفى أن من وجبت محبّته بحكم نصّ الكتاب كان أفضل. وكذا من ثبت نصرته للرسول بالعطف في كلام الله تعالى عنه على اسم الله وجبريل ، مع التعبير عنه بـ « صالح المؤمنين » وذلك قوله تعالى : (فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) ^(٥٦٧) . فعن العباس - رضي الله عنه - أنّ المراد به عليّ... » .

قال : « والجواب : إنّه لا كلام في عموم مناقبه ووفور فضائله وأتصافه بالكمالات واختصاصه بالكرامات ؛ إلاّ أنّه لا يدلّ على الأفضليّة - بمعنى زيادة الثواب والكرامة عند الله - بعد ما ثبت من الاتّفاق الجاري مجرى الإجماع على أفضليّة أبي بكر ثمّ عمر ، والاعتراف من عليّ بذلك ! على أنّ في ما ذكر مواضع بحث لا تخفى على المحصّل ، مثل : إنّ المراد بأنفسنا نفس النبيّ صلّى الله عليه وآله [وآله] وسلّم كما يقال : دعوت نفسي إلى كذا. وأنّ وجوب المحبّة وثبوت النصره على تقدير تحقّقه في حقّ عليّ - رضي الله عنه - فلا اختصاص به » ^(٥٦٨) .

أقول :

قد عرفت أنّ الآية المباركة تدلّ على وجوب محبّة عليّ عليه السلام ، ووجوب المحبّة المطلقة يدلّ على أنّه الأحبّ عند الله ورسوله ، والأحبيّة دالّة على الأفضليّة. وأيضاً : وجوب المحبّة المطلقة يستلزم العصمة وهي شرط الإمامة. وأمّا دعوى أفضليّة أبي بكر وعمر فأؤلّ الكلام... كدعوى عدم الاختصاص بعليّ عليه السلام ، لقيام الإجماع على عدم عصمة أبي بكر وعمر...

(٥٦٤) دلائل الصدق لنهج الحقّ ٢ : ١٢٥ - ١٢٦ .

(٥٦٥) سورة آل عمران ٣ : ٦١ .

(٥٦٦) سورة الشورى ٤٢ : ٢٣ .

(٥٦٧) سورة التحريم ٦٦ : ٤ .

(٥٦٨) شرح المقاصد ٥ : ٢٩٥ - ٢٩٩ .

* وقد اضطرب ابن تيمية في هذا المقام ، فقال : « إِنَّا نَسَلِمُ أَنَّ عَلِيًّا تَجِبُ مَوَدَّتُهُ وَمَوَالَاتُهُ بَدُونَ الاستدلال بهذه الآية ، لكن ليس في وجوب موالاته ومودته ما يوجب اختصاصه بالإمامة ولا الفضيلة. وأما قوله : والثلاثة لا تجب مودتهم ; فممنوع ، بل يجب أيضاً مودتهم وموالاتهم ، فإنه قد ثبت أن الله يحبهم ، ومن كان الله يحبه وجب علينا أن نحبه ، فإن الحب في الله والبغض في الله واجب ، وهو أوثق عرى الإيمان ، وكذلك هم من أكابر أولياء الله المتقين ، وقد أوجب الله موالاتهم ، بل قد ثبت أن الله رضي عنهم ورضوا عنه بنص القرآن ، وكل من رضي الله عنه فإنه يحبه ، والله يحب المتقين والمحسنين والمقسطين والصابرين... »^(٥٦٩) .

فإن الرجل قد خصم نفسه باعترافه بوجوب محبة المتقين والمحسنين والمقسطين والصابرين... بل مطلق المؤمنين... فإن أحداً لا ينكر شيئاً من ذلك ، ومن يقول بأن المؤمن - إذا كان مؤمناً حقاً - لا يجب أن نحبه لا سيما إذا كان مع ذلك من أهل التقوى والإحسان والصر ؟!

لكن الكلام في المحبة المطلقة ، وفي الأحيية عند الله ورسوله ، المستلزمة للأفضلية وللعصمة ووجوب الطاعة... هذه الأمور التي لم يقل أحد بوجودها في غير علي عليه السلام ، لا سيما العصمة ، إذ قام الإجماع على عدمها في غيره.

ثم إن ابن تيمية شرع يستدل ببعض الأخبار التي يروونها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أن أحب الناس إليه عائشة !! قيل : فمن الرجال ؟ قال : أبوها ! وأن عمر قال لأبي بكر في السقيفة : أنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله !!

وكل عاقل يفهم ما في الاستدلال بمثل هذه الأخبار !!

* ولقد أحسن الآلوسي حيث لم يستدل بشي من أخبارهم في هذا البحث ، فإنه قد انتحل كلام عبد العزيز الدهلوي واعتمده في الجواب عن استدلال الإمامية ، إلا أنه بتر كلامه ولم يأت به إلى الآخر ! وهو ما سنشير إليه :

قال الآلوسي : « ومن الشيعة من أورد الآية في مقام الاستدلال على إمامة علي كرم الله تعالى وجهه ، قال : علي كرم الله تعالى وجهه واجب المحبة ، وكل واجب المحبة واجب الطاعة ، وكل واجب الطاعة صاحب الإمامة. ينتج : علي رضي الله تعالى عنه صاحب الإمامة. وجعلوا الآية دليل الصغرى.

ولا يخفى ما في كلامهم هذا من البحث :

أما أولاً : فلأن الاستدلال بالآية على الصغرى لا يتم إلا على القول بأن معناها : لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوا قرابتي وتحبوا أهل بيتي. وقد ذهب الجمهور إلى المعنى الأول. وقيل في هذا المعنى :

(٥٦٩) منهاج السنة ٧ : ١٠٣ - ١٠٤ .

إنه لا يناسب شأن النبوة لما فيه من التهمة ، فإن أكثر طلبه الدنيا يفعلون شيئاً ويسألون عليه ما يكون فيه نفع لأولادهم وقراباتهم. وأيضاً فيه منافاة لما لقوله تعالى : (وما تسألهم عليه من أجر) .

وأما ثانياً : فلأننا لا نسلّم أنّ كلّ واجب المحبّة واجب الطاعة ، فقد ذكر ابن بابويه في كتاب الاعتقادات : إنّ الإمامية أجمعوا على وجوب محبة العلوية ، مع أنّه لا يجب طاعة كلّ منهم.

وأما ثالثاً : فلأننا لا نسلّم أنّ كلّ واجب الطاعة صاحب الإمامة ، أي الزعامة الكبرى ، وإلا لكان كلّ نبيّ في زمنه صاحب ذلك ، ونصّ : (إنّ الله قد بعث لكم طالوت ملكاً) يأبى ذلك .

وأما رابعاً : فلأنّ الآية تقتضي أن تكون الصغرى : أهل البيت واجبو الطاعة ، ومتى كانت هذه صغرى قياسهم لا ينتج النتيجة التي ذكروها ، ولو سلّمت جميع مقدماته ، بل ينتج أهل البيت صاحبوا الإمامة ، وهم لا يقولون بعمومه .

إلى غير ذلك من الأبحاث. فتأمّل ولا تغفل « (٥٧٠) .

أقول :

هذا كلّه كلام الدهلوي بعينه ! وقد جاء بعده في « التحفة الاثنا عشرية » الاستدلال بأحاديث .
* قال الدهلوي : « روى أبو طاهر السلفي في مشيخته عن أنس ، قال قال رسول الله : حبّ أبي بكر وشكره واجب على كلّ أمّتي .

وروى ابن عساکر عنه نحوه. ومن طريق آخر عن سهل بن سعد الساعدي .
وأخرج الحافظ عمر بن محمّد بن خضر الملاء في سيرته عن النبيّ : أنّه قال : إنّ الله تعالى فرض عليكم حبّ أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ كما فرض عليكم الصلاة والصوم والحجّ .
وروى ابن عدّيّ ، عن أنس ، عن النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، أنّه قال : حبّ أبي بكر وعمر إيمان وبغضهما نفاق .

وروى ابن عساکر ، عن جابر : أنّ النبيّ قال : حبّ أبي بكر وعمر من الإيمان ، وبغضهما كفر .
وروى الترمذي أنّه أتى بجنّازة إلى رسول الله فلم يصلّ عليه وقال : إنّ كان يبغض عثمان فأبغضه

الله .»

ثم إنّه التفت إلى عدم جواز إلزام الإمامية بما اختص أهل السنة بروايته ، فأجاب قائلاً : « إنّه وإن كانت هذه الأخبار في كتب أهل السنة فقط ، لكن لما كان الشيعة يقصدون إلزام أهل السنة بروايتهم فإنّه لا بدّ من لحاظ جميع روايات أهل السنة ، ولا يصحّ إلزامهم برواية منها .
 وإن ضيقوا على أهل السنة ، أمكن إثبات وجوب محبة الخلفاء الثلاثة من كتاب الله واقوال العترة ، فقولته تعالى : (يحبهم ويحبونه) نزل - بالإجماع - في حقّ المقاتلين للمرتدين ، وقد كان الثلاثة أئمة هؤلاء المقاتلين ، ومن أحبّه الله وجبت محبته . وعلى هذا القياس » !
 هذا آخر كلام الدهلوي^(٥٧١) .

أقول :

إنّ من الواضح عدم جواز إلزام الخصم إلّا بما يرويه خاصّةً أو ما اتّفق الطرفان على روايته ، هذا إذا كان الخبر المستدلّ به معتبراً عند المستدلّ ، فإن لم يكن الخبر معتبراً حتّى عند المستدلّ به فكيف يجوز له إلزام الطرف الآخر به ؟!

ليت الدهلوي استدلّ - كابن تيمية - بكتابي البخاري ومسلم المعروفين بالصحيحين ، فإنّ الأحاديث التي استدلّ بها كلّها باطلة سنداً ، وهذا هو السرّ في إعراض الألويسي عنها وإسقاطها لها .
 إنّ أحسن هذه الأحاديث ما أخرجه الترمذي في كتابه - وهو يعدّ أحد الصحاح الستّة - من امتناع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم عن الصلاة على الجنّاة ؛ قال الترمذي :

« حدّثنا الفضل بن أبي طالب البغدادي وغير واحد ، قالوا : حدّثنا عثمان ابن زفر ، حدّثنا محمّد بن زياد ، عن محمّد بن عجلان ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بجنّاة رجل ليصليّ عليه فلم يصلّ عليه ، فقيل : يا رسول الله ! ما رأيناك تركت الصلاة على أحد قبل هذا ؟! قال : إنّه كان يبغض عثمان فأبغضه الله » !

لكنّ هذا الحديث ساقط سنداً حتّى عند راويه الترمذي ! قال :

« هذا حديث غريب لا نعرفه إلّا من هذا الوجه ، ومحمّد بن زياد هذا هو صاحب ميمون بن مهران ضعيف في الحديث جدّاً »^(٥٧٢) .

ثمّ إنّ الجوزي أورده في (الموضوعات) بطريقين ، وقال : « الطريقان على محمّد بن زياد . قال أحمد بن حنبل : هو كذاب خبيث يضع الحديث . وقال يحيى : كذاب خبيث . وقال السعدي والدارقطني

(٥٧١) التحفة الاثنا عشرية : ٢٠٥ .

(٥٧٢) الجامع الصحيح ٦ : ٣٧٠٩/٧٦ .

: كذاب. وقال البخاري والنسائي والفلاس وأبو حاتم : متروك الحديث. وقال ابن حبان : كان يضع الحديث على

الثقات ، لا يحل ذكره في الكتب إلا على وجه القدر فيه « (٥٧٣) .

فيظهر أن الترمذي حيث قال : « ضعيف جداً » لم يقل الحق كما هو حقه !!
وظهر أن الحق مع الآلوسي حيث ترك الاستدلال به وهو أحسن ما ذكر الدهلوي ، فالعجب من الدهلوي كيف يستدل بحديث هذه حاله ، ويريد إلزام الشيعة به ، وفي مسألة أصولية؟! ولو وجدت مجالاً لبيّنت حال بقيّة هذه الأحاديث ، لكن لا حاجة إلى ذلك بعد معرفة حال أحسنها سنداً !!

فلنعد إلى الوجوه التي وافق فيها الآلوسي الدهلوي وأخذها منه ، فنقول :
أما الأول : فجوابه : إن الصغرى تامّة كما تقدّم بالتفصيل ، وقلنا بأن طلب الأجر إنّما هو بناءً على اتصال الاستثناء ، وقد عرفت حقيقة هذا الأجر وعوده إلى المسلمين أنفسهم ، فلا شبهة ولا تهمة. وأما بناءً على انقطاع الاستثناء فلا إشكال أصلاً.

وأما الثاني : فإنّ الإمامية أجمعت على وجوب محبة العلوية ، بل كلّ مؤمن من المؤمنين، ولكنّ الآية المباركة دالة على وجوب المحبة المطلقة لعليّ والزهراء والحسين ، فلا نقض ، ولذا لم يقل أحد منهم بوجوب محبة غير الأربعة والمعصومين محبة مطلقة... والكلام في المحبة المطلقة لا مطلق المحبة ، فما ذكره جاهل أو تجاهل !

وأما الثالث فيظهر جوابه ممّا ذكرناه ، فإنّنا نريد المحبة المطلقة المستلزمة للعصمة ، فأينما كانت ؛ كانت الإمامة الكبرى ، وأينما لم تكن ؛ لم تكن !
وأما الرابع فيظهر جوابه ممّا ذكرنا أيضاً.

خلاصة البحث

فالحقّ مع السيّد رحمه الله ، إذ قال :
« هل حكم بافتراض المودّة لغيرهم محكم التنزيل؟! » .
بقي أن نذكر الوجه في تفسيره « الحسنه » في قوله تعالى : (ومن يقترف حسنة) بـ « المودّة »... فنقول

:

هذا التفسير ورد عن الأئمة الأطهار من أهل البيت ، كالحسن السبط الزكيّ عليه السلام في خطبته التي رواها الحاكم وغيره ، وورد أيضاً في غير واحد من تفاسير أهل السنة ، عن ابن عباس والسدي وغيرهما ، قال القرطبي : « قوله تعالى (ومن يقترف حسنةً) أي : يكتسب ، وأصل القرف الكسب ، يقال... قال ابن عباس : (ومن يقترف حسنةً) : المودّة لآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم ، (نزد له حسناً) أي : نضاعف له الحسنه بعشر فصاعداً ، (إن الله غفور شكور) قال قتادة : غفور للذنوب لشكور للحسنات. وقال السدي : غفور للذنوب آل محمّد عليه السلام شكور لحسناتهم »^(٥٧٤) .

وقال أبو حيان : « وعن ابن عباس والسدي : أنّها المودّة في آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم... وقال السدي : غفور للذنوب آل محمّد عليه السلام شكور لحسناتهم »^(٥٧٥) .

وقال الآلوسي : « روي ذلك عن ابن عباس والسدي »^(٥٧٦) .
وهذا القدر كاف ، وهو للقلب السليم شاف ، وللمطلب واف .
وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله الطيبين الطاهرين الأشراف .

* * *

(٥٧٤) الجامع لأحكام القرآن ١٦ : ٢٤ .

(٥٧٥) البحر المحيط ٩ : ٣٣٥ .

(٥٧٦) روح المعاني ٢٥ : ٣٣ .

آية المباهلة

قال السيّد طاب ثراه :

« وهل هبط بآية المباهلة بسواهم جرئيل؟! ».

فقال في الهامش :

« كلاً ، وإِنما هبط بآية المباهلة بهم خاصّةً ، فقال عزّ من قائل : (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم) الآية

« (٥٧٧)

فقبل :

« هذه الآية ممّا يتمسّك به الشيعة على أنّه دليل على الإمامة ، وعلى أن آل البيت هم بمرتبة النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم ، فإنّ الآية لم تفرّق بينهم وبينه ، بل ساوتهم به إذ جمعت أنفسهم مع نفسه ، فقال تعالى : (وأنفسنا وأنفسكم) .

وهذا اللفظ لا يقتضي المساواة ، فقد قال تعالى : (لولا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) (النور : ١٢) ، ولا يدلّ هذا على أنّ المؤمنين والمؤمنات متساوون ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : (ثمّ أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم) (البقرة : ٨٥) ، فهذا اللفظ يدلّ على المجانسة والمشابهة في أمور : فقوله تعالى : (وأنفسنا وأنفسكم) أي : ورجالنا ورجالكم ، أي : « الرجال الذين هم من جنسنا في الدين والنسب ، والمراد : التجانس مع الإيمان » . انتهى .

أقول :

وهذا أيضاً خلاصة ما جاء به ابن تيميّة ، في الجواب عن الاستدلال بالآية الكريمة ، وليس لهذا القائل منه شيء ولا كلمة !!
ونحن ذاكرون سبب نزول الآية المباركة ، ووجه الاستدلال بها ، والجواب عمّا قيل في ذلك ، فهاهنا فصول ، وبالله التوفيق .

الفصل الأوّل

في نزول الآية في أهل البيت عليهم السلام

قال الله عزّ وجلّ : (إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثمّ قال له كن فيكون * الحقّ من ربّك فلا تكن من الممترين * فمن حآجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين * إنّ هذا لهو القصص الحقّ وما من إله إلاّ الله وإنّ الله لهو العزيز الحكيم * فإن تولّوا فإنّ الله عليهم بالفسدين)^(٥٧٨) .

هذه هي الآية المعروفة بآية المباهلة ، وسنورد قصّتها في أوّل الفصل الآتي .
وقد خرج النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى المباهلة بعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام .

ذكر من رواه من الصحابة والتابعين :

وروي هذا الخبر عن جماعة من أعلام الصحابة والتابعين ، نذكر هنا من جاءت الرواية عنه في كتب غير الإماميّة ، منهم :

- ١ - امير المؤمنين عليّ عليه السلام .
- ٢ - عبد الله بن عباس .
- ٣ - جابر بن عبد الله الأنصاري .
- ٤ - سعد بن أبي وقّاص .
- ٥ - عثمان بن عفان .
- ٦ - سعيد بن زيد .
- ٧ - طلحة بن عبيد الله .
- ٨ - الزبير بن العوام .
- ٩ - عبد الرحمن بن عوف .

(٥٧٨) سورة آل عمران ٣ : ٥٩ - ٦٣ .

- ١٠ - البراء بن عازب.
- ١١ - حذيفة بن اليمان.
- ١٢ - أبو سعيد الخدري.
- ١٣ - أبو الطفيل الليثي.
- ١٤ - جدّ سلمة بن عبد يشوع.
- ١٥ - أمّ سلمة زوجة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.
- ١٦ - زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام.
- ١٧ - علباء بن أحمر اليشكري.
- ١٨ - الشعبي.
- ١٩ - الحسن البصري.
- ٢٠ - مقاتل.
- ٢١ - الكلبي.
- ٢٢ - السديّ.
- ٢٣ - قتادة.
- ٢٤ - مجاهد.

أمّا أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد ناشد القوم في الشورى بنزول الآية فيه... وسيأتي الخبر قريباً .
 وأمّا عثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعيد بن زيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن ابي وقاص ،
 فقد أقرّوا لعليّ عليه السلام في ذلك.

كما روى سعد الخبر ، وكان ممّا به اعتذر عن سبّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، كما في صحيح
 الأثر... وسيأتي نصّه.

وأمّا أبو الطفيل فهو راوي خبر المناشدة.
 وأمّا الآخرون... فستأتي نصوص الأخبار في روايتهم.

ومن رواه من كبار الأئمة في الحديث والتفسير :

وقد اتفقت كتب الحديث والتفسير والكلام على رواية حديث المباهلة ، إمّا بالأسانيد ، وإمّا

بإرساله إرسال المسلمات ، من أشهرهم :

١ - سعيد بن منصور ، المتوفّي سنة ٢٢٧.

- ٢ - أبو بكر عبد الله بن أبي شيبة ، المتوفى سنة ٢٣٥.
- ٣ - أحمد بن حنبل ، المتوفى سنة ٢٤١.
- ٤ - عبد بن حميد ، المتوفى سنة ٢٤٩.
- ٥ - مسلم بن الحجاج ، المتوفى سنة ٢٦١.
- ٦ - أبو زيد عمر بن شبة البصري ، المتوفى سنة ٢٦٢.
- ٧ - محمد بن عيسى الترمذي ، المتوفى سنة ٢٧٩.
- ٨ - أحمد بن شعيب النسائي ، المتوفى سنة ٣٠٣.
- ٩ - محمد بن جرير الطبري ، المتوفى سنة ٣١٠.
- ١٠ - أبو بكر بن المنذر النيسابوري ، المتوفى سنة ٣١٨.
- ١١ - أبو بكر الجصاص ، المتوفى سنة ٣٧٠.
- ١٢ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، المتوفى سنة ٤٠٥.
- ١٣ - أبو بكر بن مردويه الأصفهاني ، المتوفى سنة ٤١٠.
- ١٤ - أبو إسحاق الثعلبي ، المتوفى سنة ٤٢٧.
- ١٥ - أبو نعيم الأصفهاني ، المتوفى سنة ٤٣٠.
- ١٦ - أبو بكر البيهقي ، المتوفى سنة ٤٥٨.
- ١٧ - علي بن أحمد الواحدي ، المتوفى سنة ٤٦٨.
- ١٨ - محيي السنة البغوي ، المتوفى سنة ٥١٦.
- ١٩ - جار الله الزمخشري ، المتوفى سنة ٥٣٨.
- ٢٠ - القاضي عياض اليحصبي ، المتوفى سنة ٥٤٤.
- ٢١ - أبو القاسم بن عساكر الدمشقي ، المتوفى سنة ٥٧١.
- ٢٢ - أبو الفرج بن الجوزي الحنبلي ، المتوفى سنة ٥٧٩.
- ٢٣ - أبو السعادات بن الأثير الجزري ، المتوفى سنة ٦٠٦.
- ٢٤ - الفخر الرازي ، المتوفى سنة ٦٠٦.
- ٢٥ - عز الدين أبو الحسن بن الأثير الجزري ، المتوفى سنة ٦٣٠.
- ٢٦ - محمد بن طلحة الشافعي ، المتوفى سنة ٦٥٢.
- ٢٧ - شمس الدين سبط بن الجوزي ، المتوفى سنة ٦٥٤.
- ٢٨ - أبو عبد الله القرطبي الأنصاري ، المتوفى سنة ٦٥٦.

- ٢٩ - القاضي البيضاوي ، المتوفى سنة ٦٥٨ .
- ٣٠ - محب الدين الطبري ، المتوفى سنة ٦٩٤ .
- ٣١ - نظام الدين الأعرج النيسابوري ، المتوفى سنة ٧٢٨ .
- ٣٢ - أبو البركات النسفي ، المتوفى سنة ٧١٠ .
- ٣٣ - صدر الدين أبو المجمع إبراهيم الحموي ، المتوفى سنة ٧٢٢ .
- ٣٤ - أبو القاسم بن الجزري الكلبي ، المتوفى سنة ٧٤١ .
- ٣٥ - علاء الدين الخازن ، المتوفى سنة ٧٤١ .
- ٣٦ - أبو حيان الأندلسي ، المتوفى سنة ٧٤٥ .
- ٣٧ - شمس الدين الذهبي ، المتوفى سنة ٧٤٨ .
- ٣٨ - ابن كثير دمشقي ، المتوفى سنة ٧٧٤ .
- ٣٩ - ولي الدين الخطيب التبريزي ، المتوفى سنة .
- ٤٠ - ابن حجر العسقلاني ، المتوفى سنة ٨٥٢ .
- ٤١ - نور الدين بن الصبأغ المالكي ، المتوفى سنة ٨٥٥ .
- ٤٢ - جلال الدين السيوطي ، المتوفى سنة ٩١١ .
- ٤٣ - أبو السعود العمادي ، المتوفى سنة ٩٥١ .
- ٤٤ - الخطيب الشربيني ، المتوفى سنة ٩٦٨ .
- ٤٥ - ابن حجر الهيتمي المكي ، المتوفى سنة ٩٧٣ .
- ٤٦ - علي بن سلطان القاري ، المتوفى سنة ١٠١٣ .
- ٤٧ - نور الدين الحلبي ، المتوفى سنة ١٠٣٣ .
- ٤٨ - شهاب الدين الخفاجي ، المتوفى سنة ١٠٦٩ .
- ٤٩ - الزرقاني المالكي ، المتوفى سنة ١١٢٢ .
- ٥٠ - عبدالله الشبراوي ، المتوفى سنة ١١٦٢ .
- ٥١ - قاضي القضاة الشوكاني ، المتوفى سنة ١٢٥٠ .
- ٥٢ - شهاب الدين الآلوسي ، المتوفى سنة ١٢٧٠ .
- وغيرهم من أعلام الحديث والتفسير والكلام والتاريخ في مختلف القرون.

من نصوص الحديث في الكتب المعتمدة :

وهذه الفاظ من الأخبار الواردة في نزول الآية المباركة في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام كما رواها الحفاظ بأسانيدهم ، في الكتب المعتمدة :

* أخرج ابن عساکر بسنده ، وابن حجر من طريق الدارقطني ، عن أبي الطفيل : إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام ناشد أصحاب الشورى واحتج عليهم بجملة من فضائله ومناقبه ، ومن ذلك أن قال لهم : « نشدtkم بالله ، هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم في الرحم ، ومن جعله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم نفسه ، وابناه ، أبناءه ، ونساءه نساءه غيري ؟! قالوا : اللهم لا »^(٥٧٩) .

أقول :

ومناشدة أمير المؤمنين في الشورى رواها عدد كبير من علماء الفريقين ، بأسانيدهم عن: أبي ذرّ وأبي الطفيل ، وممن أخرجها من حفاظ الجمهور : الدارقطني ، وابن مردويه ، وابن عبد البرّ ، والحاكم ، والسيوطي ، وابن حجر المكيّ ، والمتقي الهندي . وسياقي تفصيل ذلك حيث يتعرض لها السيّد رحمه الله إن شاء الله تعالى .

* وفي « المسند » : « حدّثنا عبد الله ، قال أبي : ثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا حاتم بن إسماعيل ، عن بكير بن مسمار ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه ، قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم يقول له ، وخلفه في بعض مغازيه ، فقال عليّ رضي الله عنه : أتخلفني مع النساء والصبيان ؟! قال : يا عليّ ! أمّا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي ؟! وسمعتة يقول - يوم خيبر - : لأعطين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله . فتناولنا لها ، فقال : ادعوا لي عليّاً رضي الله عنه فأتي به أرمد ، فبصق في عينه ودفع الراية إليه ، ففتح الله عليه .

ولمّا نزلت هذه الآية (ندع أبناءنا وأبناءكم) دعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً رضوان الله عليهم أجمعين ، فقال : اللهم هؤلاء أهلي^(٥٨٠) .

* وأخرج مسلم قائلًا : « حدّثنا قتيبة بن سعيد ومحمّد بن عبّاد - وتقاربا في اللفظ - قالوا : حدّثنا حاتم - وهو ابن إسماعيل - عن بكير بن مسمار ، عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص ، عن أبيه ، قال : أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً ، فقال : ما منعك أن تسبّ أبا تراب ؟!

(٥٧٩) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٤٣٢ ، والصواعق المحرقة : ٢٣٩ .

(٥٨٠) مسند أحمد بن حنبل ١ : ١٦١١/٣٠١ .

فقال : أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنَّ له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم فلن أسبَّه ، لأن تكون لي واحدة منهنَّ أحبَّ إليَّ من حمر النعم :

سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم يقول له وخلفه في بعض مغازيه ، فقال له عليّ : يا رسول الله ! خلقتني مع النساء والصبيان !
فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم : أما ترضى أن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي.

وسمعتة يقول يوم خيبر : لأعطينَّ الراية رجلاً يحبُّ الله ورسوله ، ويحبُّه الله ورسوله.
قال : فتناولنا لها ، فقال : ادعوا لي عليّاً ، فأُتي به أرمَد ، فبصق في عينه ، ودفع الراية إليه ، ففتح الله عليه.

ولما نزلت هذه الآية : (فقد تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) دعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : اللهمَّ هؤلاء أهلي «^(٥٨١) .

* وأخرجه الترمذي بالسند واللفظ ، فقال :

* هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه «^(٥٨٢) .

* وأخرج النسائي : « أخبرنا قتيبة بن سعيد البلخي وهشام بن عمّار الدمشقي ، قالا : حدَّثنا حاتم ، عن بكير بن مسمار ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، قال : أمر معاوية سعداً فقال : ما يمنعك أن تسبَّ أبا تراب ؟! فقال : أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم فلن أسبَّه ، لأن تكون لي واحدة منهنَّ أحبَّ إليَّ من حمر النعم :

سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم يقول له ، وخلفه في بعض مغازيه فقال له عليّ : يا رسول الله ! أتخلّفني مع النساء والصبيان !؟

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم : أما ترضى أن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي.

وسمعتة يقول في يوم خيبر : لأعطينَّ الراية رجلاً يحبُّ الله ورسوله ، ويحبُّه الله ورسوله.

فتناولنا إليها فقال : ادعوا لي عليّاً ، فأُتي به أرمَد ، فبصق في عينيه ودفع الراية إليه.

ولما نزلت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) دعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي «^(٥٨٣) .

(٥٨١) صحيح مسلم ٤ : ٢١٣ / ٢٤٠٤ .

(٥٨٢) الجامع الصحيح ٦ : ٣٧٢٤ / ٨٦ ، كتاب المناقب ، مناقب عليّ .

(٥٨٣) خصائص أمير المؤمنين : ١١ / ٣٣ .

* وأخرج الحاكم فقال : « أخبرني جعفر بن محمد بن نصير الخلدي ، ثنا موسى بن هارون ، ثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا حاتم بن إسماعيل ، عن بكير بن مسمار ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه ، قال : لما نزلت هذه الآية (ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً رضي الله عنهم فقال : اللهم هؤلاء أهلي .

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه «^(٥٨٤) .

* ووافقه الذهبي في (تلخيصه) .

* وستأتي رواية الحاكم عن جابر .

* وأخرجه عن ابن عباس ، قال : « ذكر النوع السابع عشر من علوم الحديث : هذا النوع من هذا العلم معرفة أولاد الصحابة ، فإن من جهل هذا النوع اشتبه عليه كثير من الروايات . أول ما يلزم الحديثي معرفته من ذلك : أولاد سيد البشر محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ومن صحّت الرواية عنه منهم :

حدّثنا عليّ بن عبد الرحمن بن عيسى الدهقان بالكوفة ، قال : حدّثنا الحسين بن الحكم الحبري ، قال : ثنا الحسن بن الحسين العرنبي ، قال : ثنا حبان ابن عليّ العنزلي ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس في قوله عزّ وجلّ : (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم - إلى قوله - الكاذبين) نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعليّ نفسه ، (ونساءنا ونساءكم) : فاطمة ، (وأبنائنا وأبنائكم) : في حسن وحسين ، والدعاء على الكاذبين نزلت في العاقب والسيّد وعبد المسيح وأصحابهم «^(٥٨٥) .

* وقال ابن حجر العسقلاني بشرح حديث المنزلة : « ووقع في رواية عامر بن سعد بن أبي وقاص عند مسلم والترمذي ، قال : قال معاوية لسعد : ما منعك أن تسبّ أبا تراب ؟!

قال : أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلن أسبّه...

فذكر هذا الحديث ، وقوله لأعطينّ الراية رجلاً يحبّه الله ورسوله... وقوله : لما نزلت (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم) دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين فقال : اللهم هؤلاء أهلي «^(٥٨٦) .

تنبيه :

الملاحظ أنّهم يروون كلام سعد في جواب معاوية بأشكال مختلفة مع أنّ السند واحد ، والقضية

واحدة !!

(٥٨٤) المستدرک علی الصحیحین ٣ : ١٥٠ .

(٥٨٥) معرفة علوم الحديث : ٤٩ - ٥٠ .

(٥٨٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٧ : ٦٠ .

بل يرويه المحدث الواحد في الكتاب الواحد بأشكال ، فاللفظ الذي ذكرناه عن النسائي هو أحد ألفاظه.

وبينما رواه بلفظ آخر عن بكير بن مسمار ، قال : سمعت عامر بن سعد يقول : قال معاوية لسعد بن أبي وقاص : ما منعك أن تسبّ ابن أبي طالب ؟!

قال : لا أسبّه ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ رسول الله عليه [وآله] وسلّم لأنّ يكون لي واحدة منهنّ أحبّ إلي من حمر النعم ، لا أسبّه ما ذكرت حين نزل الوحي عليه ، فأخذ عليّاً وابنيه وفاطمة ، فأدخلهم تحت ثوبه ثمّ قال : ربّ هؤلاء أهل بيتي - أو : أهلي ... «^(٥٨٧) .

ورواه بلفظ ثالث : إنّ معاوية ذكر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال سعد بن أبي وقاص : والله لأنّ تكون لي احدى خلاله الثلاث أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

لأنّ يكون قال لي ما قاله له حين ردّه من تبوك : أمّا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي ; أحبّ إليّ أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

ولأنّ يكون قال لي ما قال في يوم خيبر : لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرار ; أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

ولأنّ أكون كنت صهره عى ابنته لي منها من الولد ما له أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس «^(٥٨٨) .

ورواه بلفظ رابع عن سعد ، قال : « كنت جالساً فتنقّصوا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقلت : لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم يقول في عليّ ثلاث خصال ، لأنّ تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إلي من حمر النعم.

سمعتة يقول : إنّه منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي.

وسمعتة يقول : لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله.

وسمعتة يقول : من كنت مولاه فعليّ مولاه «^(٥٨٩) .

وهو عند ابن ماجه باللفظ الآتي : « قدم معاوية في بعض حجّاته ، فدخل عليه سعد ، فذكروا عليّاً ، فنال منه ، فغضب سعد وقال : تقول هذا لرجل سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم يقول : من كنت مولاه فعليّ مولاه.

وسمعتة يقول : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى ، إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي.

(٥٨٧) خصائص أمير المؤمنين : ٥٤/٩٠ .

(٥٨٨) خصائص أمير المؤمنين : ١٢٦/١٧٩ .

(٥٨٩) خصائص أمير المؤمنين : ١٢/٣٥ .

وسمعتة يقول : لأعطينَّ الرايةَ اليومَ رجلاً يحبُّ اللهَ ورسوله « (٥٩٠) .

أقول :

إنَّه إن أمكن حمل اختلاف ألفاظ الروايات في الخصال الثلاث على وجه صحيح ، ولا يكون هناك تحريف - ومن هنا كان الأمر بالتأمل في بحثنا حول آية التطهير - فلا ريب في تحريف القوم للفظ في ناحية أخرى ، وهي قضية سبِّ أمير المؤمنين عليه السلام والنيل منه ، خاصةً مع السند الواحد ! فإنَّ أحمد ومسلمًا والترمذي والنسائي وابن عساكر^(٥٩١) كلَّهم اشتركوا في الرواية بسند واحد ، فجاء عند غير أحمد : « أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال : ما منعك أن تسبَّ أبا تراب؟! فقال : أمَّا ما ذكرت ثلاثاً... سمعت ... » .

لكنَّ أحمد حذف ذلك كلَّه وبدأ الحديث من « سمعت... » وكأنَّه لم تكن هناك أيَّة مناسبة لكلام

سعد هذا !!

أمَّا الحاكم فيروني الخبر بنفس السند ويحذف المناسبة وخصلتين من الخصال الثلاث !!
والنسائي يحذف المناسبة في لفظ ، ويقول : « إنَّ معاوية ذكر عليَّ بن أبي طالب ، فقال سعد... »

!!

وفي آخر يحذفها ويضع بدلها كلمة « كنت جالساً فتنقَّصوا عليَّ بن أبي طالب... » !!
وابن ماجة ، قال : « قدم معاوية في بعض حجَّاته ، فدخل عليه سعد ، فذكروا عليّاً ، فنال منه ، فغضب سعد وقال... » .

فجاء ابن كثير وحذف منه « فنال منه ، فغضب سعد »^(٥٩٢) .

وفي (الفضائل) لأحمد : « ذكر عليَّ عند رجل وعنده سعد بن أبي وقَّاص ، فقال له سعد : أتذكر عليّاً؟! »^(٥٩٣) .

وأبو نعيم وبعضهم حذف القصة من أصلها ، فقال : « عن سعد بن أبي وقَّاص ، قال : قال رسول الله : في عليٍّ ثلاث خلال... »^(٥٩٤) .

(٥٩٠) سنن ابن ماجة ١ : ١٢١/٩٠ .

(٥٩١) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ١١١ - ١١٢ .

(٥٩٢) البداية والنهاية ٧ : ٣٤٠ .

(٥٩٣) فضائل الصحابة - لأحمد بن حنبل - ٢ : ١٠٩٣/٦٤٣ .

(٥٩٤) حلية الأولياء ٤ : ٣٥٦ .

هذا ، والسبب في ذلك كله معلوم ! إنهم يحاولون التغطية على مساوئ سادتهم ولو بالكذب والتزوير ! ولقد أفصح عن ذلك بعضهم ، كالنووي ، حيث قال : « قال العلماء : الأحاديث الواردة التي في ظاهرها دخل على صحابي يجب تأويلها ، قالوا : ولا يقع في روايات الثقات إلا ما يمكن تأويله ، فقول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعداً بسبّه ، وإنما سأله عن السبب المانع له من السبّ ، كأنه يقول : هل امتنعت تورعاً أو خوفاً أو غير ذلك؟! فإن كان تورعاً وإجلالاً له عن السبّ فأنت مصيب محسن ، وإن كان غير ذلك فله جواب آخر .

ولعل سعداً قد كان في طائفة يسبّون فلم يسبّ معهم ، وعجز عن الإنكار ، وأنكر عليهم فسأله هذا السؤال .

قالوا : ويحتمل تأويلاً آخرًا ، أن معناه : ما منعك أن تخطئه في رأيه واجتهاده ، وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا وأنه أخطأ ؟ . انتهى^(٥٩٥) .
ونقله المباركفوري بشرح الحديث^(٥٩٦) .

أقول :

وهل ترتضي - أيها القارئ - هذا الكلام في مثل هذا المقام؟!
أولاً : إن كان هناك مجال لحمل كلام المتكلم على الصحة وتأويله على وجه مقبول ، فهذا لا يختص بكلام الصحابي دون غيره .
وثانياً : إذا كانت هذه قاعدة يجب اتباعها بالنسبة إلى أقوال الصحابة ، فلماذا لا يطبقونها بالنسبة لكل الصحابة؟!

وثالثاً : إذا كانت هذه القاعدة للأحاديث الواردة التي في ظاهرها دخل على صحابي فلماذا يطبقونها في الأحاديث الواردة في فضل أمير المؤمنين عليه السلام ، فلم يأخذوا بظواهرها ، بل أعرضوا عن النصوص منها؟! ومنها حديث المباهلة ، حيث لا تأويل فحسب ، بل التعظيم والتحريف ، كما سنرى في الفصل الآتي .

ورابعاً : إن التأويل والحمل على الصحة إنما يكون حيث يمكن ، وقولهم : « ليس فيه تصريح بأنه أمر سعداً بسبّه ، وإنما سأله « كذب ، فقد تقدّم في بعض النصوص التصريح بـ « الأمر » و « النيل » و « التنقيص » وهذا كله مع تهذيب العبارة ، كما لا يخفى .

(٥٩٥) المنهاج - شرح صحيح مسلم بن الحجاج - ١٧٥/١٥ .

(٥٩٦) تحفة الأhoodي - شرح جامع الترمذي - ١٠ : ٢٢٨ .

بل ذكر ابن تيمية : أن معاوية أمر بسب علي^(٥٩٧) .

بل جاءت الرواية عن مسلم والترمذي على واقعتها ، ففي رواية القندوزي الحنفي عنهما ، قال : « وعن سهل بن سعد ، عن أبيه ، قال : أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً أن يسب أبا التراب ، قال : أما ما ذكرت ثلاثاً.... أخرجه مسلم والترمذي »^(٥٩٨) .

وخامساً : قولهم : « كأنه يقول... فإن كان تورعاً... فأنت مصيب محسن » يكذبه ما جاء التصريح به في بعض ألفاظ الخبر من أن سعداً خرج من مجلس معاوية غضبان وحلف ألا يعود إليه !! وعلى كل حال... فهذا نموذج من تلاعبهم بمساوي أسيادهم ، لإخفائها ، وسترى - في الفصل اللاحق - نموذج تلاعبهم بفضائل علي عليه السلام ، وإخفائها ، وهذا دين القوم ودينهم ، حشرهم الله مع الذين يدافعون عنهم ويؤدّونهم !!

* **وروى ابن شبة ، المتوفى سنة ٢٦٢ ، قال : « حدّثنا الحزامي ، قال : حدّثنا ابن وهب ، قال : أخبرني الليث بن سعد ، عن من حدّثه ، قال : جاء راهبا نجران إلى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم يعرض عليهما الإسلام... قال : فدعاهما النبي إلى المباهلة وأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ، فقال أحدهما للآخر : قد أنصفك الرجل. فقالا : لا نباهلك.**

وأقرا بالجزية وكرها الإسلام »^(٥٩٩) .

* **وروى الحسين بن الحكم الحبري^(٦٠٠) ، المتوفى سنة ٢٨٦ ، قال : « حدّثني إسماعيل بن أبان ، قال : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم ، عن أبي هارون ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : لما نزلت هذه الآية (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم بعلي وفاطمة والحسن والحسين »^(٦٠١) .**

(٥٩٧) منهاج السنّة ٥ : ٤٢ .

(٥٩٨) ينابيع المودّة ٢ : ٣٤٧/١١٩ .

(٥٩٩) تاريخ المدينة المنورة ، المجلد ١ : ٥٨٣ .

(٦٠٠) هو أيضاً في طريق الحاكم في « المستدرک » .

(٦٠١) تفسير الحبري : ١٣/٢٤٨ .

قال محققه - وهو العلامة السيّد محمد رضا الحسيني الجلاي - : « الحديث عن أبي سعيد الخدري قد تفرّد بنقله المؤلّف ، فلم يروه غيره من المؤلّفين ، بل ينحصر وجوده بنسختينا ولم يوجد في سائر النسخ » .

قلت : وما جاء في ذخائر العقبي ، ص ٦١ : « عن أبي سعيد... » فغلط ، بقرينة قوله في الآخر : أخرجه مسلم والترمذي ، لأنّ الذي أخرجه هو عن سعد .

وأخرج الطبري : « حدّثنا ابن حميد ، قال : ثنا عيسى بن فرقد ، عن أبي الجارود ، عن زيد بن عليّ ، في قوله : (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) الآية ، قال : كان النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم وعليّ وفاطمة والحسن والحسين . »

« حدّثنا محمّد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفصل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم) الآية ، فأخذ - يعني النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم - بيد الحسن والحسين وفاطمة ، وقال لعليّ : اتبعنا ، فخرج معهم ، فلم يخرج يومئذ النصارى وقالوا : إنّنا نخاف ... »

« حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) قال : بلغنا أن نبيّ الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم خرج ليلاً عن أهل نجران ، فلما رأوه خرج هابوا وفرقوا فرجعوا .

قال معمر : قال قتادة : لما أراد النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم أهل نجران أخذ بيد حسن وحسين ، وقال لفاطمة : اتبعينا ، فلمّا رأى ذلك أعداء الله رجعوا . »

« حدّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا ابن زيد ، قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم : لو لاعتت القوم ، بمن كنت تأتي حين قلت (أبناءنا وأبناءكم) ؟ قال : حسن وحسين . »

« حدّثني محمّد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا المنذر بن ثعلبة ، قال : ثنا علباء بن أحمر اليشكري ، قال : لما نزلت هذه الآية : (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم) الآية ، أرسل رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم إلى عليّ وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين ... »^(٦٠٢) .

* وقال السيوطي : « أخرج البيهقي في (الدلائل) من طريق سلمة بن عبد يشوع ، عن أبيه ، عن جدّه : إن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم كتب إلى أهل نجران .. فلمّا أصبح رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم الغد بعدما أخبرهم الخبر ، أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميلة له وفاطمة تمشي خلف ظهره ، للملاعنة ، وله يومئذ عدّة نسوة ... »

« وأخرج الحاكم - وصحّحه - وابن مردويه ، وأبو نعيم في (الدلائل) عن جابر ، قال : ... فغدا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم وأخذ بيد عليّ وفاطمة والحسن والحسين ...

قال جابر : فيهم نزلت : (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) الآية .

قال جابر : (أنفسنا وأنفسكم) : رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم وعليّ . (وأبناءنا) : الحسن والحسين . (ونساءنا) : فاطمة . »

(٦٠٢) جامع البيان ٣ : ٢١٢ - ٢١٣ .

« وأخرج أبو نعيم في (الدلائل) من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : ... وقد كان رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم خرج ومعه عليّ والحسن والحسين وفاطمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم : إن أنا دعوت فأمنوا أنتم. فأبوا أن يلاعنوه وصالحوه على الجزية .»

« وأخرج ابن أبي شيبة ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وأبو نعيم ، عن الشعبي... فغدا النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم ومعه الحسن والحسين وفاطمة...»

« وأخرج مسلم ، والترمذي ، وابن المنذر ، والحاكم ، والبيهقي في سننه ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : لما نزلت هذه الآية : (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم) دعا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، وقال : اللهم هؤلاء أهلي »^(٦٠٣) .

* وقال الزمخشري : « وروي أنهم لما دعاهم إلى المباهلة قالوا : حتى نرجع وننظر ، فلما تخالوا قالوا للعاقب - وكان ذا رأيهم - : يا عبد المسيح ! ما ترى ؟

فقال : والله لقد عرفتم - يا معشر النصارى - أن محمداً نبياً مرسل ، وقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم ، والله ما باهل قوم نبياً قطّ فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، ولئن فعلتم لتهلكن ، فإن أبيتم إلاّ ألف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه ، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

فأتى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم وقد غدا محتضناً الحسين أخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعليّ خلفها ، وهو يقول : إذا أنا دعوت فأمنوا.

فقال أسقف نجران : يا معشر النصارى ! إنّي لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها ، فلا تباهلوا فتهلكوا ، ولا يبقى على وجه الأرض نصرائي إلى يوم القيامة.

فقالوا : يا أبا القاسم ! رأينا أن لا نباهلك ، وأن نفرّك على دينك ونثبت على ديننا.

قال : فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا ، يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم. فأبوا.

قال : فإنّي أنا جزكم.

قالوا : ما لنا بحرب العرب طاقة ، ولكن نصلحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا ترددنا عن ديننا ، على أن نؤدّي إليك كلّ عام ألفي حلّة ، ألف في صفر وألف في رجب ، وثلاثين درعاً عادية من حديد.

فصالحهم على ذلك ، وقال : والذي نفسي بيده ، إنّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران ، ولو لاعنوا لمسخوا قردهً وخنازير ، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً ، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر ، ولما حال الحول على النصارى كلّهم حتى يهلكوا.

(٦٠٣) الدرّ المنثور في التفسير المأثور ٢ : ٢٢٩ - ٢٣٣ .

وعن عائشة رضي الله عنها : أنّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم خرج وعليه مرط مرجل من شعر أسود ، فجاء الحسن فأدخله ، ثمّ جاء الحسين فأدخله ، ثمّ فاطمة ، ثمّ عليّ ، ثمّ قال : (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) .

فإن قلت : ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلاّ للبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختصّ به وهم يكاذبه ، فما معنى ضمّ الأبناء والنساء ؟

قلت : ذلك أكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه ، حيث استجراً على تعريض أعزّته وأفلاذ كبده وأحبّ الناس إليه لذلك ، ولم يقتصر على تعريض نفسه له ؛ وعلى ثقته بكذب خصمه حتّى يهلك خصمه مع أحبّته وأعزّته هلاك الاستئصال إن تمّت المباهلة .

وخصّ الأبناء والنساء لأنّهم أعزّ الأهل وألصقهم بالقلوب ، وربّما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتّى يقتل ، ومن ثمّة كانوا يسوقون مع أنفسهم الطعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب ، ويسمّون الذادة عنها بأرواحهم حماة الحقائق .

وقدّمهم في الذكر على الأنفس لينبّه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم ، وليؤذّن بأنّهم مقدّمون على الأنفس مفدون بها .

وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام .

وفيه برهان واضح على نبوة النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم ، لأنّه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنّهم أجابوا إلى ذلك « (٦٠٤) .

* وروى ابن الأثير حديث سعد في الخصال الثلاثة ، بإسناده عن الترمذي (٦٠٥) .

وأرسله في تاريخه إرسال المسلم ، قال : « وأمّا نصارى نجران فإنّهم أرسلوا العاقب والسيد في نفر إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم ، وأرادوا مباهلته ، فخرج رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم ومعه عليّ وفاطمة والحسن والحسين ، فلما رأوهم قالوا : هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها ، ولم يبأهلوه ، وصالحوه على ألفي حلة ، ثمّ كلّ حلّة أربعون درهماً ، وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله . وجعل لهم ذمّة الله تعالى وعهده ألاّ يفتنوا عن دينهم ولا يعشروا ، وشرط عليهم أن لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به » (٦٠٦) .

(٦٠٤) الكشاف ١ : ٥٦٤ - ٥٦٦ .

(٦٠٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٣ : ٦٠١ .

(٦٠٦) الكامل في التاريخ ٢ : ٢٩٣ .

* وروى الحاكم الحسكاني بإسناده : « عن أبي إسحاق السبيعي ، عن صلة بن زفر ، عن حذيفة بن اليمان ، قال : جاء العاقب والسيد - أسقفا نجران - يدعوان النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم إلى الملاعنة ، فقال العاقب للسيد : إن لاعن بأصحابه فليس بنبي ، وإن لاعن بأهل بيته فهو نبي . فقام رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم فدعا علياً فأقامه عن يمينه ، دعا الحسن فأقامه عن يساره ، ثم دعا الحسين فأقامه عن يمين علي ، ثم دعا فاطمة فأقامها خلفه . فقال العاقب للسيد : لا تلاعنه ، إنك إن لاعتته لا نفلح نحن ولا أعقابنا فقال رسول الله : لو لاعنوني ما بقيت بنجران عين تطرف » (٦٠٧) .

أقول :

وهذا نفس السند عند البخاري عن حذيفة ، لكنّه حذف من الخبر ما يتعلّق بـ « أهل البيت » ووضع مكانه فضيلة لـ « أبي عبيدة » وسيأتي في الفصل اللاحق فانتظر !!
* وقال ابن كثير : « وقال أبو بكر ابن مردويه : حدّثنا سليمان بن أحمد ، حدّثنا أحمد بن داود المكي ، حدّثنا بشر بن مهران ، حدّثنا محمد بن دينار ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن جابر ، قال : ... فغدا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين... قال جابر : وفيهم نزلت...»

وهكذا رواه الحاكم في مستدركه ... ثم قال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه هكذا . قال : وقد رواه أبو داود الطيالسي ، عن شعبة ، عن المغيرة ، عن الشعبي ، مرسلًا . وهذا أصح . وقد روي عن ابن عباس والبراء نحو ذلك » (٦٠٨) .

ولكنّه في (التاريخ) - ذكر أوّل حديث البخاري المبتور ! ثم روى القصة عن البيهقي ، عن الحاكم بإسناده عن سلمة بن عبد يشوع ، عن أبيه ، عن جدّه ؛ وليس فيه ذكر لعلي عليه السلام ، كما سيأتي .
* وقال القاري بشرح الحديث : « عن سعد بن أبي وقاص ، قال : لما نزلت هذه الآية أي المسماة بآية المباهلة - (ندع أبناءنا وأبناءكم) أولها (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) دعا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم علياً ؛ فنزله منزلة نفسه لما بينهما من القرابة والأخوة ، وفاطمة ، أي لآنها أخص النساء من أقاربه ، وحسناً وحسيناً ؛ فنزلهما منزلة ابنه صلى

(٦٠٧) شواهد التنزيل ١ : ١٧٤/١٢٦ .

(٦٠٨) تفسير القرآن العظيم ٢ : ٥٤ - ٥٥ .

الله عليه [وآله] وسلّم ، فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي ، أي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . رواه مسلم « (٦٠٩) .

كلمات حول السند :

ولنورد نصوص عبارات لبعض أئمة القوم في قطعية هذا الخبر :

قال الحاكم : « وقد تواترت الأخبار في التفاسير ، عن عبد الله بن عباس وغيره ، أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم أخذ يوم المباهلة بيد عليّ وحسن وحسين ، وجعلوا فاطمة وراءهم ، ثم قال : هؤلاء أبناؤنا وأنفسنا ونساؤنا ، فهلموا أنفسكم وأبناءكم ونساءكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » (٦١٠) .

وقال الجصاص : « إن رواية السير ونقلة الأثر لم يختلفوا في أنّ النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم أخذ بيد الحسن والحسين وعليّ وفاطمة رضي الله عنهم ، وثم دعا النصارى الذين حاجوه إلى المباهلة... » (٦١١) .

وقال ابن العربي المالكي : « روى المفسرون أنّ النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم ناظر أهل نجران حتى ظهر عليهم بالدليل والحجة ، فأبوا الانقياد والإسلام ، فأنزل الله هذه الآية ، فدعا حينئذ عليّاً وفاطمة والحسن والحسين ، ثم دعا النصارى إلى المباهلة » (٦١٢) .

وقال ابن طلحة الشافعي : « أمّا آية المباهلة ، فقد نقل الرواة الثقات والنقلات الأثبات نزولها في حقّ عليّ وفاطمة والحسن والحسين » (٦١٣) .

واعترف القاضي الأيجي والشريف الجرجاني بدلالة الأخبار الصحيحة والروايات الثابتة عند أهل النقل على أنّه صلى الله عليه وآله وسلّم دعا عليّاً وفاطمة وابنيهما فقط ، وستأتي عبارتهما كاملةً في فصل الدلالة.

* * *

(٦٠٩) مرقاة المفاتيح ٥ : ٥٨٩ .

(٦١٠) معرفة علوم الحديث : ٥٠ .

(٦١١) أحكام القرآن ٢ : ٢٩٥ .

(٦١٢) أحكام القرآن ١ : ١١٥ . ط السعادة بمصر ، وفي الطبعة الموجودة عندي ١ : ٢٧٥ لا يوجد اسم عليّ ، فليتحقق .

(٦١٣) مطالب السؤول : ٤٨ .

الفصل الثاني

في قصة المباهلة

إنَّه لما كان الغرض الأهمَّ للعلماء ، من متكلِّمين ومفسِّرين ومحدِّثين ، هو بيان سبب نزول الآية المباركة وذكر الحديث الوارد فيها ، وما في ذلك من دلالات... فإنَّهم لم يتعرَّضوا لشرح الواقعة ورواية جزئياتها ، ومن تعرَّض منهم لها - كالزمخشري مثلاً - فقد اكتفى بنقل القدر المحتاج إليه في نظره !!
إلاً أنا رأينا من المناسب إيراد القصة بشي من التفصيل ، لما فيها من الفوائد المهمة ، ثمَّ نعقب ذلك بما وقع عليه الصلح ، وبعض المسنونات المروية عن أئمة أهل البيت عليهم أفضل الصلوات والتسليمات ، في يوم المباهلة.

ولعلَّ ما يرويه السيّد الجليل ، الجامع بين العلم والعمل ، العلامة السيّد ابن طاووس الحليّ هو أجمع الروايات لخبر القصة ، وهذا نصّه مع بعض التلخيص بلفظه ، قال رحمه الله :
« **الفصل السادس** : في ما يتعلّق بمباهلة سيّد أهل الوجود لذوي الجحود ، الذي لا يساوى ولا يجازى ، وظهور حجّته على النصارى والحبّارى ، وإنَّ في يوم مثله تصدّق أمير المؤمنين عليه السلام بالخاتم ، ونذكر ما نعمل من المراسم ، وفيه فصول :

فصل : في ما نذكره من إنفاذ النبيّ صلوات الله عليه وآله وسلّم لرسله إلى

نصارى نجران ومناظرتهم فيما بينهم وظهور تصديقه في ما دعاه ، رويانا ذلك بالأسانيد الصحيحة والروايات الصريحة إلى أبي المفضل محمّد بن عبد المطّلب الشيباني رحمه الله من كتاب (المباهلة) ، ومن أصل كتاب الحسن بن إسماعيل ابن أشناس من كتاب عمل ذي الحجة ، في ما رويناه بالطرق الواضحة ، عن ذوي الهمم الصالحة ، لا حاجة إلى ذكر أسمائهم ، لأنَّ المقصود ذكر كلامهم ، قالوا :

لما فتح النبيّ صلّى الله عليه وآله مكّة وانقادت له العرب ، وأرسل رسله ودعائه إلى الأمم ، وكاتب الملكين كسرى وقيصر يدعوهما إلى الإسلام وإلاً أقرّاً بالجزية والصغار ، وإلاً أذنا بالحرب العوان ، أكبر شأنه نصارى نجران وخطاؤهم ، من بني عبد المدان وجميع بني الحرث بن كعب ومن ضوى إليهم ونزل بهم من دهماء الناس - على اختلافهم هناك في دين النصرانية من الآوسية ، والسالوسية ، وأصحاب دين الملك ، والمارونية ، والعباد ، والنسطورية - وامتلت قلوبهم - على تفاوت منازلهم - رهبةً منه ورعباً.

فإنهم كذلك من شأنهم ، إذ وردت عليهم رسل رسول الله صلى الله عليه وآله بكتابه ، وهم : عتبة بن غزوان ، وعبدالله بن أبي أمية ، والهدير بن عبدالله أخو تيم بن مرة ، وصهيب بن سنان أخو النمر بن قاسط ، يدعوهم إلى الإسلام ، فإن أجابوا فأخوان ، وإن أبوا واستكبروا فألى الخطئة المخوفة إلى أداء الجزية عن يد ، فإن راغبوا عما دهاهم إليه من أحد المنزلتين وعندوا فقد آذنتهم على سواء ، وكان في كتابه صلى الله عليه وآله : (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)^(٦١٤) .

قالوا : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يقاتل قوماً حتى يدعوهم.

فازداد القوم لورود رسل نبي صلى الله عليه وآله وكتابه نفوراً واقتراحاً ، ففزعوا لذلك إلى بيعتهم العظمى ، وأمروا بفرش أرضها وألبس جدرها بالحرير والديباج ، ورفعوا الصليب العظيم ، وكان من ذهب مرصع أنفذه إليهم القيصر الأكبر ، وحضر ذلك بني الحرث بن الكعب ، وكانوا ليوث الحرب وفرسان الناس ، قد عرفت العرب ذلك لهم في قديم أيامهم وفي الجاهلية ، فاجتمع القوم جميعاً للمشورة والنظر في أمورهم ، وأسرعت إليهم القبائل من مذحج وعك وحمير وأهمار ، ومن دنا منهم نسباً وداراً من قبائل سبأ ، وكلهم قد ورم أنفه غضباً من قومهم ، ونكص من تكلم منهم بالإسلام ارتداداً ، فخاصوا وأفاضوا في ذكر المسير بنفسهم وجمعهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، والنزول به ييثرب لمناجزته.

فلما رأى أبو حامد حصين بن علقمة - أسقفهم الأوّل وصاحب مدارسهم وعلّامهم ، وكان رجلاً من بني بكر بن وائل - ما أزمع القوم عليه من إطلاق الحرب ، دعا بعصاة فرفع بها حاجبيه عن عينيه - وقد بلغ يومئذ عشرين ومائة سنة - ثم قام فيهم خطيباً معتمداً على عصا - وكانت فيه بقيّة ، وله رأي وروية ، وكان موحداً يؤمن بالمسيح عليه السلام وبالنبي صلى الله عليه وآله وسلّم ، ويكتم إيمانه ذلك من كفره قومه وأصحابه - فقال :

مهلاً بني عبد المدان مهلاً ، استديموا العافية والسعادة ، فإنهما مطويّان في الهوادة ، دبوا إلى قوم في هذا الأمر دبيب الذرّ ، وإياكم والسورة العجلى ، فإن البديهة بها لا ينجب ، إنكم - والله - على فعل ما لم تفعلوا أقدر منكم على ردّ ما فعلتم ، ألا إنّ النجاة مقرونة بالأناة ، ألا ربّ إحجام أفضل من إقدام ، وكائن من قول أبلغ من قول ، ثمّ أمسك.

فأقبل عليه كرز بن سبرة الحارثي - وكان يومئذ زعيم بني الحارث بن كعب وفي بيت شرفهم والمعصب فيهم ، وأمير حروبهم - فقال : لقد انتفخ سحرك واستطير قلبك أبا حارثة ، فظلت كالمسبوع

(٦١٤) سورة آل عمران ٣ : ٦٤ .

النزاعة المهلوع ، تضرب لنا الأمثال ، وتخوفنا النزال ، لقد علمت حوق المئان - بفضيلة الحفظ بالنوء بالعب وهو عظيم ، وتلقح الحرب وهو عقيم ، تثقف إود الملك الجبار ، ولنحن أركان الرائش وذوي المنار ، الذين شددنا ملكهما ، وأمنا مليكهما ، فأى أيامنا ينكر؟! أم لأيتها - ويك - تلمز؟! فما أتى على آخر كلامه حتى انتظم نصل نبلة كانت في يده بكفه غيظاً وهو لا يشعر.

فلما أمسك كرز بن سبرة ، أقبل عليه العاقب - واسمه عبد المسيح بن شرحبيل ، وهو يومئذ عميد القوم ، وأمير رأيهم ، وصاحب مشورتهم ، الذي لا يصدرون جميعاً إلا عن قوله - فقال له :
أفح وجهك ، وأنس ربعك ، وعز جارك ، وامتنع ذمارك ، ذكرت - وحق مغبرة الجباه - حسباً صميماً ، وعيصاً كريماً ، وعزاً قديماً ، ولكن - أبا سبرة - لكل مقام مقال ، ولكل عصر رجال ، والمرء بيومه أشبه منه بأسمه ، وهي الأيام تهلك جيلاً وتديل قبيلاً ، والعافية أفضل جلباب ، وللآفات أسباب ، فمن أوكد أسبابه التعرض لأبوابها. ثم صمت العاقب مطرفاً.

فأقبل عليه السيد - واسمه أهتم بن النعمان ، وهو يومئذ أسقف نجران ، وكان نظيرالعاقب في علو المنزلة ، وهو رجل من عاملة ، وعداده في لخم - فقال له : سعد جدك ، وسما جدك أبا وائلة ، إن لكل لا معة ضياء ، وعلى كل صواب نوراً ، ولكن لا يدركه - وحق واهب العقل - إلا من كان بصيراً ، إنك أفضيت وهذان فيما تصرف بكما الكلم إلى سبيل حزن وسهل ، ولكل على تفاوتكم حظ من الرأي الربيق والأمر الوثيق إذا أصيب به مواضعه.

ثم إن أخا قريش قد نجدكم لخطب عظيم وأمر جسيم ، فما عندكم فيه قولوا وانجزوا، أبخوع وإقرار؟ أم نزوع؟!

قال عتبة والهدير والنفر من أهل نجران : فعاد كرز بن سبرة لكلامه - وكان كميأً أبيعاً - فقال :
أنحن نفارق ديناً رسخت عليه عروقنا ، ومضى عليه أبأونا ، وعرف ملوك الناس ثم العرب ذلك منأ؟! أنتهالك إلى ذلك أم نقر بالجزية وهي الخزية حقاً؟! لا والله حتى نجرد البواتر من أغمادها ، وتذهل الحلائل عن أولادها ، أو نشرق نحن ومحمد بدمائنا ، ثم يدل الله عز وجل بنصره من يشاء.

قال له السيد : أربع على نفسك وعلينا أبا سبرة ، فإن سل سيف يسل السيوف ، وإن محمدأ قد بخعت له العرب وأعطته طاعتها ، وملك رجالها وأعتتها ، وجرت أحكامه في أهل الوبر منهم والمدر ، ورمقه الملكان العظيمان كسرى وقيصر فلا أراكم - والروح - لو نهد لكم إلا وقد تصدع عنكم من خف معكم من هذه القبائل ، فصرتم جفاءً كأس الذاهب ، أو كلحم على وضم.

وكان فيهم رجل يقال له : جهير بن سراقه البارقي - من زنادقة نصارى العرب ، وكان له منزلة من ملوك النصرانية ، وكان مثواه بنجران - فقال له : أبا سعد قل في أمرنا وأنجدنا برأيك ، فهذا مجلس له ما بعده.

فقال : فأني أرى لكم أن تقاربوا محمداً وتطيعوه في بعض ملتسمه عندكم ، ولينطلق وفودكم إلى ملوك أهل ملتكم ، إلى الملك الأكبر بالروم قيصر ، وإلى ملوك هذه الجلدة السوداء الخمسة - يعني ملوك السودان : ملك النوبة ، وملك الحبشة ، وملك علوه ، وملك الرعا ، وملك الراحات ، ومريس ، والقبط ، وكل هؤلاء كانوا نصارى -

قال : وكذلك من ضوى إلى الشام وحل بها من ملوك غسان ، ولخم ، وجذام ، وقضاة ، وغيرهم من ذوي يمنكم ، فهم لكم عشيرة وموالي ومآل ، وفي الدين إخوان - يعني أنهم نصارى - وكذلك نصارى الحيرة من العبّاد وغيرهم ، فقد صبت إلى دينهم قبائل تغلب بنت وائل وغيرهم من ربيعة بن نزار. لتسير وفودكم ، ثم لتخرق إليهم البلاد أغذاذاً فيستصرخونهم لدينكم ، فيستجدكم الروم ، وتسير إليكم الاسودة مسير أصحاب الفيل ، وتقبل إليكم نصارى العرب من ربيعة اليمن.

فإذا وصلت الأمداد واردة سرتم أنتم في قبائلكم وسائر من ظافركم وبذل نصره ومؤازرته لكم ، حتى تضاهئون من أنجدكم وأصرحكم من الأجناس والقبائل الواردة عليكم ، فأموأ محمداً حتى سنحوا به جميعاً ، فسيعتق إليكم وافداً لكم من صبا إليه مغلوباً مقهوراً ، وينعتق به من كان منهم في مدرته مكثوراً ، فيوشك أن تصطلموا حوزته ، وتطفئوا جمرته ، ويكون لكم بذلك الوجه والمكان في الناس ، فلا تتمالك العرب حينئذ حتى تتهافت دخولاً في دينكم ، ثم لتعظمن بيعتكم هذه ، ولتشرفن حتى تصير كالكعبة المحجوجة بتهامة.

هذا الرأي فانتهزوه ، فلا رأي لكم بعده.

فأعجب القوم كلام جهير بن سراقه ، ووقع منهم كل موقع ، فكاد أن يتفرقوا على العمل به ، وكان فيهم رجل من ربيعة بن نزار من بني قيس بن ثعلبة ، يدعى حارثة بن أذاك ، على دين المسيح عليه السلام ، فقام حارثة على قدميه وأقبل على جهير ، وقال متمثلاً :

متى ما تقد بالباطل الحقّ بابه *** وإن قدرت بالحقّ الرواسي ينقد إذا ما أتيت الأمر من غير بابه *** ضلت وإن تقصد إلى الباب تهتد

ثم استقبل السيّد والعاقب والقسييسين والرهبان وكافة نصارى نجران بوجهه ، لم تخلط معهم غيرهم ، فقال : سمعاً سمعاً يا أبناء الحكمة ، وبقايا حملة الحجّة ، إنّ السعيد والله من نفعته الموعظة ، ولم يعيش عن التذكرة ، ألا وإني أنذركم وأذركم قول مسيح الله عزّ وجلّ.

ثم شرح وصيته ونصه على وصيه شمعون بن يوحنا ، وما يحدث على أمته من الإفتراق ، ثم ذكر عيسى عليه السلام ، وقال : إن الله جل جلاله أوحى إليه :

فخذ يا بن أمتي كتابي بقوة ، ثم فسر له لأهل سوريا بلسانهم ، وأخبرهم إنني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم ، البديع الدائم ، الذي لا حول ولا أزل ، وإنني بعثت رسلي وأنزلت كتبي رحمةً ونوراً وعصمةً لخليقي ، ثم إنني باعث بذلك نجيب رسالتي ، أحمد ، صفوتي من برّيتي ، البارقليطا عبدي ، أرسله في خلق من الزمان ، أبتعثه بمولده فاران ، من مقام أبيه إبراهيم عليه السلام ، أنزل عليه توراةً حديثةً ، أفتح بها أعيناً عمياً ، وأذاناً صمّاً ، وقلوباً غلفاً ، طوبى لمن شهد أيامه ، وسمع كلامه ، فأمن به واتبع النور الذي جاء به.

فإذا ذكرت يا عيسى ذلك النبي فصل عليه فإني وملائكتي نصلي عليه.

قال : فما أتى حارثة بن أذاك على قوله هذا حتى أظلم بالسيّد والعاقب مكانهما ، وكرها ما قام به في الناس معرباً ومخبراً عن المسيح عليه السلام بما أخبر وأقدم من ذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنهما كانا قد أصابا بموضعهما من دينهما شرفاً بنجران ، ووجهاً عند ملوك النصرانية جميعاً ، وكذا عند سوقتهم ، وعربهم في البلاد ، فأشفقوا أن يكون ذلك سبباً لانصراف قومهما عن طاعتها لدينهما ، وفسخاً لمنزلتهما في الناس.

فأقبل العاقب على حارثة فقال : أمسك عليك يا حار ، فإن رادّ هذا الكلام عليك أكثر من قابله ، وربّ قول يكون بليّةً على قائله ، وللقلوب نفرات عند الإصداع بمظنون الحكمة ، فاتق نفورها ، فلكلّ نبأ أهل ؛ ولكلّ خطب محلّ ، وإمّا الدرك ما أخذ لك بمواضي النجاة وألبسك جنّة السلامة ، فلا تعدلنّ بهما حظاً ، فإني لم ألك - لا أباً لك - نصحاً. ثم أزم يعني أمسك.

فأوجب السيّد أن يشرك العاقب في كلامه ، فأقبل على حارثة ، فقال :

إنني لم أزل أتعرف لك فضلا تميل إليه الألباب ، فإياك أن تقتعد مطيّة اللجاج ، وأن توجف إلى السراب ، فمن عذر بذلك فلست فيه أيها المرء بمعدور ، وقد أغفلك أبو واثلة وهو ولي أمرنا وسيّد حضرنّا عتاباً ، فأوله اعتباراً. ثم تعلم أنّ ناجم قريش - يعني رسول الله صلى الله عليه وآله - يكون رزوه قليلاً ثم ينقطع ويخلو.

أنّ بعد ذلك قرن يبعث في آخره النبي المبعوث بالحكمة والبيان ، والسيف والسلطان ، يملك ملكاً مؤجلاً تطبق فيه أمته المشارق والمغرب ، ومن ذريّته الأمير الظاهر ، يظهر على جميع الملكات والأديان ، ويبلغ ملكه ما طلع عليه الليل والنهار ، وذلك - يا حار - أمل من ورائه أمد ومن دونه أجلّ ، فتمسك من

دينك بما تعلم وتمنع - لله أبوك - من أنس متصرم بالزمان أو لعارض من الحدثان ، فإنما نحن ليومنا ولغد أهله.

فأجابه حارثة بن أثال ، فقال : إياها عليك أبا قرّة ! فإنه لا حظّ في يومه لمن لا درك له في غدوه ، اتق الله تجد الله جلّ وتعالى بحيث لا مفزع إلاّ إليه ، وعرضت مشيداً بذكر أبي واثلة ، فهو العزيز المطاع ، الرحب الباع وإليكما معاً يلقي الرحل ، فلو أضربت التذكرة عن أحد لتبزيز فضل لكنتماه ، لكنّها أبكار الكلام تهدي لأربابها ، ونصيحة كنتما أحقّ من أصغى لها ، إنكما مليكا ثمرات قلوبنا ، ووليا طاعتنا في ديننا فالكيّس الكيّس - يا أيّها المعظمان - عليكما به ، أريا مقاماً يدهكما نواحيه وأهجرا سنّة التسويّف في ما أنتما بعرضه ، أثرا الله في ما كان يؤثركما بالمزيد من فضله ، ولاتخلدا في ما أظلكما إلى الونية ، فإنه من أطال عنان الأمر أهلكته العزّة ، ومن اقتعد مطيّة الحذر كان بسبيل آمن من المتالف ، ومن استنصح عقله كانت العبرة له لا به ، ومن نصح لله عزّ وجلّ آنسّه الله جلّ وتعالى بعزّ الحياة وسعادة المنقلب.

ثمّ أقبل على العاقب معاتباً فقال :

وزعمت - أبا واثلة - أنّ راد ما قلت أكثر من قابله ، وأنت لعمر الله حريّ ألاّ يؤثّر هذا عنك ، فقد علمت وعلمنا أمة الإنجيل معاً بسيرة ما قام به المسيح عليه السلام في حواريه ومن آمن له من قومه ، وهذه منك فهّة لا يرحضها إلاّ التوبة والإقرار بما سبق به الإنكار.

فلما أتى على هذا الكلام صرف إلى السيّد وجهه ، فقال : لا سيف إلاّ ذو نبوة ولا عليم إلاّ ذو هفوة ، فمن نزع عن وهلة وأقلع فهو السعيد الرشيد ، وإنّما الآفة في الإصرار ، وعرضت بذكر نبيّين يخلقان بعد ابن البتول ، فأين يذهب بك عمّا خلّد في الصحف من ذكرى ذلك؟! ألم تعلم ما أنبأ به المسيح عليه السلام في بني إسرائيل؟! وقوله لهم : كيف بكم إذا ذهب بي إلى أبي وأبيكم وخلف بعد أعصار يخلو من بعدي وبعدكم صادق وكاذب!؟

قالوا : ومن هما يا مسيح الله؟

قال : نبيّ من ذرّيّة إسماعيل عليهما السلام صادق ، ومتنبّئ من بني إسرائيل كاذب ، فالصادق منبعث منهما برحمة وملحمة، يكون له الملك والسلطان ما دامت الدنيا ، وأمّا الكاذب فله نبزٌ يذكر به المسيح الدجال يملك فواقاً ثمّ يقتله الله بيدي إذا رجع بي.

قال حارثة : وأحذركم يا قوم أن يكون من قبلكم من اليهود أسوة لكم ، إنهم أنذروا بمسيحين ، مسيح رحمة وهدى ، ومسيح ضلالة ، وجعل لهم على كلّ واحد منهما آية وأمارة ، فجحدا مسيح الهدى وكذبوا به ، وآمنوا بمسيح الضلالة الدجال ، وأقبلوا على انتظاره وأضربوا في الفتنة وركبوا نضحها ، ومن قبل ما نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وقتلوا أنبياءه والقوامين بالقسط من عباده ، فحجب الله عزّ

وجلّ عنهم البصيرة بعد التبصرة بما كسبت أيديهم ، ونزع ملكتهم منهم ببغيهم وألزمهم الذلة والصغار ، وجعل منقلبهم إلى النار.

قال العاقب : فما أشعرك - يا حار - أن يكون هذا النبيّ المذكور في الكتب هو قاطن يثرب ، ولعلّه ابن عمّك صاحب اليمامة ، فإنّه يذكر من النبوة ما يذكر منها أخو قريش ، وكلاهما من ذريّة إسماعيل ، ولجميعهما أتباع وأصحاب يشهدون بنبوّته ، ويقرون له برسالته ، فهل تجد بينهما في ذلك من فاصلة فتذكرها ؟

قال حارثة : أجل والله أجدها والله أكبر ، وأبعد ممّا بين السحاب والتراب ، وهي الأسباب التي بها ومثلها تثبت حجة الله في قلوب المعتبرين من عباده لرسله وأنبياؤه.

وأما صاحب اليمامة فيكفيك فيه ما أخبركم به سفهاؤكم وغيركم ، والمنتجعة منكم أرضه، ومن قدم من أهل اليمامة عليكم ، ألم يخبركم جميعاً عن رواد مسيلمة وسماعيه ، ومن أوفده صاحبهم إلى أحمد بيثرب فعادوا إليه جميعاً بما تعرّفوا هناك في بني قيلة وتبينوا به !؟

قالوا : قدم علينا أحمد يثرب وبيارنا ثماد ، ومياها ملحة ، وكنا من قبله لانستطيب ولا نستعذب ، فبصق في بعضها ومجّ في بعض ، فعادت عذاباً محلوليّة ، وجاش منها ما كان ماؤها ثماداً فحار بحرّاً . قالوا : وتفل محمّد في عيون رجال ذوي رمد ، وعلى كلوم رجال ذوي جراح ، فبرئت لوقته عيونهم فما اشتكوها واندملت جراحاتهم فما ألموها ، في كثير ممّا أدوا ونبوّوا عن محمّد صلى الله عليه وآله من دلالة وآية.

وأرادوا صاحبهم مسيلمة على بعض ذلك ، فأنعم لهم كارهاً ، وأقبل بهم إلى بعض بيارهم فمجّ فيها وكانت الركي معذوبة فحارت ملحاً لا يستطاع شرا به ، وبصق في بئر كان ماؤها وشلاً فعادت فلم تبض بقطرة من ماء ، وتفل في عين رجل كان بها رمد فعميت ، وعلى جراح - أو قالوا جراح آخر - فاكتسى جلده برصاً -

فقالوا لمسيلمة فيما ابصروا في ذلك منه ، واستبرؤوه.

فقال : ويحكم بئس الأمة أنتم لنبيكم والعشيرة لابن عمّكم أن كنتم تحيفتموني يا هؤلاء من قبل أن يوحى إليّ في شيء ممّا سألتكم ، والآن فقد أذن لي في أجسادكم وأشعاركم دون بياركم ومياهمكم ، هذا لمن كان منكم بي مؤمناً ، وأما من كان مرتاباً فإنّه لا يزيده تفلتي عليه إلاّ بلاءً ، فمن شاء الآن منكم فليأت لأتفل في عينه وعلى جلده.

قالوا : ما فينا - وأبيك - أحد يشاء ذلك ، إنّنا نخاف أن يشمت بك أهل يثرب ؛ وأضربوا عنه حمية لنسبه فيهم وتذمّموا مكانه منهم.

فضحك السيّد والعاقب حتّى فحسا الأرض بأرجلها ، وقالوا : ما النور والظلام والحقّ والباطل بأشدّ بياناً وتفاوتاً ممّا بين هذين الرجلين صدقاً وكذباً.

قالوا : وكان العاقب أحبّ - مع ما تبين من ذلك - أن يشيّد ما فرط من تفريطه مسيلمة ويوثل منزلته ليجعل لرسول الله صلى الله عليه وآله كفوّاً ، استظهاراً بذلك في بقاء عزّه وما طار له من السمو في أهل ملّته ، فقال : ولئن فخر أخو بني حنيفة في زعمه أنّ الله عزّ وجلّ أرسله ، وقال من ذلك ما ليس له بحقّ ، فلقد برّ في أن نقل قومه من عبادة الاوثان إلى الإيمان بالرحمن.

قال حارثة أنشدك بالله الذي دحاها ، وأشرق باسمه قمرها ، هل تجد في ما أنزل الله عزّ وجلّ في الكتب السابقة : يقول الله عزّ وجلّ : أنا الله لا إله إلاّ أنا ديّان يوم الدين ، أنزلت كتبي وأرسلت رسلي لأنستنقذ بهم عبادي من حبائل الشيطان ، وجعلتهم في بريّتي وأرضي كالنجوم الدراري في سمائي ، يهدون بوحيي وأمري ، من أطاعهم أطاعني ، ومن عصاهم فقد عصاني ، وإني لعنت وملائكتي في سمائي وأرضي واللاعنون من خلقي من جحد ربوبيّتي ، أو عدل بي شيئاً من بريّتي ، أو كذب بأحد من أنبيائي ورسلي ، أو قال أوحى إليّ ولم يوح إليه شيء ، أو غمص سلطاني ، أو تقمّمه متبرياً ، وأكمه عبادي وأضلّهم عني ، ألا وإمّا يعبدني من عرف ما أريد في عبادتي وطاعتي من خلقي ، فمن لم يقصد إليّ من السبيل التي نهجتها برسلي لم يزد في عبادته مني إلاّ بعداً.

قال العاقب : رويدك ، فأشهد لقد نبات حقّاً.

قال حارثة : فما دون الحقّ من مقنع ، وما بعده لامرئ مفزع ، ولذلك قلت الذي قلت.

فاعترضه السيّد - وكان ذا محال وجدال شديد - فقال : ما أحرى وما أرى أخا قريش مرسلّاً إلاّ إلى قومه بني إسماعيل دينه ، وهو مع ذلك يزعم أنّ الله عزّ وجلّ أرسله إلى الناس جميعاً. قال حارثة : أفتعلم أنت يا أبا قرّة أن محمّداً مرسل من ربّه إلى قومه خاصّة؟! قال : أجل.

قال : أتشهد له بذلك؟!!

قال : ويحك ، وهل استطاع دفع الشواهد؟! نعم ، أشهد غير مراتب بذلك ، وبذلك شهدت له الصحف الدارسة والأنباء الخالية.

فأطرق حارثة ضاحكاً ينكت الأرض بسبّابته.

قال السيّد : ما يضحكك يا ابن أذاك.

قال : عجبت فضحكك.

قال : أو عجب ما تسمع؟!!

قال : نعم ، العجب أجمع ، أليس - بالإله - بعجيب من رجل أوتي أثره من علم وحكمة يزعم أن الله عز وجل اصطفى لنبوته ، واختص برسالته ، وأيد بروحه وحكمته ، رجلاً خِزاً يكذب عليه ويقول : أوحى إليّ ولم يوح إليه ، فيخلط كالكاهن كذباً بصدق ، وباطلاً بحق !

فارتدع السيّد وعلم أنه قد وهل فأمسك محجوجاً.

قالوا : وكان حارثة بنجران حثيثاً - يعني غريباً - فأقبل عليه العاقب وقد قطعه ما فرط إلى السيّد من قوله ، فقال له : عليك أخا بني قيس من ثعلبة ، واحبس عليك ذلق لسانك وما لم تزل تسحّم لنا من مثابة سفهك ، فربّ كلمة ترفع صاحبها رأساً قد ألقته في قعر مظلمة ، وربّ كلمة لامت وربّت قلوباً نغلةً ، فدع عنك ما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك ما يتسان اعتذاره.

ثم قال : وذكرت أخا قريش وما جاء به من الآيات والنذر ، فأطلت وأعرضت ، ولقد بررت ، فنحن بمحمّد عالمون ، وبه جدّاً موقنون ، شهدت لقد انتظمت له الآيات والبيّنات ، سالفها وآنفها إلا آية هي أسعاه وأشرفها ، وإمّا مثلها في ما جاء به كمثل الرأس للجسد ، فما حال جسد لا رأس له؟! فامهل رويداً نتجسس الأخبار ونعتبر الآثار ، ولنستشف ما ألقىنا ممّا ألقى إلينا ، فإن آسنّا الآية الجامعة الخاتمة لديه فنحن إليه أسرع وله أطوع ، وإلا فأعلم ما نذكر به النبوة والسفارة عن الربّ الذي لا تفاوت في أمره ، ولا تغاير في حكمه.

قال له حارثة : قد ناديت فأسمعت ، وفزعت فصدعت ، وسمعت وأطعت ، فما هذه الآية التي أوحش بعد الأنسة فقدها ، وأعقب الشكّ بعد البينة عدمها ؟

وقال له العاقب : قد أثلجك أبو قرّة بها فذهبت عنها في غير مذهب ، وحاورتنا فأطلت في غير ما طائل حوارنا.

قال حارثة : وإلى ذلك فحلّها الآن لي فداك أبي وأمي.

قال العاقب : أفلح من سلم للحقّ وصدع به ، ولم يرغب عنه وقد أحاط به علماً ، فقد علمنا وعلمت من أنباء الكتب المستودعة علم القرون ، وما كان وما يكون ، فإنّها استهلّت بلسان كلّ أمة منهم معربةً مبشرةً ومنذرةً بأحمد النبيّ العاقب ، الذي تطبق أمّته المشارق والمغرب.

قالوا : وكان هذا مجلساً ثالثاً في يوم ثالث من اجتماعهم للنظر في أمرهم ، فقال السيّد : يا حارثة ! ألم ينبئك أبو وائلة بأفصح لفظ اخترق أذنّاً ، ودعا ذلك بمثله مخبراً ؛ فألقاك مع غرمائك بموارده حجراً ، وها أنا ذا أكد عليك التذكرة بذلك من معدن ثالث.

فأنشدك الله وما أنزل إلى كلمته من كلماته ، هل تجد في الزاجرة المنقولة من لسان أهل سوريا إلى

لسان العرب - يعني صحيفة شمعون بن حمون الصفا التي توارثها عنه أهل النجران - ؟

قال السيّد : ألم يقل بعد بند طويل من كلام : فإذا طبقت وقطعت الأرحام ، وعفت الأعلام ، بعث الله عبده الفارقليطا بالرحمة والمعدلة.

قالوا : وما الفارقليطا يا روح الله ؟

قال : أحمد النبي الخاتم الوارث ذلك الذي يصلى عليه حيناً ويصلى عليه بعدما يقبضه إليه ، بابنه الطاهر الخاير ، ينشره الله في آخر الزمان بعدما انقصمت عرى الدين ، وخبث مصابيح الناموس ، فأفلت نجومه ، فلا يلبث ذلك العبد الصالح إلا أمماً حتى يعود الدين به كما بدأ ، ويقرّ الله عزّ وجلّ سلطانه في عبده ثمّ في الصالحين من عقبه ، وينشر منه حتى يبلغ ملكه منقطع التراب.

قال حارثة : كلّ ما قد أنشدتما حقّ ، لا وحشة مع الحقّ ، ولا أنس في غيره ، فمه ؟

قال السيّد : فإنّ من الحقّ أن لا حظّ في هذه الأكرومة للأبتر.

قال حارثة : إنّه لكذلك ، أليس بمحمّد !؟

قال السيّد : إنك ما عملت إلاّ لداً ، ألم يخبرنا سفرنا وأصحابنا في ما تجسّسنا من خبره أن ولديه الذكرين القرشيّة والقبطيّة بادا - يعني هلكا - وغودر محمّد كقرن الأعضب موف على ضريحه ، فلو كان له بقيّة لكان لك بذلك مقالاً إذا ولّت أبنائوه الذي يذكر.

قال حارثة : العبر - لعمرؤ الله - كثيرة والاعتبار بها قليل ، والدليل موف على سنن السبيل إن لم يعيش عنه ناظر ، وكما أنّ أبصار الرمدة لا تستطيع النظر في قرص الشمس لسقمها ؛ فكذلك البصائر القصيرة لا تتعلّق بنور الحكمة لعجزها ، الا ومن كان كذلك فلستماه - وأشار إلى السيّد والعاقب -

إنكما - ويمين الله - لمحجوجين بما آتاكم الله عزّ وجلّ من ميراث الحكمة واستودعكما من بقايا الحجّة ، ثمّ بما أوجب لكما من الشرف والمنزلة في الناس ، فقد جعل الله عزّ وجلّ من آتاه سلطاناً ملوكاً للناس وأرباباً ، وجعلكما حكماً وقوّاماً على ملوك ملّتنا وذادة لهم ، يفرعون إليكما في دينهم ولا تفرعان إليهم ، وتأمرانهم فيأتمرون لكما وحقّ لكلّ ملك أو موطاً الأكناف أن يتواضع لله عزّ وجلّ إذ رفعه ، وأن ينصح لله عزّ وجلّ في عبادته ولا يدهن في أمره ، وذكرتما محمّداً بما حكمت له الشهادات الصادقة ، وبينتته فيه الأسفار المستحفظة ، ورأيتماه مع ذلك مرسلأ إلى قومه لا إلى الناس جميعاً وأنّه ليس بالخاتم الحاشر ، ولا الوارث العاقب ، لأنكما زعمتماه أبتر ، أليس كذلك ؟

قالا : نعم.

قال : رأيتمكما لو كان له بقيّة وعقب ، هل كنتما تمتريان لما تجدان وبما تكذبان من الوراثه

والظهور على النواميس أنّه النبي الخاتم والمرسل إلى كافّة البشر ؟

قالا : لا.

قال : أفليس هذا القيل - هذه الحال مع طول اللوائم والخصائم - عندكما مستقرًا.

قالا : أجل.

قال : الله أكبر.

قالا : كبرت كبيراً ، فما دعاك إلى ذلك.

قال حارثة : الحقُّ أبلج ، والباطل لجلج ، ولنقل ماء البحر ولشقِّ الصخر أهون من إماتة ما أحياه الله عزَّ وجلَّ وإحياء ما أماته ، الآن فاعلما أنَّ محمّداً غير أبتر ، وأنَّه الخاتم الوارث والعاقب الحاشر حقّاً فلا نبيَّ بعده وعلى أمته تقوم الساعة ويرث الله الأرض ومن عليها وأنَّ من ذرّيته الأمير الصالح الذي بينتما ونبأتما أنه يملك مشارق الأرض ومغاربها ويظهره الله عزَّ وجلَّ بالحنفية الإبراهيمية على النواميس كلها.

قالا : أولى لك يا حارثة ، لقد أغفلناك وتأبى إلّا مراوغه كالثعالبه ، فما تسأم المنازعة ولا تمّل من

المراجعة ، ولقد زعمت مع ذلك عظيماً ، فما برهانك به ؟

قال : أمّا وجدكما - لأنبئكما ببرهان يجير من الشبهة ويشفي به جوى الصدور.

ثمّ أقبل على أبي حارثة حصين بن علقمة ، شيخهم وأسقهم الأوّل فقال : إن رأيت أيّها الأب الأثير

أن تؤنس قلوبنا وتثلج صدورنا بإحضار الجامعة والزاجرة.

قالوا : وكان هذا المجلس الرابع من اليوم الرابع ، وذلك لما خلقت الأرض وركدت ، وفي زمن قيظ

شديد ، فأقبلا على حارثة فقالا : أرج هذا إلى غد فقد بلغت القلوب منّا الصدور. فتفرّقوا على إحضار

الزاجرة والجامعة من غد للنظر فيهما والعمل بما يقرءان منهما.

فلما كان من الغد صار أهل نجران إلى بيعتهم لاعتبار ما أجمع صاحباهم مع حارثة على اقتباسه

وتبيّنه من الجامعة ، ولما رأى السيّد والعاقب اجتماع الناس لذلك قطع بهما لعلمهما بصواب قول حارثة

، واعتراضه ليصدّانه عن تصفّح الصحف على أعين الناس ، وكانا من شياطين الإنس ، فقال السيّد : إنك قد

أكثرت وأملتت قضّ الحديث لنا مع قضّه ودعنا من تبيانه.

فقال حارثة : وهل هذا إلّا منك وصاحبك ! فمن الآن فقولوا ما شئتما ، فقال العاقب : ما من مقال

إلّا قلناه ، وسنعود فنخبّر بعض ذلك لك تخبيراً غير كاتمين لله عزَّ وجلَّ من حجّة ، ولا جاحدين له آية ،

ولا مفترين مع ذلك على الله عزَّ وجلَّ لعبد أنّه مرسل منه وليس برسوله ، فنحن نعترف - يا هذا - بمحمّد

صلّى الله عليه وآله أنّه رسول من الله عزَّ وجلَّ إلى قومه من بني إسماعيل عليه السلام في غير أن يجب له

بذلك على غيرهم من عرب الناس ولأعاجمهم ، تباعةً ولا طاعةً ، بخروج له عن ملّة ، ولا دخول معه في

ملّة ، إلّا الإقرار له بالنبوّة والرسالة إلى أعيان قومه ودينه.

قال حارثة : وبم شهدتما بما شهدتما له بالنبوة والأمر ؟

قالا : حيث جاءتنا فيه البينة من تباشير الأنجيل والكتب الخالية.

فقال : منذ وجب هذا لمحمد - صلى الله عليه وآله - عليكما في طويل الكلام وقصيره ، وبدوته وعوده ، فمن أين زعمتما أنه ليس بالوارث الحاشر ، ولا المرسل إلى كافة البشر ؟

قالا : لقد علمت وعلمنا ، فما نمتري بأن حجة الله عز وجل لم ينته أمرها ، وأنها كلمة الله جارية في الأعقاب ما اعتقب الليل والنهار ، وما بقي من الناس شخصان ، وقد ظننا من قبل أن محمداً ربها ، وأنه القائد بزمامها ، فلما أعقمه الله عز وجل بمهلك الذكورة من ولده علمنا أنه ليس به ، لأن محمداً أبتر ، وحجة الله عز وجل الباقية ، ونيبه الخاتم بشهادة كتب الله عز وجل المنزلة ليس بأبتر ، فإذن هو نبي يأتي ويخلد بعد محمد ، اشتق اسمه من اسم محمد وهو أحمد الذي نبأ المسيح باسمه وبنبوته ورسالته الخاتمة ، ويملك ابنه القاهر الجامعة للناس جميعاً على ناموس الله عز وجل الأعظم ، ليس بمظهرة دينه ، ولكنه من ذريته وعقبه ، يملك قرى الأرض وما بينهما ، من لوب وسهل وصخر وبحر ، ملكاً مورثاً موطاً ، وهذا نبأ أحاطت سفرة الأنجيل به علماً ، وقد أوسعناك بهذا القيل سمعاً وعدنا لك به آنفة بعد سالفه ، فما أربك إلى تكراره !؟

قال حارثة : قد أعلم أنا وإياكما في رجوع من القول منذ ثلاث وما ذاك إلا ليذكر ناس ، ويرجع فارط ، وتظهر لنا الكلم ، وذكرتما نبيين يعثنان يعتقبان بين مسيح الله عز وجل والساعة ، قلتما وكلاهما من بني إسماعيل ، أولهم : محمد بيثرب ، وثانيهما : أحمد العاقب .

فتنادى الناس في كل ناحية وقالوا : الجامعة يا أبا حارثة الجامعة !

وذلك لما مسهم في طول تحاور الثلاثة من السامة والملل ، وظن القوم مع ذلك أن الفلج لصاحبهما بما كانا يدعيان في تلك المجالس من ذلك .

فأقبل أبو حارثة إلى علج واقف منه فقال : امض يا غلام فأت بها .

فجاء بالجامعة يحملها على رأسه وهو لا يكاد يتماسك بها لثقلها ، قال : فحدثني رجل صدق من النجرائية ممن كان يلزم السيد والعاقب ويخف لهما في بعض أمورهما ويطلع على كثير من شأنهما ، قال : لما حضرت الجامعة بلغ ذلك من السيد والعاقب كل مبلغ ، لعلمهما بما يهجمان عليه في تصفحهما من دلائل رسول الله صلى الله عليه وآله وصفته ، وذكر أهل بيته وأزواجه وذريته ، وما يحدث في أمته وأصحابه من بوائق الأمور من بعده إلى فناء الدنيا وانقطاعها .

فأقبل أحدهما على صاحبه ، فقال : هذا يوم ما بورك لنا في طلوع شمس ، لقد شهدته أجسامنا وغابت عنه آراؤنا بحضور طغياتنا وسفلتنا ولقل ما شهد سفهاء قوم مجمعة إلا كانت لهم الغلبة .

قال الآخر : فهم شرّ غالب لمن غلب ، إنّ أحدهم ليفيق بأدنى كلمة ويفسد في بعض ساعة ما لا يستطيع الآسي الحليم له رتقاً ، ولا الخويّ النفيس إصلاحاً له في حول محرم ، ذلك لأنّ السفيه هادم والحليم بان ، وشتان البناء والهدم.

قال : فانتهاز حارثة الفرصة فأرسل في خفية وسرّاً إلى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فاستحضرهم استظهاراً بمشهدهم ، فحضروا ، فلم يستطع الرجلان فضّ ذلك المجلس ولا إرجاؤه ، وذلك لما بينا من تطّلع عامّتهما من نصارى نجران إلى معرفة ما تضمّنت الجامعة من صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وانبعاثهم له مع حضور رسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لذلك وتأليب حارثة عليهما فيه وصفو أبي حارثة شيخهم إليه.

قال : قال لي ذلك الرجل النجرائي : فكان الرأي عندهما أن ينقادا لما يدهمهما من هذا الخطب ، ولا يظهران شماساً منه ولا نفوراً ، حذار أن يطرقا الظنّة فيه إليهما ، وأن يكونا أيضاً أوّل معتبر للجامعة ومستحثّ لها ، لئلا يفتات في شيء من ذلك والمقام والمنزلة عليهما ، ثمّ يستبين أن الصواب في الحال ويستنجدانه لياخذان بموجبه ، فتقدّما لما تقدّم في أنفسهما من ذلك إلى الجامعة وهي بين يدي أبي حارثة ، وحاذاهما حارثة بن أذاك وتناولت إليهما فيه الأعناق وحقّت رسل رسول الله صلى الله عليه وآله بهم. فأمر أبو حارثة بالجامعة ، ففتح طرفها واستخرج منها صحيفة آدم الكبرى ، المستودعة علم ملكوت الله عزّ وجلّ جلاله وما ذراً وما برأ في أرضه وسمائه وما وصلهما جلّ جلاله من ذكر عالميه ، وهي الصحيفة التي ورثها شيث من أبيه آدم عليه السلام وما وعاه من الذكر المحفوظ ، فقرأ القوم السيّد والعاقب وحارثة في الصحيفة تطلباً لما تنازعوا فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وصفته ، ومن حضرهم يومئذ من الناس إليهم مصبحون مرتقبون لما يستدرك من ذكرى ذلك ، فألفوا في المسباح الثاني من فواصلها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أنا الله لا إله إلا أنا الحيّ القيوم ، معقّب الدهور وفاصل الأمور ، سبقت بمشيّتي الأسباب ، وذلّلت بقدرتي الصعاب ، فأنا العزيز الحكيم ، الرحمن الرحيم ، ارحمّ ترحم ، سبقت رحمتي غضبي ، وعفوي عقوبتي ، خلقت عبادي لعبادتي ، وألزمتهم حجّتي ، ألا إنّني باعث فيهم رسلي ومنزل عليهم كتبتي ، أبرم ذلك من لدن أولّ المذكور من بشر إلى أحمد نبيّ وخاتم رسلي ، ذلك الذي أجعل عليه صلواتي وأسلك في قلبه بركاتي ، وبه أكمل أنبيائي ونذري.

قال آدم عليه السلام : إلهي ! من هؤلاء الرسل ؟ ومن أحمد هذا الذي رفعت وشرّفت ؟

قال : كلّ من ذرّيتك وأحمد عاقبهم.

قال : ربّ ! بما أنت باعثهم ومرسلهم ؟

قال : بتوحيدي ، ثم أقفي ذلك بثلاثمائة وثلاثين شريعة أنظمتها وأكملها لأحمد جميعاً ، فأذنت لمن جاءني بشريعة منها مع الإيمان بي وبرسلي أن أدخله الجنة.

ثم ذكر ما جملته : أن الله تعالى عرض على آدم عليه السلام معرفة الأنبياء عليهم السلام وذريتهم ، ونظر بهم آدم عليه السلام.

ثم قال ما هذا لفظه : ثم نظر آدم عليه السلام إلى نور قد لمع فسدّ الجو المنخرق فأخذ بالمطالع من المشارق ، ثم سرى كذلك حتى طبّق المغرب ، ثم سما حتى بلغ ملكوت السماء فنظر فإذا هو نور محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وإذا الأكناف به قد تضرّعت طيباً ، وإذا أنوار أربعة قد اكتنفته عن يمينه وشماله ومن خلفه وأمامه ، أشبه شي به أرجاً ونوراً ويتلوها أنوار من بعدها تستمدّ منها ، وإذا هي شبيه بها في ضيائها وعظمتها ونشرها ، ثم دنت منها فتكلّلت عليها وحفت بها ، ونظر فإذا أنوار من بعد ذلك في مثل عدد الكواكب ودون منازل الاوائل جداً جداً ، وبعض هذه أضوء من بعض وهي في ذلك متفاوتون جداً.

ثم طلع عليه سواد كالليل وكالليل ينسلون من كلّ جهة وأوب فأقبلوا كذلك حتى ملؤوا القاع والأكم فإذا هم أقبح شيء صوراً وهيئته ، وأنتنه ريحاً.

فبهر آدم عليه السلام ما رأى من ذلك ، وقال : يا عالم الغيوب وغافر الذنوب ، ويا ذا القدرة الباهرة والمشية الغالبة ، من هذا الخلق السعيد الذي كرمت ورفعت على العالمين ؟ ومن هذه الأنوار المنيفة المكتنفة له ؟

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه :

يا آدم هذا وهؤلاء وسيلتك ووسيلة من أسعدت من خلقي ، هؤلاء السابقون المقربون ، والشافعون المشفعون ، وهذا أحمد سيدهم وسيّد بريتي ، اخترته بعلمي واشتقت اسمه من اسمي ، فأنا المحمود وهو محمّد ، وهذا صنوه ووصيه ، آزرته به ، وجعلت بركاتي وتطهيري في عقبه ، وهذه سيده إمائي والبقية في علمي من أحمد نبيي ، وهذان السبطان والخلفان لهم ، وهذه الأعيان المضارع نورها أنوارهم ، بقية منهم ، ألا إن كلاً اصطفيت وطهرت ، وعلى كلّ باركت وترحمت ، فكلاً بعلمي جعلت قدوة عبادي ونور بلادي.

ونظر فإذا شيخ في آخرهم يزهر في ذلك الصفيح كما يزهر كوكب الصبح لأهل الدنيا ، فقال الله تبارك وتعالى : وبعدي هذا السعيد أفك عن عبادي الأغلال وأضح عنهم الآصار ، أملأ أرضي به حناناً ورأفة وعدلاً كما ملئت من قبله قسوة وقشعرية وجوراً.

قال آدم عليه السلام : رَبِّ إِنَّ الْكَرِيمَ مِنْ كَرَمَتِ ، وَإِنَّ الشَّرِيفَ مِنْ شَرَفَتِ ، وَحَقٌّ يَا إِلَهِي لِمَنْ رَفَعْتَ وَأَعْلَيْتَ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ.

فإذا النعم التي لا تنقطع ، والإحسان الذي لا يجازى ولا ينفذ ، بمبلغ عبادك هؤلاء العالون هذه المنزلة من شرف عطائك وعظيم فضلك واحبائك وكذلك من كرمت من عبادك المرسلين ؟

قال الله تبارك وتعالى : إني أنا الله لا إله إلا أنا الرحمن الرحيم ، العزيز الحكيم ، عالم الغيوب ومضمرات القلوب ، أعلم ما لم يكن ممّا يكون كيف يكون ، وما لا يكون ، وكيف لو كان يكون ، وإني أطلعت يا عبدي في علمي على قلوب عبادي ، فلم أرَ فيهم أطوع لي ولا أنصح لخليقي من أنبيائي ورسلي ، فجعلت لذلك فيهم روعي وكلمتي ، وألزمتهم عب حجّتي ، واصطفيتهم على البرايا برسالتني ووحيني ، ثم ألقيت بمكاناتهم تلك في منازلهم حوامهم وأوصيائهم من بعدهم ، ودائع حجّتي والسادة في بريّتي ، لأجبر بهم كسر عبادي ، وأقيم بهم أودهم ، ذلك أيّ بهم وبقلوبهم لطيف خبير.

ثم أطلعت على قلوب المصطفين من رسلي فلم أجد فيهم أطوع ولا أنصح لخليقي من محمّد خيرتي وخالصتي ، فاخترته على علم ورفعت ذكره إلى ذكرى ، ثم وجدت قلوب حامته اللاتي من بعده على صبغة قلبه ، فألحقتهم به وجعلتهم ورثة كتابي ووحيني وأوكار حكمتي ونوري ، وآليت بي ألا أعذب بناري من لقيني معتصماً بتوحيدي وحبل مودّتهم أبداً.

ثم أمرهم أبو حارثة أن يصيروا إلى صحيفة شيث الكبرى التي انتهت ميراثها إلى إدريس النبيّ عليه السلام ، قال : وكان كتابتها بالقلم السرياني القديم ، وهو الذي كتب به من بعد نوح عليه السلام من ملوك الهياطة ، وهم النماردة ، قال : فاقتص القوم الصحيفة وأفضوا منها إلى هذا الرسم ، قال :

اجتمع إلى إدريس عليه السلام قومه وصحابته - وهو يومئذ في بيت عبادته من أرض كوفان فخبّرهم فيما اقتص عليهم ، قال : إن بني أبيكم آدم عليه السلام الصليّة وبني بنيه وذريّته اختصموا فيما بينهم ، وقالوا : أيّ الخلق عندكم أكرم على الله عزّ وجلّ وأرفع لديه مكانةً وأقرب منه منزلةً ؟ فقال بعضهم : أبوكم آدم عليه السلام ، خلقه الله عزّ وجلّ بيده ، وأسجد له ملائكته ، وجعله الخليفة في أرضه ، وسخر له جميع خلقه.

وقال آخرون : بل الملائكة الذين لم يعصوا الله عزّ وجلّ.

وقال بعضهم : لا ، بل رؤساء الملائكة الثلاثة جبرئيل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام.

وقال بعضهم : لا ، بل أمين الله جبرئيل عليه السلام.

فانطلقوا إلى آدم فذكروا الذي قالوا واختلفوا فيه ، فقال : يا بني أنا أخبركم بأكرم الخلائق جميعاً

على الله عزّ وجلّ.

إنه والله لما أن نفخ في الروح حتى استويت جالساً ، فبرق لي العرش العظيم فنظرت فيه ، فإذا فيه : لا إله إلا الله محمد رسول الله قال آدم عليه السلام فلان أمين الله فلان خيرة الله عز وجل - فذكر عدة أسماء مقرونة بمحمد صلى الله عليه وآله - ثم لم أر في السماء موضع أديم - أو قال : صفيح - منها إلا وفيه مكتوب : لا إله إلا الله ، وما من موضع فيه مكتوب لإله إلا الله وفيه مكتوب ، خلقاً لا خطأ : محمد رسول الله ، وما من موضع مكتوب فيه محمد رسول الله ، إلا ومكتوب : فلان خيرة الله ، فلان صفوة الله ، فلان أمين الله عز وجل فذكر عدة أسماء تنتظم حساب المعدود . -

قال آدم عليه السلام : فمحمد صلى الله عليه وآله - يا بني - ومن خط من تلك الأسماء معه أكرم الخلائق على الله جميعاً.

ثم ذكر أن أبا حارثة سأل السيد والعاقب أن يقفا على صلوات إبراهيم عليه السلام الذي جاء بها الأملاك من عند الله عز وجل ، ففنعوا بها وقفوا عليه في الجامعة ، قال أبو حارثة : لا ، بل شارفوها بأجمعها واسبروها ، فإنه أصرم للغدور ، وأرفع لحكة الصدور ، وأجدر ألا ترتابوا في الأمر من بعد . فلم يجد من المصير إلى قوله من بد ، فعمد القوم إلى تابوت إبراهيم عليه السلام ، قال : وفيه : وكان الله عز وجل بفضله على من يشاء من خلقه - قد اصطفى إبراهيم عليه بخلته ، وشرفه بصلواته وبركاته وجعله قبله وإماماً لمن يأتي من بعده ، وجعل النبوة والكتاب والإمامة في ذريته ، يتلقاها آخر عن أول ، وورثه تابوت آدم عليه السلام المتضمن للحكمة والعلم الذي فضله الله عز وجل به على الملائكة طراً.

فنظر إبراهيم عليه السلام في ذلك التابوت ، فأبصر فيه بيوتاً بعدد ذوي العزم من الأنبياء المرسلين وأوصيائهم من بعدهم ، ونظرهم فإذا بيت محمد صلى الله عليه وآله آخر الأنبياء ، عن يمينه علي بن أبي طالب أخذ بحجزته ، فإذا شكل عظيم يتلأ نوراً فيه هذا صنوه ووصيه المؤيد بالنصر .

فقال إبراهيم عليه السلام : إلهي وسيدي ! من هذا الخلق الشريف ؟

فأوحى الله عز وجل : هذا عبيد وصفوتي ، الفاتح الخاتم ، وهذا وصيه الوارث .

قال : رب ما الفاتح الخاتم ؟

قال : هذا محمد خيرتي ، وبكر فطرتي ، وحجتي الكبرى في بريتي ، نبأته واجتبيته إذ آدم بين الطين والجسد ، ثم إنني باعته عند انقطاع الزمان لتكملة ديني ، وخاتم به رسالتي ونذري ، وهذا علي أخوه وصديقه الأكبر ، آخيت بينهما واخترتهما وصليت وباركت عليهما ، وطهرتهما وأخلصتهما ، والأبرار منهما وذريتهما قبل أن أخلق سمائي وأرضي وما فيهما من خلقي ، وذلك لعلمي بهم وبقلوبهم ، إنني بعبادي عليم خبير .

قال : ونظر إبراهيم عليه السلام فإذا اثنا عشر عظيماً تكاد تلاً لأشكالهم لحسنها نوراً ، فسأل ربّه جلّ وتعالى وقال : ربّ نبّني بأسماء هذه الصور المقرونة بصورة محمّد ووصيّهِ ؛ وذلك لما رأى من رفيع درجاتهم والتحاقهم بشكلي محمّد ووصيّهِ عليهم السلام ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه :

هذه أمّتي والبقية من نبّيي ، فاطمة الصديقة الزهراء ، وجعلتها مع خليلها عصبه لذرية نبّيي هؤلاء ، وهذا الحسنان ، وهذا فلان ، وهذا فلان ، وهذا كلمتي التي أنشر به رحمتي في بلادي ، وبه أنتاش ديني وعبادي ذلك بعد إياس منهم وقنوط منهم من غياثي ، فإذا ذكرت محمّداً نبّيي لصلواتك فصلّ عليهم معه يا إبراهيم.

قال : فعندها صلّى عليهم إبراهيم صلّى الله عليه وآله ، فقال ربّ صلّ على محمّد وآله محمّد كما اجتبتهم وأخلصتهم إخلاصاً.

فأوحى الله عزّ وجلّ : لتهنك كرامتي وفضلي عليك ، فأني صائر بسلالة محمّد صلّى الله عليه وآله ومن اصطفت معهم إلى قناة صلبك ومخرجهم منك ثمّ من بكرك إسماعيل ، فابشر يا إبراهيم فأني واصلّ صلواتك بصلاتهم ومتبع ذلك بركاتي وترحمي عليك وعليهم ، وجاعل حناني وحجتي إلى الأمد المعدود واليوم الموعود ، الذي أرث فيه سمائي وأرضي وأبعث له خلقي لفصل قضائي وإفاضة رحمتي وعدلي.

قال : فلمّا سمع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله ما أفضى إليه القوم من تلاوة ما تضمّنت الجامعة والصحف الدارسة من نعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وصفة أهل بيته المذكورين معه بما هم به منه ، وبما شاهدوا من مكانتهم عنده ، ازداد القوم بذلك يقيناً وإيماناً واستطبروا له فرحاً.

قال : ثمّ صار القوم إلى ما نزل على موسى عليه السلام فألفوا في السفر الثاني من التوراة : إني باعث في الأميين من ولد إسماعيل رسولاً ، أنزل عليه كتابي وأبعثه بالشرعة القيمة إلى جميع خلقي ، آتيته حكمتي وأيدته بملائكتي وجنودي ، يكون ذريّته من ابنة له مباركة ، باركتها ، ثمّ من شبلين لهما كإسماعيل وأسحاق ، أصلين لشعبتين عظيمتين ، أكثرهم جدّاً جدّاً ، يكون منهم اثنا عشر قيماً أكمل بمحمّد صلّى الله عليه وآله وبما أرسله به من بلاغ وحكمة ديني ، وأختم به أنبيائي ورسلي ، فعلى محمّد صلّى الله عليه وآله وأمّته تقوم الساعة.

فقال حارثة : الآن أسفر الصبح لذي عينين ، ووضح الحقّ لمن رضي به ديناً ، فهل في أنفسكم من مرض تستشفيان به !؟

فلم يرجعاً إليه قولاً ، فقال أبو حارثة : اعتبروا الإمارة الخاتمة من قول سيّدكم المسيح عليه السلام.

فصار إلى الكتب والأنجيل التي جاء بها عيسى عليه السلام فألفوا في المفتاح الرابع من الوحي إلى المسيح عليه السلام :

يا عيسى يا بن الطاهرة البتول ، اسمع قولي وجدّ في أمري ، أيّ خلقتك من غير فحل ، وجعلتك آيةً للعالمين ، فإيأي فاعبد وعلّى فتوكّل ، وخذ الكتاب بقوة ثمّ فسره لأهل سوريا ، واخبرهم أيّ أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم ، الذي لا أحول ولا أزول ، فأمنوا بي وبرسولي النبيّ الأمّيّ الذي يكون في آخر الزمان ، نبيّ الرحمة والملحمة ، الأوّل والآخر.

قال : أوّل النبيّين خلقاً وآخرهم مبعثاً ، ذلك العاقب الحاشر ، فبشّر به بني إسرائيل.

قال عيسى عليه السلام : يا مالك الدهور وعلّام الغيوب ، من هذا العبد الصالح الذي قد أحبّه قلبي ولم تره عيني ؟

قال : ذلك خالصتي ورسولي ، المجاهد بيده في سبيلي ، ويوافق قوله فعله وسريته علانيته ، أنزل عليه توراةً حديثةً أفتح بها أعيناً عمياً وأذاناً صمّاً وقلوباً غلفاً ، فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب ، وطوباه طوبى أمته.

قال : ربّ ما اسمه وعلامته ؟ وما أكل أمته - يقول ملك أمته - ؟ وهل له من بقية - يعني ذريّة -

؟

قال : سأنبئك بما سألت ، اسمه أحمد صلّى الله عليه وآله ، منتخب من ذريّة إبراهيم ، ومصطفى من سلالة إسماعيل عليه السلام ، ذو الوجه الأقمر ، والجبين الأزهر ، راكب الجمل ، تنام عيناه ولا ينام قلبه ، يبعثه الله في أمّة أميّة ما بقي الليل والنهار ، مولده في بلد أبيه إسماعيل ، - يعني مكة - ، كثير الأزواج قليل الأولاد ، نسله من مباركة صديقة ، يكون له منها ابنة لها فرخان سيّدان يستشهدان ، اجعل نسل أحمد منهما ، فطوباهما ولمن أحبهما وشهد أيامهما فنصرهما.

قال عيسى عليه السلام : إلهي ! وما طوبى ؟

قال : شجرة في الجنّة ساقها وأغصانها من ذهب ، وورقها حلل ، وحملها كثدي الأبقار ، أحلى من العسل وألين من الزبد ، وماؤها من تسنيم ، لو أن غراباً طار وهو فرخ لأدركه الهرم من قبل أن يقطعها ، وليس منزل من منازل أهل الجنّة إلا وظلاله فنن من تلك الشجرة.

قال : فلمّا أتى القوم على دراسة ما أوحى الله عزّ وجلّ إلى المسيح عليه السلام من نعت محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وصفته ، وملك أمته ، وذكر ذريّته وأهل بيته ، أمسك الرجلان مخصومين ، وانقطع التحاور بينهم في ذلك.

قال : فلما فليح حارثة على السيد والعاقب بالجامعة وما تبيّنوه في الصحف القديمة ولم يتمّ لهما ما قدّروا من تحريفها ، ولم يمكنهما أن يلبسا على الناس في تأويلهما ، أمسكا عن المنازعة من هذا الوجه ، وعلماً أنّهما قد أخطأ سبيل الصواب ، فصارا إلى بيعتهم آسفين لينظرا ويرتئيا ، وفزع إليهما نصارى نجران ، فسألوهما عن رأيهما وما يعملان في دينهما ، فقالا ما معناه : تمسّكوا بدينكم حتّى يكشف دين محمّد ، وسنسير إلى بني قريش إلى يثرب ، وننظر إلى ما جاء به وإلى ما يدعو إليه.

قال : فلما تجهّز السيد والعاقب للسير الى رسول الله بالمدينة ، انتدب معهما أربعة عشر راكباً من نصارى نجران ، هم من أكابرههم فضلا وعلماً في أنفسهم ، وسبعون رجلا من أشراف بني الحرث بن كعب وصادتهم.

قال : وكان قيس بن الحصين ذو العصّة ويزيد بن عبد المدان ببلاد حضرموت ، فقدما نجران على بقية مسير قومهم فشخصا معهم فاغترز القوم في ظهور مطاياهم وجنبوا خيلهم وأقبلوا لوجوههم حتّى وردوا المدينة.

قال : ولما استراث رسول الله صلى الله عليه وآله خبر أصحابه أنفذ إليهم خالد بن الوليد في خيل سرجها معه لمشاركة أمرهم ، فألفوهم وهم عامدون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال : ولما دنوا إلى المدينة أحبّ السيد والعاقب أن يباهيا المسلمين وأهل المدينة بأصحابهما وبمن حفّ من بني الحرث معهما ، فاعتراضهم فقالا : لو كففتم صدور ركابكم ومستمم الأرض فألقيتم عنكم تفتكم وثياب سفركم وشننتم عليكم من باقي مياهمكم كان ذلك أمثلا ، فانحدر القوم عن الركاب فأماطوا من شعثهم وألقوا عنهم ثياب بذلتهم ولبسوا ثياب صونهم من الأنجميات والحريير والحبر وذروا المسك في لمهمهم ومفارقتهم ، ثمّ ركبوا الخيل ، واعترضوا بالرماح على مناسج خيلهم ، وأقبلوا يسيرون رزداً واحداً ، وكانوا من أجمل العرب صوراً وأمّهم أجساماً وخلقا ، فلما تشرفهم الناس أقبلوا نحوهم وقالوا : ما رأينا وفداً أجمل من هؤلاء.

فأقبل القوم حتّى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده ، وحانت صلاتهم فقاموا يصلّون إلى المشرق ، فأراد الناس أن ينهوهم عن ذلك فكفّهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثمّ أمهلهم وأمهلوه ثلاثاً ، فلم يدعهم ولم يسألوه لينظروا إلى هديه ويعتبروا ما يشاهدون منه ممّا يجدون من صفته.

فلما كان بعد ثلاثة دعاهم صلى الله عليه وآله وسلّم إلى الإسلام.

فقالوا : يا أبا القاسم ! ما أخبرتنا كتب الله عزّ وجلّ بشيء من صفة النبيّ المبعوث بعد الروح عيسى عليه السلام إلّا وقد تعرّفناه فيك ، إلّا خلّة هي أعظم الخلال آيةً ومنزلةً ، وأجلاها أمارهً ودلالةً.

قال : صلى الله عليه وآله : وما هي ؟

قالوا : إنّنا نجد في الإنجيل من صفة النبيّ الغابر من بعد المسيح أنّه يصدّق به ويؤمن به ، وأنت تسبه وتكذب به وتزعم أنّه عبد.

قال : فلم تكن خصومتهم ولا منازعتهم للنبيّ صلوات الله عليه وآله إلاّ في عيسى عليه السلام.
فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : لا بل أصدّقه وأصدّق به وأؤمن به وأشهد أنّه النبيّ المرسل من ربه عزّ وجلّ ، وأقول : إنّ عبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.
قالوا : وهل يستطيع العبد أن يفعل ما كان يفعل ؟ وهل جاءت الأنبياء بما جاء به من القدرة القاهرة؟! ألم يكن يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص وينبئهم بما يكنون في صدورهم وما يدخرون في بيوتهم ؟ فهل يستطيع هذا إلاّ الله عزّ وجلّ أو ابن الله؟! وقالوا في الغلو فيه وأكثروا ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فقال صلى الله عليه وآله : قد كان عيسى - أخي - كما قلتُم يحيي الموتى ، ويبرئ الأكمه والأبرص ، ويخبر قومه بما في نفوسهم ، وبما يدخرون في بيوتهم ، وكلّ ذلك بإذن الله عزّ وجلّ ، وهو الله عزّ وجلّ عبد ، وذلك عليه غير عار ، وهو منه غير مستنكف ، فقد كان لحمياً ودماً وشعراً وعظماً وعصباً وأمشاجاً ، يأكل الطعام ويظمأ وينصب بأدبه ، وربّه الأحد الحقّ الذي ليس كمثله شيء وليس له ند.

قالوا : فأرنا مثله من جاء من غير فعل ولا أب؟!!

قال : هذا آدم عليه السلام أعجب منه خلقاً ، جاء من غير أب ولا أمّ ، وليس شيء من الخلق بأهون على الله عزّ وجلّ في قدرته من شيء ولا أصعب ، إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، وتلا عليهم (إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثمّ قال له كن فيكون).

قالا : فما نزداد منك في أمر صاحبنا إلاّ تبايناً ، وهذا الأمر الذي لا نقرّ لك ، فهلّمّ فلنلاعنك أيّنا أولى بالحقّ ، فنجعل لعنة الله على الكاذبين ، فإنّها مثله وآية معجّلة.

فأنزل الله عزّ وجلّ آية المباهلة على رسول الله صلى الله عليه وآله (فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فتلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله ما نزل عليه في ذلك من القرآن ، فقال صلى الله عليه وآله : إنّ الله قد أمرني [أن] أصير الى ملتكم ، وأمّرني بمباهلتكم إن أقمتُم وأصررتهم على قولكم.

قالا : وذلك آية ما بيننا وبينك ، إذا كان غداً باهلتكم.

ثمّ قاما وأصحابهما من النصارى معهما ، فلمّا أبعدا - وقد كانوا أنزلوا بالحرّة - أقبل بعضهم على بعض فقالوا : قد جاءكم هذا بالفصل من أمره وأمركم ، فانظروا أوّلاً بمن يباهلكم ، أبكافة أتباعه ، أم

بأهل الكتاب من أصحابه ، أو بذوي التخشع والتمسكن والصفوة ديناً وهم القليل منهم عددا ؟ فإن جاءكم بالكثرة وذوي الشدة منهم ، فإمّا جاءكم مباحياً كما يصنع الملوك ، فالفلج إذن لكم دونه ، وإن أتاكم بنفر قليل ذوي تخشع فهؤلاء سجية الأنبياء وصفوتهم وموضع بهلتهم ، فإيّاكم والإقدام إذن على مباحلتهم ، فهذه لكم أمارّة ، وانظروا حينئذ ما تصنعون ما بينكم وبينه ، فقد أعذر من أنذر.

فأمر صلى الله عليه وآله بشجرتين فقصدتا وكسح ما بينهما ، وأمهل حتى إذا كان من الغد أمر بكساء أسود رقيق فنشر على الشجرتين ، فلما أبصر السيّد والعاقب ذلك خرجا بولديهما صبغة المحسن وعبدالمنعم وسارة ومريم ، وخرج معهما نصارى نجران ، وركب فرسان بني الحرث بن الكعب في أحسن هيئة ، وأقبل الناس من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار وغيرهم من الناس في قبائلهم وشعارهم من راياتهم وألويتهم وأحسن شارتهم وهيئتهم ، لينظروا ما يكون من الأمر ، ولبث رسول الله صلى الله عليه وآله في حجرته حتى متع النهار.

ثم خرج آخذاً بيد عليّ والحسن والحسين أمامه وفاطمة عليها السلام من خلفهم ، فأقبل بهم حتى أتى الشجرتين ، فوقف من بينهما من تحت الكساء على مثل الهيئة التي خرج بها من حجرته ، فأرسل إليهما يدعوهما إلى ما دعاه إليه من المباهلة.

فأقبلا إليه فقالا : من تباهلنا يا أبا القاسم ؟

قال : بخير أهل الأرض وأكرمهم على الله عزّ وجلّ ، وأشار لهما إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم.

قالا : فما نراك جئت لمباهلتنا بالكبر ولا من الكثر ولا أهل الشارة ممّن نرى آمن بك واتّبعك ! وما نرى ها هنا معك إلا هذا الشاب والمرأة والصبيّين ! أفبهؤلاء تباهلنا ؟!

قال صلى الله عليه وآله : نعم ، أو لم أخبركم بذلك آنفاً ، نعم بهؤلاء أمرت والذي بعثني بالحقّ أن أباهلكم.

فاصفارت حينئذ ألوانهما وحوكرا ، وعادا إلى أصحابهما وموقفهما ، فلما رأى أصحابهما ما بهما وما دخلهما ، قالوا : ما خطبكما ؟! فتماسكا وقالوا : ما كان ثمة من خطب فنخبركم.

وأقبل عليهم شابّ كان من خيارهم قد أوتي فيهم علماً ، فقال ويحكم ! لا تفعلوا ، واذكروا ما عثرت عليه في الجامعة من صفاته ، فوالله إنكم لتعلمون حقّ العلم إنّه لصادق ، وإمّا عهدكم بإخوانكم حديث قد مسخوا قردهً وخنازير.

فعلّموا أنّه قد نصح لهم فأمسكوا.

قال : وكان للمنذر بن علقمة أخي أسقفهم أبي حارثة حظٌ من العلم فيهم يعرفونه له ، وكان نازحاً عن نجران في وقت تنازعهم ، فقدم وقد اجتمع القوم على الرحلة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فشخص معهم ، ، فلما رأى المنذر انتشار أمر القوم يومئذ وترددهم في رأيهم ، أخذ بيد السيد والعاقب على أصحابه ، فقال : أخلوني وهذين ، فاعتزل بهما ، ثم أقبل عليهما فقال : إنَّ الرائد لا يكذب أهله ، وأنا لكما حدّ شفيق ، فإنَّ نظرهما لأنفسكما نجيتما ، وإن تركتما ذلك هلكتما وأهلكتما.

قالا : أنت الناصح حبيباً ، المأمون عيباً ، فهات.

قال : أتعلمان أنّه ما باهل قوم نبيّاً قط إلا كان مهلكهم كلمح البصر ، وقد علمتما وكلّ ذي إرب من ورثة الكتب معكما أنّ محمّداً أبا القاسم هذا هو الرسول الذي بشرت به الأنبياء عليهم السلام وأفصحت بيعتهم وأهل بيته الأماناء.

وأخرى أنذركما بها فلا تعشوا عنها !

قالا : وما هي يا أبا المثنى ؟

قال : انظرا إلى النجم قد استطلع إلى الأرض ، وإلى خشوع الشجر وتساقط الطير بإزائكما لوجوههما ، قد نشرت على الأرض أجنحتها ، وفات ما في حواصلها ، وما عليها لله عزّ وجلّ من تبعه ، ليس ذلك إلا ما قد أظلم من العذاب.

وانظرا إلى اقشعرار الجبال ، وإلى الدخان المنتشر وقزع السحاب !

هذا ، ونحن في حمارة القيظ وإبان الهجير.

وانظروا إلى محمّد صلى الله عليه وآله رافعاً يده والأربعة من أهله معه إنّما ينتظرما تجيبان به. ثمّ اعلموا أنّه إن نطق فوه بكلمة من بهلة لم نتدارك هلاكاً ، ولم نرجع إلى أهل ولا مال. فنظرا فأبصرا أمراً عظيماً فأيقنا أنّه الحقّ من الله تعالى فزلزلت أقدامهما ، وكادت أن تطيش عقولهما ، واستشعرا أن العذاب واقع بهما.

فلما أبصر المنذر بن علقمة ما قد لقيا من الخيفة والرهبة قال لهما : إنكما إن أسلمتما له سلمتما في عاجله وآجله ، وإن آثرتما دينكما وغضارة أيكنتكما وشححتما بمنزلتكما من الشرف في قومكما فلسنا أحجر عليكما الضنين بما نلتما من ذلك ، ولكنكما بدهتما محمّداً صلى الله عليه وآله بتطلّب المباهلة ، وجعلتماها حجازاً وآية بينكما وبينه ، وشخصتما من نجران وذلك من تألكما ، فأسرع محمّد صلى الله عليه وآله إلى ما بغيتما منه ، والأنبياء إذ أظهرت بأمر لم ترجع إلا بقضائه وفعله ، فإذا نكلتما عن ذلك وأذهلتكما مخافة ما تريان ، فالحظّ في النكول لكما.

فالوحا يا إخوتي الوحا ، صالحا محمّداً وأرضياه ، ولا ترجيا ذلك، فإنكما وأنا معكما بمنزلة قوم يونس لما غشيهم العذاب.

قالا : فكن أنت يا ابا المثنى الذي تلقى محمداً صلى الله عليه وآله بكفالة ما يبتغيه لدينا ،
والتمس لنا إليه ابن عمه هذا ليكون هو الذي يبرم الأمر بيننا وبينه ، فإنه ذو الوجه والزعيم عنده ، ولا
تبطئن ما ترجع إلينا به.

وانطلق المنذر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ، أشهد أن لا إله
إلا الله الذي ابتعثك ، وأنتك وعيسى عبدان لله عز وجل مرسلان.

فأسلم وبلغه ما جاء له ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام لمصالحة القوم ،
فقال عليّ عليه السلام : بأبي أنت ، على ما أصالحهم ؟

فقال له : رأيك يا أبا الحسن فيما تبرم معهم رأيي.
فصار إليهم فصالحاه على ألف حلّة وألف دينار خرجاً في كلّ عام ، يؤدّيان شرط ذلك في المحرم
وشطراً في رجب.

فصار عليّ عليه السلام بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ذليلين صاغرين ، وأخبره بما صالحهما
عليه وأقرّاه له بالخرج والصغار.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : قد قبلت ذلك منكم ، أما إنكم لو بالهتيموني بمن تحت
الكساء لأضرم الله عليكم الوادي ناراً تأجج ، ثم لساقها الله عز وجل إلى من ورائكم في أسرع من طرف
العين فحرقهم تأججاً.

فلما رجع النبي صلى الله عليه وآله بأهل بيته وصار إلى مسجده هبط عليه جبرئيل عليه السلام
فقال : يا محمد ! إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول : إن عبي موسى عليه السلام باهل عدوه قارون
بأخيه هارون وبنيه ، فخشفت بقارون وأهله وما له ومن آزره من قومه ، وبعزّي أقسم وبجلالي - يا
أحمد - لو باهلت بك ومن تحت الكساء من أهلك أهل الأرض والخلائق جميعاً لتقطعت السماء كسفاً
والجبال زبراً ، ولساخت الأرض فلم تستقرّ أبداً إلا أن أشاء ذلك.

فسجد النبي صلى الله عليه وآله ووضع على الأرض وجهه ، ثم رفع يديه حتى تبين للناس عفرة
إبطيه ، فقال : شكراً للمنعم - قالها ثلاثاً - .

فستل النبي صلى الله عليه وآله عن سجدته وعمّا رُئى من تباشير السرور في وجهه ، فقال : شكراً
لله عز وجل لما أبلاني من الكرامة في أهل بيتي ، ثم حدّثهم بما جاء به جبرئيل عليه السلام «^(٦١٥) .

كتاب الصلح :

وجاء في غير واحد من الكتب أنّ علياً عليه السلام كتب لهم كتاباً بأمر من النبي صلى الله عليه وآله
وآله وسلّم^(٦١٦) وذكر ابن شبة والبلاذري وغيرهما نصّ الكتاب ، ويظهر منه أن القوم كانوا يحتفظون به ،

(٦١٥) إقبال الأعمال : ٨١٣ - ٨٤٠ .

(٦١٦) ومن ذلك أيضاً : سنن البيهقي ١٠ : ١٢٠ .

قال البلاذري : « وقال يحيى بن آدم : وقد رأيت كتاباً في أيدي النجرائين كانت نسخته شبيهةً بهذه النسخة وفي أسفله : وكتب عليّ بن أبي طالب «^(٦١٧) .

القربات يوم المباهلة :

وبما أن يوم المباهلة يوم أظهر الله فيه حقيقة نبوة رسوله على النصارى ، وأبان فيه مقام عليّ وأهل البيت للعالمين ، فهو من أعظم الأعياد الإسلامية ، وأشرف أيام سرور المؤمنين ، وكان من واجب كل فرد أن يقوم بشكر هذه النعمة بما أمكنه من مظاهر الشكر...
ومن هنا فقد ذكر هذا اليوم من مسارّ الشيعة ، وهو اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة^(٦١٨) .
ووردت فيه أعمال وقربات ، من الغسل ، والصوم ، والصلاة ، والدعاء... كما لا يخفى على من يراجع كتب هذا الشأن^(٦١٩) .

الفصل الثالث

محاولات يائسة وأكاذيب مدهشة

ولمّا كانت قضية المباهلة ، ونزول الآية المباركة في أهل البيت دون غيرهم ، من أسمى مناقب أمير المؤمنين عليه السلام الدالة على إمامته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ، فقد حاول بعض المتكلمين من مدرسة الخلفاء الإجابة عن ذلك ، كما سنرى بالتفصيل.
لكن هناك محاولات بالنسبة إلى أصل الخبر ومثنته ، الأمر الذي يدلّ على إذعان القوم بدلالة الحديث وبخوعهم بعدم الجدوى فيما يحاولونه من المناقشة فيها...
وتلك المحاولات هي :

١ - الإخفاء والتعظيم على أصل الخبر :

(٦١٧) فتوح البلدان : ٧٦ - ٧٧ .

(٦١٨) مسارّ الشيعة - للشيخ المفيد - : ٤١ .

(٦١٩) مصباح المتهدّد : ٧٥٩ - ٧٦٧ ، اقبال الأعمال : ٨٤٤ .

فمن القوم من لا يذكر الخبر من أصله !! مع ما فيه من الأدلة على النبوة وظهور الدين الإسلامي على سائر الأديان... أذكر منهم ابن هشام^(٦٢٠) وتبعه ابن سيّد الناس^(٦٢١) ، والذهبي وهذه عبارة الثاني في ذكر الوفود ، وهي ملخص عبارة الأول :

« ثم بعث رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة عشر ، إلى بني الحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ، ثلاثاً ، فإن استجابوا فاقبل منهم وإن لم يفعلوا فقاتلهم.

فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس أسلموا تسلموا ، فأسلم الناس ودخلوا في ما دعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام ، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم بذلك.

فكتب له رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم أن يُقْبِلَ وَيُقْبِلَ معه وفدهم ، فأقبل وأقبل معه وفدهم ، منهم قيس بن الحصين ذي الغصة... وأمر عليهم قيس ابن الحصين.

فرجعوا إلى قومهم في بقية من شوال أو في ذي القعدة ، فلم يكتنوا إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم «^(٦٢٢).

٢ - الإخفاء والتعظيم على حديث المباهلة :

وهذا ما حاوله آخرون ، منهم :

* البخاري - تحت عنوان : قصة أهل نجران ، من كتاب المغازي - :

« حدّثني عباس بن الحسين ، حدّثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر ، عن حذيفة ، قال : جاء العاقب والسيّد - صاحبنا نجران - إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم ، يريدان أن يلاعنا. قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل ، فوالله لئن كان نبياً فلاعنّا لا نفلح نحن ولا عقبنّا من بعدنا. قالوا : إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً ، فقال : لأبعثنّ معكم رجلاً أميناً حقّ أمين.

فاستشرف له أصحاب رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم ، فقال : قم يا أبا عبيدة بن الجراح ، فلما قام ، قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم : هذا أمين هذه الأمة.

(٦٢٠) السيرة النبوية لابن هشام ٤ : ٢٣٩ .

(٦٢١) عيون الأثر في المغازي والسير ٢ : ٣٢٧ .

(٦٢٢) تاريخ الإسلام - المغازي - : ٦٩٥ .

حدّثنا محمّد بن بشار ، حدّثنا محمّد بن جعفر ، حدّثنا شعبة ، قال : سمعت أبا إسحاق ، عن صلة بن زفر ، عن حذيفة رضي الله عنه قال : جاء أهل نجران إلى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم فقالوا : ابعث لنا رجلاً أميناً. فقال : لأبعثنَّ إليكم رجلاً أميناً حقّ أمين ، فاستشرف له الناس ، فبعث أبا عبيدة بن الجراح « (٦٢٣) .

أقول :

قد تقدّم حديث حذيفة بن اليمان ، رواه القاضي الحسكاني بنفس السند... لكنّ البخاري لم يذكر سبب الملاعنة ! ولا نزول الآية المباركة ! ولا خروج النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلّم بعلي وفاطمة والحسين عليهم السلام !

ولا يخفى التحريف في روايته ، وعبارته مشوشة جدّاً ، يقول : « جاء... يريدان أن يلاعناه فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل » فقد جاءا « يريدان أن

يلاعناه » فلا بد وأن حدث شيء ؟ « فقال أحدهما لصاحبه... » فما الذي حدث؟!

لقد أشار الحافظ ابن حجر في شرحه إلى نزول الآية وخروج النبيّ للملاعنة بأهل البيت عليهم السلام ، لكنها إشارة مقتضبة جدّاً !!

ثمّ قال : « قالوا : إنّنا نعطيك ما سألتنا » والنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلّم لم يسأل شيئاً ، وإمّا دعاهما إلى الإسلام وما جاء به القرآن ، فأبيا ، فأذنهم بالحرب ، فطلبنا منه الصلح وإعطاء الجزية ، فكتب لهما بذلك وكان الكاتب عليّاً عليه السلام.

ثمّ إنّ البخاري - بعد أن حذف حديث المباهلة وأراد إخفاء فضل أهل الكساء - وضع فضيلةً لأبي عبيدة ، بأنّهما قالوا للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلّم : « ابعث معنا رجلاً أميناً » فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح...

لكن في غير واحد من الكتب أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلّم أرسل إليهم عليّاً عليه السلام ، وهذا ما نبّه عليه الحافظ وأراد رفع التعارض ، فقال : « وقد ذكر ابن إسحاق أنّ النبيّ بعث عليّاً إلى أهل النجران ليأتيه بصدقاتهم وجزيتهم ، وهذه القصّة غير قصة أبي عبيدة ، لأنّ أبا عبيدة توجه معهم فقبض مال الصلح ورجع ، وعليّ أرسله النبيّ بعد ذلك يقبض منهم ما استحقّ عليهم من الجزية ويأخذ ممّن أسلم منهم ما وجب عليه من الصدقة. والله أعلم « (٦٢٤) .

(٦٢٣) صحيح البخاري ٣ : ٤٣٨٠/١٣٤ و ٤٣٨١ .

(٦٢٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ٨ : ٧٧ .

قلت :

ولم أجد في روايات القصة إلا أنهما « أقرّا بالجزية » ، التزما بدفع ما تضمّنه الكتاب الذي كتبه صلى الله عليه وآله وسلّم لهم ، ومن ذلك : ألفا حلّة « في كلّ رجب ألف ، وفي كلّ صفر ألف » وهذه هي الجزية ، وعليها جرى أبو بكر وعمر ، حتّى جاء عثمان فوضع عنهم بعض ذلك ! وكان مما كتب : « إني قد وضعت عنهم من جزيتهم مائتي حلّة لوجه الله » !^(٦٢٥) .
ثم إن رجوعهما إلى قومهما كان في بقيّة من شوال أو ذي القعدة^(٦٢٦) فأين رجب؟! وأين صفر؟!
فما ذكره الحافظ رفعا للتعارض ساقط.

ولعلّه من هنا لم تأت هذه الجملة في رواية مسلم ، فقد روى الخبر عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر ، عن حذيفة ، قال : « جاء أهل نجران إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم فقالوا : يا رسول الله ! ابعث إلينا رجلا أميناً ، فقال : لأبعثنّ إليكم رجلا أميناً... »^(٦٢٧) .

ثم إنّه قد تعددت أحاديث القوم في « أمانة أبي عبيدة » حتّى أنّهم رووا بلفظ « أمين هذه الأمة أبو عبيدة » ، وقد تكلمنا على هذه الأحاديث من الناحيتين - السند والدلالة - في كتابنا الكبير بالتفصيل^(٦٢٨) .

* ابن سعد ، فإنّه ذكر تحت عنوان « وفد نجران » : كتب رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم إلى أهل نجران ، فخرج إليه وفدهم ، أربعة عشر رجلاً من أشرفهم نصارى ، فيهم العاقب وهو عبد المسيح ... ودعاهم إلى الإسلام ، فأبوا ، وكثر الكلام والحجاج بينهم ، وتلا عليهم القرآن ، وقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم : إن أنكرتم ما أقول لكم فهلمّ أباهلكم ، فانصرفوا على ذلك .

فغدا عبد المسيح ورجلان من ذوي رأيهم على رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم ، فقال : قد بدا لنا أن لا نباهلك ، فاحكم علينا بما أحببت نعطك ونصالحك ، فصالحهم على...

وأشهد على ذلك شهوداً ، منهم : أبو سفيان بن حرب ، والأقرع بن حابس ، والمغيرة بن شعبة . فرجعوا إلى بلادهم ، فلم يلبث السيّد والعاقب إلا يسيراً حتّى رجعا إلى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم ، فأسلما ، وأنزلهما دار أبي أيّوب الأنصاري .

وأقام أهل نجران على ما كتب لهم به النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم حتّى قبضه الله... »^(٦٢٩) .

(٦٢٥) فتوح البلدان : ٧٧ .

(٦٢٦) عيون الأثر ٢ : ٣٢٧ ، وغيره .

(٦٢٧) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٧/٢٤٢٠ .

(٦٢٨) نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ١١ : ٣١٥ - ٣٣٨ .

(٦٢٩) الطبقات الكبرى ١ : ٣٥٧ - ٣٥٨ .

* وقال الطبري - في ذكر الوفود في السنة العاشرة - : « وفيها قدم وفد العاقبوالسيّد من نجران ، فكتب لهما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم كتاب الصلح »^(٦٣٠) .

ثمّ قال في خروج الأمراء والعَمَال على الصدقات : « وبعث عليّ بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيّتهم »^(٦٣١) .

* وقال ابن الجوزي : « وفي سنة عشر من الهجرة أيضاً قدم العاقب والسيّد من نجران ، وكتب لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم كتاب صلح »^(٦٣٢) .

* وقال ابن خلدون : « وفيها قدم وفد نجران النصارى ، في سبعين ركباً ، يقدمهم أميرهم العاقب عبد المسيح من كندة ، وأسقفهم أبو حارثة من بكر بن وائل والسيّد الأيهم ، وجادلوا عن دينهم ، فنزل صدر سورة آل عمران ، وآية المباهلة ، فأبوا منها ، وفرقوا وسألوا الصلح ، وكتب لهم به على ألف حلّة في صفر وألف في رجب ، وعلى دروع ورماح وخيل وحمل ثلاثين من كلّ صنف ، وطلبوا أن يبعث معهم والياً يحكم بينهم، فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح ، ثمّ جاء العاقب والسيّد وأسلما »^(٦٣٣) .

٣ - الإخفاء والتعظيم على اسم عليّ !!

وحاول آخرون منهم أن يكتنوا اسم عليّ عليه السلام :

* فحذفوا اسمه من الحديث ، كما في الرواية عن جدّ سلمة بن عبد يشوع المتقدّمة.

* بل تصرّف بعضهم في حديث مسلم وأسقط منه اسم « عليّ » كما سيأتي عن « البحر المحيط » !!

* والبلاذري عنون في كتابه « صلح نجران » وذكر القصة ، فقال :

« فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : (ذلك تتلوهُ عليك من الآيات والذِكر الحكيم * إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ - إِلَى قَوْلِهِ : - الكاذِبِينَ) فقرأها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم عليهما ، ثمّ دعاهما إلى المباهلة ، وأخذ بيد فاطمة والحسن والحسين ، فقال أحدهما لصاحبه : اصعد الجبل ولا تباهله ، فإنّك إن باهلته بؤت باللعنة. قال : فما ترى ؟ قال : أرى أن نعطيهِ الخراج ولا نباهله... »^(٦٣٤) .

* وابن القيم اقتصر على رواية جدّ سلمة ، ولم يورد اللفظ الموجود عند مسلم وغيره ، قال : « وروينا عن أبي عبد الله الحاكم ، عن الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبّار ، عن يونس بن بكير ، عن سلمة بن

(٦٣٠) تاريخ الطبري ٣ : ١٣٩ .

(٦٣١) تاريخ الطبري ٣ : ١٤٧ .

(٦٣٢) المنتظم في تاريخ الأمم - حوادث السنة العاشرة - ٤ : ٣ .

(٦٣٣) تاريخ ابن خلدون ٤ : ٨٣٦ - ٨٣٧ .

(٦٣٤) فتوح البلدان : ٧٥ - ٧٦ .

عبد يوشع ، عن أبيه ، عن جدّه ، - قال يونس : وكان نصرانياً فأسلم - : إن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه [وآله] وسلّم كتب إلى أهل نجران... « فحكى القصّة إلى أن قال :

« فلما أصبح رسول الله صَلَّى اللهُ عليه [وآله] وسلّم الغد بعدما أخبرهم الخبر ، أقبل مشتملاً على الحسن والحسين رضي الله عنهما في خميل له وفاطمة رضي الله عنها تمشي عند ظهره للمباهلة ، وله يومئذ عدّة نسوة... »^(٦٣٥) .

* وكذا فعل ابن كثير في تاريخه...^(٦٣٦) .

* واختلف النقل عن الشعبي على أشكال :

أحدها : روايته عن جابر بن عبد الله ، وفيها نزول الآية في عليّ وفاطمة والحسين.

والثاني : روايته الخبر مع حذف اسم عليّ !! رواه عنه جماعة وعنهم السيوطي ، وقد تقدّم.

وجاء عند الطبري بعد الخبر عن ابن حميد ، عن جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ؛ وليس فيه ذكر عليّ : « حدّثنا ابن حميد ، قال ثنا جرير ، قال : فقلت للمغيرة : إنّ الناس يروون في حديث أهل نجران أنّ عليّاً كان معهم !

فقال : أمّا الشعبي فلم يذكره ، فلا أدري لسوء رأي بني أمية في عليّ ، أو لم يكن في الحديث »^(٦٣٧)

والثالث : روايته الخبر مع حذف اسم عليّ ! وإضافة « وناس من أصحابه » !! وهو ما ذكره :

٤ - حذف اسم عليّ وزيادة « وناس من أصحابه » :

وهذا الخبر لم أجده إلا عند ابن شبة ، عن الشعبي ، حيث قال :

« حدّثنا أبو الوليد أحمد بن عبد الرحمن القرشي ، قال : حدّثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدّثنا

إبراهيم بن محمّد الفزاري ، عن عطاء بن السائب ، عن الشعبي ، قال : قدم وفد نجران ، فقالوا لرسول

الله صَلَّى اللهُ عليه [وآله] وسلّم : أخبرنا عن عيسى... قال : فأصبح رسول الله صَلَّى اللهُ عليه [وآله] وسلّم

وغدا حسن وحسين وفاطمة وناس من أصحابه ، وغدوا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه [وآله] وسلّم فقالوا :

ما للملاعنة جئناك ، ولكن جئناك لتفرض علينا شيئاً نوذّيه إليك... »^(٦٣٨) .

(٦٣٥) زاد المعاد في هدي خير العباد ٣ : ٦٣٣ .

(٦٣٦) البداية والنهاية ٥ : ٥٣ .

(٦٣٧) جامع البيان في تفسير القرآن ٣ : ٢١١ .

(٦٣٨) تاريخ المدينة المنورة ١ : ٥٨١ - ٥٨٢ .

فإذا كان المراد من « وغدا حسن... » أنهم خرجوا مع رسول الله ليباهل بهم، فقد أخرج صلى الله عليه وآله وسلم مع أهل بيته « ناساً من الصحابة » !!

وإذا كان قد خرج مع النبي « ناس من أصحابه » فلماذا لم يجعل الراوي علياً منهم في الأقل !! لكن الشعبي - إن كانت هذه التحريفات منه لا من الرواة عنه - معروف بنزعتة الأموية، ولعل في أحد الروايات التي نقلناها سابقاً - عن تفسير الطبري - إشارة إلى ذلك ... وقد كان الشعبي أمين آل مروان ، وقاضي الكوفة في زمانهم ، وكان نديماً لعبد الملك بن مروان مقرباً إليه ، وكل ذلك وغيره مذكور بترجمته في الكتب ، فلتراجع .

٥ - التحريف بزيادة « عائشة وحفصة » :

وهذا اللفظ وجدته عند الحلبي ، قال : « وفي لفظ : أنهم وادعوه على الغد ، فلما أصبح صلى الله عليه [وآله] وسلم أقبل ومعه حسن وحسين وفاطمة وعلي رضي الله عنهم وقال : اللهم هؤلاء أهلي... وعن عمر رضي الله عنه ، أنه قال للنبي صلى الله عليه [وآله] وسلم : لو لاعنتهم يا رسول الله بيد من كنت تأخذ ؟ قال صلى الله عليه [وآله] وسلم : آخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وحفصة .

وهذا - أي زيادة عائشة وحفصة - دل عليه قوله تعالى : (ونساءنا ونساءكم) وصالحوه... »^(٦٣٩) .

٦ - التحريف بحذف « فاطمة » وزيادة : « أبي بكر وولده وعمر وولده وعثمان وولده » :

وهذا لم أجده إلا عند ابن عساكر ، وبترجمة عثمان بالذات ! من تاريخه ، قال : « أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ، أنبأ أبو الفضل بن الكريدي ، أنبأ أبو الحسن العتيقي ، أنا أبو الحسن الدارقطني ، نا أبو الحسين أحمد بن قاج ، نا محمد بن جرير الطبري - إملاءً علينا - نا سعيد بن عنبسة الرازي ، نا الهيثم بن عدي ، قال : سمعت جعفر بن محمد عن أبيه في هذه الآية (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) .

قال : فجاء بأبي بكر وولده ، وبعمرو وولده ، وبعثمان وولده ، وبعلي وولده »^(٦٤٠) .
ورواه عنه : السيوطي^(٦٤١) والشوكاني^(٦٤٢) والآلوسي^(٦٤٣) والمراغي^(٦٤٤) ساكتين عنه !! نعم قال الآلوسي :
« وهذا خلاف ما رواه الجمهور » .

(٦٣٩) إنسان العيون - السيرة الحلبية - ٣ : ٢١٢ .

(٦٤٠) تاريخ مدينة دمشق - ترجمة عثمان بن عفان - ٣٩ : ١٧٧ .

أقول :

كانت تلك محاولات القوم في قبال حديث المباهلة ، وتلاعباتهم في لفظه... بغض النظر عن تعابير بعضهم عن الحديث بـ « قيل » و« روي » ونحو ذلك ممّا يقصد منه الاستهانة به عادة.

هذا ، والأليق بنا ترك التكلّم على هذه التحريفات - زيادة ونقيصة - لوضوح كونها من أيد أموية ، تحاول كتم المناقب العلوية ، لعلمهم بدلالاتها على مزايا تقتضي الأفضليّة ، كما حاولت في (حديث الغدير) و(حديث المنزلة) ونحوهما.

وفي (حديث المباهلة) أرادوا كتم هذه المزية ، ولو بتزكّر أصل القضية ! أو بحذف اسم عليّ أو فاطمة الزكية ،...

ولولا دلالة الحديث على الأفضلية - كما سيأتي - لما زاد بعضهم « عائشة وحفصة » إلى جنب فاطمة !!

بل أراد بعضهم إخراج الحديث عن الدلالة بانحصار هذه المزية في أهل البيت عليهم السلام ، فوضع على لسان أحدهم - وهو الإمام الباقر ، يرويه عنه الإمام الصادق - ما يدلّ على كون المشايخ الثلاثة في مرتبة عليّ ، وأن ولدهم في مرتبة ولده !!

وضعه على لسان الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ليروج على البسطاء من الناس !!
وكم فعلوا من هذا القبيل على لسان أئمة أهل البيت عليهم السلام وأولادهم ، في الأبواب المختلفة من التفسير والفقه والفضائل^(٦٤٥) !

إنّ ما رواه ابن عساكر لم يخرج أحد من أرباب الصحاح والمسانيد والمعاجم ، ولا يقاوم - بحسب قواعد القوم - ما أخرجه أحمد ومسلم والترمذي وغيرهم ، ونصّ الحاكم على تواتره ، وغيره على ثبوته.

بل إنّ هذا الحديث لم يعبأ به حتّى مثل ابن تيميّة المتشبهت بكلّ حشيش !
إنّ هذا الحديث كذب محض ، باطل سنداً ومتناً... ولنتكلّم على اثنين من رجاله :

١ - سعيد بن عنبسة الرازي :

(٦٤١) الدر المنثور ٢ : ٢٣٣ .

(٦٤٢) فتح القدير ١ : ٣٤٨ .

(٦٤٣) روح المعاني ٤ : ١٩٠ .

(٦٤٤) تفسير المراغي ٣ : ١٧٥ .

(٦٤٥) ذكرنا في بعض بحوثنا المنشورة نماذج من ذلك ، ويا حبذا لو تُجمع وتُنشر في رسالة مفردة ، والله الموفق.

ليس من رجال الصحاح والسنن ونحوها ، وهو كذاب ، ذكره ابن أبي حاتم فقال : « سعيد بن عنبسة ، أبو عثمان الخزاز الرازي... سمع منه أبي ولم يحدث عنه ، وقال : فيه نظر. حدثنا عبد الرحمن ، قال : سمعت علي بن الحسين ، قال : سمعت يحيى بن معين - وسئل عن سعيد بن عنبسة الرازي - فقال : لا أعرفه.

فقيل : إنه حدث عن أبي عبيدة الحداد حديث والان ؟ فقال : هذا كذاب. حدثنا عبد الرحمن ، قال : سمعت علي بن الحسين يقول : سعيد بن عنبسة كذاب. سمعت أبي يقول : كان لا يصدق « (٦٤٦) .

٢ - الهيثم بن عدي :

وقد اتفقوا على أنه كذاب.

قال ابن أبي حاتم : « سئل يحيى بن معين عن الهيثم بن عدي ، فقال : كوفي وليس بثقة ، كذاب. سألت أبي عنه ، فقال : متروك الحديث « (٦٤٧) .

وأورده ابن حجر الحافظ في (لسانه) فذكر الكلمات فيه :

البخاري : ليس بثقة ، كان يكذب.

يحيى بن معين : ليس بثقة ، كان يكذب .

أبو داود : كذاب.

النسائي وغيره : متروك الحديث.

ابن المديني : لا أرضاه في شيء.

أبو زرعة : ليس بشيء.

العجلي : كذاب.

الساجي : كان يكذب.

أحمد : صاحب أخبار وتدليس.

الحاكم والنقاش : حدث عن الثقات بأحاديث منكورة.

محمود بن غيلان : أسقطه أحمد ويحيى وأبو خيثمة.

ذكره ابن السكن وابن شاهين وابن الجارود والدارقطني في الضعفاء.

(٦٤٦) الجرح والتعديل ٤ : ٥٢ .

(٦٤٧) الجرح والتعديل ٩ : ٨٥ .

كذب الحديث - لكون الهيثم فيه - جماعة كالتحاوي في « مشكل الحديث » والبيهقي في « السنن والنقاش والجوزجاني في ما صنفا من الموضوعات^(٦٤٨) .

أقول :

هب أنّ ابن عساكر روى هذا الخبر الموضوع في كتابه « تاريخ دمشق » فإنّ هذا الكتاب فيه موضوعات كثيرة ، كما نصّ عليه ابن تيمية^(٦٤٩) وغيره ، فما بال السيوطي ومن تبعه يذكرونه بتفسير القرآن الكريم وبيان المراد من آية من كلام الله الحكيم !!؟

* * *

(٦٤٨) لسان الميزان ٦ : ٢٠٩ .

(٦٤٩) منهاج السنة ٤ : ٤٠ .

الفصل الرابع

في دلالة آية المباهلة على الإمامة

« اعلم أنّ يوم مباهلة النبيّ صلوات الله عليه وآله لنصارى نجران كان يوماً عظيماً الشأن ، اشتمل على عدّة آيات وكرامات.

فمن آياته : إنّه كان أوّل مقام فتح الله جلّ جلاله فيه باب المباهلة الفاصلة في هذه الملتّة الفاضلة عند جحود حججه وبيّناته.

ومن آياته : إنّه أول يوم ظهرت لله جلّ جلاله ولرسوله صلوات الله عليه وآله العزّة بإلزام أهل الكتاب من النصارى الذلّة والجزية ، ودخولهم عند حكم نبوته ومراداته.

ومن آياته : إنّه كان أول يوم أحاطت فيه سرادقات القوّة الإلهيّة والقدرة النبويّة بمن كان يحتج عليه بالمعقول والمنقول والمنكرين لمعجزاته.

ومن آياته : إنّه أوّل يوم أشرقت شموسه بنور التّصديق لمحمد صلوات الله عليه من جانب الله جلّ جلاله بالتفريق بين أعدائه وأهل ثقافته.

ومن آياته : إنّه يوم أظهر فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله تخصيص أهل بيته بعلوّ مقاماتهم.

ومن آياته : إنّه يوم كشف الله جلّ جلاله لعباده أن الحسن والحسين عليهما أفضل السلام ، - مع ما كانا عليه من صغر السنّ - أحقّ بالمباهلة من صحابة رسول الله صلوات الله عليه والمجاهدين في رسالاته.

ومن آياته : إنّه يوم أظهر الله جلّ جلاله فيه أنّ ابنته المعظّمة فاطمة صلوات الله عليها أرجح في مقام المباهلة من أتباعه وذوي الصلاح من رجاله وأهل عناياته.

ومن آياته : إنّه يوم أظهر الله جلّ جلاله فيه أنّ مولانا عليّ بن أبي طالب نفس رسول الله صلوات الله عليهما ، وإنّه من معدن ذاته وصفاته ، وأن مراده من مراداته ، وأنّ افتترقت الصورة فالمعنى واحد في الفضل من سائر جهاته.

ومن آياته : إنّه يوم وسم كلّ من تأخّر عن مقام المباهلة بوسم يقتضي أنّه دون من قدم عليه في الاحتجاج لله عزوجل ونشر علاماته.

ومن آياته : إنّه يوم لم يجر مثله قبل الإسلام في ما عرفنا من صحيح النقل ورواياته.

ومن آياته : إنَّه يوم أخرج السنة الدعوى ، وعرس في مجلس منق الفتوى بأنَّ أهل المباهلة أكرم على الله جل جلاله من كلِّ من لم يصلح لما صلحوا له من المتقرِّبين بطاعته وعباداته .
ومن آياته : إنَّ يوم المباهلة يوم بيان برهان الصادقين الذين أمر الله جل جلاله باتباعهم في مقدس قرآنه وآياته .

ومن آياته : إنَّ يوم المباهلة يوم شهد الله جل جلاله لكلِّ واحد من أهل المباهلة بعصمته مدَّة حياته .

ومن آياته : إنَّ يوم المباهلة أقرب في تصديق صاحب النبوة والرسالة من التحدي بالقرآن ، وأظهر في الدلالة ، الذين تحداهم صلوات الله عليه بالقرآن قالوا : (لو نشاء لقلنا مثل هذا)^(٦٥٠) ، وإن كان قولهم في مقام البهتان . ويوم المباهلة ما أقدموا على دعوى الجحود للعجز عن مباهلتهم لظهور حجته وعلاماته .
ومن آياته : إنَّه يوم أطفأ الله به نار الحرب ، وصان وجوه المسلمين من الجهاد والكره ، وخلصهم من هيجان المخاطرة بالنفوس والرؤوس ، وعتقها من رق الغزو والبؤس لشرف أهل المباهلة الموصوفين فيها بصفاته .

ومن آياته : إنَّ البيان واللسان والجنان اعترفوا بالعجز عن كمال كراماته «^(٦٥١) .
واستدلَّ علماء الإمامية بأية المباهلة ، وأنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم دعا إليها الإمام علياً وفاطمة والحسن والحسين فقط... على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام .

* استدلال الإمام الرضا عليه السلام :

وأما وجه دلالة الآية على الإمامة ، فإنَّ الإمامية أخذت ذلك من الإمام أبي الحسن عليّ الرضا عليه السلام ، فقد قال الشريف المرتضى الموسوي طاب ثراه :

« حدَّثني الشيخ - أدام الله عزّه - أيضاً ، قال : قال المأمون يوماً للرضا عليه السلام :

أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام يدلُّ عليها القرآن .

قال : فقال له الرضا عليه السلام : فضيلته في المباهلة ، قال الله جلَّ جلاله : (فمن حاجك فيه من بعدما

جاءك من العلم فقال تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمَّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الحسن والحسين فكانا ابنيه ، ودعا فاطمة فكانت - في

هذا الموضع - نساءه ، ودعا أمير المؤمنين فكان نفسه بحكم الله عزَّ وجلَّ .

(٦٥٠) سورة الأنفال ٨ : ٣١ .

(٦٥١) إقبال الأعمال : ٨٤٢ .

وقد ثبت أنه ليس أحد من خلق الله سبحانه أجل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأفضل ، فوجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحكم الله عز وجل . قال : فقال له المأمون : أليس قد ذكر الله الأبناء بلفظ الجمع ، وإثما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنيه خاصة ، وذكر النساء بلفظ الجمع ، وإثما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنته وحدها. فلم لا جاز أن يذكر الدعاء لمن هون نفسه ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره ، فلا يكون لأمير المؤمنين عليه السلام ما ذكرت من الفضل !؟

قال : فقال له الرضا عليه السلام : ليس بصحيح ما ذكرت - يا أمير المؤمنين - وذلك أن الداعي إنما يكون داعياً لغيره ، كما يكون الأمر أمراً لغيره ، ولا يصح أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة ، كما لا يكون أمراً لها في الحقيقة ، وإذا لم يدع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً في المباهلة إلا أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد ثبت أنه نفسه التي عناها الله تعالى في كتابه ، وجعل حكمه ذلك في تنزيهه . قال : فقال المأمون : إذا ورد الجواب سقط السؤال « (٦٥٢) .

* وقال الشيخ المفيد - بعد أن ذكر القصة - : « وفي قصة أهل نجران بيان عن فضل أمير المؤمنين عليه السلام ، مع ما فيه من الآية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والمعجز الدال على نبوته . ألا ترى إلى اعتراف النصارى له بالنبوة ، وقطعه عليه السلام على امتناعهم من المباهلة ، وعلمهم بأنهم لو باهلوه لحل بهم العذاب ، وثقته عليه وآله السلام بالظفر بهم والفلج بالحجة عليهم ، وأن الله تعالى حكم في آية المباهلة لأمير المؤمنين عليه السلام بأنه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كاشفاً بذلك عن بلوغه نهاية الفضل ، ومساواته للنبي عليه وآله السلام في الكمال والعصمة من الآثام ، وأن الله جل ذكره جعله وزوجته وولديه - مع تقارب سنهما - حجة لنبية عليه وآله السلام وبرهاناً على دينه ، ونص على الحكم بأن الحسن والحسين أبناؤه ، وأن فاطمة عليها السلام نساؤه المتوجهة إليهن الذكر والخطاب في الدعاء إلى المباهلة والاحتجاج !؟

وهذا فضل لم يشركهم فيه أحد من الأمة ، ولا قاربهم فيه ولا مائلهم في معناه ، وهو لاحق بما تقدم من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام الخاصة به ، على ما ذكرناه « (٦٥٣) .

* وهكذا استدلل الشريف المرتضى ، حيث قال : « لا شبهة في دلالة آية المباهلة على فضل من دعي إليها وجعل حضوره حجة على المخالفين ، واقتضائها تقدّمه على غيره ؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يجوز أن يدعو إلى ذلك المقام ليكون حجة فيه إلا من هو في غاية الفضل وعلو المنزلة .

(٦٥٢) الفصول المختارة من العيون والمحاسن : ٣٨ .

(٦٥٣) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ١ : ١٦٩ .

وقد تظاهرت الرواية بحديث المباهلة ، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا إليها أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، وأجمع أهل النقل وأهل التفسير على ذلك...

ونحن نعلم أن قوله (وأنفسنا وأنفسكم) لا يجوز أن يعني بالمدعو فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه هو الداعي ، ولا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه ، وإنما يصح أن يدعو غيره ، كما لا يجوز أن يأمر نفسه وبينهاها ، وإذا كان قوله تعالى : (وأنفسنا وأنفسكم) لا بد أن يكون إشارةً إلى غير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وجب أن يكون إشارةً إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، لأنه لا أحد يدعي دخول غير أمير المؤمنين وغير زوجته وولديه عليهم السلام في المباهلة « (٦٥٤) .

* وقال الشيخ الطوسي : « أحد ما يستدل به على فضله عليه السلام ، قوله تعالى : (قد تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل...) إلى آخر الآية.

ووجه الدلالة فيها : أنه قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام إلى المباهلة ، وأجمع أهل النقل والتفسير على ذلك ، ولا يجوز أن يدعو إلى ذلك المقام ليكون حجةً إلا من هو في غاية الفضل وعلو المنزلة ، ونحن نعلم أن قوله : (وأنفسنا وأنفسكم) لا يجوز أن يعني بالمدعو فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنه هو الداعي ، ولا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه ، وإنما يصح أن يدعو غيره ، كما لا يجوز أن يأمر نفسه وبينهاها.

وإذا كان قوله : (وأنفسنا وأنفسكم) لا بد أن يكون إشارةً إلى غير الرسول ، وجب أن يكون إشارةً إلى أمير المؤمنين عليه السلام ؛ لأنه لا أحد يدعي دخول غير أمير المؤمنين وغير زوجته وولديه عليهم السلام في المباهلة... « (٦٥٥) .

وقال بتفسير الآية : « واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن أمير المؤمنين عليه السلام كان أفضل الصحابة من وجهين :

أحدهما : إن موضوع المباهلة ليشتمل المحقق من المبطل ، وذلك لا يصح أن يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن ، مقطوعاً على صحة عقيدته ، أفضل الناس عند الله.

والثاني : إنه صلى الله عليه وآله وسلم جعله مثل نفسه بقوله : (وأنفسنا وأنفسكم...) (٦٥٦) .

* وقال الإربلي : « ففي هذه القضية بيان لفضل علي عليه السلام ، وظهور معجز النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن النصارى علموا أنهم متى باهلوهم حل بهم العذاب ، فقبلوا الصلح ودخلوا تحت الهدنة ، وإن الله تعالى أبان أن علياً هو نفس رسول الله كاشفاً بذلك عن بلوغه نهاية الفضل ، ومساواته

(٦٥٤) الشافي في الإمامة ٢ : ٢٥٤ .

(٦٥٥) تلخيص الشافي ٣ : ٦ - ٧ .

(٦٥٦) التبيان في تفسير القرآن ٢ : ٤٨٥ .

للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْكَمَالِ وَالْعَصْمَةِ مِنَ الْآثَامِ ، وَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ وَزَوْجَتَهُ وَوَلَدَيْهِ - مَعَ تَقَارُبِ سَنَّهُمَا - حِجَّةً لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَبِرَهَانًا عَلَى دِينِهِ ، وَنَصَّ عَلَى الْحُكْمِ بِأَنَّ الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ أَبْنَاءَهُ ، وَأَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ نَسَاؤُهُ وَالْمَتَوَجَّهَ إِلَيْهِنَّ الذِّكْرَ وَالْخَطَابَ فِي الدَّعَاءِ إِلَى الْمِبَاهِلَةِ وَالِاحْتِجَاجِ ؛ وَهَذَا فَضْلٌ لَمْ يَشَارِكْهُمْ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَّةِ وَلَا قَارِبَهُمْ « (٦٥٧) .

* وَقَالَ الْبِيَّاضِيُّ : « وَلَأَنَّهُ مَسَاوٍ لِلنَّبِيِّ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ ، فِي قَوْلِهِ (وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ) وَالْمُرَادُ : الْمِمَاثِلَةُ ، لِامْتِنَاعِ الْإِتِّحَادِ « (٦٥٨) .

* وَقَالَ الْمُحَقِّقُ نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ - فِي أَنَّ عَلِيًّا أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ - : « وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَأَنْفُسَنَا) » .
* فَقَالَ الْعَلَّامَةُ الْحَلِّيُّ بِشَرْحِهِ : « هَذَا هُوَ الْوَجْهُ الثَّلَاثُ الدَّالُّ عَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (قَدْ تَعَالَوْا...) .. وَاتَّفَقَ الْمَفْسُورُونَ كَافَّةً أَنَّ الْأَبْنَاءَ إِشَارَةٌ إِلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَالنِّسَاءَ إِشَارَةٌ إِلَى فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ، وَالْأَنْفُسَ إِشَارَةٌ إِلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .
وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ نَفْسَهُمَا وَاحِدَةٌ ؛ فَلَمْ يَبْقِ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الْمَسَاوِي ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ النَّاسِ ، فَمَسَاوِيهِ كَذَلِكَ أَيْضًا « (٦٥٩) .

* وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الْحَلِّيُّ : « أَجْمَعَ الْمَفْسُورُونَ عَلَى أَنَّ (أَبْنَاءَنَا) إِشَارَةٌ إِلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ، وَ (أَنْفُسَنَا) إِشَارَةٌ إِلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَجَعَلَهُ اللَّهُ نَفْسَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَالْمُرَادُ الْمَسَاوَاةُ ، وَمَسَاوِي الْأَكْمَلِ الْأَوَّلَى بِالتَّصَرُّفِ أَكْمَلٌ وَأَوَّلَى بِالتَّصَرُّفِ ، وَهَذِهِ الْآيَةُ أَدَلُّ دَلِيلٌ عَلَى عُلُوِّ رَتْبَةِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى حَكَمَ بِالْمَسَاوَاةِ لِنَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَّهُ تَعَالَى عَيْنَهُ فِي اسْتِعَاذَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الدَّعَاءِ . وَأَيُّ فَضِيلَةٍ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يَأْمُرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ بِأَنْ يَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى الدَّعَاءِ إِلَيْهِ وَالتَّوَسُّلَ بِهِ ؟! وَمَنْ حَصَلَتْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ ؟! « (٦٦٠) .

أقول :

وعلى هذا الغرار كلمات غيرهم من علمائنا الكبار في مختلف الأعصار... فإنهم استدلوا على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بطائفتين من الأدلة ، الأولى هي النصوص ، والثانية هي الدالة على الأفضلية ، والأفضلية مستلزمة للإمامة ، وهو المطلوب.

وخلاصة الاستدلال بالآية هو :

(٦٥٧) كشف الغمّة في معرفة الأئمّة ١ : ٢٣٣ .

(٦٥٨) الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم ١ : ٢١٠ .

(٦٥٩) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد : ٤١١ .

(٦٦٠) نهج الحقّ وكشف الصدق : ١٧٧ .

١ - إن الآية المباركة نصّ في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ، لأنها تدلّ على المساواة بين النبي وبينه عليه السلام ، ومساوي الأكمل الأولى بالتصرّف ، أكمل وأولى بالتصرف .

٢ - إن قضية المباهلة وما كان من النبي صلى الله عليه وآله وسلّم - قولاً وفعلاً - تدلّ على أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام ، وذلك لوجوه منها :

أولاً : إن هذه القضية تدلّ على أن علياً وفاطمة والحسين عليهم السلام ، أحبّ الناس إلى رسول الله ، والأحبية تستلزم الأفضلية .

وقد اعترف المحققون من أهل السنة بالدلالة هنا على الأحيّة .

قال البيضاوي : « أي يدع كلّ منّا ومنكم نفسه وأعرّة أهله وألصقهم بقلبه إلى المباهلة... » .

فقال الشهاب الخفاجي في حاشيته : « ألصقهم بقلبه ، أي : أحبهم وأقربهم إليه » .

وقال : « قوله : وإئما قدّمهم... ، يعني : أنهم أعزّ من نفسه ، ولذا يجعلها فداءً لهم ، فلذا قدّم

ذكرهم اهتماماً به . وأما فضل آل الله والرسول فالنهار لا يحتاج إلى دليل »^(٦٦١) .

وكذا قال الخطيب الشربيني^(٦٦٢) ، والشيخ سليمان الجمل^(٦٦٣) ، وغيرهما .

وقال القاري : « فنزله منزلة نفسه لما بينهما من القرابة والأخوة »^(٦٦٤) .

وثانياً : دلالة فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلّم ، إذ باهل خصومه بعلي وفاطمة وحسن

وحسين فقط ، ولم يدع واحدةً من أزواجه ، ولا واحداً من بني هاشم ، ولا امرأةً من أقربائه... فضلا عن

أصحابه وقومه... فإنه يدلّ على عظمة الموقف ، وجلالة شأن هؤلاء عند الله دون غيرهم ، إذ لو كان

لأحدهم في المسلمين مطلقاً نظير ، لم يكن لتخصيصهم بذلك وجه .

وثالثاً : دلالة قوله صلى الله عليه وآله وسلّم لأهل البيت ، لما أخرجهم للمباهلة : « إذا أنا دعوت

فأمّنوا » .

فقال أسقفهم : « إني لارى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من جباله لأزاله ، فلاتبأهلوا فتهلكوا

ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة »^(٦٦٥) .

(٦٦١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٣ : ٣٢ .

(٦٦٢) السراج المنير في تفسير القرآن ١ : ٢٢٢ .

(٦٦٣) الجمل على الجلالين ١ : ٢٨٢ .

(٦٦٤) مرقة المفاتيح ٥ : ٥٨٩ .

(٦٦٥) الكشاف ١ : ٥٦٥ ، تفسير الخازن ١ : ٢٥٤ ، السراج المنير في تفسير القرآن ١ : ٢٢٢ ، المراغي ٣ : ١٧٥ ، وغيرهم ممّن تقدم أو تأخر .

فإن ذلك يدل على دخل لهم في ثبوت نبوته وصدق كلامه ، وفي إذلال الخصوم وهلاكهم لوباهلوا... ، فكان لهم الأثر الكبير والسهم الجليل في نصرته الدين ورسول رب العالمين. ولا ريب أن من كان له هذا الشأن في مباهلة الأنبياء كان أفضل ممن ليس له ذلك.

قال القاشاني : « إن لمباهلة الأنبياء تأثيراً عظيماً سببه اتصال نفوسهم بروح القدس وتأييد الله إياهم به ، وهو المؤثر بإذن الله في العالم العنصري ، فيكون انفعال العالم العنصري منه كإنفعال بدننا من روحنا بالهيئات الواردة عليه ، كالغضب ، والحزن ، والفكر في أحوال المعشوق ، وغير ذلك من تحرك الاعضاء عند حدوث الإرادات والعزائم ، وانفعال النفوس البشرية منه كإنفعال حواسنا وسائر قوانا من هيئات أرواحنا ، فإذا اتصل نفس قدسي به كان تأثيرها في العالم عند التوجه الإتصالي تأثير ما يتصل به ، فتتفاعل أجرام العناصر والنفوس الناقصة الإنسانية منه بما أراد.

ألم تر كيف انفعلت نفوس النصارى من نفسه عليه السلام بالخوف ، وأحجمت عن المباهلة وطلبت المواعدة بقبول الجزية ؟ » (٦٦٦) .

أقول : فكان أهل البيت عليهم السلام شركاء مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا التأثير العظيم ، وهذه مرتبة لم يبلغ عشر معشارها غيرهم من الأقرباء والأصحاب.

وعلى الجملة ، فإن المباهلة تدل على افضلية أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والأفضل هو المتعين للإمامة بالإتفاق من المسلمين ، كما اعترف به حتى مثل ابن تيمية (٦٦٧) .

ونتيجة الإستدلال بالآية المباركة وما فعله النبي وقاله ، هو أن الله عز وجل أمر رسوله بأن يسمى علياً نفسه كي يبين للناس أن علياً هو الذي يتلوه ويقوم مقامه في الإمامة الكبرى والولاية العامة ؛ لأن غير الواجد لهذه المناصب لا يأمر الله رسوله بأن يسميه نفسه.

هذا ، وفي الآية دلالة على أن « الحسنين » إنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا ما نص عليه غير واحد من أكابر القوم (٦٦٨) .

وقد جاء في الكتب أن علياً عليه السلام كان الكاتب لكتاب الصلح (٦٦٩) وأنه توجه بعد ذلك إلى نجران بأمر النبي لجمع الصدقات ممن أسلم منهم وأخذ الجزية ممن بقي منهم على دينه (٦٧٠) .

(٦٦٦) تفسير القاسمي ٤ : ١١٣ .

(٦٦٧) نص عليه في مواضع من منهاجه ، انظر مثلاً : ٦ : ٤٧٥ و ٨ : ٢٢٨ .

(٦٦٨) تفسير الرازي وغيره من التفاسير ، بتفسير الآية .

(٦٦٩) السنن الكبرى للبيهقي ١٠ : ١٢٠ ، وغيره .

(٦٧٠) شرح المواهب اللدنية ٤ : ٤٣ .

ثم إن أصحابنا يعضّدون دلالة الآية الكريمة على المساواة بعدة من الروايات :

كقوله صلى الله عليه وآله وسلّم لبريدة بن الحصيب عندما شكّا عليّاً عليه السلام : « يا بريدة ! لا تبغض عليّاً فإنّه منّي وأنا منه » ولعموم المسلمين في تلك القصة : « عليّ منّي وأنا من عليّ ، وهو وليكم من بعدي »^(٦٧١) .

وقوله وقد سئل عن بعض أصحابه ، فقيل : فعليّ؟! قال : « إنّما سألتني عن الناس ولم تسألني عن نفسي »^(٦٧٢) .

وقوله : « خلقت أنا وعليّ من نور واحد ».

وقوله : « خلقت أنا وعليّ من شجرة واحدة »^(٦٧٣) .

وقوله - في جواب قول جبرئيل في أحد : يا محمّد ! إنّ هذه لهي المواساة - : « يا جبرئيل ، إنّّه منّي وأنا منه . فقال جبرئيل : وأنا منكما »^(٦٧٤) .

أقول : وستأتي أحاديث آخر فيما بعد ، إن شاء الله.

وممّا يستدل به أيضاً : قوله صلى الله عليه وآله وسلّم : « فاطمة بضعة منّي... » حيث استدلّ به بعض أئمة القوم على أن من سبّها يكفر^(٦٧٥) وقال غير واحد من أمّتهم بأفضليّة فاطمة على أبي بكر وعمر ، لكونها بضعة من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم ، وهو أفضل منهما بالإجماع^(٦٧٦) ، فإن عليّاً عليه السلام أفضل منها بالإجماع كذلك.

ثمّ إن غير واحد من أعلام أهل السنّة اعترف بدلالة القصة على فضيلة فائقة لأهل البيت عليهم السلام :

قال الزمخشري : « وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام »^(٦٧٧) .

(٦٧١) هذا حديث الولاية ، وقد بحثنا عنه بالتفصيل سنداً ودلالةً في الجزء الخامس عشر من كتابنا الكبير « نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار » .

(٦٧٢) كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب : ١٥٥ .

(٦٧٣) حديث النور ، وحديث الشجرة ، بحثنا عنهما بالتفصيل سنداً ودلالةً في الجزء الخامس من كتابنا الكبير « نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار » .

(٦٧٤) المعجم الكبير ١ : ٩٤١/٣١٨ ، مجمع الزوائد ٦ : ١١٤ عن الطبراني ١٢٢ ، عن البزار ، تاريخ الطبري ٢ : ٥١٤ ، الكامل في التاريخ ٢ : ١٥٤ ومصادر أخرى في التاريخ والحديث .

(٦٧٥) فتح الباري ٧ : ٨٤ ، مرقاة المفاتيح ٥ : ٥٩٢ .

(٦٧٦) فيض القدير ٤ : ٤٢١ .

(٦٧٧) الكشّاف : ٥٦٦ .

وقال ابن روزبهان : « لأمر المؤمنين عليّ عليه السلام في هذه الآية فضيلة عظيمة وهي مسلمة ، ولكن لا تصير دالة على النص بإمامته »^(٦٧٨) .

أقول : فلا أقل من الدلالة على الأفضلية ؛ لأن هذه الفضيلة غير حاصلة لغيره ، فهو أفضل الصحابة ، والأفضلية تستلزم الإمامة.

ومن هنا نرى الفخر الرازي لا يقدر في دلالة الآية على أفضلية عليّ على سائر الصحابة ، وإنما يناقش الشيخ الحمصي في استدلاله بها على أفضليته على سائر الأنبياء ، وسيأتي كلامه في الفصل الخامس .
وتبعه النيسابوري وهذه عبارته : « أي : يدع كل منّا ومنكم أبناءه ونساءه ويأت هو بنفسه وبمن هو كنفه إلى المباهلة ، وإنما يعلم إتيانه بنفسه من قرينة ذكر النفس ومن إحضار من هم أعز من النفس ، ويعلم إتيان من هو بمنزلة النفس من قرينة أن الإنسان لا يدعو نفسه . (ثم نتهد) : ثم نتباهل... وفي الآية دلالة على أن الحسن والحسين - وهما ابنا البيت - يصح أن يقال : إنهما ابنا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ، لأنه صلى الله عليه [وآله] وسلم وعد أن يدعو أبناءه ثم جاء بهما .
وقد تمسك الشيعة قديماً وحديثاً بها في أن علياً أفضل من سائر الصحابة ؛ لأنها دلّت على أن نفس عليّ مثل نفس محمد إلا في ما خصه الدليل .

وكان في الرى رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي - وكان متكلم الاثني عشرية - يزعم أن علياً أفضل من سائر الأنبياء سوى محمد . قال : وذلك أنه ليس المراد بقوله : (وأنفسنا) نفس محمد ، لأن الإنسان لا يدعو نفسه ، فالمراد غيره ، وأجمعوا على أن ذلك الغير كان عليّ بن أبي طالب...
وأجيب بأنه كما انعقد الإجماع بين المسلمين على أن محمداً أفضل من سائر الأنبياء فكذا انعقد الإجماع بينهم - قبل ظهور هذا الانسان - على أن النبي أفضل ممن ليس بنبي . وأجمعوا على أن علياً عليه السلام ما كان نبياً...

وأما فضل أصحاب الكساء فلا شك في دلالة الآية على ذلك ، ولهذا ضمهم إلى نفسه ، بل قدّمهم في الذكر... »^(٦٧٩) .

* * *

(٦٧٨) إبطال الباطل - مع إحقاق الحق - ٣ : ٦٣ .

(٦٧٩) تفسير غرائب القرآن ٢ : ١٧٨ - ١٧٩ .

الفصل الخامس

في دفع شبهات المخالفين

وتلخّص الكلام في الفصل السابق في أنّ الآية المباركة دالّة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ، إن لم يكن بالنصّ فبالدلالة على العصمة على الأفضليّة للأحييّة والأقربيّة وغيرهما من الوجوه... ولم يكن هناك أيّ مجال للطعن في سند الحديث أو التلاعب بمتنه...
فلننظر في كلمات المخالفين في مرحلة الدلالة :

* أمّا إمام المعتزلة ، فقد قال :

« دليل آخر لهم : وربّما تعلّقوا بآية المباهلة وأنها لما نزلت جمع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأنّ ذلك يدلّ على أنّه الأفضل ، وذلك يقتضي أنّه بالإمامة أحقّ ولا بدّ من أن يكون هو المراد بقوله (وأنفسنا وأنفسكم) (الآية). لأنّه عليه السلام لا يدخل تحت قوله تعالى : (ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم) فيجيب أن يكون داخلاً تحت قوله : (وأنفسنا وأنفسكم) ، ولا يجوز أن يجعله من نفسه إلاّ ويتلوه في الفضل.

وهذا مثل الأوّل في أنّه كلام في التفضيل ، ونحن نبيّن أنّ الإمامة قد تكون في من ليس بأفضل.

وفي شيوخنا من ذكر عن أصحاب الآثار أنّ عليّاً عليه السلام لم يكن في المباهلة.

قال شيخنا أبو هاشم : إمّا خصّ صلى الله عليه وآله وسلّم من يقرب منه في النسب ولم يقصد الإبانة عن الفضل ، ودلّ ذلك بأنّه عليه السلام أدخل فيها الحسن والحسين عليهما السلام مع صغرهما لما اختصا به من قرب النسب. وقوله : (أنفسنا وأنفسكم) يدلّ على هذا المعنى ، لأنّه أراد قرب القرابة ، كما يقال في الرجل يقرب من القوم في النسب : إنّه من أنفسهم.

ولا ينكر أن يدلّ ذلك على لطف محلّه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وشدة محبّته له

وفضله ، وإمّا أنكرنا أن يدلّ ذلك على أنّه الأفضل أو على الإمامة... « (٦٨٠) .

(٦٨٠) المغني في الإمامة : ٢٠ القسم ١ : ١٤٢ .

أقول :

ويتلخص هذا الكلام في أمور :

الأول : إن الإمامة قد تكون في من ليس بأفضل.

وهذا - في الواقع - تسليم باستدلال الإمامية بالآية على أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام ، وكون

الإمامة في من ليس بأفضل لم يرتضه حتى مثل ابن تيمية !

والثاني : إن علياً لم يكن في المباهلة.

وهذا أيضاً دليل على تمامية استدلال الإمامية ، وإلا لم يلتجؤا إلى هذه الدعوى ، كما التجأ بعضهم

- كالفخر الرازي - في الجواب عن حديث الغدير ، بأن علياً لم يكن في حجة الوداع !

والثالث : إنه لم يكن القصد إلى الإبانة عن الفضل ، بل أراد قرب القرابة.

وهذا باطل ، لأنه لو أراد ذلك فقط ، لأخرج غيرهم من أقربائه كالعباس ، وهذا ماتنبه إليه ابن

تيمية فأجاب بأن العباس لم يكن من السابقين الأولين ، فاعترف - من حيث يدري أو لا يدري - بالحق.

هذا ، ولا يخفى أن معتمد الأشاعرة في المناقشة هو هذا الوجه الأخير ، وبهذا يظهر أن القوم عيال

على المعتزلة ، وكم له من نظير !!

* وقال ابن تيمية^(٦٨١) :

« أما أخذه علياً وفاطمة والحسن والحسين في المباهلة ، فحديث صحيح ، رواه مسلم عن سعد

بن أبي وقاص. قال في حديث طويل : « لما نزلت هذه الآية : (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم

وأنفسنا وأنفسكم) دعا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، فقال : اللهم

هؤلاء أهلي .»

ولكن لا دلالة في ذلك على الإمامة ولا على الأفضلية.

وقوله : (قد جعل الله نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ، والاتحاد محال ، فبقي المساواة

له ، وله الولاية العامة ، فكذا لمساويه).

قلنا : لا نسلم أنه لم يبق إلا المساواة ، ولا دليل على ذلك ، بل حمله على ذلك ممتنع ؛ لأنّ أحداً

لا يساوي رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم ، لا علياً ولا غيره.

وهذا اللفظ في لغة العرب لا يقتضي المساواة ، قال تعالى في قصة الإفك : (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون

والمؤمنات بأنفسهم خيراً) وقد قال تعالى في قصة بني إسرائيل : (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند

(٦٨١) أوردنا كلامه بطوله ، ليظهر أنّ غيره تبع له . ولنأخذ يظن ظاناً أننا تركنا منه شيئاً له تأثير في البحث !

بارئكم) أي : يقتل بعضكم بعضاً ، ولم يوجب ذلك أن يكونوا متساوين ، ولا أن يكون من عبد العجل مساوياً لمن لم يعبد.

وكذلك قد قيل في قوله : (ولا تقتلوا أنفسكم) أي : لا يقتل بعضكم بعضاً ، وإن كانوا غير متساوين . وقال تعالى : (ولا تلمزوا أنفسكم) أي : لا يلمز بعضكم بعضاً فيطعن عليه ويعيبه ، وهذا نهى لجميع المؤمنين أن لا يفعل بعضهم ببعض هذا الطعن والعيب ، مع أنهم غير متساوين لا في الأحكام ولا في الفضيلة ، ولا الظالم كالمظلوم ، ولا الإمام كالمأموم .

ومن هذا الباب قوله تعالى : (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم) أي : يقتل بعضكم بعضاً . وإذا كان اللفظ في قوله : (وأنفسنا وأنفسكم) كاللفظ في قوله (ولا تلمزوا أنفسكم).. (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) ونحو ذلك ، مع أن التساوي هنا ليس بواجب ، بل ممتنع ، فكذلك هناك وأشد .

بل هذا اللفظ يدل على المجانسة والمشابهة ، والتجانس والمشابهة يكون بالاشتراك في بعض الأمور ، كالاشتراك في الإيمان ، فالمؤمنون إخوة في الإيمان ، وهو المراد بقوله : (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) وقوله : (ولا تلمزوا أنفسكم) .

وقد يكون بالاشتراك في الدين ، وإن كان فيهم المنافع ، كاشتراك المسلمين في الإسلام الظاهر ، وإن كان مع ذلك الإشتراك في النسب فهو أوكد ، وقوم موسى كانوا (أنفسنا) بهذا الاعتبار .

قوله تعالى : (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أي : رجالنا ورجالكم ، أي : الرجال الذين هم من جنسنا في الدين والنسب ، والرجال الذين هم من جنسكم ، والمراد التجانس في القرابة فقط ؛ لأنه قال : (أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم) فذكر الأولاد وذكر النساء والرجال ، فعلم أنه أراد الأقربين إلينا من الذكور والإناث من الأولاد والعصبة ؛ ولهذا دعا الحسن والحسين من الأبناء ، ودعا فاطمة من النساء ، ودعا علياً من رجاله ، ولم يكن عنده أحد أقرب إليه نسباً من هؤلاء ، وهم الذين أدار عليهم الكساء .

والمباهلة إنما تحصل بالأقربين إليه ، وإلا فلو باهل بالأبعدين في النسب وإن كانوا أفضل عند الله لم يحصل المقصود ، فإن المراد أنهم يدعون الأقربين كما يدعو هو الأقرب إليه .

والنفوس تحنو على أقاربها ما لا تحنو على غيرهم ، وكانوا يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ، ويعلمون أنهم إن باهلوه نزلت البهلة عليهم وعلى أقاربهم ، واجتمع خوفهم على أنفسهم وعلى أقاربهم ، فكان ذلك أبلغ في امتناعهم وإلا فالإنسان قد يختار أن يهلك ويحيا ابنه ،

والشيخ الكبير قد يختار الموت إذا بقي أقاربه في نعمة ومال ، وهذا موجود كثير ، فطلب منهم المباهلة بالأبناء والنساء والرجال والأقربين من الجانبين ، فلهذا دعا هؤلاء.

وآية المباهلة نزلت سنة عشر ، لما قدم وفد نجران ، ولم يكن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم قد بقي من أعمامه إلا العباس ، والعبّاس لم يكن من السابقين الأولين ، ولا كان له به اختصاص كعليّ .
وأما بنو عمّه فلم يكن فيهم مثل عليّ ، وكان جعفر قد قتل قبل ذلك ، فإنّ المباهلة كانت لما قدم وفد نجران سنة تسع أو عشر ، وجعفر قتل بمؤتة سنة ثمان ، فتعَيّن عليّ رضي الله عنه.

وكونه تعيّن للمباهلة إذ ليس في الأقارب من يقوم مقامه ، لا يوجب أن يكون مساوياً للنبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم في شيء من الأشياء ، بل ولا أن يكون أفضل من سائر الصحابة مطلقاً ، بل له بالمباهلة نوع فضيلة ، وهي مشتركة بينه وبين فاطمة وحسن وحسين ، ليست من خصائص الإمامة ، فإنّ خصائص الإمامة لا تثبت للنساء ، ولا يقتضي أن يكون من باهل به أفضل من جميع الصحابة ، كما لم يوجب أن تكون فاطمة وحسن وحسين أفضل من جميع الصحابة.

وأما قول الرافضيّ : لو كان غير هؤلاء مساوياً لهم أو أفضل منهم في استجابة الدعاء لأمره تعالى بأخذهم معه ؛ لأنّه في موضع الحاجة.

فيقال في الجواب : لم يكن المقصود إجابة الدعاء ، فإنّ دعاء النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم وحده كاف ، ولو كان المراد بمن يدعوّه معه أن يستجاب دعاؤه لدعا المؤمنين كلّهم ودعا بهم ، كما كان يستسقي بهم وكما كان يستفتح بصعاليك المهاجرين ، وكان يقول : وفهل تنصرون وترزقون إلّا بضعفائكم؟! بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم !

ومن المعلوم أنّ هؤلاء وإن كانوا مجابين ، فكثرة الدعاء أبلغ في الإجابة ، لكن لم يكن المقصود دعوة من دعاه إجابة دعائه ، بل لأجل المقابلة بين الأهل والأهل !

ونحن نعلم بالإضطرار أنّ النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم لو دعا أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وغيرهم للمباهلة ، لكانوا أعظم الناس استجابةً لأمره ، وكان دعاء هؤلاء وغيرهم أبلغ في إجابة الدعاء ، لكن لم يأمره الله سبحانه بأخذهم معه ، لأنّ ذلك لا يحصل به المقصود.

فإنّ المقصود أن أولئك يأتون بمن يشفقون عليه طبعاً ، كأبنائهم ونسائهم ورجالهم الذين هم أقرب الناس إليهم ، فلو دعا النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم قوماً أجنب لآتى أولئك بأجنب ، ولم يكن يشتدّ عليه نزول البهلة بأولئك الأجنب ، كما يشتدّ عليهم نزولها بالأقربين إليهم ، فإنّ طبع البشر يخاف

على أقربيه ما لا يخاف على الأجنب ، فأمر النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم أن يدعو قرابته وأن يدعو أولئك قرابتهم.

والناس عند المقابلة تقول كلّ طائفة للأخرى : ارهنوا عندنا أبناءكم ونساءكم ، فلو رهنتم إحدى الطائفتين أجنبياً لم يرض أولئك ، كما أنّه لو دعا النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم الأجنب لم يرض أولئك المقابلون له ، ولا يلزم أن يكون أهل الرجل أفضل عند الله إذا قابل بهم لمن يقابله بأهله. فقد تبين أن الآية لا دلالة فيها أصلاً على مطلوب الرافضي.

لكنّه - وأمثاله ممّن في قلبه زيغ - كالنصارى الذين يتعلّقون بالألفاظ المجمّلة ويدعون النصوص الصريحة ، ثمّ قدحه في خيار الأمة بزعمه الكاذب ، حيث زعم أنّ المراد بالأنفس المساوون ، وهو خلاف المستعمل في لغة العرب.

وممّا يبيّن ذلك أنّ قوله : (نساءنا) لا يختصّ بفاطمة ، بل من دعاه من بناته كانت بمنزلتها في ذلك ، لكن لم يكن عنده إذ ذاك إلاّ فاطمة ، فإنّ رقيّة وأمّ كلثوم وزينب كنّ قد توفّين قبل ذلك. فكذلك (أنفسنا) ليس مختصّاً بعليّ ، بل هذه صيغة جمع كما أنّ (نساءنا) صيغة جمع ، وكذلك (أبناءنا) صيغة جمع ، وإمّا دعا حسناً وحسيناً لأنّه لم يكن ممّن ينسب إليه بالبنوة سواهما ، فإنّ إبراهيم إن كان موجوداً إذ ذاك فهو طفل لا يدعى ، فإنّ إبراهيم هو ابن مارية القبطيّة التي أهداها له المقوقس صاحب مصر ، وأهدى له البغلة ومارية وسيرين ، فأعطى سيرين لحسان بن ثابت ، وتسرى مارية فولدت له إبراهيم ، وعاش بضعة عشر شهراً ومات ، فقال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم : إنّ له مرضعاً في الجنة تتمّ رضاعه ، وكان إهداء المقوقس بعد الحديبيّة بل بعد حنين « (٦٨٢) » .

أقول :

كان هذا نصّ كلام ابن تيميّة في مسألة المباهلة ، وقد جاء فيه :

١ - الاعتراف بصحة الحديث.

وفيه ردّ على المشكّكين في صحّته وثبوته عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم.

٢ - الاعتراف باختصاص القضية بالأربعة الأطهار.

وفيه ردّ على المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام ، المحرّفين للحديث بنقص « عليّ » منهم أو

زيادة غيرهم عليهم !!

٣ - الاعتراف بأنّهم هم الذين أدار عليهم الكساء.

(٦٨٢) منهاج السنّة ٧ : ١٢٢ - ١٣٠ .

وفيه ردّ على من زعم دخول غيرهم في آية التطهير ، بل فيه دلالة على تناقض ابن تيمية، لزعمه - في موضع من مناهجه - دخول الأزواج أخذاً بالسياق، كما تقدّم في مبحث تلك الآية.

٤ - الاعتراف بأنّ في المباهلة نوع فضيلة لعليّ.

وفيه ردّ على من يحاول إنكار ذلك.

ثمّ إنّ ابن تيمية ينكر دلالة الحديث على الإمامة مطلقاً ، بكلام مضطرب مشتمل على التهافت ، وعلى جواب - قال الدهلوي عنه : - هو من كلام النواصب !!

* فأول شيء قاله هو : إنّ أحداً لا يساوي رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم.

ونحن أيضاً نقول : إنّ أحداً لا يساويه لولا الآية والأحاديث القطعية الواردة عنه ، كقوله صلى الله عليه وآله وسلّم : « عليّ منّي وأنا من عليّ ، وهو وليكم بعدي »^(٦٨٣) وقوله - في قصة سورة البراءة - : « لا يؤدّي عني إلا أنا أو رجل منّي »^(٦٨٤) .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلّم - لوفد ثقيف - : « لتسلمنّ أو لأبعثنّ عليكم رجلاً منّي أو قال : مثل نفسي - ليضربنّ أعناقكم وليسبينّ ذراريكم ، وليأخذنّ أموالكم » قال عمر : فو الله ما تمنيت الإمارة إلاّ يومئذ ، فجعلت أنصب صدري رجاء أن يقول : هو هذا.

فالتفت إلى عليّ فأخذ بيده وقال : « هو هذا ، هو هذا »^(٦٨٥) .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلّم منزلاً إياه منزلة نفسه : « إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله » فاستشرف له أبو بكر وعمر وغيرهما ، كلّ يقول : أنا هو ؟ قال : لا ؛ ثمّ قال : « ولكن خاصف النعل » وكان قد أعطى عليّاً نعله يخصفها^(٦٨٦) .

إلى غير ذلك من الأحاديث ، وقد سبق ذكر بعضها أيضاً.

فإذا كان هذا قول الله وكلام الرسول ، فماذا نفعل نحن !؟

* ثمّ إنّّه أنكر دلالة لفظ « الأنفس » على « المساواة » في لغة العرب ، فقال بأنّ المراد منه في الآية هو من يتّصل بالقرابة ، واستشهد لذلك بآيات من القرآن.

(٦٨٣) هذا حديث الولاية ، وهو من أصحّ الأحاديث وأثبتها ، وقد بحثنا عنه سنداً ودلالةً في الجزء الخامس عشر من أجزاء كتابنا الكبير « نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار » .

(٦٨٤) هذا حديث الولاية ، وهو من أصحّ الأحاديث وأثبتها ، وقد بحثنا عنه سنداً ودلالةً في الجزء الخامس عشر من أجزاء كتابنا الكبير « نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار » .

(٦٨٥) راجع : الاستيعاب ٣ : ١١١٠ ، ترجمة أمير المؤمنين .

(٦٨٦) أخرجه أحمد ٤ : ١٠٨٩٦/٤٢٠ ، والحاكم ٣ : ١٢٢ ، والنسائي في الخصائص : ١٥٦/٢١٩ ، وابن عبد البر وابن حجر وابن الأثير ، أسد الغابة ٣ : ٦١١ ، بترجمته . وكذا غيرهم .

لكن ماذا يقول ابن تيمية في الآيات التي وقع فيها المقابلة بين « النفس » و « الأقرباء » كما في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا^(٦٨٧)) وقوله تعالى : (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم)^(٦٨٨) فكذلك آية المباهلة.

غير أنّ « النفس » في الآيتين المذكورتين مستعملة في نفس الإنسان على وجه الحقيقة ، أمّا في آية المباهلة فيه مستعملة - لتعذر الحقيقة - على وجه المجاز لمن نزل بمنزلة النفس ، وهو عليّ عليه السلام ، للحديث القطعي الوارد في القضية.

* ثمّ إنّّه أكّد كون أخذ الأربعة الأطهار عليهم السلام لمجرد القرابة ، بإنكار الإستعانة بهم في الدعاء ، فقال : « لم يكن المقصود إجابة الدعاء فإنّ دعاء النبيّ وحده كاف » !!

لكنّه اجتهاد في مقابلة النصّ ، فقد روى القوم أنّه صلى الله عليه وآله وسلّم قال لهم: « إذا أنا دعوت فأمنوا^(٦٨٩) » ، وأنّه قد عرف أسقف نجران ذلك حيث قال : « إنّني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها » أو : « لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها »^(٦٩٠) .

* ثمّ قال ابن تيمية : « لم يكن المقصود دعوة من دعاه لإجابة دعائه ، بل لأجل المقابلة بين الأهل والأهل... فإنّ المقصود أنّ أولئك يأتون بمن يشفقون عليه طبعاً كأبنائهم ونسائهم ورجالهم... ».

وهذا كلام النواصب... كما نصّ عليه الدهلوي في عبارته.

وحاصل كلامه : أنّه إنّما دعاهم لكونهم أقرباءه فقط ، على ما كان عليه المتعارف في المباهلة ، فلا مزية لمن دعاه أبداً ، فلا دلالة في الآية على مطلوب الشيعة أصلاً ، لكنهم كالنصارى...!!

لكنّه يعلم بوجود الكثيرين من أقربائه - من الرجال والنساء - وعلى رأسهم عمّه العباس ، فلو كان التعبير بالنفس لمجرد القرابة لدعا العباس وأولاده وغيرهم من بني هاشم !

فيناقض نفسه ويرجع إلى الاعتراف بمزية لمن دعاهم ، وأنّ المقام ليس مقام مجرد القرابة...!! انظر

إلى كلامه :

« ولم يكن النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم قد بقي من أعمامه إلّا العباس ، والعباس لم يكن من السابقين الأولين ، ولا كان له به اختصاص كعليّ ، وأمّا بنو عمه فلم يكن فيهم مثل عليّ... فتعيّن عليّ رضي الله عنه. وكونه تعيّن للمباهلة إذ ليس في الأقارب من يقوم مقامه لا يوجب... بل له بالمباهلة نوع فضيلة... ».

(٦٨٧) سورة التحريم ٦٦ : ٦ .

(٦٨٨) سورة الزمر ٣٩ : ١٥ ، وسورة الشورى ٤٢ : ٤٥ .

(٦٨٩) تقدّم ذكر بعض مصادره .

(٦٩٠) الكشّاف ١ : ٥٦٥ ، الرازي ٨ : ٨٥ ، البيضاوي ٧٦ وغيرهم ، بتفسير الآية .

إذن !! لابد في المباهلة من أن يكون المباهل به صاحب مقام يمتاز به عن غيره ، ويقدمه على من سواه ، وقد ثبت ذلك لعلي عليه السلام بحيث ناسب أن يأمر الله رسوله بأن يعبر عنه لأجله بأنه نفسه ، وهذا هو المقصود من الاستدلال بالآية المباركة ، وبه يثبت المطلوب.

فانظر كيف اضطربت كلمات الرجل وناقض نفسه !!

* غير أنه بعد الإعتراف بالفضيلة تأتي نفسه السكوت عليها ، وإذ لا يمكنه دعوى مشاركة زيد وعمر وبكر...!! معه فيها كما زعم ذلك في غير موضع من كتابه فيقول :
« وهي مشتركة بينه وبين فاطمة وحسن وحسين... ».

وهكذا قال - في موضع من كتابه - حول آية التطهير لما لم يجد بداً من الإعتراف باختصاصها بأهل البيت...

لكنه غفل أو تغافل أن هذه المشاركة لا تضر باستدلال الشيعة بل تنفع ، إذ تكون الآية من جملة الدلائل القطعية على أفضلية بضعة النبي فاطمة وولديه الحسنين عليهم السلام من سائر الصحابة عدا أمير المؤمنين عليه السلام - كما دل على ذلك الحديث : « فاطمة بضعة مني... » وقد بينا ذلك سابقاً - فعلي هو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم بالآية المباركة والحديث القطعي الوارد في شأن نزولها.

* وقال أبو حيان :

« ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم).

أي : يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة. وظاهر هذا أن الدعاء والمباهلة بين المخاطب بـ (قل) وبين من حاجه. وفسر على هذا الوجه (الأبناء) بالحسن والحسين ، ونسائه فاطمة ، والأنفس بعلي. قال الشعبي. ويدل على أن ذلك مختص بالنبي مع من حاجه ما ثبت في صحيح مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص ، قال : لما نزلت هذه الآية (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم)دعا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم فاطمة وحسناً وحسيناً ، فقال : اللهم هؤلاء أهلي.

وقال قوم : المباهلة كانت عليه وعلى المسلمين ، بدليل ظاهر قوله (ندع أبناءنا وأبناءكم) على الجمع ، ولما دعاهم دعا بأهل الذين في حوزته ، ولو عزم نصارى نجران على المباهلة وجاؤا لها لأمر النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم المسلمين أن يخرجوا بأهاليهم لمباهلته.

وقيل : المراد بـ (أنفسنا) الإخوان. قال ابن قتيبة. قال تعالى : (ولا تلمزوا أنفسكم) أي : إخوانكم.

وقيل : أهل دينه. قاله أبو سليمان الدمشقي.

وقيل : الأزواج.

وقيل : أراد القرابة القريبة. ذكرهما عليّ بن أحمد النيسابوري.

... قال أبو بكر الرازي : وفي الآية دليل على أنّ الحسن والحسين إنا رسول الله صلى الله عليه [وآله

[وسلّم.

وقال أبو أحمد بن علان : كانا إذ ذاك مكلفين ، لأنّ المباهلة عنده لا تصحّ إلاّ من مكلف.

وقد طوّل المفسّرون بما رووا في قصّة المباهلة ، ومضمونها : أنّه دعاهم إلى المباهلة وخرج بالحسن والحسين وفاطمة وعليّ إلى الميعاد ، وأنّهم كفّوا عن ذلك ورضوا بالإقامة على دينهم ، وأنّ يؤدّوا الجزية ، وأخبرهم أبحارهم أنّهم إن باهلوا عدّبو وأخبر هو صلى الله عليه [وآله] وسلّم أنّهم إن باهلوا عدّبو ، وفي ترك النصارى الملاعنة لعلمهم بنبوّته شاهد عظيم على صحّة نبوته.

قال الزمخشري : فإن قلت... « (٦٩١) .

أقول :

لعلّ تقديمه حديث مسلم عن سعد في أنّ المراد من (أنفسنا) هو عليّ عليه السلام... يدلّ على

ارتضائه لهذا المعنى... لكنّ الحديث جاء في الكتاب محرّفاً بحذف «عليّ» !!

وليته لم يذكر الأقاويل الأخرى ، فإنّها كلّها هواجس نفسانية وإلقاءات شيطانيّة ، لا يجوز إيرادها

بتفسير الآيات القرآنيّة.

لكن يظهر منه الإعتماد على هذه الأقوال !! حين ينفي بها الإجماع على أنّ المراد من (أنفسنا) هو

عليّ عليه السلام ، ليبطل استدلال الشيخ الحمصي بالآية على أفضلية الإمام على سائر الأنبياء ، كما سيأتي.

*** وقال القاضي الإيجي وشارحه الجرجاني :**

« ولهم - أي للشيعّة ومن وافقهم - فيه أي - في بيان أفضلية عليّ - مسلكان :

الأوّل : ما يدلّ عليه - أي على كونه أفضل - إجمالاً ، وهو وجوه : الأوّل : آية المباهلة ، وهي قوله

تعالى : (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) . وجه الإحتجاج : إنّ قوله تعالى : (أنفسنا) لم

يرد به نفس النبيّ ، لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه ، بل المراد به عليّ ، دلّت عليه الأخبار الصحيحة والروايات

الثابتة عند أهل النقل إنّّه عليه السلام دعا عليّاً إلى ذلك المقام ، وليس نفس عليّ نفس محمّد حقيقةً ،

(٦٩١) البحر المحيط ٣ : ١٨٨ - ١٨٩ .

فالمعاد المساواة في الفضل والكمال ، فترك العمل به في فضيلة النبوة وبقي حجةً في الباقي ، فيساوي النبي في كل فضيلة سوى النبوة ، فيكون فضل من الأمة.

وقد يمنع : إن المراد بـ (أنفسنا) عليّ وحده ، بل جميع قراباته وخدمه النازلون عرفاً منزلة نفسه عليه السلام داخلون فيه ، تدلّ عليه صيغة الجمع «^(٦٩٢)» .

أقول :

لا يخفى اعترافهما بدلالة الآية على الأفضلية ، ويكون عليّ في المباهلة ، « دلت عليه الأخبار الصحيحة والروايات الثابتة عند أهل النقل » وبدلالة (أنفسنا) على « المساواة » .
غير أنّهما زعما دخول غيره معه في ذلك ، لكنّهما قالا « وقد يمنع » وكأنّهما ملتفتان إلى بطلان ما زعماه ، خصوصاً كون المراد « خدمه » بالإضافة إلى « جميع قراباته » ، فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم لم يخرج معه حتّى عمّه ، فكيف يكون المراد « جميع قراباته وخدمه » !!؟

* وقال ابن رزبهان :

« كان عادة أرباب المباهلة أن يجمعوا أهل بيتهم وقراباتهم لتشمل البهلة سائر أصحابهم ، فجمع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم أولاده ونساءه ، والمراد بالأنفس هاهنا : الرجال ، كأنّه أمر بأن يجمع نساءه وأولاده ورجال أهل بيته ، فكان النساء فاطمة والأولاد الحسن والحسين والرجال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم وعليّ .

وأما دعوى المساواة التي ذكرها فهي باطلة قطعاً ، وبطلانها من ضرورات الدين ، لأنّ غير النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم من الأمة لا يساوي النبيّ أصلاً ، ومن ادعى هذا فهو خارج عن الدين ، وكيف يمكن المساواة والنبيّ نبيّ مرسل خاتم الأنبياء أفضل أولي العزم ، وهذه الصفات كلّها مفقودة في عليّ . نعم ، لأمير المؤمنين عليّ في هذه الآية فضيلة عظيمة وهي مسلمة ، ولكن لا تصير دالّة على النصّ بإمامته «^(٦٩٣)» .

أقول :

وفي كلامه مطالب ثلاثة :

الأول : إنّ ما صنعه النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم إنّما كان جرياً على عادة أرباب المباهلة...

(٦٩٢) شرح المواقف ٨ : ٣٦٧ .

(٦٩٣) إبطال الباطل - مخطوط - راجع : إحقاق الحق ٣ : ٦٢ .

وهذا كلام النواصب في الجواب عن هذه الآية ، كما نصّ عليه صاحب «التحفة الاثنا عشرية» ويرد عليه ما تقدّم من أنه لو كان كذلك فلماذا لم يخرج العبّاس وبنيه وأمثالهم من الأقرباء ؟ لكنّ فعل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم دليل على أنّ للمقام خصوصيّةً ولمن دعاهم مراتب عند الله تعالى ، وليس جرياً على عادة العرب في مباهلة البعض مع البعض.

والثاني : إنّ غير النبيّ من الأمتة لا يساوي النبيّ أصلاً.

وقد تقدّم الجواب عنه عند الكلام مع ابن تيميّة.

والثالث : إنّ لأمر المؤمنين في هذه الآية فضيلة عظيمة ، وهي مسلمة.

قلت : هي للأربعة كلّهم لكنّ عليّاً أفضلهم ، فهو الإمام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

قوله : لكن لا تصير دالّة على النصّ بإمامته.

قلت : إنّ الآية تدلّ على المساواة بينه وبين النبيّ في الكمالات الذاتية ، ولا أقلّ من كونها دالّة

على فضيلة عظيمة - باعترافه - غير حاصلة لخصومه ، فهو الأفضل ، فهو الإمام دون غيره بعد رسول الله.

*** وقال عبد العزيز الدهلوي ما تعريبه :**

« ومنها آية المباهلة ، وطريق تمسك الشيعة بهذه الآية هو أنّه لما نزلت (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ..) خرج رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من بيته ومعه عليّ وفاطمة وحسن وحسين ، فالمراد من (أبناءنا) الحسن والحسين ، ومن (أنفسنا) الأمير ، وإذا صار نفس الرسول - وظاهر أنّ المعنى الحقيقي لكونه نفسه محال - فالمراد هو المساوي ، ومن كان مساوياً لنبيّ عصره كان بالضرورة أفضل وأولى بالتصرّف من غيره ؛ لأنّ المساوي للأفضل الأول بالتصرّف ، أفضل وأولى بالتصرّف ، فيكون إماماً ، إذ لا معنى للإمام إلاّ الأفضل الأول بالتصرّف.

هذا بيان وجه الإستدلال ، ولا يخفى أنّه بهذا التقريب غير موجود في كلام أكثر علماء الشيعة ، فلهذه الرسالة الحقّ عليهم من جهة تقريرها وتهذيبها لأكثر أدلّتهم ، ومن شكّ في ذلك فليُنظر إلى كتبهم ليجد كلماتهم مشتتة مضطربة قاصرة عن إفادة مقصدهم.

وهذه الآية في الأصل من جملة دلائل أهل السنّة في مقابلة النواصب ، وذلك لأنّ أخذ النبيّ صلّى

الله عليه [وآله] وسلّم الأمير وأولئك الأجلّة معه ، وتخصيصهم بذلك دون غيرهم يحتاج إلى مرجّح ، وهو لا يخلو عن أمرين :

فإمّا لكونهم أعرّزاً عليه ، وحينئذ يكون إخراجهم للمباهلة - وفيها بحسب الظاهر خطر المهلكة ، موجباً لقوّة وثوق المخالفين بصدق نبوّته وصحّة ما يخبر به عن عيسى وخلقته ، إذ العاقل ما لم يكن جازماً بصدق دعواه لا يعرّض أعرّزته إلى الهلاك والاستئصال.

وهذا الوجه مختار أكثر أهل السُنّة والشيعة ، وهو الذي ارتضاه عبد الله المشهدي في إظهار الحقّ ، فدلت الآية على كون هؤلاء الأشخاص أعرّزاً على رسول الله ، والأنبياء مبرّأون عن الحبّ والبغض النفسانيّين ، فليس ذلك إلّا لدينهم وتقواهم وصلاحتهم ، فبطل مذهب النواصب القائلين بخلاف ذلك. وإمّا لكي يشاركونه في الدعاء على كفّار نجران ، ويعينونه بالتأمين على دعائه عليهم فيستجاب بسرعة ، كما يقول أكثر الشيعة وذكره عبد الله المشهدي أيضاً ، فتدلّ الآية - بناءً عليه كذلك - على علو مرتبتهم في الدّين وثبوت استجابة دعائهم عند الله. وفي هذا أيضاً ردّ على النواصب.

وقد قدح النواصب في كلا الوجهين وقالوا بأنّ إخراجهم لم يكن لشي منهنّما وإمّا كان لإلزام الخصم بما هو مسلمّ الثبوت عنده ، إذ كان مسلمّاً عند المخالفين - وهم الكفار - أنّ البهلة لا تعتبر إلّا بحضور الأولاد والختن والحلف على هلاكهم ، فلذا أخرج النبيّ أولاده وصهره معه ليلزمهم بذلك. وظاهر أنّ الأقارب والأولاد - كيفما كانوا - يكونون أعرّزاً على الإنسان في اعتقاد الناس وإن لم يكونوا كذلك عند الإنسان نفسه ، يدلّ على ذلك أنّه لو كان هذا النوع من المباهلة حقّاً عنده صلى الله عليه [وآله] وسلّم لكان سائغاً في الشريعة ، والحال أنّه ممنوع فيها. فظهر أنّ ما صنعه إمّا كان إسكاتها للخصم.

وعلى هذا القياس يسقط الوجه الثاني أيضاً ، فإنّ هلاك وفد نجران لم يكن من أهمّ المهمّات ، فقد مرّت عليه حوادث كانت أشدّ وأشقّ عليه من هذه القضية ولم يستعن في شيء منها في الدعاء بهؤلاء ، على أنّ من المتّفق عليه استجابة دعاء النبيّ في مقابله مع الكفار ، وإلّا يلزم تكذيبه ونقض الغرض من بعثته.

فهذا كلام النواصب ، وقد أبطله - بفضل الله تعالى - أهل السُنّة بما لا مزيد عليه كما هو مقرّر في محله ولا نتعرّض له خوفاً من الإطالة.

وعلى الجملة فإنّ آية المباهلة هي في الأصل ردّ على النواصب ، لكنّ الشيعة يتمسّكون بها في مقابلة أهل السُنّة ، وفي تمسّكهم بها وجوه من الأشكال :

أما أوّلاً : فلأنّنا لا نسلم أنّ المراد (بأنفسنا) هو الأمير ، بل المراد نفسه الشريفة ، وقول علمائهم في إبطال هذا الاحتمال بأنّ الشخص لا يدعو نفسه ، غير مسموع ، إذ قد شاع وذاع في القديم والحديث »

دعته نفسه إلى كذا « و » دعوت نفسي إلى كذا « (فطوّعت له نفسه قتل أخيه) و » أمرت نفسي « و » شاورت نفسي» إلى غير ذلك من الاستعمالات الصحيحة الواقعة في كلام البلغاء. فيكون حاصل (ندع أنفسنا) : نحضر أنفسنا.

وأيضاً : فلو قرّرنا الأمير من قبل النبيّ مصداقاً لقوله (أنفسنا) فمن نقرره من قبل الكفار مع أنّهم مشتركون في صيغة (ندع). إذ لا معنى لدعوة النبيّ إياهم وأبناءهم بعد قوله : (تعالوا). فظهر أنّ الأمير داخل في (أبناءنا) - كما أنّ الحسين غير داخلين في الأبناء حقيقةً وكان دخولهما حكماً - لأن العرف يعدّ الختن ابناً ، من غير ربية في ذلك.

وأيضاً : فقد جاء لفظ النفس بمعنى القريب والشريك في الدين والملة ومن ذلك قوله تعالى : (يخرجون أنفسهم من ديارهم) أي : أهل دينهم .. (ولا تلمزوا أنفسكم) .. (لولا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) فلما كان للأمير اتصال بالنبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم في النسب والقرابة والمصاهرة واتّحاد في الدين والملة ، وقد كثرت معاشرته والألفة معه حتّى قال : « عليّ منّي وأنا من عليّ » كان التعبير عنه بالنفس غير بعيد ، فلا تلزم المساواة كما لا تلزم في الآيات المذكورة.

وأما ثانياً : فلو كان المراد مساواته في جميع الصفات ، يلزم الاشتراك في النبوة والخامية والبعثة إلى كافة الخلق ، والاختصاص بزيادة النكاح فوق الأربع ، والدرجة الرفيعة في القيامة ، والشفاعة الكبرى والمقام المحمود ، ونزول الوحي ، وغير ذلك من الأحكام المختصة بالنبيّ ، وهو باطل بالإجماع. ولو كان المراد المساواة في البعض ، لم يحصل الغرض ، لأنّ المساواة في بعض صفات الأفضل والأولى بالتصرف ، لا تجعل صاحبها أفضل وأولى بالتصرف ، وهو ظاهراً جداً.

وأيضاً : فإنّ الآية لو دلّت على إمامة الأمير لزم كونه إماماً في زمن النبيّ وهو باطل بالإتفاق ، فإن قيّد بوقت دون وقت - مع أنّه لا دليل عليه في اللفظ - لم يكن مفيداً للمدعى ؛ لأنّ أهل السنّة أيضاً يثبتون إمامته في وقت من الأوقات «^(٦٩٤) .

أقول :

وفي كلامه مطالب :

١ - دعوى أنّ التقريب الذي ذكره للاستدلال بالآية غير وارد في أكثر كتب الشيعة ، قال : « وكذلك الأدلة الأخرى غالباً ، ... ».

(٦٩٤) التحفة الاثنا عشرية : ٢٠٥ - ٢٠٧ . وقد ذكرنا كلامه بطوله لتلاّ يظنّ ظانّ أنّا أسقطنا منه شيئاً ممّا له دخل في البحث مع الشيعة حول الآية المباركة.

وأنت ترى كذب هذه الدعوى بمراجعتك لوجه الاستدلال في بحثنا هذا ، إذ تجد العبارة المذكورة في كتب أصحابنا إمّا باللفظ وإمّا بما يؤدّي معناه ؛ فلا نطيل.

٢ - نسبة المناقشة في دلالة الآية المباركة بما ذكره ، إلى النواصب ، وأن أهل السُنّة يدافعون عن أهل البيت في قبال أولئك...

وقد وجدنا ما عزاه إلى النواصب في كلام ابن تيميّة وابن روزبهان ، في ردّهما على العلامة الحليّ ، فالحمد لله الذي كشف عن حقيقة حالهم بما أجراه على لسانهم...

٣ - عدم التسليم بأنّ المراد من (أنفسنا) هو «عليّ» بل المعنى : «نحضر أنفسنا» ، واستشهد - في الردّ على قول الإماميّة بأنّ الشخص لا يدعو نفسه - بعبارات شائعة في كلام العرب في القديم والحديث كما قال.

ونحن لا نناقشه في المعاني المجازيّة لتلك العبارات ، ونكتفي بالقول - مضافاً إلى اعتراف غير واحد من أئمّة القوم بأنّ الإنسان الداعي إمّا يدعو غيره لا نفسه^(٦٩٥) - بأنّ الأحاديث القطعيّة عند الفريقين دلّت على أنّ المراد من (أنفسنا) هو عليّ عليه السلام ، فما ذكره يرجع في الحقيقة إلى عدم التسليم بتلك الأحاديث وتكذيب روايتها ومخرّجها ، وهذا ما لا يمكنه الالتزام به.

٤ - إدخال عليّ عليه السلام في (أبناءنا)!!..

وفيه : أنّه مخالف للنصوص.

ولا يخفى أنّه محاولة لإخراج الآية عن الدلالة على كون عليّ نفس النبيّ لعلمه بالدلالة حينئذ على المساواة ، وإلّا فإدخاله في (أبناءنا) أيضاً اعتراف بأفضليّته !! واستشهاده بالآيات مردود بما عرفت في الكلام مع ابن تيميّة.

على أنّه اعترف بحديث «عليّ منّي وأنا من عليّ» وهو ممّا لا يعترف به ابن تيميّة وسائر النواصب.

٥ - ردّه على المساواة بأنّه : إن كان المراد المساواة في جميع الصفات ، يلزم المساواة بين عليّ والنبيّ في النبوة والرسالة والخاتميّة والبعثة إلى الخلق كافّة ونزول الوحي... وإن كان المراد المساواة في بعض الصفات فلا يفيد المدعى...

قلنا : المراد هو الأوّل ، إلّا النبوة ، والأمور التي ذكرها من الخاتميّة والبعثة... كلّها من شؤون النبوة...

(٦٩٥) لاحظ : شيخ زادة على البيضاوي ٦٣٤/١ .

فالأية دالة على حصول جميع الكمالات الموجودة في النبي في شخص عليّ ، عدا النبوة ، وقد جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعليّ : « يا عليّ ! ما سألت الله شيئاً إلا سألت لك مثله ، ولا سألت الله شيئاً إلا أعطانيه ، غير إنه قيل لي : أنه لا نبي بعدك »^(٦٩٦) .

٦ - وبذلك يظهر أنه عليه السلام كان واجداً لحقيقة الإمامة - وهو وجوب الطاعة المطلقة ، والأولوية التامة بالنسبة للأمة - في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إلا أنه كان تابعاً للنبي مطيعاً له إطاعةً وانقياداً لم يحدثنا التاريخ به عن غيره على الإطلاق.
فسقط قوله أخيراً : « فإن الآية لو دلّت على إمامة الأمير.. ».

* والألوسي :

انتحل كلام الدهلوي ، بلا زيادة أو نقصان ، كبعض الموارد الأخرى ، وجوابه جوابه ، فلا نكرّر.

* وقال الشيخ محمد عبده :

« الروايات متّفقة على أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم اختار للمباهلة عليّاً وفاطمة وولديها ، ويحملون كلمة (نساءنا) على فاطمة ، وكلمة (أنفسنا) على عليّ فقط.
ومصادر هذه الروايات الشيعة ، ومقصدهم منها معروف ، وقد اجتهدوا في ترويجها ما استطاعوا حتّى راجت على كثير من أهل السُنّة ، ولكنّ واضعيها لم يحسنوا تطبيقها على الآية ، فإن كلمة (نساءنا) لا يقولها العربي ويريد بها بنته ، لا سيّما إذا كان له أزواج ، ولا يفهم هذا من لغتهم ، وأبعد من ذلك أن يراد به (أنفسنا) عليّ - عليه الرضوان - .

ثمّ إنّ وفد نجران الذين قالوا إنّ الآية نزلت فيهم لم يكن معهم نساؤهم وأولادهم »^(٦٩٧) .

أقول :

وفي هذا الكلام إقرار ، وادعاء ، ومناقشة عن عناد.
أما الإقرار ، فقوله : « إنّ الروايات متّفقة... » فالحمد لله على أن بلغت الروايات في القضية من الكثرة والقوّة حدّاً لا يجد مثل هذا الرجل بدءاً من أن يعترف بالواقع والحقيقة.
لكنّه لما رأى أنّ هذا الإقرار يستلزم الالتزام بنتيجة الآية المباركة والروايات الواردة فيها وهذا ما لا تطيقه نفسه !! عاد فزعم أمراً لا يرتضيه عاقل فضلا عن فاضل!

(٦٩٦) أخرجه جماعة ، منهم النسائي في الخصائص : ١٤٧/١٩٧ و١٤٨/١٩٨ ، المناقب للخوارزمي : ١١٧/١١٠ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣١٠ .

(٦٩٧) تفسير المنار ٣ : ٢٦٦ .

أما الإدعاء ، فقال : « مصادر هذه الروايات الشيعة... وقد اجتهدوا في ترويحها.. » .
لكنه يعلم - كغيره - بكذب هذه الدعوى ، فمصادر هذه الروايات القطعية - وقد عرفت بعضها -
ليست شيعية. ولما كانت دلالتها واضحة « والمقصد منها معروف » ، عمد إلى المناقشة بحسب اللغة ،
وزعم أنّ العربي لا يتكلم هكذا.

وما قاله محض استبعاد ولا وجه له إلاّ العناد ! لأننا لا نحتمل أن يكون هذا الرجل جاهلاً بأنّ لفظ
« النساء » يطلق على غير الأزواج كما في القرآن الكريم وغيره ، أو يكون جاهلاً بأنّ أحداً لم يدع استعمال
اللفظ المذكور في خصوص « فاطمة » وأنّ أحداً لم يدع استعمال (أنفسنا) في « عليّ » عليه السلام.
إنّ هذا الرجل يعلم بأنّ الروايات صحيحة وواردة من طرق القوم أنفسهم ، والاستدلال قائم على
أساسها ، إذ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم جعل عليّاً فقط المصداق لـ (أنفسنا) وفاطمة فقط
المصداق لـ (نساءنا) وقد كان له أقرباء كثيرون وأصحاب لا يحصون... كما كان له أزواج عدّة ، والنساء في
عشيرته وقومه كثرة.

فلا بدّ أن يكون ذلك مقتضياً لتفضيل عليّ عليه السلام على غيره من أفراد الأمة ، وهذا هو
المقصود.

تكميل :

وأما تفضيله - بالآية - على سائر الأنبياء عليهم السلام - كما عن الشيخ محمود بن الحسن
الحمصي - فهذا هو الذي انتقده الفخر الرازي ، وتبعه النيسابوري ، وأبو حيان الأندلسي :
* قال الرازي - بعد أن ذكر موجز القصة ، ودلالة الآية على أن الحسنين إبننا رسول الله - :
« كان في الرّيّ رجل يقال له : محمود بن الحسن الحمصي ، وكان معلّم الاثني عشرية^(٦٩٨) وكان
يزعم أنّ عليّاً رضي الله عنه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمّد عليه السلام ، قال : والذي يدلّ عليه
قوله تعالى : (وأنفسنا وأنفسكم) وليس المراد بقوله (وأنفسنا) نفس محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم ، لأنّ
الإنسان لا يدعو نفسه ، بل المراد به غيره ، وأجمعوا على أنّ ذلك الغير كان عليّ ابن أبي طالب رضي الله
عنه فدلت الآية على أنّ نفس عليّ هي نفس محمّد ، ولا يمكن أن يكون المراد منه أنّ هذه النفس هي
عين تلك النفس ، فالمراد أنّ هذه النفس مثل تلك النفس ، وذلك يقتضي الاستواء في جميع الوجوه ، ترك
العمل بهذا العموم في حقّ النبوة وفي حقّ الفضل ، لقيام الدلائل على أنّ محمّداً عليه السلام كان نبياً وما
كان عليّ كذلك ، ولانعقاد الإجماع على أنّ محمّداً عليه السلام كان أفضل من عليّ ، فيبقى فيما وراءه
معمولا به.

(٦٩٨) وهو صاحب كتاب « المنقذ من التقليد » ، وفي بعض المصادر أن الفخر الرازي قرأ عليه ، توفي في أوائل القرن السابع ، كما في ترجمته
بمقدمة كتابه المذكور ، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم.

ثمَّ الإجماع دَلَّ على أنَّ محمَّداً عليه السلام كان أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام ، فيلزم أن يكون عليٌّ أفضل من سائر الأنبياء.

فهذا وجه الاستدلال بظاهر هذه الآية.

ثمَّ قال : ويؤيِّد الاستدلال بهذه الآية : الحديث المقبول عند الموافق والمخالف ، وهو قوله عليه السلام : من أراد أن يرى آدم في علمه ، ونوحاً في طاعته ، وإبراهيم في خلَّته ، وموسى في هيئته ، وعيسى في صفوته ، فليُنظر إلى عليِّ بن أبي طالب.

فالحديث دَلَّ على أنَّه اجتمع فيه ما كان متفرِّقاً فيهم ، وذلك يدلُّ على أن عليّاً رضي الله عنه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمَّد صلى الله عليه [وآله] وسلَّم.

وأما سائر الشيعة فقد كانوا - قديماً وحديثاً - يستدلُّون بهذه الآية على أن عليّاً رضي الله عنه أفضل من سائر الصحابة ، وذلك لأن الآية لما دَلَّت على أن نفس علي مثل نفس محمَّد عليه السلام إلا في ما خصَّه الدليل ، وكان نفس محمَّد أفضل من الصحابة ، فوجب أن يكون نفس عليٍّ أفضل أيضاً من سائر الصحابة.

هذا تقدير كلام الشيعة.

والجواب : إنَّه كما انعقد الإجماع بين المسلمين على أن محمَّداً عليه السلام أفضل من عليٍّ ، فكذلك انعقد الإجماع بينهم - قبل ظهور هذا الإنسان - على أن النبيَّ أفضل ممَّن ليس بنبيٍّ ، وأجمعوا على أن عليّاً ما كان نبياً ، فلزم القطع بأن ظاهر الآية كما أنَّه مخصوص في حقِّ محمَّد صلى الله عليه [وآله] وسلَّم ، فكذلك مخصوص في حقِّ سائر الأنبياء عليهم السلام . انتهى^(٦٩٩).

* وكذا قال النيسابوري ، وهو ملخَّص كلام الرازي ، على عادته ، وقد تقدَّم نصُّ ما قال.

* وقال أبو حيان ، بعد أن ذكر كلام الزمخشري في الآية المباركة : « ومن أغرب الاستدلال ما استدلَّ به محمَّد^(٧٠٠) بن عليٍّ الحمصي... » فذكر الاستدلال ، ثمَّ قال : « وأجاب الرازي : بأنَّ الإجماع منعقد على أن النبيَّ صلى الله عليه [وآله] وسلَّم أفضل ممَّن ليس بنبيٍّ ، وعليٍّ لم يكن نبياً ، فلزم القطع بأنَّه مخصوص في حقِّ جميع الأنبياء .»

قال : « وقال الرازي : استدلال الحمصي فاسد من وجوه :

منها قوله : (إنَّ الإنسان لا يدعو نفسه) بل يجوز للإنسان أن يدعو نفسه ، تقول العرب : دعوت نفسي إلى كذا فلم تجبني. وهذا يسميَّه أبو عليٍّ بالتجريد.

(٦٩٩) التفسير الكبير ٨ : ٨٦ .

(٧٠٠) كذا ، والصحيح : محمود .

ومنها قوله : (وأجمعوا على أنّ الذي هو غيره هو عليّ) ليس بصحيح ، بدليل الأقوال التي سيقّت في المعنيّ بقوله : (وأنفسنا).

ومنها قوله : (فيكون نفسه مثل نفسه) ولا يلزم من المماثلة أن تكون في جميع الأشياء بل تكفي المماثلة في شيء ما ، هذا الذي عليه أهل اللغة ، لا الذي يقوله المتكلّمون من أنّ المماثلة تكون في جميع صفات النفس ، هذا اصطلاح منهم لا لغةً ، فعلى هذا تكفي المماثلة في صفة واحدة ، وهي كونه من بني هاشم ، والعرب تقول : هذا من أنفسنا ، أي: من قبيلتنا.
وأما الحديث الذي استدلّ به فموضوع لا أصل له «^(٧٠١) .

أقول :

ويبدو أنّ الرازي هنا وكذا النيسابوري أكثر إنصافاً للحقّ من أبي حيّان ؛ لأنّهما لم يناقشا أصلاً في دلالة الآية المباركة والحديث القطعي على أفضليّة عليّ عليه السلام على سائر الصحابة.
أما في الاستدلال بها على أفضليّته على سائر الأنبياء فلم يناقشا بشي من مقدّماته إلا أنّهما أجابا بدعوى الإجماع من جميع المسلمين - قبل ظهور الشيخ الحمصي - على أنّ الأنبياء أفضل من غيرهم.
وحينئذ ، يكفي في ردّهما نفي هذا الإجماع ، فإنّ الإماميّة - قبل الشيخ الحمصي وبعده - قائلون بأفضليّة عليّ والأئمّة من ولده ، على جميع الأنبياء عدا نبينا صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ويستدلّون لذلك بوجوه من الكتاب والسنة ، أمّا من الكتاب فالآية المباركة ، وأمّا من السنة فالحديث الذي ذكره الحمصي...

وقد عرفت أنّ الرازي والنيسابوري لم يناقشا فيهما.

ومن متقدمي الإماميّة القائلين بأفضليّة أمير المؤمنين على سائر الأنبياء هو : الشيخ المفيد ، المتوفى سنة ٤١٣ ، وله في ذلك رسالة ، استدلّ فيها بأية المباهلة ، واستهلّ كلامه بقوله : « فاستدلّ به من حكم لأمر المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بأنّه أفضل من سالف الأنبياء عليهم السلام وكافة الناس سوى نبيّ الهدى محمّد عليه وآله السلام بأن قال... » وهو صريح في أنّ هذا قول المتقدّمين عليه^(٧٠٢) .
فظهر سقوط جواب الرازي ومن تبعه.

لكن أبا حيّان نسب إلى الرازي القول بفساد استدلال الحمصي من وجوه - ولعلّه نقل هذا من بعض مصنّفات الرازي غير التفسير - فذكر ثلاثة وجوه :

(٧٠١) البحر المحيط ٣ : ١٩٠ .

(٧٠٢) تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام على سائر الصحابة. رسالة مطبوعة في المجلد السابع من موسوعة مصنّفات الشيخ المفيد.

أما الأول : فبطلانه ظاهر من غضون بحثنا ، على أن الرازي قرره ولم يشكل عليه ، فإن كان ما ذكره أبو حيان من الرازي حقاً فقد ناقض نفسه.

وأما الثاني : فكذلك ، لأنها أقوال لا يعبأ بها ، إذ الموجود في صحيح مسلم ، وجامع الترمذي ، وخصائص النسائي ، ومسند أحمد ، ومستدرک الحاكم... وغيرها... أن الذي هو غيره هو عليّ لا سواه... وهذا هو القول المتفق عليه بين العامة والخاصة ، وهم قد ادّعوا الإجماع - من السلف والخلف - على أن صحيح البخاري ومسلم أصح الكتب بعد القرآن ، ومنهم من ذهب إلى أن صحيح مسلم هو الأصحّ منهما.

وأما الثالث : فيكفي في الردّ عليه ما ذكره الرازي في تقرير كلام الشيعة في الاستدلال بالآية المباركة ، حيث قال : « وذلك يقتضي الاستواء من جميع الوجوه... » فإن كان ما ذكره أبو حيان من الرازي حقاً فقد ناقض نفسه.

على أنه إذا كان « تكفي المماثلة في صفة واحدة ، وهي كونه من بني هاشم » فلماذا التخصيص بعليّ منهم دون غيره ؟!

بقي حكمه بوضع الحديث الذي استدلّ به الحمصي ، وهذا حكم لا يصدر إلا من جاهل بالأحاديث والآثار ، أو من معاند متعصّب ؛ لأنه حديث متفق عليه بين المسلمين ، ومن رواه من أهل السنة : عبد الرزاق بن همام ، وأحمد بن حنبل ، وأبو حاتم الرازي ، والحاكم النيسابوري ، وابن مردويه ، والبيهقي ، وأبو نعيم ، والمحب الطبري ، وابن الصبّاح المالكي ، وابن المغازلي الشافعي...^(٧٠٣) .
هذا تمام الكلام على آية المباهلة. وبالله التوفيق.

(٧٠٣) وقد بحثنا عن أسانيده وأوضحنا وجوه دلالاته في أحد أجزاء كتابنا الكبير « نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار » وسيقدّم للطبع إن شاء الله تعالى.

المحتويات

كلمة المركز

كلمة المؤلف

مقدمة المراجعات والكلام حولها

تمهيد

شخصية السيد شرف الدين

أشهر مؤلفاته

كلام السيد في مقدمة المراجعات

إهداء السيد كتاب المراجعات

رجاء السيد من القراء

قال قائل منهم

السبب في تأخير طبع الكتاب

السبيل لتوحيد المسلمين

موجز الكلام على حديث كتاب الله وسنتي

مقدمات قبل الورود في تشييد المراجعات وتفنييد المكابرات

المبحث الأول

في إمام المذهب

المراجعة (٤)

* قال السيد رحمة الله تعالى عليه

* قال السيد رحمه الله

المراجعة (٦)

شبهات حول نهج البلاغة

المراجعة (٨)

حديث السفينة

المراجعة (١٠)

تحقيق أسانيد هذه الأحاديث

المراجعة (١٢) حجج الكتاب

آية التطهير

الفصل الأوّل

في تعيين النبيّ قولاً وفعلاً المراد من « أهل البيت »

من الصحابة الرواة لحديث الكساء

من الأئمّة الرواة لحديث الكساء

من ألقاب الحديث في الصحاح والمسانيد وغيرها

ممن نصّ على صحّة الحديث

ما دلت عليه الأحاديث

الفصل الثاني

في سقوط القولين الآخرين

ترجمة عكرمة

ترجمة مقاتل

ترجمة الضحّاك

الفصل الثالث

في دلالة الآية المباركة على عصمة أهل البيت

الفصل الرابع

في تناقضات علماء السنة تجاه معنى الآية

فمن الطائفة الاولى

ومن الطائفة الثانية

ومن الطائفة الثالثة

اعتراف ابن تيمية بصحة الحديث
سقوط كلمات ابن تيمية
تناقض ابن تيمية
خلاصة البحث

آية الموودة

الفصل الأول

في تعيين النبي صلى الله عليه وآله وسلم المراد من « القربي »

ذكر من رواه من الصحابة والتابعين
وممن رواه من أئمة الحديث والتفسير
نصوص الحديث في الكتب المعتمدة

الفصل الثاني

في تصحيح أسانيد هذه الأخبار

١ - ترجمة يزيد بن أبي زياد

٢ - ترجمة حسين الأشقر

٣ - ترجمة قيس بن الربيع

٤ - ترجمة حرب بن حسن الطحان

الفصل الثالث

في دفع شبهات المخالفين

١ - سورة الشورى مكّية والحسنان غير موجودين

٢ - الرسول لا يسأل أجراً

٣ - لماذا لم يقل : إلا الموودة للقربي ؟

٤ - المعارضة

الفصل الرابع

الأخبار والأقوال

أدلة وشواهد أخرى للقول بنزول الآية في أهل البيت

الرد على الأقوال الأخرى

الجهة الأولى : جهة السند

والجهة الثانية : جهة فقه الحديث

دلالة الآية سواء كان الإستثناء متصلاً أو منقطعاً

الفصل الخامس

دلالة الآية على الإمامة والولاية

١ - القرابة النسبية والإمامة

٢ - وجوب المودّة يستلزم وجوب الطاعة

٣ - وجوب المحبة المطلقة يستلزم الأفضليّة

٤ - وجوب المحبة المطلقة يستلزم العصمة

دحض الشبهات المثارة على دلالة الآية على الإمامة

خلاصة البحث

آية المباهلة

الفصل الأوّل

في نزول الآية في أهل البيت عليهم السلام

ذكر من رواه من الصحابة والتابعين

ومن رواه من كبار الأئمّة في الحديث والتفسير

من نصوص الحديث في الكتب المعتمدة

الفصل الثاني

في قصّة المباهلة

كتاب الصلح

القربات يوم المباهلة

الفصل الثالث

محاولات يائسة وأكاذيب مدهشة

١ - الإخفاء والتعتيم على أصل الخبر

٢ - الإخفاء والتعتيم على حديث المباهلة

٣ - الإخفاء والتعتيم على اسم عليّ !!

٤ - حذف اسم عليّ وزيادة « وناس من أصحابه »

٥ - التحريف بزيادة « عائشة وحفصة »

٦ - التحريف بحذف « فاطمة » وزيادة : « أبي بكر وولده وعمر وولده وعثمان

وولده »

الفصل الرابع

في دلالة آية المباهلة على الإمامة

* استدلال الإمام الرضا عليه السلام

الفصل الخامس

في دفع شبهات المخالفين

* ابن تيميّة

* أبو حيان

* القاضي الإيجي وشارحه الجرجاني

* ابن روزبهان

* عبد العزيز الدهلوي

* الآلوسي

* الشيخ محمّد عبده

المحتويات